
الكلمات المفاتيح
معجم ثقافي ومجتمعي
المشروع القومي للترجمة
تأليف: ريموند وليامز
ترجمة: نعيمان عثمان
تقديم: طلال أسد
مراجعة: محمد بريري
980

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد : ٩٨٠
- الكلمات المفاتيح (معجم ثقافى ومجتمعى)
- ريموند وليامز
- نعيمان عثمان
- محمد بريرى
- طلال أسد
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

Keywords :
A Vocabulary of culture and Society
By : Raymond Williams
Originally Published in English by HarperCollins
Publishers Ltd under the title Keywords

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084

المحتويات

إيضاحات:

استعملت هذه الإختصارات فى النص:

ام : انظر المادة
اق : لغة إنجليزية قديمة
امم : انظر المواد
س ب : سابقة بعيدة للكلمة
س ق : سابقة قريبة للكلمة
ف : لغة فرنسية
ق : قرن
قروسطى : قرون وسطى
ل : لغة لاتينية
م ق : منتصف القرن

مصدر الاقتباسات التى تظهر فى النص متبوعة باسم وتاريخ أو بتاريخ فقط هو قاموس أكسفورد المعروف OED. أما الاقتباسات الأخرى فإنها تتبع بإشارة إلى مراجعها؛ والإحالات إلى المصادر الثانوية مرتبة حسب اسم المؤلف كما هو مسجل فى قائمة المراجع والببليوجرافيا المختارة.

تقديم

يمكن المجادلة بأن كتاب "الكلمات المفاتيح"، الذى صدر للمرة الأولى فى ١٩٧٩، هو أكثر مؤلفات الناقد الثقافى الشهير ريموند وليامز صمودا فى استمرار تأثيره. فرغم مرور ثلاثين عاما على نشر مراجعاته التاريخية القصيرة لمفردات تعتبر الآن محورية بالنسبة للخطاب العام فى عالم الناطقين بالانجليزية الا أنها لا تزال تستحق القراءة بتمعن. حتى يومنا هذا كثيرا ما يقرر هذا الكتاب ضمن مواد الدراسة للطلاب الجامعات. يكتسب قارىء كل مواد الكتاب وعيا عميقا بالكيفية التى تعبرّ بها اللغة المتطورة عن الحياة الاجتماعية الحديثة.

يستحق الدكتور نعيمان عثمان التهنئة على إتاحة الكتاب للقراء العرب فى هذه الترجمة الممتازة. هناك أمل بأن هذا سيزيد من وعيهم أكثر من أى وقت مضى بالصلات المعقدة بين اللغة والحياة الحديثة، وسيزيد من احساسهم بالطبيعة الخلافية للأفكار العامة فى الحداثة. ربما يؤدى ذلك فى النهاية الى القيام بجهد مماثل عن تطور "كلمات مفاتيح" فى اللغة العربية نفسها ولها. لابد وأن يكون مشروع من هذا القبيل أكثر من مجرد تاريخ للكلمات اذ يتوجب أن يكون أيضا تاريخا للمفاهيم المركزية وللحياة السياسية والأخلاقية والاقتصادية التى تنظمها جزئيا هذه المفاهيم وتمثل فيها.

يتحدث ريموند وليامز فى مقدمته عن استحالة القيام بعمله هذا لولا توفر قاموس أكسفورد ***New English Dictionary on Historical Principles*** المعروف

بحروف كلماته الأول .O.E.D . هذا القاموس متعــدد المجلــدات، الــذى يرصــد الاستعمالات العامة للكلمات فى تسلسل تاريخى معززة باقتباســات مــن مصــادر مكتوبة، ليس هو بالتأكيد الصورة التامة للطريقة التى تطورت بها اللغة. فى أيــة لغة ثرية لاتغيب عن أذهان المصنفين تنوعات أخرى كثيرة فحسب وانمــا كــذلك بالضرورة لن يحظى جانب الكلام المحكى بتمثيل مناسب فى قاموس يكاد يكــون اعتماده كليا على مصادر أدبية. مع ذلك فإن قاموس أكسفورد منطلق لاغنى عنــه لفهم الطبيعة التاريخية للغة الانجليزية، وبالتالى الطبيعة التاريخيــة لكــل الحيــاة الاجتماعية التى ندركها ونحياها فى تلك اللغة.. انه لمبعث للحســرة أن لا يكــون لدينا قاموس كهذا للعربية الحديثة. لا شك أن قاموسا عربيا يرتكــز علــى قواعــد تاريخية هو أمر جوهرى لتتبع كثير من التحولات الأساسية فى حياتنا و تفكيرنــا الجمعيين: تغييرات بنيوية فى الطرق التى نتفاعل فيها مع بعضــنا ومــع أنفســنا. يتوجب على من يكون لديه اهتمام بمسائل تاريخية مثل هذه أن يبدأ بــالعودة إلــى سلسة متعاقبة من القواميس – على سبيل المثال، لسان العرب وتــاج العــروس – التى تشكل نقطة انطلاق للتحرى، فما من خبير هناك يعول عليــه فــى معرفــة الاستعمالات اللغوية الدقيقة عبر عدة قرون. من الطبيعى أن القواميس الكلاســيكية اعتبرت فى المقام الأول معيارية لا وصفية، أى أنها اعتبــرت الســلطة النهائيــة للاستعمال "الصحيح". لكن بالنسبة للبحث التاريخى عن تحول المجتمع والسياســة فان هذا الزعم نفسه هو حقيقة اجتماعية وصفية، والثبات اللغوى الذى تفترضه هو نفسه موضع شك. بشكل أساسى يعتمد كتاب ريموند وليامز الرائع علــى قــاموس أكسفورد لكنه لا يقف عنده. انه يسعى الى وصف السياق الذى تتشكل فيه الكلمات، رغم أن المرء يتمنى أحيانا لو تسنى له أن يتوسع أكثر فى ذلك. لا شك أن كل من اشتغل بهذه المسائل يعرف حق المعرفة أن "الكلمات" ترتبط بكل من "المفــاهيم" و "الأشياء"، لكن هذه ليست البتة علاقة بسيطة: كلمة مقابل "مفهوم" أو مقابل "شيء". علاوة على ذلك، ترتبط الكلمات بعضها ببعض فى شبكة من المعــانى. تســتدعى الضرورة سك كلمات جديدة أو استعارتها للتعامل مع صيغة حياة جديدة بينما فــى المقابل تفقد كلمات قديمة معانيها. و يجعل هذا كتابة المواد أمرا صعبا لأن المرء

يحتاج معرفة نوعية العلاقات بين الكلمات والمفاهيم وصيغ الحياة. كـــان وليـــامز دونما شك على وعى بهذا التعقيد لكنه لم يفسح المجال كثيرا لنفســـه ليتســـنى لـــه استكشاف العلاقات بشكل تام. بالمقارنة مع تصنيف أخر هو التـــاريخ المفـــاهيمى الألمـــانى المعنـــون: ***Geschtliche Grundbegriffe. Historisches Lexikon zur Politisch-sozialen Sprache in Deutschland***

"مفاهيم أساسية فى التاريخ" قاموس يعتمد على المبـــادئ التاريخيـــة للغـــة الاجتماعية والسياسية فى ألمانيا) فإن مجاله يبدو محدودا. على سبيل المثال، بينما نجد عند وليامز صفحة واحدة عن "**Anarchism** الفوضوية" فان القاموس الألمـــانى يخصص ستين صفحة لهذه المادة. بالطبع القاموس الأخير يتكون من ستة مجلدات وشارك فى كتابته فريق من الباحثين (صدر المجلد الأول فى ١٩٧١). بالرغم من عنوانه فانه لا يقتصر على الاستعمال فى الألمانية بل يشمل لغات أخرى وفتـــرات تسبق العصر الحديث. و يسعى هذا القاموس بطريقة منهجية الى ربـــط تـــاريخ المفاهيم بالتاريخ الاجتماعى. لكننا عندما نتذكر أن " الكلمات المفتاحية" هـــو جهـــد مؤلف واحد و نتاج سنين عديدة من التجميع الصبور وتسجيل الملاحظات بطـــول أناة فان الكتاب لا بد وأن ينال منا كل الاعجاب.

بخلاف مسألة طول أو قصر المواد هناك السؤال المهم عن الكلمـــات التـــى اختيرت على أنها مركزية والأسباب وراء ذلك. فى " الكلمات المفتاحية" لا تشـــير المواد الى الطريقة التى نعيش بها و كيف نتجادل حولها فحسب، بل تنبئنـــا أيضـــا عن ما يعتبره المؤلف هاما. لذا لا تحظى لا الكلمة "ديـــن" و لا "علمانيـــة" بـــأى اهتمام. بالنسبة لويليامز، لا أهمية لأى منهما فى الحياة الحديثة، فلأولى تدل علـــى طريقة حياة تسبق العصر الحديث (حسب الفرضية العلمانية، لابد وأن يذوى الدين كلما تطور المجتمع) والأخرى ، لذات السبب المذكور توا، لأنها الأســـاس الفعلـــى للحياة الحديثة. لست من هذا الرأى. لكن حتى لو افترضنا صحته فانى أعتقد بأنـــه من الأهمية بمكان التعمق فى الكلمات الموجودة فعلا ولكن مع ذلك تعتبر مهجورة،

أو تلك التى درجنا عليها وأصبح مسلما بها لدرجة أنها لا تلاحظ بسهولة فى حياتنا الاجتماعية.

للسبب ذاته أعتقد أن مدخل وليامز عن "Tradition تقاليد(تراث)"** ليس مرضيا. يميل الكاتب الى اعتبار التقاليد "زعما باستمرارية القديم" و "عملية انتقاء من الماضى" تخفى الأساس الذى بنى عليه هذا الانتقاء. بعبارة أخرى، تعتبر "التقاليد" وسيلة للاحتفاظ بهيمنة الطبقة الحاكمة. لكن حتى فى عالم الناطقين بالإنجليزية ثمة كتابات كثيرة عن "التقاليد" فيها مراجعة لأشياء مثل "الزمن" و "التجسّد" و "السلطة". أشير هنا الى كتاب مثل حنا أرندت و مايكل أوكشوت و ألاسدير ماكنتاير. ليس غرضى هنا القول إن كل ما كتبه هؤلاء الأشخاص يتفوق على آراء وليامز. ما أقوله ببساطة هو أن مفهوم "تقاليد"، وليس مجرد الفحوى الامبيريقية لتقاليد معينة، هو موضوع خلافات معقدة حول جوانب من المجتمع والثقافة الحديثتين، وليس ثمة حس كاف بذلك فى هذا المدخل من الكتاب. فبالرغم من أنه تحت غطاء "احترام التقاليد" كثيرا ما استعملت أفكار "الاستمرار التاريخى" و "الاستقرار(التاريخى)" كوسيلة لاضفاء الشرعية على حكم غير عادل، فانه على نفس الدرجة من الصحة كثيرا ما استخدمت بنفس الطريقة أفكار حول "القطيعة مع الماضى" و "التغيير الجذرى". ان "التقاليد" مفهوم معقد له تاريخ معقد وليس له مقابل عربى بسيط. تعبر عن هذا التعقيد ملاحظة ليدفج فتنجشتين: "ليست التقاليد شيئا يمكن للمرء تعلمه، وليست خيطا يمكن التقاطه متى شاء، تماما مثلما لا يستطيع اختيار أسلافه. من يفتقد التقاليد ويود الحصول عليها لا يشبه إلا رجلاً غير سعيد فى حبه".

فى النهاية يجب القول بوضوح تام إن كتاب ريموند وليامز " الكلمات المفتاحية" إنجاز لافت، ولا يستطيع أى فرد يسعى الى فهم العالم الحديث الاستغناء عن فهم تام لما يحاول الكاتب ايضاحه. فالتغيرات فى مفرداتنا الاجتماعية – والظروف الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية المتبدلة التى تندمج فيها تلك المفردات – تفتح احتمالات جديدة أمامنا وتستبعد طرق التفكير والحياة القديمتين.

يبقى السؤال: ماذا يمكن أن يفيدنا تطور "الكلمات العربية المفاتيح" التى نستعملها فى عالمنا عن الحدود وحياتنا الجمعية و فرصها؟ بماذا يبوح كتاب مثل هذا عن العالم الذى فقدناه والعالم الذى كسبناه الآن؟ ذلك هو ما أرجو أن يكون مشروع الدكتور نعيمان عثمان القادم.

- الدكتور طلال أسد هو أستاذ مبرز Distinguished Professor للأنثربولوجيا فى مركز الدراسات العليا فى جامعة مدينة نيويورك وله باع طويل فى مجالى التنظير السياسى والدينى. وأحدث كتابين له هما:
- *Genelogies of Religion* الذى أصدرته جامعة جونز هوبكنز، ١٩٩٣ .
- *Formation of the Secular* الذى أصدرته جامعة ستانفورد، ٢٠٠٣ .

وقد ترجم الكتابان، إلى عدة لغات آخرها اليابانية.

**يعترض الدكتور طلال أسد على استعمال كلمة "تراث" مقابل "tradition" ويرى أن المقابل المتاح وليس الأفضل هو "تقاليد". لذا يجب أخذ هذا التحفظ المهم فى الاعتبار كلما وردت كلمة "tradition" فى هذا الكتاب، و بالذات فى المادة المخصصة لهذا المصطلح التى أبقت على كلمة "تراث" واسعة الانتشار.

طلال أسد

مقدمة المترجم

ليس لريموند وليامز حضور فى الثقافة العربية يوازى أو حتى يقترب من الأسماء التى لمعت مثل بارت أو فوكو ودريدا فى فرنسا والى حد أقل بول دى مان وستانلى فش فى أمريكا ولم يترجم له حسب علمى إلا كتابان من كتبه التى فاقت العشرين: أحدهما *The Politics of Modernism* طرائق الحداثة [1] تجميع لمقالات نشرت معا بعد وفاته والآخر- كما يشير غلاف الكتاب المترجم- "الدراما من إبسن إلى برخت". نشر له بعد وفاته كتابان آخران سوى الطرائق الذى يحوى مقالات مهمة إلا أن قارئه العربى لن يفتقد فقط عظم تأثير وليامز ولكن سيعتبره، كما يذكر التعريف بالمؤلف، مجرد "أحد أهم النقاد الإنجليز المعاصرين "مختصرا نشاطه فى "أستاذ للدراما بجامعة كمبردج حتى تقاعده فى ١٩٨٣". دور وليامز كان حاسما فى مجالات مختلفة من الكتابة والتنظير إلى جانب العمل السياسى وتجاوز الحدود الضيقة لبعض المعارف إذ أنه من أهم مؤسسى ما يعرف الآن بـ "الدراسات الثقافية" التى لها صلات بكل الحركات الفكرية التى اكتسحت أوربا وأمريكا من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ونسيوية ودراسات المهمشين والتابعين والثقافة الشعبية والإعلام والإيكولوجيا. كذلك كان لوليامز دور سياسى واجتماعى أساسى فى صياغة بيانات سياسية وفى إصدار المجلة التى لاتزال مؤثرة *The New Left Review*. أما فى مجالات المعرفة فقد شملت اهتماماته بالإضافة إلى الأدب والمسرح علوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والإعلام والتعليم. لذا ليس بالمستغرب أن يرتبط اسمه حسب الاهتمام بكل من هوجارت و تومبسون وإريك

هوبسبوم - وفى مرحلة لاحقة - إدوارد سعيد كزملاء ورفاق كما يرتبط بستيوارت هول وريشارد جونسون و بمدرسة فرانكفورت النقدية وببارت وبورديو ومارشال مكلوهان وفريدريك جيمسون وربما روبرت ميرتون.

حظيت اللغة فى الدراسات الحديثة بالإهتمام الأكبر، وما مقولة فتجشتين بأن حدود اللغة هى حدود العالم إلا تبيانا لمدى هذه الأهمية وكان لوليامز- فى تمييز له عن اللسانيين- اهتمام خاص بدور اللغة فى الثقافة والمجتمع إلا أنه اختلف جذريا عن المقولة السائدة عن تدهور اللغة والشكوى الدائبة من ذلك والقاء اللائمة على تدهور القيم والأخلاق. ما يفعله هو نظرة جذرية للتفاعل بين الكلمات والمجتمع والدور الفعال - وليس فقط المنفعل- للكلمات. فى مقدمته لهذا الكتاب يذكر بداية اهتمامه بذلك ويفند دور كلمات معينة تستعمل فى النقاش العام لكنها قد تحجب أكثر مما توضح وجهات النظر ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك متجاوزا مقولات مثل شكوى أورويل من انحدار أو انحطاط اللغة وفقدان الكلمات لمعانيها الراقية أو حتى مقالة فاتسلاف هافل التى سبق وأن قمت بترجمتها إلى العربية عن تلوث بعض الكلمات مثل "اشتراكية" بل حتى "سلام"[٢].

قد يستولى على البعض ولع بالكلمات ومن ثم حرص على معرفة أصولها وقد يجدون ضالتهم فى قواميس تعريف وتحديد الكلمات وتقصى أصولها لكن ليس هذا ما يسعى إليه وليامز. هو أقرب إلى سوسيولوجيا علم المعانى الذى استحوذ على روبرت ميرتون وإلى رولان بارت فى قوله عن كلمات القاموس: "كل كلمة فى القاموس عبارة عن سفينة فضائية: تبدو أنها مغلقة على نفسها محكمة جيدا فى سدتها لكنها تصبح بسهولة بالغة نقطة انطلاق، تهرب نحو كلمات أخرى وصور أخرى ورغبات أخرى"[٣]. كما أن القاموس يسعى إلى تقييد الكلمات فإن السوسيولوجى المهتم يسير فى الطريق المخالف نحو معرفة وتقصى تلك الجهات التى "تهرب" إليها الكلمات وكيفية الهروب. لكن نقطة الانطلاق دائما هى القاموس.

فى إحدى المصادفات السارة المفاجئة - السرينديبية serendipity - يكتشف روبرت ميرتون هذه الكلمة (serendipity) فى قاموس أكسفورد الضخم الكامل

الذى كان أول استثمار معرفى له. نفس حب الاستطلاع قاد وليامز إلى الولع والتعلق بنفس القاموس وفى المقدمة التالية نجد مدى ارتباطه به. لكن رغم عظمه وعظمته فلم يكن بالنسبة له إلا نقطة انطلاق بل حتى مجال دراسة ونقد لدوره عبر الكلمات فى إعطاء صورة معينة للواقع الفكرى والاجتماعى والسياسى. تأتى كل كلمة محملة بمعان وتضمينات واشارات يقوم محررو القاموس بتوكيد بعضها على حساب البقية. يضع وليامز هذا نصب عينيه بدءا باختيار الكلمات إلى اعترافه بالمشكلات الأساسية التى تكمن فى الكتابة عن أية مفردة، إلا أنه يميز بين كتابه هذا والقاموس المعتاد الذى يصعب فى العادة إدخال تعديلات على مواده فى مدة قصيرة لكنه لا يتستر خلف الاكليشهات المعتادة عن قصور المؤلف والاعتذار عن أخطاء وتحريفات محتملة ولكن يضع فى صلب المشروع أهمية النقاش والجدل فى مقالاته وتعليقاته.

كلمتان أساسيتان بالنسبة لوليامز: النقاش العام. أحد أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو الإسهام فى تحليل كلمات أساسية يستخدمها الناس فى نقاشهم العام وفى هذا المجهود التعليمى الذى يسعى إلى زيادة رأس المال الثقافى- مثله فى ذلك مثل بورديو- ليكسر حاجز الخاصة ويصل إلى الجمهور الأوسع. يهدف هذا الاشراك الواعى فى النقاش إلى تغيير فى المجتمع ومكوناته وتطلعاته. لكن من نشأة وليامز وبيرديو فى الريف وانتقالهما جغرافيا ومهنيا إلى مراكز سياسية وفكرية دور فى هذا الحماس الرسولى الذى ينطبع به عملهما.

الثقافة: هذه الكلمة التى انطلق منها وليامز هى إحدى الكلمات التى لاتزال محور النقاش الفكرى، وما اختيار تيرى إيجلتون لها كإحدى الأفكار الثمانية الكبرى المعاصرة لمجلة ***New Statesman*** [4] إلا تأكيدا على أن الكتاب - رغم مرور سنوات على تأليفه- لايزال يناقش قضايا جوهرية. كذلك بما أن غرض الكتاب الأساسى ليس تعريف الكلمات ولا البحث فى أصولها فإن دوره لايزال حيويا يؤكده رجوع كثير من المؤلفين إليه ويبينه الحضور المكثف لمفردات منه على الانترنت(بحث عن طريق جوجل تحت كلمتى ثقافة وويليمز، مثلا، ينتج ما

يفوق ثلاثين ألف مادة بعضها متكرر لكن عددا وافرا منها مقـررات جامعيـة). كذلك يؤدى البحث عن اسم الكتاب إلى مجلة هامة مرتبطة بجمعية ريموند وليـامز اسمها Key Words.

قد يجد البعض ممن تعودوا على "ثبات" كلمات معينة ومركزيتهـا وبقائهـا الأبدى كثيرا من الغرابة فى إبعاد كلمة هامة REALISM واقعية من دليل واسـع الانتشار مثل " *Critical Terms for Literary Studies* مصطلحات نقديـة للدراسـات الأدبية" (٥) لتأثرها بشكوك ما بعد الحداثة فى أية مزاعم لتمثيل الواقع. مقابل هـذا نجد روبرت سكولز يتبنى مصطلح "SEMIOTICS سيميوطيقيا"- مستندا على أسـس أوربية مشابهة- لبرنامجه الأكاديمى الحديث فى جامعـة بـراون الأمريكيـة لأن الكلمة لم تحمل أى معنى بعد. يتذكر سكولز ذلك: "كانت دالا شبه غفل"(٦).

ينصب الاهتمام الكبير لدينا على المصطلحات المتخصصة فـى المجـالات العلمية والمعرفية وظهرت كتب كثيرة فى العربية اعتمدت إما الترجمة والتعريـب أو التأليف، طغت فيها المصطلحات الأدبية أو تلك التى ارتبطت بمدارس فكريـة حديثة. قد تكون هناك اعتراضات أو تحفظات على انتزاع مصطلحات من سـياقها وإقحامها فى ثقافة تنقصها مقومات المعرفة الأساسية، مما يضفى علـى الكتابـة والنقاش صفة السحر والتمويه وليس مجرد الحجب والتوكيد التى خشـيها وليـامز بالنسبة لمجتمعه، وفى كثير من الأحوال تفقد الكلمات المنتزعـة بهـذه الطريقـة النشاط الفكرى الذى يحورها ويعدلها وربما يسقطها لكن فى سـياقها الجديـد قـد تتحجر وربما "تتقدس". ما يفعله فى هذا الكتاب هو اختيار كلمات أساسية يستعملها الناس فى نقاشهم العام: كلمات ليست متخصصة ولكنها عميقة ومتشعبة، كلمات فى مجال الاستعمال العام لكنها نفسها فعالة.

قد تكون الكلمات العامة أهم عامل فى النقاش العام فى الوضع الحاضر. فى الوقت الذى يتحدث فيه وليامز مجازيا بعد رجوعه من الحرب بأن "هـذه ليسـت لغتنا" فإننا غرباء تماما ليس فقط بسبب اللغة والكلمات الأجنبية وليس لأنه جـرى عليها تحويل وتبديل فى نطاقها الأصلى وإنما لأنها تأتى متقلة بتراكمات متنوعـة.

قد يكون من الضرورى إيلاء كلمات وعبارات فكرية أو أدبية مثل تلك التى تمتلىء بها الأدلة الأدبية أهمية مستحقة لكن يبقى أثرها محدودا وقد تكون مخلة أو نخبوية كما هى فى لغاتها الأصلية وتأتى فى الغالب على حساب كلمات تبرز فى كل الأحاديث العامة لكن دون سند مفهومى يجعل استعمالها فعالا فى النقاش العام. أضرب مثالا من مقالة فى صحيفة فى متناول الجميع يذكر فيها محمد عابد الجابرى كلمة تشغل الرأى العام: الإصلاح.

فى مقالة ضمن مقالات هى أقرب إلى البحوث منها إلى كتابات صحفية بعنوان "مفهوم الإصلاح" [٧] يراجع الجابرى كلمة الإصلاح فى الثقافة العربية ويقارنها بمقابلتها الأوروبية ومرجعيتها اليونانية ويتساءل عن عدم وجود تعريف إيجابى للكلمة فى اللغة العربية. وبعد تفكيك الكلمة اللاتينية الأصل إلى "إعادة تشكيل" يرجح أن الكلمة العربية "إصلاح" يقابلها فى الإنجليزية ليس reform ولكن repair إصلاح العطل الذى يحدث لآلة، سيارة فى مثاله. لا تسند هذا التحليل العودة إلى المراجع الإنجليزية وربما تبين عدم دقته. مع ذلك فمن المفيد جدا مطالعة المادة المختصرة فى هذا الكتاب عن REFORM : " تغيير شىء إلى الأفضل، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا"، و هو ما يؤكد إلى حد ما قول الجابرى عن معنى الكلمة السلبى كمقابل لفساد، لكن هذا المعنى الإنجليزى كان معنى مبكرا. وافق كلام الجابرى رأى ولى عهد دبى الذى قال فى ندوة فى عمان بشأن المطالبة (الخارجية؟) بالإصلاح: "هل لدينا شىء مكسور حتى يصلح؟". هذه كلمة واحدة وهناك كلمات أخرى يتم تداولها على مستويات متفاوتة من الخلل والتوتر: ديمقراطية، مجتمع مدنى، حداثة، علمانية، حضارة، تراث وبالطبع ثقافة والكلمات المتفرعة منها مثل تنوع ثقافى و دراسات ثقافية.

تطغى كلمات معينة فى "النقاش العام" فى فترات معينة، وكان ذلك يقتصر فى الماضى على إما مجال معين أو مجتمع معين لكن فى ظل تداخل المعارف والعولمة انتشر كثير من المفردات انتشارا أسهم فى إثراء – وتشويش- النقاشات

المحلية السائدة. بعض هذه الكلمات العامة يفقد تأثيره وبريقـه مثـل "paradigm"، نموذج أو إمام كما يترجمها جاك بيرك، التى سكها توماس كـوهن، أو تخضـع لشكوك كما رأينا بالنسبة لـ REALISM وقد تحدث ردة فعل ضد بعض الكلمـات التى تعرف ب "الميتات metas، ما وراء" أو "البوسـتات posts ، مـا بعـد" أو "رطانة التنظير theorese". هكذا نجد أنفسنا مضطرين فى أحايين كثيرة إلى وضع بعض هذه الكلمات بين مزدوجين مثل "ثقافة" الكلمة الأولى التى تتبع وليامز تقلباتها وكذلك كلمة "حداثة" التى أولاها اهتماما كبيرا لكنهـا كانـت بالنسـبة لفريـدريك جيمسون كلمته الأولى: " باختصار لنقل إن هذا سيكون تحليلا شكلانيا لاستعمالات الكلمة "modernity" ينفى كل افتراض بوجود معنى صحيح للكلمة يمكن اكتشـافه وتصوره وتبنيه". حسب كريستوفر بندرجراست، "يذكرنا هـذا بمحاولـة ريمونـد وليامز- فى كتابه *Keywords* الذى يضم مادة "modern" حديث- دراسة التـاريخ الثقافى والإجتماعى عن طريق علم المعانى التاريخى"[٨]. كانت كـل مـن هـاتين الكلمتين جزءا من ثنائى: حداثة/تقليد أو تراث وثقافة/مجتمع. الثـانى الأول عـام لكن الثانى طوره وليامز بشكل موسع. كثيـر مـن الثنائيـات تكـون متقابلـة أو متعارضة أو متداخلة لكنها تشـكل محـاور أساسـية للنقـاش العـام المسـتمر: ثقافة/طبيعة، تقدم/محافظة أو رجعية، ذاتى/موضوعى. قد تكون دراسة الثنائيـات معا مفيدة كما هو فى حالة "action/reaction فعل/ رد فعل" واسعة الانتشار. فى مراجعة لكتاب جين ستاروبنسكى "حياة ومغامرات زوج: فعل/ رد فعـل" تشـير إميلى جروشولز إلى أن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان اليوم وكأنهما متلازمتان لم تكونا أبدا كذلك، وبأسلوب مشابه لأسلوب وليامز يتتبع ستاروبنسكى الكلمتين مـن العصور القديمة وعبر عدة علوم: من أصليهما المختلفين نجد عدم مساواة الاثنين. فى الكيمياء نجد "reaction تفاعل" تعنى عملية كيميائية لها بداية ونهايـة؛ وفـى الفيزياء النيوتونية "المساواة بين الفعل وردة الفعل"؛ وفى علم النفس الفرويدى كانت "reaction" أساسية. أما بلزاك فاستعمل الفعل "to react" و الإسم "reaction" وكلمات أخرى ليظهر "مفعول الحداثة" فى الرواية؛ ثم استعملت "reaction" فى الخطـاب السياسى بمعنى "معارضة الإيمان بحرية الفرد وكرامتـه" و "معارضـة التقدميـة

progressivism، لكنه يعود فى النهاية، بطريقة تبين مسار الكلمة الملتوى، إلى الجزم بأن عمله كمؤرخ 'reactionary" رجعى بمعنى العودة إلى الماضى(٩).

يوسّع ريموند وليامز أكثر من "الثنائيات" ويفضل دراسة الكلمات ضمن "مجموعات" أو كما يسميها "عناقيد" وذلك لترابطها الشديد، و يؤثر ترتيب مواد الكتاب بهذه الطريقة، لولا المشاكل التى تنجم عن ذلك. بالنسبة له كانت "ثقافة ومجتمع" و "ريف وحاضرة" عنوانين لإثنين من أهم كتبه، لكنه قدر أهمية الصلة بين كلمات "مترابطة جوهريا" مثل أدب وفن وواقعية. مجموعة أخرى قد لاتكون بنفس الوضوح لكن بينها ترابطًا كبيرًا: عائلة وجماعة ومجتمع وطبقة وديمقراطية. فى هذه التجمعات تعقيد كبير الا أن بعض مفردات الكتاب التى قد تبدو معروفة هى من أكثر الكلمات تعقيدا. يشير وليامز فى مقدمته إلى صعوبة "COMMUNITY جماعة"، لكن يمكن إضافة"FAMILY عائلة" أو "STRUCTURE بنية" إلى قائمة الكلمات الصعبة والتى تشكل الأساس لكلمات أخرى.

تعرض وليامز لنقد من كل من اليمين (وصفته مجلة *Foreign Affairs* – خريف ١٩٨٤ – بأنه أحد أهم مفكرى بريطانيا الراديكاليين إثارة، وهاجمته مجلة *New Criterion* – فى عدد صيف ٢٠٠٣ فى موقعهاعلى الإنترنت وقبل ذلك فى عدد فبراير، ١٩٩٠ – هجوما كاسحا ومتجنيا) ومن اليسار حيث انتقد نقدا شديدا لرفضه الربط الماركسى بين "القاعدة" و "البنية الفوقية"، وكذلك تعرض مفهومه الأساسى "المادية الثقافية" لبعض النقد. أما بالنسبة لكلمته الأولى "الثقافة" فقد اتهم بالعودة إلى مفهوم الكلمة النخبوى كما هو لدى ماثيو آرنولد و ت إس إليوت.

يمكن للقارىء ملاحظة تفاوت مستوى المواد فالقليل لايرقى إلى مستوى الأغلبية. كما يجب التنبه إلى أن بعض الكلمات أثرت وتأثرت بدون شك منذ صدور الكتاب، آخذين فى الاعتبار انخراط ثقافات كثيرة فى هذا النقاش وهذه الكلمات، وليس فقط فى بريطانيا أو الغرب. كلمات أخرى كثيرة استجدت ولابد أن تدخل فى هذا النقاش وتكون هى بدورها ثنائياتها وعناقيدها.

كتب وليامز كتابه للمتعلم غير المتخصص لكن من يسعى ليعرف أكثر مما تحويه القواميس المعرفة أو المسارد. أما بالنسبة للقارىء العربي - الذى تزيد فائدته لو كان ملما بمبادىء اللغة الإنجليزية - فإن الكتاب يوفر له بعض الأسس للإسهام فى النقاش العام الذى عادة ما يفتقد إلى معرفة ولو بسيطة بالمفردات أو - وهذا هو الأسوأ والأكثر شيوعا- يعطى بعض الكلمات رسوخا وثباتا ومن ثم تقديسا. فى لحظة سيرنديبية (؟) وقعت على قصاصة قديمة إلى حد ما من جريدة الأهرام فيها تعريف لكلمة Mass(es) (هكذا) بدأ بالاشارة إلى أن هذا "المصطلح نشأ فى اللاهوت المسيحى (والصلاة المسيحية) حيث يعنى 'القداس' والاحتفال بالقربان المقدس مع احتشاد ' الشعب' فى كتلة واحدة!" بالعودة إلى أصل الكلمة تتضح عدم الدقة الاتيمولوجية و تزاح عن الكلمة "القداسة". و يورد لوليامز فى هذا السياق ملاحظة ثاقبة ودالة: "فى الحقيقة لاتوجد هناك جماهير masses؛ هناك فقط طرق للنظر إلى الناس على أنهم جماهير." يكتمل طموح الكتاب وترجمته لو كان للمفردات هنا دور أساسى فى النقاش العام، حول "الإصلاح" مثلا، من قبل "الجماهير" عن طريق ادراك للمفاهيم الأساسية ووعى بتقلب الكلمات مما يمكننا من القول بأننا نتكلم نفس "اللغة".

الهوامش

(١) طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة ٢٤٦يونيو ١٩٩٩

(٢) "كلمات عن الكلمات" مجلة سطور، يونيو ١٩٩٩

(٣) "القاموس" ترجمة حامد طاهر، الأهرام؟

(٤) عدد ٢٦، ٧، ٢٠٠٤

(٥) جامعة شيكاغو، ١٩٩٥

(٦) بوسطن جلوب، ١٦، ٥، ٢٠٠٤

(٧) الاتحاد الإماراتية، ٢٦، ٧ ، ٢٠٠٤

(٨) Christopher Pendergrast, "Codeword Modernity," **New Left Review** 24, Nov/Dec 2003

(٩) www.hudsonreview.comlGrosholzWio4.html

مقدمة الطبعة الثانية

الاحتفاء بهـــذا الكتاب فى طبعتـــه الأولى كان أبعد مـــن كل توقعات المؤلف. شجعنى هــذا على مراجعتـــه حســـب الطرق الموضحـــــة فـــى المقدمة الأصلية لكن مـــع استمرار الشعور بأن العمل بالضرورة غيـــر مكتمـــل وقاصر. فى هــذه الطبعة الجديدة تمكنت من إدراج واحد عشرين كلمـــة إضافية :

anarchism, anthropology, development, dialect, ecology, ethnic, experience, expert, exploitation, folk, generation, genius, jargon, liberation, ordinary, racial, regional, sex, technology, underprivileged, western .

بعضها أعدت تقديمها من قائمتى الأصلية؛ كلمات أخرى أصبحت أهم فـــى الفترة الواقعة بين القائمة الأصلية والوقت الراهن. كذلك قمت بمراجعات فى النص الأصلى شملت تصحيحات وإضافات.

أود تسجيل جزيل شكرى لأشخاص كثيرين كتبوا إلى أو تحدثوا إلـــى عـــن الكتاب. بعض المواد الجديدة هى من اقتـــراحهم وكـــذلك كثيـــر مـــن الإضـــافات والتصحيحات فى النص الأصلي. لا يمكننى تحميل أى منهم مسؤولية عن أفكارى أو أخطائى لكننى مـــدين بشـــكل خـــاص لـــ Aidan Foster-Carter لمجموعـــة

الملاحظات خاصة عن development ؛ و لـ Micae Mckeon لنقاط كثيـرة لكـن على الخصوص revolution ؛ لـ Peter Burke لمجموعة ملاحظات فائقة الفائـدة؛ لـ Carl Gersuny لمجموعة ملاحظات خاصة عن interest و work . مدين بشكل خاص لـ Daniel Bell على generation ؛ لـ Gerald Fowler على scientist ؛ لـ Alan Hall على history ؛ لـــ P.B. Home علـى native ؛ لــــ R.D. Hull علـى industrial ؛ لـ G. Millington و H.S. Pickering و N. Pitterger على education ؛ لـ Darko Suvin على communist و social ؛ لـ Rene' Wellek على literature . كذلك أنا مدين لعدد من الأشـخاص لاقتراحـاتهم واشـاراتهم : Perry Anderson, Jonathan Benthall, Andrew Daw, Simon Duncan, Howard Erskine-hill, Fred Gray, Christopher Hill, Denis L. Johnston, A. D. King, Michael Lane, Colin Maccabe, Graham Martin, Ian mordant, Benjamin Nelson, Malcolm Pittock, Vivien Pixner, Vito Signorile, Philip Tait, Gay Weber, Stephen White, David Wise, Dave Wootton, Ivor Wymer , Stephen Yeo.

ريموند وليامز: كمبردج، مايو ١٩٨٣

مقدمـــــــة

فى عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا واليابان سُرحت مــن الجــيش وعدت إلى كمبردج. كان الفصل الدراسى فى الجامعة قد بدأ وتكونــت علاقــات ومجموعات كثيرة. فى كل الأحوال كان هناك شيء من الغرابة فى الانتقــال مــن "فوج مدفعية" على قناة "كيل" إلى كلية من كليات كمبردج. لم يكن قد انقضى علـــى غيابى سوى أربع سنوات ونصف لكن بسبب التحركــات خــلال الحــرب فقــدت الاتصال بكل أصدقاء الجامعة . مرت على فترة غريبة قبل أن التقى بشخص كنت قد عملت معه فى السنة الأولى من الحرب ، عندما كانت تحولات العقد الرابع من القرن العشرين على الرغم من تأثرها بالضغوط فى طور التشكيل . تحدثنا بشغف لكن لم يكن الحديث عن الماضى . كنا منقلين إلى حد كبير بهــذا العــالم الجديــد والغريب حولنا . عندها قلنا فى آن واحد: "الحقيقة ، إنهم لا يتكلمون نفس اللغة".

إنها جملة شائعة وتستخدم فى الغالب بين الأجيال المتعاقبة بل حتــى بــين الآباء والأطفال . استخدمتها أنا نفسى من قبل، بالتحديد قبل ست ســنوات عنــدما جئت إلى كمبردج من أسرة تنتمى إلى الطبقة العاملة فى ويلــز. القــول بأننــا لا نستخدم اللغة نفسها فى المجالات المختلفة قول غير دقيق، فيمكن من خــلال لغــة مشتركة لبلد معين أن نتبين الفروق الاجتماعية و العمرية بين أفراده. فالكلمات هى هى نستخدمها فى التعبير عن أنشطة وأشياء مختلفة مع تنوع واضح فــى النبــرة واللكنة والوقع. بعض الكلمات المتقلبة ، مثــل lunch غــذاء و supper عشــاء و

dinner وجبة رئيسية ، يمكن التركيز عليها لكن الفروق ليست على قدر كبير من الأهمية. عندما نصل إلى قول "إننا لا نتحدث نفس اللغة" فإننا نعنى شيئاً أعم : لدينا قيم مباشرة مختلفة أو طرق مختلفة للتقويم أو أننا على وعي، فى الغالب بطريقة غير ملموسة، بتشكيلات وتصنيفات مختلفة للنشاط والإهتمام . فى مثل هذه الحالة تتحدث كل مجموعة لغتها المحلية لكن استعمالاتها تختلف كثيرا خاصة إذا كان للأمر علاقة بأفكار هامة أو أحاسيس جياشة. ليس لدينا فى الحقيقة معيار لغوى يبيح لنا وصف مجموعة لغوية بأنها على "خطأ" أو "صواب"، لكن قد تحاول مجموعة ذات سلطة لغوية مؤقتة أن تهيمن وتفرض طريقتها فى استخدام اللغة بوصفها الطريقة الصحيحة "correct". ما يحدث فعلاً خلال هذه المواجهات الحاسمة ، التى قد تدرك فقط بوصفها حالات غريبة ومضطربة ، هو عملية أساسية فى تطور اللغة عندما يتم فى كلمات ونبرات ونغمات معينة اقتراح معانٍ أو اعتمادها، اختيارها أو توكيدها والجزم بها أو تعديلها وتغييرها . من المؤكد أن هذه العملية تتطلب فى بعض الحالات مرور زمن طويل، يمتد إلى قرون أحيانا، حتى تستقر ويكون بإمكاننا، عن طريق استقراء النتائج، إعطاؤها قدرها الذى تستحق. فى حالات أخرى قد تكون العملية سريعة، خاصة فى بعض المجالات الرئيسية. فى جامعة كبرى ونشطة وفى فترة تغير مهمة مثلما هى الحرب فإن العملية قد تبدو سريعة وواعية بشكل غير معتاد .

لكن الفترة، كما قلنا معاً، فى مجملها لم تتجاوز أربع أو خمس سنين. هل كان التغيير فعلاً بهذا القدر؟ بعد بحث عن أمثلة وجدنا تحولاً فى بعض الاتجاهات العامة فى السياسة والدين. لكنى وجدت نفسى مشغولاً بكلمة واحدة culture ثقافة التى بدا أنى كنت أسمعها أكثر بكثير من السابق: ليس فقط، كما هو واضح، بالمقارنة مع حديث فوج المدفعية أو كلام عائلتي، ولكن بالمقارنة المباشرة داخل الجامعة عبر هذه السنوات القليلة. سمعت الكلمة فى الماضى بمعنيين: أحدهما على أطراف المدينة، فى المقاهى teashops وأماكن مشابهة حيث بدت أنها الكلمة المفضلة لنوع من التفوق الاجتماعى ليس فى الأفكار أو المعرفة، وليس فقط فى المال أو الموقع ولكن فى مجال غامض يتعلق بالسلوك؛ لكن أيضا، بالمعنى الآخر،

كانت "ثقافة" هى الكلمة المحورية فى حديث الأصدقاء، يرددونها فى معرض كلامهم عن كتابة الشعر والرواية وصناعة الأفلام والرسوم والعمل فى المسرح. ما كنت أسمعه الآن هو معنيان مختلفان لم أتمكن فعلاً أن أستبينهما: أولاً، فى دراسة الأدب، استعمال يوضح، بطريقة فعالة وإن تكن غير صريحة، نوعاً من تشكيل القيم (و لقد كان للكلمة literature أدب ذاتها نفس التوكيد)؛ ثانياً، فى النقاش الأكثر عمومية وما بدا لى أن له تضمينات مختلفة هناك استعمال جعل من الكلمة معادلاً لـ society مجتمع: "أسلوب حياة" معين – "American culture ثقافة أمريكية"، "Japanese culture ثقافة يابانية".

يمكننى الآن شرح ما أعتقد أنه قد حدث. من الواضح أن اتجاهين هامين أخذا يتشكلان تشكلا فعليا فى إنجلترا: ففى مجال الدراسات الأدبية تحققت سيادة حاسمة لفكرة فى النقد ظلت – من آرنولد إلى ليفيز – تعتمد على "الثقافة culture" باعتبارها أحد مصطلحاتها المركزية؛ أما فى النقاش حول المجتمع فقد حدث التوسع إلى الحديث العام لمعنى أنثروبولوجى كان واضحاً كتعبير متخصص، لكن تم الآن تبنيه، تحت تأثير أمريكى متزايد وكذلك تحت تأثير مواز من قبل مفكرين مثل مانهايم. ضعف بوضوح المعنيان السابقان: المعنى المتداول فى المقاهى الذي، رغم استمرار وجوده، أصبح مقصيا أكثر وفى طريقه إلى أن يصبح هزلياً؛ ومعنى النشاط فى الفنون الذى بدا، رغم احتفاظه بمكانه على مستوى الوطن، أكثر فأكثر عزلة عن طريق توكيد النقد وعن طريق الإشارة الأهم والمبددة إلى أسلوب حياة تام. لكنى لم أكن أدرك شيئاً من هذا فى حينه. كانت فقط كلمة صعبة، كلمة جعلتنى أفكر فيها كمثال للتغيير الذى كنا نحاول، بطرق مختلفة، فهمه.

انقضت سنتى فى كمبردج. ذهبت إلى العمل فى تعليم الكبار. خلال سنتين نشر ت. إس. إليوت *Notes Towards the Definition of Culture* (١٩٤٨) – وهذا كتاب فهمته لكن لم أستطع تقبله – وعادت إلىَّ بقوة تلك الغرابة المحيرة التى عشتها فى الأسابيع الأولى فى كمبردج. بدأت أسبر الكلمة فى فصول تعليم الكبار. الكلمات التى ربطتها بها، بسبب المشاكل التى أثارتها استعمالاتها فى ذهنى،

كانت class طبقة و art فن، ثم industry جهد/صناعة و democracy ديمقراطية . شعرت بأن هذه الكلمات الخمس تشكل معا بنية ما، كلما أمعنت في دراستها صارت العلاقات بينها أكثر تعقيداً. بدأت أكثف قراءاتي في محاولة لمعرفة أوضح في مغازيها. ثم في ذات يوم وكنت في الجزء تحت الأرضي من المكتبة العامة في سيفورد، حيث انتقلنا للسكن، بحثت عن كلمة culture بطريقة تكاد تكون عرضية في أحد المجلدات الثلاثة عشر لما نسميه الآن في العادة OED: *The Oxford New English Dictionary on Historical Principles* قاموس أكسفورد . كانت بمثابة صدمة معرفية. يبدو أن التحولات في المعنى التي كنت أحاول فهمها قد بدأت في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن التاسع عشر. اتخذت الصلات التي لمستها في اللغة بين class طبقة و art فن، وبين industry جهد/صناعة و democracy ديمقراطية ليس فقط شكلاً فكرياً ولكن أيضاً تاريخياً. ويمكنني أن أرى الآن تلك التحولات بطرق أكثر تداخلا و تعقيدا؛ فكلمة "ثقافة culture" نفسها لها الآن تاريخ – رغم اتصاله – مختلف. كانت هذه هي اللحظة التي اكتسب فيها بحث بدأ بمحاولة فهم عدة مشاكل معاصرة ملحة – مشاكل تتعلق فعلياً بفهم عالمي المباشر – شكلاً معيناً في محاولة فهم تراث . كان هذا هو العمل الذي اكتمل في ١٩٥٦ وصار كتابا لي بعنوان *Culture and Society* الثقافة والمجتمع.

لم يكن من السهل عندئذ، وليس سهلا الآن، تصنيف هذا العمل ضمن موضوع أكاديمي معين؛ صنف الكتاب تحت مسميات متنوعة تنوع تاريخ ثقافي، وعلم دلالات تاريخي، وتاريخ أفكار، ونقد اجتماعي وتاريخ أدبي، وعلم اجتماع. قد يكون هذا في بعض الأحيان محرجا أو حتى صعبا لكن المواضيع الأكاديمية ليست تصنيفات أزلية، والحقيقة أني، أملاً في طرح أسئلة عامة معينة بطرق محددة، وجدت أن الصلات التي أنشأتها، وأن مجال الاهتمام الذي حاولت تحديده كان قد خبرها وشارك فيها كثير من الناس الذين توجهت إليهم تلك الدراسة. ثمة معلم رئيسي في هذا المجال من الاهتمام كان هو: المفردات التي لم تكن المفردات المتخصصة لفرع معرفة متخصص وإن تداخلت كثيرا مع عدد منها، وإنما هي

مفردات عامة تمتد من كلمات صريحة، صعبة ومقنعة متوفرة فى الاستعمال اليومي، إلى كلمات أصبحت بعد نشوئها فى سياقات متخصصة شائعة لوصف مجالات أوسع من الفكر والتجربة. من المهم ملاحظة أن هذه المفردات هى التى نتقاسمها مع الآخرين، فى الغالب بطريقة منقوصة، عندما نرغب فى مناقشة كثير من القضايا المركزية فى حياتنا العامة. خير مثال هو الكلمة الصعبة الأولي: culture ثقافة. للكلمة معان متخصصة فى حقول دراسة معينة وقد يبدو أن الأمر يستحق فرزها. لكن ماجذب انتباهى فى البداية كانت أهمية استعمالها العام والمتقلب: ليس فى فروع المعرفة المختلفة ولكن فى النقاش العام. إن مجرد كونها مهمة فى مجالين يعتبران منفصلين – الفن والمجتمع – أثار أسئلة جديدة وأوحى بأنواع جديدة من العلاقة. فى متابعة هذا الأمر وجدت أن هذا ينطبق على مجموعة من الكلمات الهامة – بداية من aesthetic (a) جمالى إلى work (w) شغل – فبدأت فى تجميعها ومحاولة فهمها. ويمكن القول إن الأهمية هنا تكمن فى الإختيار. أدرك كم تبدو للآخرين إعتباطية بعض الكلمات التى ضُمّت وتلك المبعدة . لكن من حوالى مائتى كلمة اخترتها، لأنى شاهدت أو سمعت استعمالها فى نقاش عام بطرق بدت لى لافتة أو صعبة، انتقيت خمسين، وكتبت عنها ملاحظات ومقالات قصيرة بقصد إلحاقها بكتابى *Culture and Society* الذى تناول فى نصه الرئيسى عدداً محدداً من الكتاب والمفكرين. لكنى عندما أنجزت الكتاب أشار إلى ناشرى بضرورة اختصاره: إحدى المواد التى يمكن حذفها كانت هذا "الملحق". لم يكن لى مجال للإختيار. وافقت على مضض. حررت ملاحظة فيها وعد بأن تكون هذه المادة بحثاً مستقلا. لكن ملف الملحق ظل على الرف. لمدة تفوق عشرين عاماً كنت أضيف إليه: أجمع أمثلة أكثر، اكتشف نقاط تحليل جديدة وأضم كلمات أخري. بدأت أشعر أن هذه المادة قد تكون كتاباً مستقلاً. فحصت كامل الملف مرة أخرى وأعدت كتابة كل التعليقات والمقالات القصيرة واستثنيت بعض الكلمات وأضفت أخرى. المؤلَف الحالى هو النتيجة.

ركزت على هذه العملية لتكوين كتاب *Key Words* الكلمات المفاتيح لأن ذلك كما يبدو لى يوضح هدفه وحجمه. ليس هو قاموس أو مسرد لموضوع أكاديمى

معين. ولا هو بمجموعة هوامش لتعريفات أو تواريخ قاموسية لعدد من الكلمات. إنه بالأحرى سجل لبحث فى المفردات: مجموعة كلمات ومعان مشتركة تستعمل فى نقاشاتنا العامة جداً فى الإنجليزية عن الممارسات والمؤسسات التى نصنفها على أنها culture ثقافة و society مجتمع. كل كلمة مختارة فرضت نفسها على انتباهى تقريباً، فى وقت من الأوقات خلال نقاش ما، إذ بدا لى أن مشاكل معانيها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاكل التى استعملت لمناقشتها. غالباً ما نهضت من كتابة تعليق معين لأسمع الكلمة نفسها مرة أخرى بنفس الشعور بالأهمية والصعوبة: غالباً بالطبع فى نقاش وجدل يتجهان إلى غاية مختلفة. بدأت أرى هذه التجربة كمشكلة مفردات وفقاً لمعنيين: معانى الكلمات المعروفة المتوفرة والمتطورة التى يجب تسجيلها؛ والعلاقات الواضحة، أو الضمنية فى أحيان كثيرة، التى يقيمها الناس والتى يبدو لى مرة تلو الأخرى أنها صياغات خاصة للمعنى – طرق ليست فقط للنقاش، وإنما على مستوى آخر لرؤية الكثير من تجاربنا الأساسية. ما توجب علىَ عمله عندئذ لم يكن مجرد تجميع أمثلة والبحث عن سجل استعمال معين أو مراجعته، لكن قدر استطاعتى تحليل بعض القضايا والمشاكل التى كانت تقبع هناك داخل المفردات، سواء ككلمات مستقلة أو فى مجموعات معتادة. أطلقت على هذه اسم الكلمات المفاتيح *Key Words* بمعنيين مترابطين: هى كلمات هامة ملزمة فى نشاطات معينة وشرحها؛ وهى كلمات دلالية هامة فى صيغ معينة من الفكر. ثم استعمالات معينة ربطت معاً طرقاً معينة للنظر إلى الثقافة والمجتمع، ليس أقلها فى هاتين الكلمتين بالغتى العمومية. ثمة استعمالات أخرى بدا لى أنها تفتح قضايا ومشاكل، فى نفس المجال العام، نحن فى أشد الحاجة إلى أن نكون على وعى بها. إن التعليقات على قائمة كلمات، وتحليل تشكيلات معينة: هذان هما عنصرا المفردات الفعالة – طريقة تسجيل وتحرى وعرض مشاكل المعنى فى المجال الذى تشكلت فيه معانى كلمتى ثقافة culture ومجتمع society .

بالطبع لا يمكن فهم كل القضايا فقط بتحليل الكلمات. على العكس، معظم القضايا الاجتماعية والفكرية، بما فيها كل من التطورات المتدرجة والخلافات والنزاعات الحاسمة، استمرت ضمن التحليل اللغوى أوأبعد منه. مع ذلك وجدت أن

الكثير من هذه القضايا لا يمكن فعلياً التفكير فيها وحلها، بل إن بعضها فيما اعتقد لا يمكن تبلوره إلا إذا أدركنا أن الكلمات هى من صلب المشاكل. تجد وجهة النظر هذه قبولاً على شكل واسع. عندما أثرت أسئلتى الأولى عن الاستعمالات المختلفة لكلمة ثقافة culture أعطيت الانطباع، بطرق لطيفة أو غير لطيفة، بأنها قد نشأت أساسا عن تعليم قاصر، ولما كان هذا صحيحاً (والحق أنه صحيح وينطبق على الجميع) فلقد ألقى ظلالاً على النقطةالمثارة. إن الثقة الفائقة لأى استعمال معين لكلمة، ضمن مجموعة أو فى فترة محددة، هى أمر يصعب الشك فيه. أتذكر خطاباً من القرن الثامن عشر:

ما هو فى رأيك معنى الكلمة sentimental عاطفى ، التى هى موضة عند الطبقة الراقية ... ؟ شملت هذه الكلمة كل ما هو مقبول ورشيق ... أدهش كلما أسمع أن فلاناً رجل sentimental وجدانى ؛ كنا مجموعة sentimental وجدانية ؛ كنت أقوم بنزهة sentimental رقيقة.

حسناً، إنتهت تلك الموضة. تغير معنى sentimental وتدهور. لم يعد السائل عن معنى هذه الكلمة يواجه بنظرة التحديق المألوفة المهذبة والباردة. يمكننا جميعا، عندما يكتمل السجل، أن نكون على بينة وفى ارتياح. أما بالنسبة للكلمات literature أدب و aesthetic جمالى و representative ممثل/مندوب و unconscious لاواع و liberal ليبرالي، وغيرها كثير، التى تبدو لى مثيرة للمشاكل ستبدو، فى الدوائر المناسبة، واضحة تماماً واستعمالها الصحيح أمر مرتبط فقط بالتعليم. أو بالنسبة لـ class طبقة و democracy ديمقراطية و equality مساواة و evolution نشوء/تطور و materialism مادية: فهذه كلمات يجب أن نتجادل حولها لكننا نستطيع أن نربط استعمالات معينة بطوائف sects ثم نصف كل الفرق سوى فرقتنا بأنها طائفية sectarian. يمكن القول إن اللغة تعتمد على هذا النوع من الثقة، لكن نعرف أنه فى أية لغة رئيسية، خاصة فى فترات تغيير. يمكن وبسرعة أن تغدو هذه الثقة الضرورية هشة، وكذا الحرص على الوضوح إذا لم نواجه الأسئلة الملازمة.

لا تقتصر الأسئلة على المعنى وحده؛ هى بالضرورة وفى معظم الحـالات تدور حول المعاني. إن أول ما يفعله بعض الناس عند رؤية كلمة هو أن يقومـوا بتعريفها. تصدر القواميس مدعية سلطة مرجعية تتمثل فى منحها ما يسمى "المعنى الدقيق" للكلمة، ولا يقلل من الثقة بها كونها محدودة بالزمان والمكـان. مسـتخدما المراسلات فى الصحف ونقاشات أخرى عامـة، بـدأت مـرة تجميـع تنويعـات للعبارتين: "أرى من قاموس وبستر الخاص بى my Webster" أو "أجد من قـاموس أكسفورد الخاص بى my Oxford". فى العادة كان موضع النزاع عبارة صعبة فـى النقاش. لكن النبرة الفعلية لهاتين العبارتين، مع التأكيد اللافـت المتعلـق بالملكيـة (وبسترى "my Webster") كان لاستحواذ معنى يلائم النقاش ويستثنى تلك المعـانى المزعجة التى كان شخص جاهل من الغباء بحيث يستعملها. طبيعى لو كنا نرغب معرفة معنـى banxring أو boabab أو borilla ، أو بـنفس المقـدار barbell أو basilica أو batik، أو بشكل أكثر وضوحا عن الكلمات barber أو barley أو barn فإن هذا النوع من التعريف مجزي. لكن هذه الطريقة بالنسبة لكلمات من نوع آخر، خاصة تلك التى ترتبط بأفكار وقيم، لن تكون فقط متعذرة وإنما ستكون أيضا غير ملائمة. تدرج القواميس التى يستعملها معظمنا، قواميس التعريف، وحسب قيمتهـا كقواميس، سلسلة range من المعانى كلها سائدة، و سيكون المهم هنـا هـو هـذه السلسلة. ثم إذا ما مضينا إلى القواميس التاريخية، وإلى مقالات فى علم الـدلالات التاريخى والمعاصر، سنكون قد تجاوزنا تماما مدى "المعنى الصحيح". نجد تعقيـداً وتاريخاً للمعاني؛ تغييرات واعية أو استعمالات مختلفة مقصودة؛ ابتكاراً، وإهمالاً، وتخصصا، وتوسعا، وتداخلاً، وتحول؛ أو تغييرات متنكرة وكأنها استمرار بحيـث أن كلمات بدت وكأنها موجودة منذ قرون أصبحت تدل علـى معـان وتضـمينات مختلفة جذرياً أو متفاوتة جذرياً وإن كان ذلك قد يصعب ملاحظته. من مثل تلـك المصادر قد تقفز إلى انتباهنا كلمات مثل industry و family و nature ؛ بعد سنين من الدراسة قد تظل موضع شك كلمات مثل class و rational و subjective. فـى كل هذه الحالات، وفى مجال اهتمام معين نشأ بالطريقة التى وصفتها، اسـتحوذت

على فكرى مشاكل المعنى وأدت إلى الإدراك العميق بصعوبة التعريف أيا كـان نوعه.

الجهد الذى يضمه هذا الكتاب تم القيام به فى مساحة تتجمع فيها عدة حقول معرفة لكنها بشكل عام لا تلتقي. اعتمد على مجالات عدة من المعرفة المتخصصة لكن هدفه هو جعل هذه، في الأمثلة المختارة، فى متناول الجميع. ليس هذا مـدعاة للإعتذار لكنه يتطلب شرحاً لبعض التعقيدات التى تنطوى عليها محاولة مثل هـذه. يمكن تصنيف هذه تحت عنوانين عريضين : مشاكل معلومات ومشاكل نظرية.

مشاكل المعلومات حادة. مع ذلك فلكل من يبحث فى بنية وتطور المعنى فى اللغة الإنجليزية الميزة الفائقة لقاموس أكسفورد العظيم. إنه ليس فقط معلمـاً علـى التفوق البحثى لمحرريه Murray و Bradley ومن تبعهما، لكنه أيضاً سجلٌ لمجهود تعاونى استثنائى من العمل الأصلى للجمعية الفيلولوجية إلـى مئـات المراسـلين اللاحقين. قليلة هى البحوث التى تجرى على كلمات معينة والتى تنتهى بمادة هـذا القاموس العظيم، لكن بحوثا أقل يمكن أن تبدأ بثقة لو لم يكن موجوداً. أوافق وليـام إمبسون Empson الذى عثر – فـى كتابـه *The Structure of Complex Words* – على أخطاء كثيرة فى القاموس فى قوله إن "عملاً على كلمات مفـردة مثـل مـا استطعت القيام به قد اعتمد بشكل يكاد يكون تاماً على استعمال ذلك المؤلَّف المهيب كما هو". لكن ما وجدته فى عملى عن قاموس اكسفورد OED، بعد تقديم الاعتراف بالفضل الضروري، يمكن تلخيصه فى ثلاث نقاط. كنت على وعى تام بالفترة التى ألف فيها القاموس: فى الواقع من ثمانينات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين (يقدم أول مثال من سلسلة الملاحق Supplements الحالية إضافة بدلاً من تعديل). لهذا عيبان: بالنسبة لبعض الكلمات المهمة لا يتوفر عملياً دليل لاسـتعمال القرن العشرين المتطور؛ وفى حالات كثيرة، خاصة بالنسـبة لعبـارات سياسـية واجتماعية حساسة، تبرز افتراضات الرأى السائد (الأرثودوكسي) فى تلك الفترة أو تكون قريبة من السطح. كل من يقرأ قاموس دكتور جونسون العظيم يشعر حـالاً بعقله المحازب والمؤثر بالاضافة إلى معرفته الفذة. أنا على وعى فـى تعليقـاتى

ومقالاتى بأنه بالرغم من أنى أقدم مجموعة المعانى إلا أن مواقفى وخياراتى ليست خافية تماما. أعتقد أن هذا أمر لا مفر منه وكل ما أقوله هو أن الانطباع العام بالموضوعية (لا شخصية) الهائلة الذى يبثه قاموس أكسفورد ليس على تلك الدرجة من الموضوعية أو كونه بحثاً تام التجرد، أو أنه بريء من القيم السياسية والاجتماعية المؤثرة كما قد يفترض من إستعماله من حين لآخر. فى الواقع عندما تبحث فيه عن كتب فإنك أحياناً تحصل على نظرة ثاقبة آسرة على مايمكن تسميته إيديولوجية محرريه وأعتقد أنه يتوجب تقبل ذلك وأخذه بعين الإعتبار دون ذلك النمط من المراوغة الذى تنشره فكرة شائعة عن البحث. ثانياً، بالرغم من إهتمامه العميق بالمعانى فإن القاموس هو فى الأساس فيلولوجى وإتيمولوجي؛ أحد آثار ذلك أنه أفضل بالنسبة لمجموعة المعانى وتنويعاتها من العلاقة والتفاعل. ولقد وجدت فى حالات كثيرة وأنا أعمل بشكل رئيسى على معان وسياقاتها أن الدليل التاريخى فائق القيمة لكنى توصلت منه إلى نتائج مختلفة بل وأحياناً مناقضة. ثالثاً، فى حالات معينة نُبهت بطريقة حادة جداً بما حدث مؤخرا فى دراسات اللغة من تغيير فى المنظور: لأسباب واضحة (على الأقل من التدريب الأرثوذوكسى الأساسى فى اللغات الميتة) اعتبرت اللغة المكتوبة هى مصدر المرجعية الحقيقى وأن اللغة المحكية فى الواقع مشتقة منها؛ بينما نعرف الآن بوضوح أن الوضع الصائب هو عكس ذلك. النتائج معقدة. فى عدد من الكلمات الفكرية بشكل رئيسى تشكل اللغة المكتوبة المرجع الأقرب إلى الحقيقة. لو أردنا تتبع كلمة **psychology** السجل كاف على الأرجح حتى أواخر القرن التاسع عشر. أما إذا شئنا تتبع كلمة **job** فإننا نلاحظ حالاً أن تطورات المعنى فى كل مرحلة لا بد وأن حدثت فى الكلام اليومى زمناً قبل إدراجها فى السجل المكتوب. هذا قصور يجب أخذه فى الاعتبار ليس فقط بالنسبة للقاموس ولكن فى أى تدوين تاريخي. فى الواقع بعض التقصير أو الانحياز فى بعض المجالات لا مفر منه. يجب دوماً قراءة الإشارات الزمنية للأصل والتحول بهذا التحفظ والشرط. يمكننى إعطاء مثال من تجربة شخصية. فى مراجعتى الملحق **Supplement** الأخير أبحث عن الاستعمال المعاصر العام للكلمة **communications** وجدت مثالاً وتاريخاً تصادف أن كانا من أحد مقالاتي. والآن

لقد اتضح أن فى الامكان ليس فقط العثور على أمثلة مكتوبة من تاريخ أسبق وإنما أن هذا المعنى كان مستعملاً فى الحديث وفى النقاش – وفى اللغة الإنجليزية الأمريكية – قبل ذلك بكثير. لا أبين ذلك من أجل الانتقاد. بالعكس ، هذه الحقيقة عن القاموس هى حقيقة عن كل عمل من هذا النوع ويجب تذكرها خاصة عند قراءة ما دونته هنا.

أضفت، بالنسبة لكلمات معينة، عدداً من أمثلتى الخاصة وذلك من قراءاتى العامة أو المحددة. لكن كل تدوين لا بد بالطبع وأن يكون قاصراً بصورة خطيرة، كما ولا بد أيضا أن يكون إنتقائياً. إن مشاكل المعلومات الكافية حادة بل قد تكون معطِّلة، لكن ليس فى الإمكان دائماً الإشارة إليها بطريقة مناسبة أثناء التحليل. مع ذلك يجب تذكرها دوماً. هناك قصور معين كنت على وعى كبير به. معظم الكلمات الأهم التى عملت عليها طورت معانى رئيسية فى لغات سوى الإنجليزية، أو مرت عبر تطور معقد ومتفاعل فى عدد من اللغات الرئيسية. وحيث تمكنت جزئياً من القيام بذلك، كما هو الحال مع alienation أو culture ، فالأهمية من الوضوح حتى لنفتقدها إذا ما تعذر مثل ذلك التقصي. إن القيام بدراسات مقارنة مماثلة بطريقة مرضية سيكون جهداً تعاونياً دولياً عظيماً، وصعوبة ذلك تقدم التبرير الكافى. واجه بحث فى معانى كلمة democracy ديمقراطية رعته اليونسكو، وكان الهدف منه أن يكون شاملاً ومقارناً، صعوبات كثيرة من هذا النوع، على الرغم من أن التقرير المحدود الذى لجأ إليه نيس Naess وزملاؤه كان مفيداً للغاية. لدى تجربة كافية فى محاولتى مناقشة تعبيرين ماركسيين رئيسيين – base قاعدة و superstructure بنية فوقية – ليس فقط بسبب علاقتهما بأصولهما الألمانية وإنما كذلك بحديثى مع أصدقاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا والسويد حول صيغ هاتين الكلمتين فى هذه اللغات الأخرى، إذ تبين لى كم هى النتائج صعبة وآسرة، كما تيقنت من أن مثل هذا التحليل المقارن حاسم فى أهميته ليس فقط فيلولوجيا ولكن أيضا كقضية مركزية فى الوضوح الفكري. إن الأمل عظيم فى توفر سبل لتشجيع ودعم مثل هذه البحوث المقارنة، لكن فى الوقت الراهن يجب ملاحظة أنه بينما حدثت بعض التطورات الرئيسية التى لها أهمية عالمية الآن فى

الإنجليزية أولاً، هناك تطورات كثيرة تمت فى لغات أخـرى، وبالتـالى لا يمكـن فهمها فى نهاية المطاف إلا بالمقارنة المنتظمة بين هـذه اللغـات. علـى القـراء ملاحظة هذا وتذكر هذا التقييد فى تعليقاتى ومقالاتي. هذا التقييد يبرز بشكل خاص فى التطورات المبكرة جدا فى اللغات الكلاسيكية وفى لاتينية القـرون الوسـطي، حيث اعتمدت ببساطة بشكل يكاد يكون كاملا بانتظام علـى المراجـع المتـوفرة، بالرغم من بقاء كثير من الأسئلة مثارة فى ذهني. هذا صحيح حقا علـى مسـتوى الأصول من كل ضرب ويجب اعتباره تحفظاً مهماً .

يثير هذا إحدى المشاكل النظرية. من المعتاد التحدث عن معنى "صحيح" أو "دقيق" لكلمة، وذلك بالرجوع إلى الأصل. أحد آثـار هـذا النـوع مـن التعلـيم الكلاسيكي، خاصة بالتضافر مع نظرة محددة لوظيفة القواميس كمعرّفة، هو إنتـاج ما يمكن تسميته موقفاً خاشعا "sacral" تجاه الكلمات وما يقابله من شـكاوى عـن سوء فهم أوسوء استعمال فج فى الوقت الحاضر. إن المعانى الأصـلية للكلمـات دائماً ما تحظى بالاهتمام. لكن ما هو فى الغالب أكثر إثارة للانتباه هو التنويعـات اللاحقة. التذمر الذى تنشره الصحف حول سوء استعمال الكلمات الفج يكون دائمـا حول تطورات حديثة جداً. سيبين أى اختيار عشوائى من التطورات الفعلية للمعنى أن ما يعتبر إنجليزية "فصيحة correct"، والذى غالبا مايتضمن الكثيرمن الكلمـات التى تستعملها مثل هذه الشكاوى، إنما هو نتيجة لمثل هذا النوع من التغيير. الأمثلة من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها هنا، لكن القارئ مدعو ليتأمل عددا محدودا فقط: interest أو determine أو improve ، وربما كانت الكلمات organic و evolution و individual أمثلة أكثر وضوحا. فى الغالب قدم لى اكتشاف أصل مفتاحاً للتحليـل، لكن لا مجال، سواء على مستوى الممارسة أو التنظير، للتسليم بأن المعنى الأصلى هو الحاسم (وإلا فأين موقعنا من aesthetic؟) أو التسليم بمصدر مشترك على أنـه الموجه (وإلا فأين سنكون بالنسبة لكلمات peasant و pagan ، أو idiot و idiom ، أو employ و imply). تشمل حيوية أية لغة كل نوع من التوسع والتنويع والتحور، ينطبق هذا على التغيير فى زمننا (مهما قد نأسى لأمثلة معينة) مثلما ينطبق علـى التغييرات فى الماضى التى يمكن الآن إعطاؤهـا مظهـراً sacral. (كلمـة sacral

نفسها هي خير مثال؛ فإن التوسع من معناها البدني الذى دل على "عجـز/شـرج" إلى معناها المضمن الازدرائي الدال على موقف من the sacred المقدس لـيس دعابة من عندى وإنما هو دعابة هادفة ومن ثم فهو إستعمال هادف.)

المشاكل النظرية الأخرى أشد تعقيداً. هناك مشاكل أساسية ومعقدة جداً فـي أى تحليل لعمليات المعنى. يمكن بطريقة مفيدة فرز بعضها بصفتها مشاكل دلالـة عامة: العلاقات الصعبة بين الكلمات والمفـاهيم؛ أو العمليـات العامـة للمعنـى والإشارة؛ بل وإلى أبعد من هذه، هناك القواعد العامة فى المعايير الاجتماعية وفى نظام اللغة نفسها ، التى تمكن من توليد المعنى والإشارة وتمكن كذلك، ولحد كبيـر من ضبطها. فحصت هذه المشاكل بانتظام وبطريقة مجدية فى فلسفة اللغة وفـي اللغويات النظرية ولا شك فى أنها كمشاكل أساسية تؤثر كثيرا فى تحليل معين.

لكن، ولأن كلمة "معنى meaning" بأى مفهوم فعال هى أكثر مـن عمليـة الدلالة signification" العامة، ولأن "المعايير" و "القواعد" هى أكثر من خصـائص أى نظام أو عملية مجردة فإن أنواعاً أخرى من التحليل تظل ضرورية. إن تركيز تحليلى هو بطريقة مدروسة اجتماعى وتاريخي. أما بالنسـبة لأمـور المرجعيـة والادراك التى تشكل تحليلياً الأساس لأى استعمال فإنه من الضـرورى الإصـرار على أن مشاكل المعنى الأكثر تأثيراً دائماً تكمن داخل علاقات فعلية وأن كلاً مـن المعانى والعلاقات بطريقة نمطية متنوع ومتقلب ضمن بنيات نظم اجتماعية معينة وعمليات التغيير الاجتماعى والتاريخي.

لا يعنى هذا أن اللغة تعكس فقط عمليات المجتمع والتاريخ. على العكـس، هدف جوهرى لهذا الكتاب هو إثبات أن بعض العمليات التاريخيـة والاجتماعيـة تحدث "داخل" اللغة بطرق تبين إلى أى مدى تتكامل فعلاً مشاكل المعانى ومشـاكل العلاقات. أنواع جديدة من العلاقة بالإضافة إلى طرق جديدة لرؤية علاقات قائمـة تظهر فى اللغة فى أشكال مختلفة: فى سك كلمات جديدة (capitalism) ؛ فى تبنـى وتحوير (فى الواقع أحياناً قلب) تعابير قديمة (society أو individual) ؛ فى توسـع (interest) أو نقل (exploitation) . لكن كما يجب أن نتذكرنا هـذه الأمثلـة فـإن

التغييرات ليست دائماً بسيطة أو نهائية. تتعايش معانى سابقة ولاحقة أو تصبح فعلاً بدائل تتم فيها منازعة ونقاش مسائل الاعتقاد أو الانتماء المعاصرة. من المؤكد ضرورة تحليل هذه المشاكل وأخرى لاحقة على أنها مشاكل دلالة عامة لكن تركيزى هنا يقع على مفردات المعانى فى مجال جدل واهتمام تم اختياره بطريقة مدروسة.

كان منطلقي، كما ذكرت، ما يمكن تسميته بالعنقود، مجموعة معينة لما أصبح يبدو كلمات ومراجع مترابطة والتى منها تطور فيما بعد اختيارى الأشمل. لذا فإن الهدف الجوهرى للكتاب هو التوكيد على الترابطات التى يبدو لى أن بعضها منهجية بطرق جديدة على الرغم من مشاكل العرض التى سأناقشها. يمكن الجدل بالطبع حول ضرورة عدم فصل الكلمات المفردة حيث أنها تعتمد فى معانيها على سياقها الفعلي. على مستوى معين يمكن التسليم بذلك بسهولة. فى الواقع كثير من المعانى المتغيرة التى حلّلتها حددها السياق. لذا أوضح بشكل رئيسى المعانى المختلفة عن طريق أمثلة فعلية من استعمال مسجل.

لكن لا يمكن أبداً إلغاء مشكلة المعنى تماماً فى السياق. صحيح إنه فى النهاية لا تقوم أبداً كلمة بمفردها ، حيث أنها دائماً جزء من العملية الاجتماعية للغة وتعتمد استعمالاتها على الخصائص المنهجية المعقدة (لكن المتغيرة) للغة نفسها. مع ذلك يظل مفيداً اختيار كلمات معينة، من النوع الإشكالي، ومؤقتا دراسة بنياتها وتطوراتها الداخلية. هذا هو الوضع حتى عندما يهمل التقييد "مؤقتاً" من قبل صنف قارئ مقتنع بالإصرار على حقائق العلاقة والتفاعل ، التى منها نشأ البحث ككل. فى أنواع اختزالية من التحليل فقط يمكن دراسة عمليات العلاقة والتفاعل كما لو كانت علاقات بين وحدات بسيطة. فى الواقع نشأت كثير من هذه العمليات ضمن المعنى المعقد والمتغير لكلمات معينة ، والطريقة الوحيدة لإيضاح ذلك، كأمثلة على كيف تتطور شبكات من الاستعمال والإسناد والمتطور، هى فى التركيز "مؤقتاً" على ما يمكن عندئذ ملاحظته ، على وجه الدقة ، كبنيات داخلية. هذا ليس للإعاقة

، ولكن ليصبح فى الإمكان مفهوم مفردات متوسعة ومعقدة تكون ضمنها كل من الكلمات المتغيرة وعلاقاتها المتغيرة والمتنوعة فى الواقع فعالة.

إذاً دراسة كل من المعانى المعينة والمترابطة عند كتاب ومتحدثين مختلفين وفى الزمن التاريخي وعبره هى اختيار مدروس. القيود واضحة ومسلم بها. التركيز بنفس المقدار واضح وواع. أحد أنواع علم المعانى دراسة المعنى كما هو؛ نوع آخر هو دراسة نظم الدلالة الرسمية. نوع علم المعانى الذى تنتمى إليه هذه التعليقات والمقالات هو أحد الاتجاهات ضمن علم المعانى التاريخي: اتجاه يمكن بطريقة دقيقة تحديده عندما نضيف بأن التركيز ليس فقط على الأصول والتطورات التاريخية ولكن أيضاً على الحاضر – المعانى والعلاقات والتضمينات فى الزمن الحاضر – كتاريخ . يعترف هذا، كما يتوجب على أية دراسة لغة، بأن هناك جماعة/اتحاد community بين الماضى والحاضر لكن كذلك بأن community – تلك الكلمة الصعبة – ليست هى المسمى الوحيد الممكن لتلك العلاقات بين الماضى والحاضر؛ وبأن هناك أيضاً نزاع وانقطاع وتغيير جذرى ، وأن كل هذه ما زالت مجال خلاف ، وأنها فعلاً مستمرة الحدوث. المفردات التى اخترتها هى تلك التى يبدو لى تشمل الكلمات الأساسية التى يستخدم فيها ، فى هذا المجال ، كل من الاستمرار والانقطاع ، وكذلك نزاعات شديدة فى القيم والاعتقاد . كذلك يجب بالطبع وصف عمليات مثل هذه بطريقة مباشرة فى تحليل نظم المفاهيم وقيم المجتمع المختلفة. ما تسعى هذه التعليقات والمقالات إلى الإسهام به هو نوع إضافى من المقاربة وذلك عن طريق المفردات ذاتها.

ذلك لأنى أعتقد أنه ممكن الإسهام بأنواع معينة من الإدراك وأنواع معينة أكثر محدودية من الإيضاح ، عن طريق تناول كلمات معينة فى المستوى الذى تستخدم فيه عادة ، وهذا كان ، لأسباب على الأرجح توضحها أو لها صلة بأعمالى الأخرى، هدفى الأسمى. لدى مادة أكثر من كافية عن كلمات معينة (مثلاً class و culture) وعن تشكيلات معينة (مثلاً art ، aesthetic ، subjective ، psychological و unconscious) لكتابة – كبديل – دراسات متخصصة موسعة

بعضها فى حجم كتاب. قد أفعل ذلك فى النهاية، لكن اختيار شكل عام ومدى أوسع كان مقصوداً. لا أؤيد نظرة التفاؤل – أو النظريات التى تدعمها – بالنسبة لذلك النوع من علم المعانى من فترة ما بين الحربين وما بعدها، والذى افترض فيه أن إيضاح الكلمات الصعبة سيسهم فى حل الخلافات التى تنشأ بسببها لكنها كثيرا ما تتسبب فى الفوضى والإرباك . أعتقد أن فهم تعقيدات معانى كلمة class لا يسهم الا بالقليل جدا فى حل الخلافات الفعلية للطبقة والنضال الطبقي. ليس الأمر فقط أن لا أحد بوسعه "تصفية لهجة القبيلة" ، وأن لا أحد ممن يرى أنه حقا عضو فى مجتمع، يعرف أكثر من أن المحاولة بهذه الصيغة عديمة الجدوى. كذلك فالتنوعات والاضطراب فى المعنى ليست فقط أخطاء فى النظام أو غلطات فى الاسترجاع feedback ، أو قصورًا فى التعليم. إنما هى حسب رأيى ذات تكوين تاريخى ومعاصر فى الكثير من الحالات. والحق أنه كثيرا ما كان يصر عليها كتنويعات، لا لسبب إلا لأنها تجسد خبرات مختلفة وقراءات وسيستمر ذلك قائماً فى العلاقات الفعلية وفى النزاعات، رغم محاولات الإيضاح من قبل الباحثين واللجان. إن ما يمكن فعلاً الإسهام به ليس فض النزاع، وإنما ربما، فى بعض الأحيان، فقط تلك "الحافة" من الوعي. فى تاريخ اجتماعى تشكلت فيه كثير من المعانى الحاسمة من قبل الطبقة المهيمنة ومن قبل مهن معينة ، تعمل إلى حد كبير حسب شروطها، فإن معنى "حافة" دقيق. هذه ليست مراجعة محايدة للمعاني. إنها فحص لمفردات مجال هام من النقاش الثقافى والاجتماعي، نقاش ورث داخل ظروف اجتماعية وتاريخية دقيقة ، وأصبح من الضرورى جعله فى نفس الوقت واعياً وحاسماً – عرضة للتغيير كما هو عرضة للاستمرار – إذا كان للملايين من الناس الذين تنبض فيهم أن يعتبروها فعالة: هى ليست تراثاً يلقن، ولا إجماعاً يسلم به، ولا مجموعة من المعانى لها سلطة طبيعية لأنها "لغتنا"؛ وإنما كتشكيل وإعادة تشكيل فى ظروف واقعية، ومن وجهات نظر بالغة الأهمية وعميقة الاختلاف: مفردات للاستعمال، نغيرها عندما نجد ضرورة لتغييرها ، بينما نشق طريقنا ونحن نستمر فى صنع لغتنا وتاريخنا.

فى الكتابة عن حقل المعانى غالباً ما تمنيت أن تبتكر صيغة للتقديم توضح كيف ترتبط تحليلات كلمات معينة، جوهريا، بطرق أحياناً ما تكون معقدة. يبدو أن التدوين الأبجدى الذى استقريت عليه يحجب هذا فى أحوال كثيرة، وإن كان استعمال الإحالات المتقاطعة cross-references لابد أن يذكر بالعلاقات الضرورية الكثيرة. تكمن الصعوبة فى أن أى ترتيب آخر، حسب المجال أو الموضوع، سيقيم مجموعة علاقات بينما يطمس أخرى. لو وضعت مثلاً representative فى مجموعة من كلمات سياسية ربما تتمركز حول democracy، فقد نغفل عن نقطة مهمة فى التداخل بين حكومة نيابية representative government وفن تمثيلى art representative . أو لو وضعت كلمة realism فى مجموعة كلمات أدبية مركزها literature أو art فقد نلاحظ بسهولة تداخلاً من نوع آخر، له إيحاءات فلسفية عند وصف مواقف فى الأعمال والسياسة. من السهل جداً كتابة وتصنيف مفردات متخصصة لمواضيع أكاديمية معروفة ومستقلة ، ولمجالات اهتمام واضحة ، ولكل هذه بالطبع فوائدها. يمكن لقوائم الكلمات أن تكون أشمل ، ويمكن تجنب مشاكل التداخل عن طريق الاقتصار المدروس على معانى التخصص. لكن، ولما كان بحثى كله داخل مجال المعانى العامة وعلاقات المعاني، فإننى لم أتمكن من الكمال ، ولا من التقييد الواعى لمجالات متخصصة مقصودة. فى تناولى نقاشاً عاماً للثقافة والمجتمع فقدت دعائم التصنيف التقليدى حسب الموضوع ، ومن ثم اضطررت للاحتفاظ بالتصنيف التلقيدى الأبسط: الترتيب الأبجدي. ومع ذلك، وبما أن الكتاب لا يكتمل إلا بقراءته فإنى آمل أن يسهل الترتيب الأبجدى الاستعمال المباشر، ثم يوحى للقارىء بأنواع أخرى من العلاقة والمقارنة وقد يشجع على المواصلة عن طريق اختيار وترتيب مختلف تماماً.

فى هذا ، كما فى نواحى أخرى، فأننى على وعى فائق بكم القراءة والتفكير الذى يتطلب لإنجازه. ومعظمه فى الواقع لا يتم الا من خلال النقاش، الذى هو من بين أغراض هذا الكتاب. ولقد توجب علىّ كثيرا أن أتوقف عندما يلزم نوع آخر من التحليل – نقاش نظرى موسع أو بحث تاريخى واجتماعى مفصل. السير فى

هذه الاتجاهات الأخرى كان يعنى حصر عدد الكلمات المدروسة ونطاقها ، ولقد كان لهذا المجال المقام الأول فى هذا الكتاب على الأقل. لكن يمكن أيضاً القول بأن هذا كتاب يرحب فيه المؤلف ، بكل تأكيد ، بالتعديل والتصحيح والإضافة علاوة على الرسائل والتعليقات المعتادة. إن طبيعة المشروع ككل هى من هذا النوع. هنا مجال هام من المفردات. إن مايمكن عمله فى القواميس محدود بالضرورة بشموليتها التامة وبالمقياس الزمنى الطويل للمراجعة ، التى يفرضها ذلك ، بالإضافة إلى عوامل أخرى.

البحث الحالى أكثر محدودية – فهو ليس قاموساً ولكن مفردات – مما يجعله أكثر مرونة. كان ناشر الكتاب من اللطف بحيث ترك صفحات بيضاء، ليس فقط لتسجيل ملاحظات ، وإنما كإشارة إلى أن البحث لم يكتمل بعد ، وأن المؤلف يرحب بكل التعديلات والتصحيحات والإضافات. فى استعمال لغتنا المشتركة، فى مجال بهذه الأهمية، هذه هى الروح التى يمكن فيها لهذا العمل أن ينجز بدقة.

يتوجب على شكر أشخاص أكثر مما أستطيع أن أذكرهم ، أسهموا فى هذه التحليلات ، عبر السنين ، فى أنواع كثيرة من النقاش الرسمى وغير الرسمي. يجب كذلك بصفة خاصة أن أشكر محررى Mr. R.B Woodings الذى لم يكن فقط مساعداً فائقاً بالنسبة للكتاب ، وإنما كزميل سابق زارنى فى اللحظة التى كنت أقرر فيها ما إذا كان الملف سيصبح كتاباً ، وكان تشجيعه عندئذ حاسما. ساعدتنى زوجتى عن قرب فى كل مراحل الكتاب. علىَ أيضا أن أسجل مساعدة Mr. W.G. Heyman العملية ، الذى أخبرنى ، كطالب عندى فى فصل تعليم كبار ، بعد مناقشة إحدى الكلمات ، أنه قد بدأ وهو شاب فى شراء الأجزاء الورقية لقاموس اكسفورد العظيم، ثم فاجأنى فيما بعد بحضوره الفصل ومعه ثلاثة صناديق كرتونية مليئة بها، وألح على أن أقبلها. أكن شعوراً خاصاً لذكراه، وعبرها للأجزاء

الورقية هذه نفسها – وهى تختلف تماماً عن المجلدات والورق المصقول فى نسخ المكتبات؛ الورق الخشن غير المقصوص المصفر والمفتت، العناوين الباقيــة فــى الذاكرة التى استعملتها عبر السنين: من Deject إلى Deprevation ، مــن Heel إلى Hod ، من R إلى Reactive وهكذا. هذا كتاب صغير أقدمه مقابل هذا المقــدار من الاهتمام واللطف.

ريموند وليامز

كمبردج ، ١٩٧٥ ، ١٩٨٣

جمالى (الجمالية) AESTHETIC

ظهر التعبير أول ما ظهر فى اللغة الإنجليزية فى بداية القرن التاسع عشر ولم ينتشر قبل منتصفه، وعلى الرغم من صيغته اليونانية فإنه مستعار من الألمانية بعد تطور خلافى ونقدى فى تلك اللغة. فى البداية استخدم فى صيغته اللاتينية كعنوان لمؤلف من جزأين: الجماليات Aesthetica (١٧٥٠-١٧٥٨) لمؤلفه الكسندر باومجارتن Alexander Baumgarten (١٧١٤-١٧٦٢). عرّف باومجارتن الجمال "beauty" بالكمال المدرك بالحواس، وتكمن أهمية ذلك، بالنسبة للفن، فى أن هذا التعريف قد وضع كثيراً من التركيز على الإدراك من خلال الحواس، وهو ما يفسر كلمة باومجارتن الجديدة فى جوهرها والمشتقة فى الأساس من "aisthesis" اليونانية التى تعنى الإدراك الحسي. فى اليونانية كانت الإشارة الأساسية إلى أشياء مادية، أى أشياء يتم إدراكها عن طريق الحواس تمييزا لها عن أشياء غير مادية أو تلك التى لا تدرك إلا من خلال إعمال الفكر. كان استعمال باومجارتن الجديد جزءاً من التركيز على النشاط الذاتى للحواس وعلى الإبداع الإنسانى المتخصص للفن الذى أصبح سائدا فى هذه الحقول، والذى ورث هذه الكلمة - العنوان، على الرغم من أن الكتاب لم يترجم وكان محدود التوزيع. لدى كانت Kant أيضاً كان الجمال يعتبر فى الأساس وبشكل حصرى ظاهرة حسّية لكنه اعترض على استعمال باومجارتن وعرّف علم الجمال "aesthetics" بالمعنى اليونانى الأصلى والأشمل لعلم "حالات الإدراك الحسّي". ولقد وجد كلا الاستعمالين فى أمثلة إنجليزية متفرقة (أوائل القرن ١٩)، لكن عند منتصف القرن التاسع عشر تصبح الإشارة إلى "الجمال" "the beautiful" مسيطرة، وهناك ارتباط قوى منتظم بالفن. فى ١٨٧٩ استعمل لويز Lewes تهجية اشتقاقية مختلفة "aesthesics" فى تعريفه لـ "العلم المجرّد للشعور". لكن "anaesthesia"، وهى قصور فى الإحساس البدني، كانت تستخدم من أوائل ق ١٨ ومن منتصف ق ١٩، ومع تقدم الطب استعملت

"anaesthetic" – صيغة النفى للصفة المتزايدة فى شعبيتها – بشكل واسع بـــالمعنى الأساسى الشامل لتدل على الحرمان من الشعور أو العامل المسبّب لهذا الحرمـــان. قاد هذا الاستعمال المباشر لصيغة النفى فى النهاية إلى صيغ نفـــى أخـــرى مثـــل "unaesthetic" و"nonaesthetic"، ولهما صلة بالاستعمال السائد الذى يـــدلّ علـــى الجمال أو الفن.

تمنّى كولردج "Coleridge" فى ١٨٢١ أن يستطيع العثـــور علـــى كلمـــة مألوفة أكثر مـــن "aesthetics" لأعمال "الذوق " "TASTE" و"النـــقد" CRITICIS(ا م)، وحتى ١٨٤٢ كان يشار إلى "aesthetics" على أنها "عبارة سخيفة متحذلقـــة". فى ١٨٥٩، ورغم فهم السير وليام هاملتون لها "كفلسفة الذوق" و"نظريـــة الفنـــون الجميلة"، و"علم الأشياء الجميلة"، الخ"، ورغم اعترافه بتقبلها العام "ليس فقط فـــى ألمانيا ولكن أيضاً فى بقية دول أوربا كلها"، فإنه ظل يعتقد أن "apolaustic" كانت أكثر ملاءمة. لكن الكلمة ترسّخت وأصبحت على نحو متزايد شائعة مـــع التبـــاس مستمر (هذا الالتباس كان ضمن النظرية نفسها التى أدت إلى سنّ هذه الكلمة) بـــين الإحالة إلى الفن والإشارة الأعم إلى الأشياء الجميلة. بحلول ١٨٨٠ أصبح الاســـم "محب الجمال" "aesthete" منتشر الاستعمال وفى أغلب الحالات بشكل ازدرائـــي. نمت مهاجمة مبادئ وممارسات "الحركة الجمالية" ، التى تكونت حول والتر بـــاتر Walter Pater ، والاستهزاء بها (أفضل مثال لا يزال فى الذاكرة هو عمل جلبـــرت Gilbert: *Patience* (١٨٨٠). يتزامن هذا مع رد فعل مشابه حول استعمال مـــاثيو آرنولد وآخرين لكلمة "ثقافة" "culture". لم تستعد "aesthete" إيجابيتها بعـــد هـــذا الاستعمال، والاسم الحيادى المتعلق بالجمالية كدراسة نظامية هـــو الكلمة الأقـــدم (م ق ١٩) aesthetician. بعيداً عن استعمالاتها المتخصصة فى نقاش الأدب والفن فإن الصفة "aesthetic" تشير الآن فى استعمالها العام إلى مسائل المظهر والتـــأثير النظري.

واضح من هذا السرد التاريخى أن كلمة "aesthetic" بدلالاتها المتخصصة للفن ART (انظر المصطلح)، للمظهر النظري، وإلى فئة ما هو "جميـــل" و"بـــديع"،

هى تشكيل رئيسى فى مجموعة من المعاني، وهى فى نفس الوقت تؤكـد وتعـزل نشاط الحس الذاتي SUBJECTIVE (انظر المصطلح) كأساس للفن والجمـال فـى تمييز له عن، مثلاً، التفسيرات الاجتماعية والثقافية. إنها تشكل عنصرا فى التفكير الحديث المنقسم فى نظرته إلى الفن والمجتمع. إنها دلالة بعيـدة عـن الاسـتعمال الاجتماعى والتقييم الاجتماعي، يقصد بها، مثل أحد المعانى الخاصة للثقافة، التعبير عن بعد إنسانى يبدو أن التفسير السائد لـ"مجتمع" يقصيها. يمكن فهم التوكيد لكـن العزل قد يكون مضراً، فهناك الآن نظرة تهميشية وإقصائية بشكل عارم فى العبارة الشاملة والمقيدة: "اعتبارات جمالية"، خاصة عنـد مقارنتهـا باعتبـارات عمليـة practical أو نفعية UTILITARIAN (ا م) التى هـى عناصـر مـن نفـس التقسيم الأساسي.

استلاب ALIENATION

هذه الآن واحدة من أصعب الكلمات فى اللغة. بمعزل تام عن اسـتعمالها الشائع فى سياقات عامة، فإنها تحمل معانى محددة ، مختلف عليها فى نطاق مـن المعرفة يمتد من النظرية الاجتماعية والاقتصادية إلى الفلسفة وعلم النفس. إضـافة إلى ذلك، منذ منتصف القرن العشرين، انتقلت من مجـالات مختلفـة فـى هـذه المعارف إلى استعمالات عامة جديدة ، تكون فيها الكلمة عـادة مشوشـة بسـبب التداخل والالتباس لكل من المعانى المحددة المختلفة والمعانى القديمة الأعم.

على الرغم من أن لها مظهر المصطلح المعاصر فإنها كلمة موجـودة فـى اللغة الإنجليزية منذ قرون بمدى واسع من المعانى لا يزال سارياً. سابقتها المباشرة هى allénacion، فرنسية قروسطية، مـن alienationem، لاتينيـة، مـن (س ب) alienare: يجعل غريبا أو يجعل غيريا ؛ هذه لها صلة بـ alienus، لاتينية: تخص أو تنتمى إلى شخص أو مكان آخر، من (س ب) alius : آخر، غير. اسـتخدمت فى الإنجليزية من ق ١٤ لوصف فعل الإقصاء أو حالة الإبعاد، (١): فى المعتـاد

بخصوص القطيعة مع الإله أو كون المرء محروما من الإله، أو انهيار العلاقات بين رجل أو مجموعة ، وسلطة سياسية ما معترف بها. من ثم استعمالها من ق ١٥ لوصف عملية نقل ملكية أى شيء من طرف إلى آخر، (٢): خاصة نقل حقوق أو ممتلكات أو أموال. فى البداية كانت هناك معانى ثانوية إضافية لمعنى (٢) حيث يكون النقل بحيلة من المستفيد (اختلاس) أو حيث يعتبر النقل تحولا عن المالك الأصلى أو الغرض الملائم. طغت فى النهاية هذه المعانى السلبية لـ (٢) واستمر المعنى القانونى لنقل طوعى ومقصود، لكن أصبح النقل غير الملائم، غير الطوعى أو حتى القسري، هو المفهوم السائد. ثم زاد التوسع ليشمل، إضافة إلى ذلك، نتائج مثل هذا النقل، حالة كون شيء تم استلابه (٣). بالقياس، استعملت الكلمة، كما حدث فى اللاتينية، بشكل أوسع من(ق ١٥) لتعنى فقدان، تراجع أو تعطيل المقدرات الذهنية وبالتالى الجنون(٤).

بشكل أو آخر تم الرجوع إلى كل هذه الدلالات السابقة فى نطاق المعانى المحدّدة المعاصرة وفى معظم الاستعمالات الناجمة عن ذلك. بحلول أوائل ق ٢٠ استعملت الكلمة استعمالاً شائعاً بطريقة رئيسية فى سياقين محدّدين: نقل ممتلكات رسمية **alienation**، وفى العبارة: "استلاب العاطفة" "**alienation of affection**" (من م ق ١٩) بمعنى التدخل المقصود والمدبر فى العلاقة العائلية المعتادة، خاصة تلك التى بين الزوج والزوجة. لكن أصبحت الكلمة فعلاً مهمة، بل أصبحت فى بعض الأحيان مفهوماً أساسياً، فى نظم ذهنية قوية ومتطوّرة.

هناك عدة صيغ معاصرة لمعنى (١). هناك المعنى الدينى المتبقى ، الذى عادة ما يدل على حالة ، بدلاً من فعل العزل أو الإقصاء عن معرفة الله أو عن رحمته أو عبادته. فى بعض الأحيان يتداخل هذا مع استعمال أعمّ له أصل أكيد عند روسّو، حيث يعتبر المرء معزولاً أو مقصيا عن طبيعته الأساسية. هناك عدة صيغ لذلك بين الوضعين الأقصيين المحدّدين للإنسان وهو مبعد عن طبيعته "الأصلية" (غالباً تاريخياً بدائية) والإنسان وهو مبعد عن طبيعته "الجوهرية" (متأصلة ودائمة). تختلف الأسباب المقدمة اختلافاً كبيراً. هناك شعور ملح بفقدان

الطبيعة الإنسانية الأصلية من خلال تطور حضارة CIVILIZATION (ا م) "مصطنعة" ؛ يكون عندئذ التغلّب على الاستلاب إمّا عن طريق بدائية فعلية أوغرس شعور وممارسة إنسانية ضمن إكراهات الحضارة. فى حالة الاغتراب عن الطبيعة الجوهرية تكون الصيغتان الأكثر شيوعاً هما المعنى الدينى للاغتراب عن الإلهى فى الإنسان، والمعنى السائد لدى فرويد والسيكولوجيا الواقعة تحت تأثيره، حيث الإنسان يغترب (أيضاً عن طريق الحضارة أو أطوار وممارسات الحضارة) عن طاقته الرئيسية ، وهى إما شهوة جنسية كامنة أو ظاهرة. هنا التغلّب على الاستلاب يكون إما عن طريق استعادة شعور بالمقدّس أو، كما فى تقليد بديل، استعادة كاملة أو جزئية للشهوة أو النشاط الجنسي، وهذه إمكانية تعتبر صعبة أو متعذّرة (الاستلاب بهذا المعنى هو جزء من الثمن المدفوع فى سبيل الحضارة) أو تعتبر من منظور آخر جذرية ومنظّمة (نهاية أشكال معينة من الكبْت – الرأسمالية CAPITALISM، العائلة البرجوازية BOURGEOIS FAMILY (ا م م) – التى تخلق هذا الاستلاب الجوهري).

هناك تعديل مهم لمعنى (١) عن طريق إضافة صيغ من معنى (٢) عند هيجل أو، كبديل له، ماركس. ما يتم استلابه هنا هو طبيعة جوهرية، "روح ذاتية الاستلاب"، لكن تعتبر عملية الاستلاب تاريخية. فى الحقيقة يصنع الإنسان طبيعته، وفى ذلك تعارض مع مفاهيم الطبيعة البشرية الأصلية. إنه يصنع طبيعته عن طريق موضعة (لدى هيجل هذه عملية روحية، لدى ماركس هى عملية مجهود) وتتم إزالة هذا الاستلاب الذى كان محتوماً فى السابق عن طريق تجاوزه بالتسامي. النقاش صعب ، وتزيده صعوبة العلاقة بين الكلمات الأساسية الإنجليزية والألمانية. تقابل الكلمة الألمانية entäussern بشكل رئيسى معنى (٢) الإنجليزي: يتخلى عن، يحوّل، يفقد لصالح آخر، ولها كذلك المعنى الإضافى الذى له أهمية قصوى فى هذا السياق: "جعل شيء ما خارجاً عن الذات". الكلمة الألمانية entfremden أقرب إلى المعنى الإنجليزى (١) خاصة بمعنى فعل أو حالة استلاب بين أشخاص (انظر شاخت Schacht بخصوص تاريخ Entfremdung. كلمة ثالثة استخدمها ماركس vergegenstandlichung تمت ترجمتها كاستلاب ، لكنها الآن تفهم بشكل شائع كـ

"تشيؤ" reification – بشكل عام، تحويل العملية الإنسانية إلى شيء "موضوعي"). على الرغم من أنه تم شرح الصعوبات بوضوح فى بعض الترجمات فإن الجدل النقدى الإنجليزى شوّشه الالتباس بين المعانى وفقدان التمايز بين معنى (١) ومعنى (٢): وهذا أمر حيوى فى تطور المفهوم عندما تكون العلاقة التفاعلية بين المعنيين (١) و(٢) حاسمة، كما هو الحال بشكل خاص عند ماركس. لدى هيجل تعتبر العملية كتطوّر روحى تاريخى عالمى فى علاقة جدلية بين فاعل ومفعول ، حيث يتم التغلب على الاستلاب عن طريق اتحاد أعلى. فى نقد تالٍ للدين وصف فويرباخ Feuerbach الإله كاستلاب – بمعنى إسقاط أو تحويل – للمقدرات الإنسانية العليا ؛ تكرر ذلك فى النقاش الإنسانى الحديث وفى الدفاع الثيولوجي. لدى ماركس تعتبر العملية تاريخاً للعمل حيث يخلق الإنسان نفسه عن طريق خلق عالمه، لكن فى المجتمع الطبقى يستلب الإنسان من هذه الطبيعة الأساسية عن طريق أشكال استلاب محدّدة ، تتمثّل فى تقسيم العمل والملكية الخاصة وأسلوب الإنتاج الرأسمالى ، حيث يفقد العامل كلاً من نتيجة جهده وشعوره بقدرته الإنتاجية، وذلك نتيجة لمصادرة كليهما من قبل رأس المال. يجابه الإنسان العالم الذى صنعه كغريب وعدو، ولدى هذا العالم سلطة عليه لكنه هو الذى فى الأساس حوّل قدرته إليه. لذلك صلة بالمعنى التجارى والقانونى المفصّل للاستلاب (٢) أو Entäuserung رغم وصفه بطرق جديدة عن طريق تمركزه فى عملية الإنتاج الحديثة. هكذا يتم إنتاج استلاب (١) بالمعنى الأعم كحالة اغتراب عن طريق العمليات المتراكمة والمفصّلة تاريخياً لاستلاب (٢). تعتبر معانى ثانوية لاستلاب (١) مقابلة لـ Entfremdung – اغتراب أشخاص فى إنتاج وعمل تنافسي، ظاهرة الاغتراب العام فى مصنع أو مدينة صناعية / رأسمالية – كنتائج لهذه العملية الشاملة.

أدت كل هذه المعانى المحدّدة ، التى كانت بالطبع موضوع جدل وخلاف مطوّلين من داخل وخارج كل نظام ، إلى استعمال معاصر متزايد، وإلى تلك الاتهامات المعتادة "بعدم دقة" أو "سوء فهم"، بينما هى فى الحقيقة استعمالات بديلة للكلمة. على الأرجح الاستعمال المعاصر الأكثر انتشاراً هو المشتق من أحد أشكال

السيكولوجيا: فقدان الاتصال بحاجات وشعور الذات العميقة. لكن هناك توافقا عاما لذلك مع الرأى القائل إننا نعيش فى مجتمع "استلابي" ، مع إشارات محددة إلى طبيعة العمل الحديث والتربية الحديثة ونوع الجماعات الحديث. وهناك تصنيف حديث (Seeman، ١٩٥٩) يعرّف (أ) العجز powerlessness : عدم القدرة أو الشعور بعدم القدرة للتأثير فى المجتمع الذى نعيش فيه ؛ (ب) فقدان المعنى meaninglessness: الشعور بفقدان موجّه هادٍ للسلوك والإيمان ؛ (ج) فقدان النموذج normlessness: شعور بأن الوسائل غير المشروعة ضرورية للتوصل للأهداف المرجوة ؛ (د) انعزال isolation: ابتعاد عن المعايير والأهداف السائدة ؛ (هـ) اغتراب ذاتى self-estrangement: العجز عن العثور على نشاطات مرضية بشكل فعلي. هذا التصنيف المجرد، الذى يُختزل بطريقة دالّة إلى حالات سيكولوجية دون إشارة إلى عمليات اجتماعية محدّدة، مفيد فى توضيح المدى الواسع جداً الذى يتضمنه الاستعمال الشائع للمصطلح. يتداخل مصطلح دوركهايم anomie الذى تم تبنيه كذلك فى الإنجليزية مع استلاب alienation خاصة فيما يتعلق بمعنيى (ب) و (ج): غياب – أو الفشل فى الحصول على – نماذج مناسبة كافية ومقنعة للعلاقات الاجتماعية وتحقيق الذات.

واضح من مدى وكثافة استعمال "استلاب" فى الحاضر أن هناك بهذه الطرق المتفاوتة تجربة مهمة وشاملة تستطيع هذه الكلمة ومفاهيمها المحددة المختلفة وصفها وتفسيرها. كان هناك تبرم من صعوباتها ونزعة لرفضها بحجة أنها ليست إلا مسايرة للنمط السائد. لكن يبدو من الأفضل مجابهة صعوبات الكلمة ومن خلالها الصعوبات التى يبينها ويسجلّها تاريخها الاستثنائى وتنوع استعمالها. فى إبرازها للشعور العميق بانقسام بين الإنسان والمجتمع هى عنصر حاسم فى بنية عامة جداً للمعانى.

الفوضوية ANARCHISM

دخلت الكلمة الإنجليزية anarchy في م ق ١٦ من (س م) anarchie (فرنسية)، (س ب) anarchia (يونانية قديمة) - دولة دون قائد. لم تبتعد استعمالاتها الأولى كثيراً عن الاستعمالات الأولى المعادية لـ"ديمقراطية" DEMOCRACY (ا م): "هذه الحرية أو الرخصة المخالفة للقانون التى يتصف بها العامة تسمى "Anarchie" (١٥٣٩). لكنها برزت بشكل رئيسى كوصف لأى نوع من الاضطراب والشواش chaos (يونانية تعنى هوة أو فراغ). مع ذلك بقيت anarchism "الفوضوية"، من م ق ١٧ وanarchist "فوضوي" من أواخر ق ١٧ أكثر قربا إلى المعنى السياسي: "فوضوية"، هى مبدأ ومواقف أو فن الذين يلقنون الفوضى ؛ كذلك هى كون الشعب دون أمير أو حاكم (١٦٥٦). ويكون الفوضويون، وهم موصوفون بهذه الطريقة، قريبين جداً من ديمقراطيين democrats وجمهوريين republicans فى معنييهما القديمين ؛ كذلك كان هناك ربط بين فوضويين وملحدين aetheists (Cudworth، ١٦٧٨). من اللافت أنه حتى وقت متأخر - ١٨٦٢- كتب سبنسر: "ينكر ... الفوضوى حق أى حكومة فى المساس بحريته الشخصية" ؛ هذه الآن فى الغالب، عبارات ليبرالية جديدة معيّنة أو ، والحق يقال ، محافظة متطرفة.

لكن بدأت المصطلحات فى التزحزح فى سياق الثورة الفرنسية الخاص عندما هاجم الجيرونديون أعداءهم المتطرفين على أنهم فوضويون، بالمعنى العام القديم. كان هذا سبباً فى تماهى "فوضوية" مع سلسلة اتجاهات سياسية متطرفة، ويبدو أنه تم تبنى عبارة الشتم بشكل لا يقبل الجدل من قبل برودون Proudhon فى ١٨٤٠. من هذه الفترة تبدأ "فوضوية" فى تكوين اتجاه رئيسى داخل الحركات الاشتراكية والعمال، غالباً فى خلاف مع الصيغ المركزية للماركسية MARXISM والأشكال الأخرى للاشتراكية SOCIALISM (ا م م). بناء على اقتناع، تبنت مجموعات من سبعينيات ق ١٩، عرّفت نفسها فى الماضى كتبادلية تعاونية mutualists، فيدراليين federalists، معارضى التسلط، "فوضويين" كهوية لها،

وتطورت هذه الحركة العريضة إلى منظمات ثورية أصبحت مناوئة لـ "اشتراكية الدولة" و لـ "دكتاتورية البروليتاريا". أسست حركة نقابة الفوضويين syndicalist - anarcho المهمة تنظيماً اجتماعياً على مبدأ تجمعات ذاتية الإدارة ، معتمدة على اتحادات العمال، وسعت إلى أن تحل هذه محل كل أشكال تنظيم الدولة.

مع ذلك، تبنى اتجاه أقلية في "الفوضوية"، بشكل رئيسي بين ١٨١٧ و ١٩١٤، وسائل عنف واغتيال فردية ضد الحكام السياسيين. لم يفقد معنى متبق من anarchist فوضوى صلته "بإرهابي" "terrorist" (وجدت في اللغة هي وإرهاب terrorism من ق ١٨) رغم أنه منفصل تماماً عن حركة الفوضوية الرئيسية.

ما زالت "الفوضوية" المتعمدة والمنتحلة حركة سياسية مهمة لكن من اللافت أنه تم تبنى أفكار ومقترحات فوضوية كثيرة في مراحل لاحقة من الفكر الماركسي والفكر الاشتراكي الثوري الآخر، بالرغم من العناية بإبقاء بعد كاف في العادة عن الكلمة بكل إيحاءاتها القديمة.

أنثروبولوجيا – علم الإناسة ANTHROPOLOGY

دخلت أنثروبولوجيا الإنجليزية في أوائل ق ١٦. يظهر أول استعمال موثق لها عند R. Harvey في ١٥٩٣ وله نبرة حديثة: "شجر أنسابهم ونسلهم، فنونهم التي درسوها، الأعمال التي قاموا بها. هذا الجزء من التاريخ يسمى انثروبولوجيا. لكن يطغى معنى مختلف في الثلاثة قرون التالية. استخدم ارسطو Anthropologos (يونانية) - خطاب ودراسة الإنسان – ومعها الصيغة الاسمية المتضمنة anthropologia، ثم في ١٥٩٤–١٥٩٥ أحيا الكلمة كاسمان Casmann: *Psychologica Anthropologica، sive Animae Humanae Doctrina Anthropologica: II*, *hoc est de fabrica Humani* Corporis، *sive Anthropologia: II*. المصطلحان الحديثان لجزأى مؤلف Casmann هما سيكولوجيا PSYCHOLOGY (ا م) وفيسيولوجيا، لكن الغرض كان الربط بينهما بمفهوم كان لا يزال ساريا في تعريف

ق ١٨ المعتمد: "تشمل الأنثروبولوجيا اعتبارات كل من الجسد والروح ، وقوانين اعتمادهما ، ونتائج ذلك الاتحاد ، مثل الإحساس، الحركة الخ..) ما نجم عن ذلك كان تخصص الدراسات البدنية إما (١) فيما يتعلق بالحواس - "تحليل حواسنا فى أكثر كتب الأنثروبولوجيا انتشاراً" (كوليردج، ١٨١٠) وإما (٢) فى تطبيق ذلك على مسائل التنوع الجسدى للبشر (قارن "عرقي" RACIAL) والنشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م) البشرى. هكذا حتى أواخر ق ١٩ كان المعنى السائد هو فرع من العلوم نميّزه الآن كـ "أنثروبولوجيا طبيعية".

إن ظهور (أو ، ربما متذكّرين Harvey، إعادة ظهور) معنى أكثر شمولاً، ما نميّزه الآن كأنثروبولوجيا "اجتماعية" و"ثقافية"، هو تطوّر فى ق ١٩ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوّر أفكار كل من حضارة CIVILIZATION (ا م) وثقافة "Culture" (ا م)، خاصة الأخيرة. عموما يعتبر مؤلف تايلور: Tylor: الثقافة البدائية *Primitive Culture* النص المؤسس للعلم الجديد فى العالم الناطق بالانجليزية. من ناحية ، يعود ذلك إلى تمييز هردر Herder في أوائل ق ١٨ لثقافات متعددة - سبل حياة متباينة يجب دراستها ككل بدلاً من دراستها على أنها مراحل للتطور DEVELOPMENT (ا م) فى الطريق إلى حضارة أوربية. من ناحية أخرى ، يرجع إلى مفاهيم مستمّدة من: "مراحل" التطور نفسها (الشائعة لدى مفكرى عصر التنوير فى ق ١٨)، وبشكل ملحوظ ترجع كذلك إلى كتابى "كليم": التاريخ الثقافى العام للبشرية G.F Klemm: *Allegmeine Kulturgeschichte der Menschheit* (١٨٤٣-١٨٥٢)، وعلم الثقافة العام *Allgemeine Kulturwissenschaft*(١٨٥٤-١٨٥٥). ميّز "كليم" ثلاثة مراحل للتطور البشرى: الوحشية، التدجين، والحرية. فى ١٨٧١، حدّد بطريقة عميقة الأثر الأمريكى لويس مورجان، وهو رائد فى الدراسات اللغوية للقرابة، ثلاثة مراحل فى كتابه المجتمع القديم *Ancient Society*، وعنوانه الفرعى بحوث فى مسار التطور البشرى من الوحشية عبر البربرية إلى الحضارة. من خلال إنجلز ، كان لهذا أثر عظيم فى بداية الماركسية، لكن تكمن أهمية هذا التوجّه لمفهوم الأنثروبولوجيا فى تركيزه على الثقافات البدائية (أو "الوحشية") ، سواء كان ذلك أم

لم يكن ، من وجهة نظر "التطوّر". فى فترة الاستعمار والإمبريالية الأوربية ، وفى المرحلة المقاربة فى علاقات الأمريكيين بالقبائل الهندية المندحرة ، كانت هناك وفرة من المواد لكل من الدراسات العلمية واهتمامات أخرى أكثر عمومية. (بعض هذه الاهتمامات نظّمت فيما بعد كأنثروبولوجيا "علمية" أو "تطبيقية"، واضعة المعرفة العلمية فى خدمة السياسات الإدارية والحكومية.) لكن التأثر الأهم كان التخصّص النسبى للانثروبولوجيا فى الثقافات "البدائية"، رغم أن هذا المجهود قدم، عندما تم انجازه، نماذج دراسات لـ "طرق حياة كاملة ومتميّزة"، مما كان له أثر فى دراسة "البنيات البشرية" structures، ومن ثم عمّمت هذه فى أحد الاتجاهات كـ "بنيوية" STRUCTURALISM (ا م) فى المجالين المتقاربين: اللغويات والأنثروبولوجيا ؛ وعممت فى اتجاه آخر كـ "وظيفية" functionalism ، وتكون فيها المؤسسات الاجتماعية استجابات ثقافية (متفاوتة) لحاجات إنسانية أساسية؛ وساهم هذا التخصص لأنثروبولوجيا كذلك فى تجميعها أدلّة مقارنة شاملة، شجعت بشكل عام فكرة ثقافات وسبل تطور بشرى بديلة ، فى تمييز حاد لها عن فكرة المراحل المنتظمة فى عملية أحادية المسار تجاه "الحضارة".

هكذا كان لا يزال هناك فى منتصف ق ٢٠ "الأنثروبولوجيا الطبيعية" المعمّرة، أنثروبولوجيا الشعوب "البدائية" المتشعبة؛ وفى مساحة ليست محددة تتعدى ذلك ، هناك معنى انثروبولوجيا كأسلوب دراسة ومصدر أدلّة لمجال أفسح ، يضم طرق الحياة البشرية الحديثة. بالطبع بحلول هذه الفترة توطدت "السوسيولوجيا"، علم الاجتماع SOCIOLOGY (ا م) فى أشكال مختلفة ، كفرع من فروع الدراسة تدرس فيه المجتمعات الحديثة (وفى بعض المدارس، "الثقافات" الحديثة)، وكنتيجة لذلك كان هناك تداخل معقّد لها بما سمى الآن (بشكل رئيسى لتمييزها عن الأنثروبولوجيا الطبيعية) أنثروبولوجيا "اجتماعية" و"ثقافية" (أصبحت "اجتماعية" أكثر شيوعاً فى بريطانيا، "ثقافية" فى أمريكا)، رغم أن أنثروبولوجيا ثقافية فى العادة تدل فى أمريكا على دراسة المنتجات الحرفية المادية artifacts.

يبين فى بعض الأحيان تاريخ الكلمات المعقد القضايا الثقافية الرئيسية المرتبطة بهذا التكتّل من المصطلحات وفروع المعرفة لكنه ربما يخفيها فى أحيان أكثر. من اللافت أن تجميعاً جديداً لهذه الاهتمامات والمعارف المتقاربة والمتشابكة يعرف بشكل متزايد منذ أواسط ق ٢٠ كـ "علوم إنسانية" (خصوصاً فى فرنسا) الذى يعيد فعلياً، فى لغة حديثة وفى صيغة الجمع، البدء مرة أخرى لما كان المعنى الحرفى ثم المتخصّص بطرق متعددة لأنثروبولوجيا.

انظر: CIVILIZATION حضارة، CULTURE ثقافة، DEVELOPMENT تنمية، EVOLUTION نشوء/تطور، PSYCHOLOGY سيكولوجيا، SOCIOLOGY علم اجتماع، STRUCTURAL بنائى

فن ART

لا يزال المعنى الأصلى العام لفن art ، الذى يشير إلى أى نوع من المهارات ، موجوداً فى الإنجليزية. لكنه أصبح معنى شائعاً أكثر تخصّصاً، وفى حالة "الفنون" "the arts" وبشكل أدق "فنان" "artist" أصبح المعنى الأكثر تخصصاً سائداً.

استعملت "art" فى الإنجليزية منذ ق ١٣، (س م) art، فرنسية قديمة، (س ب) artem، لاتينية – مهارة. استعملت دون تخصص طاغ حتى أوائل ق ١٧ فى مواضيع متعددة مثل الرياضيات والطب وصيد الأسماك. فى منهج الدراسة الجامعى فى القرون الوسطى كانت الفنون arts ("السبعة فنون" وفيما بعد الفنون الليبرالية LIBERAL (ا م)) هى القواعد، المنطق، البلاغة، الحساب، الهندسة، الموسيقى والفلك، واستعملت "فنان" "artist": من ق ١٦، أولاً فى هذا السياق، لكن مع تطورات، معاصرة تقريباً، لوصف أى شخص ماهر (وهى بذلك مطابقة فعلاً لحرفى "artisan" حتى أوائل ق ١٦) أو ممارس، فى تصنيف آخر، لأحد الفنون

التى تترأسها الآلهة السبعة، : تاريخ، شعر، كوميديا، تراجيديا، موسيقى، رقص وفلك. ثم من أوائل ق ١٧ كان هناك بشكل متزايد استعمال شائع متخصّص لمجموعة مهارات لم تتمثل رسميا حتى ذلك الوقت: رسم painting، رسم بالرصاص drawing، نقش engraving، ونحت sculpture. لم يتوطّد تماماً المعنى السائد الآن لفن "art" وفنان artist الذى يشير إلى هذه المهارات حتى أواخر ق ١٩، لكن، ومن ضمن هذا التصنيف أنه في أواخر ق ١٨ وبإلماع خاص لاستثناء النقّاشين من الأكاديمية الملكية الجديدة، تعزّز تمييز عام الآن بين "فنان" artist و"حرفي" artisan – الأخيرة مخصصة للعامل اليدوى الماهر دون أغراض "ثقافية" أو "خيالية" أو "إبداعية". سمح هذا التطور لحرفى artisan وتعريف منتصف ق ١٩ لعالم scientist بتخصيص "فنان" artist، وليس التمييز الآن بين الفنون الليبرالية وإنما بين "الفنون الجميلة" fine arts.

من الصعب تحديد ظهور Art "فن" المجردة والبادئة بالحرف الكبير، بقوانينها الداخلية لكن العامة. هناك استعمالات عديدة مقبولة من ق ١٨، لكن لم يصبح المفهوم شائعاً إلا فى ق ١٩. بهذا المعني، ترتبط تاريخياً بتطور "ثقافة" CULTURE و"جمالية" AESTHETICS (ا م م) .فى ١٨١٥ كتب وردزورث للرسام هايدون Haydon : "أيها الصديق : سامية هى مهنتنا، الفن الإبداعى Creative Art". يؤرخ فعليا من نهاية ق١٨ وبداية ق١٩ للربط المعتاد الآن بين فن وابداعى creative وتخيلى imaginative كشأن تصنيفي. ويؤرخ للصفة فنى artistic من منتصف ق ١٩. ويعود تاريخ "مزاج فني" "artistic temperament" "وحساسية فنية" "artistic sensibility" إلى نفس الفترة. وينطبق نفس القول على artiste التى هى تخصيص فيه تمييز إضافى لوصف المؤدين performers مثل الممثلين أو المغنيين، وبهذه الطريقة يحتفظ بفنان artist للرسام والمثال وفى النهاية (من منتصف ق ١٩) للكاتب ومؤلف الموسيقي.

من المثير للاهتمام ملاحظة كلمات فى فترات مختلفة تتميّز ، فى العادة ، عن فن art أو تتعارض معها. قبل وسط ق ١٧ عنت artless دون تكلف – "غير

ماهر" unskilled أو "خال من المهارة" "devoid of skill" وتبقى هذا المعنى. لكن كان هناك تعارض مبكر معتاد بين "فن" art" و"طبيعة" nature : أى بين ناتج مهارة الإنسان وناتج ميزة متأصلة. ثم اكتسبت "artless من منتصف ق ١٧، وخصوصاً من أواخر ق ١٨، معنى إيجابيا يوضح التلقائية حتى فى الفن. بينما ما زالت art تعنى مهارة ومثابرة وINDUSTRY (ا م) تعنى مهارة مضنية، فإن الكلمتين كانتا وثيقتا الارتباط، لكن عندما أصبحت كل منهما مجردة ومتخصصة، فإنهما كانتا فى الغالب، من أوائل ق ١٩، متعارضتين كمجالين منفصلين للخيال والمنفعة. حتى ق ١٨ كانت معظم العلوم فنوناً ؛ فعلياً يؤرخ من منتصف ق ١٩ للتمييز الحديث بين علم science و"فن art " كمجالين متعارضين للمهارة والجهد البشريين بمناهج وأهداف مختلفة جذرياً، رغم أن نفس الكلمتين تعارضتا أحياناً فى مرحلة أسبق بمعنى "نظرية" theory و"ممارسة" practice (انظرTHEORY و SCIENCE).

بوضوح ، ترتبط هذه المجموعة من التمييزات التاريخية المعقدة بين أنواع مختلفة من المهارات البشرية وأغراض أساسية متنوعة فى استعمال هذه المهارات بكل من التغيرات فى التقسيم الفعلى للعمل ، ولتغيرات أساسية فى تعريفات عملية لأهداف ممارسة المهارة. يمكن ارتباطها بشكل رئيسى بالتغيرات المتأصلة فى إنتاج السلع الرأسمالى ، بما فى ذلك من تخصيص وتحويل قيم الاستعمال إلى قيم تبادل. بالمقابل نجم هناك تخصص دفاعى لمهارات وأغراض معينة لـ "الفنون" the arts أو الإنسانيات humanities ، حيث يمكن ، على الأقل ، لصيغ الاستعمال والهدف العام التى لا يحددها التبادل المباشر أن تتجرد ذهنياً. هذا الأساس الرسمى للتمييز بين "فن" art وصناعة industry ، وبين الفنون الجميلة والفنون النفعية "useful arts" (فى النهاية، اكتسبت هذه الأخيرة مصطلحاً جديداً متخصصاً : TECHNOLOGY) (ا م).

يتميز "الفنان" artist إذن ، ضمن وجهة النظر الأساسية هذه ، ليس فقط عن "العالم" scientist و"التكنولوجي" technologist– وكل منهما فى أوقات سابقة كان ينطبق عليه وصف "فنان" – ولكن أيضاً عن حرفى وصانع يدوى craftsman

وعامل ماهر "skilled worker" الذين هم الآن عمال operatives حسب تعريف وتنظيم العمل WORK (ا م) المحدد. بينما يتم التوكيد على هذه الفروقات العملية ضمن طريقة الإنتاج المفترضة، تكتسب "فن" art و"فنان" artist تداعيات أكثر عمومية (وأكثر غموضاً)، عارضة التعبير عن اهتمام إنسانى (أى غير نفعي) عام، فى الوقت الذي، للمفارقة، تعامل فيه معظم أعمال الفن "works of art" كسلع ، ويعامل معظم الفنانين artists فعلياً كفئة من الحرفيين أو العمال المهرة ، تنتج نوعاً معيناً من السلع الهامشية، حتى عندما يدعون عن حق أهدافاً مختلفة تماما.

انظر: AESTHETIC جمالى، CREATIVE خلاق، CULTURE ثقافة، GENIUS عبقرى، INDUSTRY صناعة، SCIENCE علم، TECHNOLOGY تكنولوجيا

سلوك BEHAVIOUR

لا تزال behave كلمة لافتة جداً وتشكل بعض الصعوبات. كانت هناك behabban (ا ق) وتعنى يحتوى to contain، من (س م) be – حول، habban – يمسك hold. لكن يبدو أن الكلمة الحديثة دخلت اللغة الإنجليزية للمرة الأولى فى ق ١٥ كنوع من التقييد للفعل have (قارن sich behaben فى الألمانية). وخاصة فى المعنى الانعكاسى لـ "أن يمسك المرء (يتحمل) نفسه" "to have (bear) oneself". فى أمثلة من ق ١٦ استعمل الفعل الماضى behad. المعنى الرئيسى الذى برز هو سلوك أو تصرف عام: ربما يكون التحديد الحديث الأقرب لذلك هو deportment أو المعنى الخاص (من ق ١٦) لتقاليد manners (قارن mannerly من ق ١٤). فى الفعل لا يزال هذا هو المعنى السائد ولا تزال "behave (yourself)" تعنى فى العامية "أن تتصرف تصرفاً حسناً"، بيد أن "behave badly" تعنى أن تتصرف بشكل سيئ. فى مسار تطور الكلمة من معناها الأصلى المحدد نسبياً والمبجل كسلوك عام (الذى لاحظه جونسون Johnson مع تركيز على ما هو

خارجي) إلى مصطلح يلخّص، في معنى أخلاقي عام، سلسلة كاملة من النشاطات. اكتسبت behave غموضاً معيناً، وأصبح هذا مهما ، بشكل خاص ، في تطوّر سلوك behaviour المصاحب لذلك، لا يزال استعمال الاسم للإشارة إلى السلوك العام أو، بمعنى أخلاقي، إلى سلسلة عامة من النشاطات ، شائعاً بقدر كاف ؛ المثال الكلاسيكي هو: When we are sick in fortune، often the surfeits of our own behaviour "إذا ما اعتل الدهر بنا، غالبا لإفراط منا في سلوكنا" (الملك لير الفصل١، المشهد٢). لكن التطوّر الحاسم هو الاستعمال الحيادي للتعبير ، دونما أية تضمينات أخلاقية ، لوصف الطرق التي يقوم بها شخص أو شيء بفعل أو (رد فعل) في حالة محددة. بدأ هذا في الوصف العلمي في ق ١٣ لكنه لم ينتشر قبل ق ١٩. يبدو أن التحول الحاسم حدث في أوصاف الأشياء المادية التي حملت مفهوماً واضحاً لفكرة الملاحظة observation التي ترتبط على الأرجح بالمعنى الرئيسي السابق ، الذي يدل على سلوك عام تحت المراقبة observable. بالتالي: "لنشاهد ... سلوك الماء الذي يجف من ساحل منبسط من الوحل" (هكسلي Huxley، ١٨٧٨). استعمل التعبير بالنسبة للنباتات والكائنات الحية الدنيا والحيوانات، وبحلول ق ١٩ كانت شائعة الاستعمال بمعناها الحالي: "النشاط الواضح خارجياً للكائن الحي ككل" (قارن سلوك الحيوانات "animal behaviour" ومرادفتها المتخصّصة ethology علم سلوك الحيوانات ؛ كانت الاثولوجيا قد عرّفت في السابق كـ "قيام الحيوانات بالتقليد" mimicry، ق ١٧ ؛ علم الأخلاق ethics، ق ١٨ ؛ علم الشخصية character (مل Mill، ١٨٤٣). واضح هنا التسلسل من تعاريف أخلاقية إلى حيادية كما هو واضح بالنسبة لسلوك behaviour، ويمكن بالطبع ملاحظته أيضاً في شخصية character).

نجم معنى معيّن من التوسّع في منهج العلوم البيولوجية والطبيعية واستعمل في مدرسة ذات نفوذ في علم النفس وصفت نفسها (واتسون Watson، ١٩١٣) بـ "السلوكية" behaviourist و(بعد فترة وجيزة) المدرسة السلوكية behaviourism. اعتبر علم النفس "فرعا من العلوم الطبيعية : موضوعيا وتجريبيا" (واتسون)، واستثنيت المعطيات ذات الصبغة "الذهنية أو التجريبية" على أنها غير علمية.

النقطة الأساسية فى هذا التعريف كانت مفهوم "قابل للملاحظة" التى كانت محصورة فى البداية على "قابل للقياس بطريقة فيزيائية موضوعياً"، لكن عدلتها تطورات لاحقة ، كانت لا تزال تسمى سلوكية أو سلوكية حديثة neo-behaviorist (سجل استعمال neo، يونانية – جديد new ، لتوضيح صيغة جديدة أو مراجعة لمبدأ منذ ق ١٣ ، لكن أصبحت شائعة جداً من أواخر ق ١٩) ، إلى "ممكن قياسه بطريقة تجريبية"، وفى ذلك اعتراف بأنواع مختلفة من المعطيات "الذهنية" و"التجريبية" (قارن SUBJECTIVE ذاتية) تحت شروط ملاحظة حاكمة". ربما كان أكثر أهمية من النقاش المنهجى داخل علم النفس ، التوسّع، من هذه المدرسة ومن عدة اتجاهات اجتماعية وثقافية تمت لها، فى معنى سلوك فى دلالته الجديدة الشاملة لكل نشاط (ملحوظ)، وعلى الخصوص النشاط الإنساني، باعتباره "تفاعلا" interaction بين "متعضي" (organism) وبيئته environment، وكان عادة ما يحدّد كحافز stimulus واستجابة response. فى عدد من المجالات لم يكن لهذا أثر فى حصر دراسة النشاط البشرى فقط، وإنما كذلك طبيعته فى تفاعلات تحدّدها DETERMINED (ا م) البيئة، ومفاهيم أخرى مثل "النية" أو "الغرض" إما رفضت أو عوملت فى أحسن الأحوال كثانوية، والتركيز الطاغى دائماً هو على النتيجة (الملحوظة): السلوك. فى العلوم الإنسانية وفى حقول اجتماعية تطبيقية (بعيدة عن الحيادية) كثيرة مثل الاتصالات COMMUNICATIONS (ا م) والإعلان advertising (التى تطورت من معناها العام كإشعار notification، من ق ١٥، إلى نظام تأثير منظم فى سلوك المستهلك CONSUMER (ا م)، خصوصاً من أواخر ق ١٩)، تطور معنيا "الحافز و" الاستجابة" ، اللذين يتسمان نسبياً بالحيادية الفيزيائية ، إلى نظام اختزالى من السلوك المحكوم كملخّص لكل النشاط الإنسانى المهم. (controlled محكومة، مضبوطة، هى كلمة لافتة بسبب التداخلات بين شروط تجربة قابلة للملاحظة – تطورت من مفهوم ونظام مراجعة فى المحاسبة التجارية، من ق ١٥ – وظروف ممارسة كبح أو سلطة على آخرين. أيضاً من ق ١٥. يبقى المعنيان منفصلين ، لكن كان هناك تنقل فعلى بينهما.) النتيجة الأهم هى وصف ممارسات وأنظمة إنسانية معينة ، فيها "قصد" وغرض . وكذلك حوافز "صنعية" و

"موضوعية" ممكن تصنيف الاستجابات لها على أنها normal "سـويّة"، "شـاذة" abnormal أو "منحرفة" deviant. هكذا يمكن إضعاف معنى اسـتجابة "ذاتيـة" أو "مستقلة" independent (إما بشكل عام أو بمعنى كونهـا خـارج شـروط نظـام مفترض) بما لذلك من نتائج هامة فى السياسة وعلم الاجتماع (قارن "مجموعـات منحرفة"، "سلوك سياسى منحرف")، فى علـم الـنفس (قـارن RATIONALIZAION تسويغ) وفى فهم الذكاء أو اللغة (سلوك لغوي) حيث يجرى هناك الآن جدال هـام بين مفهوم أوسع للتفسيرات السلوكية وتفسيرات مبنية على تعـابير مثـل توليديـة generative وإبداعية CREATIVE (ا م).

بمعزل عن هذه المحاولات المحورية والمحدّدة فإنه يبقى مهمـاً أن تعبيـراً للسلوك العام أمكن تطوره إلى تعبير هو الأكثر استعمالاً والأكثر حيادياً فى الظاهر لكل أنواع النشاطات.

برجوازى BOURGEOIS

كلمة Bourgeois صعبة جداً فى الإنجليزية: أولاً رغم أنها شائعة الاستعمال فهى لا زالت كلمة فرنسية بشكل واضح، "أنجلزتها" السابقة كانت إلـى burgess، مـن burgeis (فرنسية قديمة) ومـن burgeis (إنجليزيـة وسـطي)، burges، (borges) – ساكن قصبة، وظلت ثابتة بمعناها الأصلى المحـدود ؛ ثانيـا، لأنهـا ترتبط بشكل خاص بالطرح الماركسى الذى قد يجذب عداءاً ونبذاً (ومن المناسـب هنا أنه فى هذا السياق لا يمكن ترجمة bourgeois ترجمـة دقيقـة إلـى الصـفة الإنجليزية المألوفة وسطى الطبقة "middle-class") ؛ ثالثاً، لأنها توسّعت، خاصـة فى الإنجليزية فى السنوات العشرين الأخيرة، جزئياً من هذا المعنى الماركسـى ، لكن بشكل رئيسى من المعانى الفرنسية الأسبق، إلى تعبير عام ، وغالبـاً مـبهم ، للازدراء الاجتماعي. لفهم هذا المدى من المعانى من الضرورى تتبّع تطور الكلمة

في الفرنسية وملاحظة صعوبة خاصة في ترجمة الكلمة الألمانية bürgeslich إلى كل من الفرنسية والإنجليزية.

في ظل النظام الإقطاعي في فرنسا كان bourgeois تصنيفاً قضائياً في المجتمع يتحدّد بشروط مثل مدة الإقامة. كان التعريف الأساسي هو لمواطن ثقة، طريقة حياته في آن مستقرة وغير مدين. تصدر المعاني المبكرة المناوئة من رتبة اجتماعية أعلي: ازدراء أرستقراطي لتوسط mediocrity البرجوازي توسع، خاصة في ق ١٨، إلى ازدراء فلسفي وثقافي للحياة والأفكار المحدودة وإن كانت مستقرّة لهذه الطبقة "الوسطي" (كان هناك استعمال إنجليزي موازٍ في ق ١٧ و ق ١٨ "لمواطن" citizen واختصارها "cit"). كان هناك ربط مستمر للبرجوازي بالتجارة، لكن للنجاح كبرجوازي وللعيش حياة برجوازية bourgeoisement كان المعنى الأفضل هو التقاعد والعيش على الدخل المستثمر. كان المنزل البرجوازي هو المنزل الذي لا تدار فيه تجارة أو مهنة (استثنى فيما بعد المحامون والأطباء).

كان للنمو المستمر في الحجم والأهمية لهذه الطبقة البرجوازية في قرون التوسع التجاري نتائج عظيمة في الفكر السياسي، والتي بدورها كان لها تأثير مهم ومعقد على الكلمة. تم التعبير عن مفهوم جديد للمجتمع SOCIETY (ا م) وترجم ذلك في الإنجليزية، خاصة في ق ١٧، كمجتمع "مدني" "civil"، لكن مرادفات هذه الصفة كانت، وفي بعض النواحي لا تزال، هي الفرنسية bourgeois والألمانية bürgerlich. في استعمالات إنجليزية لاحقة تمت ترجمة هاتين كبرجوازي بمعنى ق ١٩ الأكثر تحديداً مما أدى في الغالب إلى تشويش.

قبل المعنى الماركسي المحدّد، أصبحت برجوازي تعبير ازدراء ، إلا أنها كانت أيضاً تعبير احترام ممن هم دون ذلك. العامل النازح أو الجندي اعتبر البرجوازي الراسخ نقيضه ؛ العامل العادي اعتبر البرجوازي الرأسمالي موظِّفاً. هكذا توطد تماماً البعد الاجتماعي للاستعمال اللاحق بحلول أواخر ق ١٨، بالرغم من أن الازدراء الأرستقراطي والفلسفي المختلفين جوهرياً كان لا يزال مفهوماً فعّالاً.

كان تعريف المجتمع البرجوازى مفهوماً مركزياً لدى ماركس، لكن كان التعبير خاصة فى بعض أعماله المبكرة غامضا، حيث أنه بالنسبة لهيجل كان "مجتمع مدني" تعبيراً هاماً يجب تمييزه عن الدولة STATE (ا م)، بينما استعمل ماركس – وفى النهاية زاوج – المعانى الأولى واللاحقة. يتبع مفهوم ماركس الجديد للمجتمع البرجوازى الاستعمال التاريخى الأسبق، من مواطنين مستقرين وغير مدينين إلى طبقة متنامية من التجّار والمقاولين entrepreneurs وأرباب العمل. ارتكز هجومه على ما أسماه النظرية السياسية البرجوازية (نظرية المجتمع المدني) على ما اعتبره مفاهيم ومؤسسات لها توصف زيفا بأنها شاملة بينما هى فى الحقيقة مفاهيم ومؤسسات مجتمع برجوازى معين: أى مجتمع أصبحت فيه البرجوازية bourgeoisie (اسم الطبقة الآن هو أكثر أهمية) أو فى طورها أن تصبح سائدة. أدّت مراحل مختلفة من المجتمع البرجوازى إلى مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الاقتصادى الرأسمالى CAPITALIST (ا م) أو، كما صيغت فيما بعد بطريقة أدق، أدت مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الرأسمالى إلى مراحل مختلفة فى المجتمع البرجوازى ومن ثم أفكار برجوازية، شعور برجوازي، أيديولوجيا برجوازية، فن برجوازي. بمفهوم ماركس دخلت الكلمة الاستعمال العام، لكن فى الغالب يصعب فصلها فى بعض النواحى عن الازدراء الأرستقراطى والفلسفى المتبقى، ومن شكل لاحق سائد بشكل خاص بين الفنانين والكتّاب والمفكّرين خارج المؤسسة الذين قد لا يؤيدون – وفى الغالب لا يؤيدون – تعريف ماركس المركزى ولكنهم يحتفظون بمعنى المناوأة القديم ضد المحترمين والراسخين (من المتوسطين mediocre).

تعقيد الكلمة إذن واضح. هناك مشكلة حتى فى الاستعمال الماركسى الدقيق كون الكلمة نفسها "برجوازي" استعملت لوصف مراحل وفترات من التطور الاجتماعى والثقافى متميزة تاريخيا. فى بعض السياقات لا بد وأن يكون هذا على وجه الخصوص مشوشا: بوضوح الايدولوجيا البرجوازية لمواطنين مستقرين مستقلين ليست مثل الايدولوجيا البرجوازية لعمال مؤسسة شبه قومية كثيرى التنقل. تمييز "برجوازى صغير" petit bourgeois هو محاولة لإبقاء الخواص التاريخية

السابقة، لكن يستعمل التعبير أيضاً لتصنيف محدّد ضمن مجتمع أكثر تعقيداً وحركة. كذلك هناك مشاكل فى العلاقة بين برجوازى ورأسمالى capitalist اللذين يستعملان دونما تمييز لكن لدى ماركس، يتم التفريق بينهما بشكل رئيسى على أنهما تعبيران ، أحدهما اجتماعى والآخر اقتصادي. هناك صعوبة محدّدة فى وصف الرأسماليين ممن هم ليسوا من أهل المدن (مثلا، أرباب العمل الزراعيين الرأسماليين) كبرجوازيين ، لما لهذه الكلمة من آثار المفهوم المديني، رغم أن العلاقات التى يقيمونها تجرى حسب مفهوم ق ١٩ المتطور. هناك أيضاً صعوبة فى العلاقة بين وصف المجتمع البرجوازى ووصف البرجوازية كطبقة. طبقاً لماركس ، المجتمع البرجوازى هو مجتمع تكون فيه الطبقة البرجوازية سائدة، لكن قد تكون هناك صعوبات فى الاستعمال، مرتبطة ببعض خلافات التحليل الأكثر حدّة، عندما تستعمل نفس الكلمة لكل المجتمع الذى تسود فيه طبقة واحدة (لكن الذى توجد فيه بالضرورة طبقات أخري) وتستعمل كذلك لطبقة محددة ضمن هذا المجتمع. نلاحظ الصعوبة بشكل خاص فى استعمالات "برجوازي" كصفة لممارسة لم يتم تصنيفها داخل المضامين الاجتماعية والاقتصادية الواصفة للبرجوازية.

• هكذا فليس من المدهش أن هناك مقاومة لاستعمال الكلمة فى الإنجليزية لكن يجب القول إنه ليس هناك بديل فعلى فى الإنجليزية لمعانيها الدقيقة فى الطرح الماركسى أو التاريخى أو السياسي. تفى ترجمة طبقة متوسطة middle-class بمعظم معانى ما قبل ق ١٩ فى الإشارة إلى نفس النوع من الناس وطرق حياتهم وأفكارهم كما كان يفهم من برجوازى ومن مواطن، ومن مدنى ؛ كانت استعمالات "citizen" و "cit" العامة شائعة حتى أواخر ق ١٨، لكن تقلّصت بعد ظهور middle-class فى أواخر ق ١٨. رغم أن طبقة وسطى middle-class (انظر CLASS) تعبير حديث، إلا أنها تستند إلى تقسيم ثلاثى قديم للمجتمع – عالي، متوسط، أدنى – كان له أهمية قصوى فى المجتمع الإقطاعى وما بعد الإقطاع مباشرة ، والتى حسب الاستعمالات اللاحقة لم تكن ملائمة أو ملائمة لكن بشكل قاصر ، كوصف لمجتمع برجوازى متطوّر أو كامل التكوين. الطبقة الحاكمة ruling class التى هى المفهوم الاشتراكى للبرجوازية فى سياق الوصف التاريخى

للمجتمع الرأسمالى المتطور ، لا تمثلها بسهولة أو وضوح الطبقة الوسطي، المختلفة جوهرياً. لهذا السبب، خاصة فى هذا السياق ورغم الصعوبات، ستستمر الحاجة إلى استعمالها.

انظر : CAPITALIST رأسمالى، CIVILIZATION حضارة، CLASS طبقة، SOCIETY مجتمع

بيروقراطية BUREAUCRACY

تظهر بيروقراطية فى الإنجليزية من وسط ق ١٩. كتب كارلايل Carlyle فى *Latter-Day Pamphlets* (١٨٥٠) عن "الإزعاج الأوربى المسمى "بيروقراطية"، وكتب ملْ Mill فى ١٨٤٨ عن عدم المصلحة فى تركيز كل سلطة العمل المنظم فى "بيروقراطية مهيمنة". فى ١٨١٨ كتبت السيدة مورجان Morgan مستخدمة صيغة أقدم، عن "البيروقراطية (bureaucratie) أو طغيان المكتب، التى عن طريقها حُكمت ايرلندا لأمد طويل". اشتقت الكلمة من (س م) "bureaucratie"، فرنسية، من (س ب) "bureau" – منضدة كتابة ثم مكتب. كان المعنى الأصلى لـ bureau هو "بيز" "baize" نسيج أخضر مخملى تكسى به الطاولات. يرجع الاستعمال الإنجليزى لـ bureau كمكتب إلى أوائل ق ١٨ ؛ أصبحت أكثر شيوعاً فى الاستعمال الأمريكي، خاصة فيما يتعلق بالفروع الخارجية، حيث التأثير الفرنسى سائد. أنتج الحجم المتزايد للتنظيم التجاري، والذى جاراه ازدياد فى التدخل الحكومى والضبط القانونى ، وكذلك ازدياد أهمية الحكومة المركزية المنظمة والمهنية، حقائق سياسية يدل عليها التعبير الجديد. لكن كان هناك عندئذ تفاوت كبير فى تقويم تلك الحقائق. فى التناول الإنجليزى والشمال أمريكى استعمل التعبير الأجنبى "بيروقراطية" لإيضاح جمود أو سلطة الإدارة العامة المفرطة، بينما استعملت خدمة عامة public service وخدمة مدنية civil service لإيضاح النزاهة والمهنية المتجردة. فى ألمانيا كان لـ bureaucratie فى الغالب معنى إيجابياً، كما ورد عند شمولر Schmoller

("بمعزل عن الحكومة الملكية، العنصر الحيادى الوحيد فــي حــرب الطبقــات")، ومنحها فيبر Weber معنى إضافياً: العقلانية المؤسسة قانونياً. لا يزال يمكن لتباين التعبيرات أن يشوش تفاوتات التقويم وكذلك التمييزات بين النظم السياسية المتعــددة فى الغالب ، التى يمكن أن يخدمها جهاز من الموظفين العامين public servants أو بيروقراطية. علاوة على ذلك، كان هناك استعمال أعم لبيروقراطيــة ، لا يوضــح بطريقة سلبية طبقة الموظفين فحسب وإنما أيضا أنماطــاً معينــة مــن الترتيــب الاجتماعى الممركز الذى هو من نوع حديث منظّم، فى تمييز له ليس فقــط عــن المجتمعات الأرستقراطية القديمة ولكن أيضاً عن الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) الشعبية. هذا مهم فى الفكر الاشتراكى حيث مفهوم "مصلحة عامة" public interest معّرض بشكل خاص للتفاوت بين "خدمة عامة" public service و"بيروقراطية" .

بطريقة أقرب إلى الواقع المحلــي، تســتعمل بيروقراطيــة للإشــارة إلــى الرســميات المعقدة للإجراءات المكتبية حسب وصــف جريــدة *Daily News* فــى ١٨٧١ : "الوزارة ... بكل روتينها من أشرطة، شمع، أختام ومكتبية bureauism". هناك أيضاً حيّز من الالتباس بين نوعين من الدلالة كما يلاحظ من ســك تعــابير أكثر حياديــة مثــل "طــرق عمــل" business methods ونظــام مكتبــى office organization للاستعمال التجاري، والاحتفاظ ببيروقراطية فى الغالب لإجــراءات مطابقة أو مشابهة فى الحكومة.

انظر : MANAGEMENT إدارة، DEMOCRACY ديمقراطية

رأسمالية CAPITALISM

بدأت تظهر capitalism رأسمالية ككلمة تصف نظاماً اقتصاديا معينــاً فــى الإنجليزية من أوائل ق ١٩؛ وتقريباً فى نفس الوقت فــى الفرنســية والألمانيــة. رأسمالى capitalist أقدم قليلاً ؛ استعملها آرثر يــنج Arthur Young فــى يومياتــه *Travels in France* (١٧٩٢) لكن بشــكل فضــفاض نســبياً: "رجــال المــال أو الرأسماليون". استعملها كولردج بالمعنى المتطــوّر – "الرأســماليون ... ينــالون

العمالة عند الطلب" – فى *Tabletalk* (١٨٢٣). كتب توماس هوجْسكن Hodgskin فى *London Defended Against the Claims of Capital* (١٨٢٥): "كل رأسماليى أوربا ومعهم كل رأسمالهم المتداول لا يستطيعون ، معتمدين على أنفسهم ، تموين طعام وملابس أسبوع واحد"، ومرة أخرى : "بين من ينتج الطعام ومن ينتج الملابس، بين من يصنع الآلات ومن يستعملها يتدخّل الرأسمالى الذى لا يصنعها ولا يستعملها ويستولى على إنتاج كل منهم". هذا بوضوح وصف "نظام" اقتصادي.

كان المعنى الاقتصادى لـ capital "رأسمال" موجوداً فى الإنجليزية من ق ١٧ وفى شكل متطور تماماً من ق ١٨. تذكر دائرة معارف Chambers تشامبرز: *Cyclopedia* (١٧٢٧-٥١) : "أعطى البرلمان لشركة بحر الجنوب South-Sea صلاحية زيادة رأسمالها"، وتعريف "رأسمال متداول" circulating capital موجود عند آدم سميث (١٧٧٦) .اكتسبت الكلمة هذا المعنى المتخصص من المفهوم العام لـ "رئيس" أو زعيم chief : (س م) capital، فرنسية، capitalis، لاتينية، (س ب) "caput"، لاتينية – رأس. كانت هناك معان متخصصة كثيرة مشتقة ؛ إذ تطوّر المعنى الاقتصادى من اختصار للعبارة "رأسمال الشركة" capital stock: ممتلكات مادية أو اعتماد مالي. فى الاقتصاد الكلاسيكى عُرفت ووُصفت وظائف رأس المال وحددت أنواع مختلفة من رأس المال.

تمثّل رأسمالية capitalism تطوّرا للمعنى فى أنها كانت تستعمل باضطراد للدلالة على نظام اقتصادى تاريخى ومعيّن ، بدلاً من مجرد أى نظام اقتصادي. كانت capital "رأسمال" وفى البداية capitalist (رأسمالي) مصطلحين تقنيين فى أى نظام اقتصادي. اتجهت استعمالات capitalist رأسمالى المتأخرة (أوائل ق ١٩) نحو وظائف محدّدة فى مرحلة معينة من التطور التاريخى . إن هذا الاستعمال هو الذى تبلور فى "رأسمالية" capitalism. كان هناك مفهوم الرأسمالى كوسيط متحكّم لكن عديم الجدوى بين المنتجين ، أو كمستخدم للعمالة ، أو فى النهاية كمالك لوسائل الإنتاج. اخيرا تضمن ذلك، خاصة عند ماركس، تمييزا بين "رأسمالية" كتصنيف اقتصادى رسمى وبين "رأسمالية" كنوع معين من الملكية المركزية

لوسائل الإنتاج إضافة إلى احتفاظها بنظام العمالة المأجورة wage-labour. فى هذا المفهوم الرأسمالية هى نتاج مجتمع برجوازى فى تطور ؛ هنـاك أنـواع مبكـرة للإنتاج الرأسمالى لكن الرأسمالية كنظام – ما يسميه ماركس "الحقبة الرأسمالية" – لا تبدأ إلا من ق ١٦ ولم تصل مرحلة الرأسمالية الصناعية حتـى أواخـر ق ١٨ وأوائل ق ١٩.

هناك جدل كبير حول تفاصيل هذا الوصف وبالطبع حـول مزايـا النظـام وطريقة عمله، لكن من أوائل ق ٢٠ كان لرأسمالية capitalism فى الإنجليزية وفى معظم اللغات مفهوم نظام اقتصادى مميز ، يمكن مقارنته بنظم أخرى : كمصـطلح لا يبدو أن "رأسمالية" كانت أقدم من ١٨٨٠ عندما بدأت تسـتعمل فـى الكتابـات الاشتراكية الألمانية، وتوسعت من ثم إلى كتابات أخرى غير اشـتراكية. يبـدو أن استعمالاتها الإنجليزية والفرنسية الأولى لا ترجع إلا إلى السنوات الأولـى مـن ق ٢٠. فى منتصف ق ٢٠ وفى ردة فعل ضدّ الطرح الاشتراكى استبدل المـدافعون عن النظام بالكلمتين "رأسمالية" و"رأسمالي" تعابير مثل "مشاريع خاصـة" private enterprise ومشاريع حرة، غير خاضعة لضـبط حكـومى free enterprise. فـى استعادة لبعض ظروف الرأسمالية الأولى طبق هذان التعبيران دون تـردد علـى مؤسسات كبيرة جداً أو شبه حكومية (عامة)، أو على نظام اقتصادى تتحكم فيه هذه المؤسسات. فى أحيان أخرى يتم الدفاع عن الرأسمالية تحت مسمّاها الشـائع الآن. كذلك تطوّر استعمال "ما بعد رأسمالى post-capitalist وما بعد رأسـمالية" post-capitalism لوصف تعديلات فى النظام مثل نقل التحكم المفتـرض مـن حـاملى الأسهم إلى الإدارة المهنية، أو الوجود الإضافى فى نفس الوقت لصناعات معينـة مؤممة NATIONALIZED (ا م) أو "مملوكة للدولة". تعتمد جدارة هـذه الأوصـاف بالتصديق على تعريف "رأسمالية" التى اختيرت لتعديله. رغم أنها تعـدل أنواعـا معينة من الرأسمالية فإنها هامشية فيما يتعلق بالمفهوم المركزى للنظام. فى وسـط ق ٢٠ استعملت بشكل واسـع عبارة جديدة "رأسـمالية الدولـة state-capitalism، ولهـا سوابق من أوائل ق ٢٠، لوصف أنواع من ملكية الدولة لم تتغيـر فيهـا

الشروط الأصلية للتعريف – ملكية مركزية لوسائل الإنتاج موصلة إلى نظام عمالة مأجورة.

من الضروري أيضاً ملاحظة توسع الصفة "رأسمالي" **capitalist** لتشمل المجتمع ككل ، أو جوانب منه يسود فيها الاقتصاد الرأسمالي. يوجد هنا تشابك شديد وتشويش من وقت لآخر بين "رأسمالي" **capitalist** و"برجوازي" **BOURGEOIS** (ا م). فى الاستعمال الماركسى الدقيق "رأسمالي" هو وصف لأسلوب الإنتاج و"برجوازي" وصف لنوع من المجتمع. فى الجدال حول العلاقة بين وسيلة الإنتاج ونوع المجتمع تنشأ ظروف التشابك فى المعنى.

انظر : **BOURGEOIS** برجوازى، **INDUSTRY** صناعة/ جهد، **SOCIETY** مجتمع .

مهنة/سيرة **CAREER**

تستعمل كلمة **career** الآن بانتظام لوصف تقدم الإنسان فى الحياة أو، اشتقاقاً من ذلك، مهنته **profession** أو وظيفته **vocation** لدرجة أنه من الصعوبة، فى نفس السياق، تذكّر معنييها الأصليين: مضمار سباق **racecourse** وعدو **gallop** رغم بقاء أثرهما فى بعض السياقات كما فى عبارة **careering about** (عدو، انطلاق، لكن مع **about** فى ذلك تباطؤ) .

ظهرت كلمة **career** فى الإنجليزية من أوائل ق ١٦، من (س م) **carriere**، فرنسية، مضمار سباق، (س ب) **carraria** لاتينية – طريق عربات، من **carrus**، لاتينية – عربة. استعملت من ق ١٦ للمضمار والعدو وتوسع مدلولها إلى أى نشاط سريع متواصل، رغم أنها استعملت بطريقة حيادية كما فى مسار الشمس، إلا أن لها معنى سائداً فى ق ١٧ وق ١٨ ليس لنشاط سريع فقط ولكن أيضاً غير مقيّد. كمثال، ليس من السهل التأكد من تغيّر الفحوى بين استعمال فى ١٧٦٧ – "فاتنة ... فى سيرها الحثيث لتحقيق انتصاراتها" " **a ... beauty... in the career of her**

"conquests" واستعمال ماكولى Macaulay فى ١٨٤٨ : "فى انطلاقة النجاح التامة "in the full career of success". لكن الأرجح أنه من أوائل ق ١٩ بدأ الاستعمال الذى لا يتضمن انتقاصاً، خاصة فيما يتعلق بالدبلوماسيين ورجال الدولة. بحلول منتصف ق ١٩ أصبحت الكلمة شائعة كدالّ على التقدم فى المهنة ومن ثم المهنة نفسها.

عند هذه النقطة، خاصة خلال ق ٢٠، يصعب فصل career عن مجموعة كلمات صعبة أوضح أمثلة لها عمل WORK، شغل LABOUR (ام م) ومهمة job، خاصة الأخيرة. لا تزال career تستعمل بمفهوم السياسيين والمرفهين المجرّد والمثير، لكن فى الأعم تستعمل، مع بعض التمييز الطبقي المقصود أو غير المقصود، بمعنى عمل work أو مهمة job الذى يتضمّن شيئاً من الأمل فى التقدم. استعملت بشكل عام للمهن jobs التى تتضمن تطوّراً داخلياً واضحاً – "عمل career فى الخدمة المدنية" – لكن تم توسيع مدلولها ليشمل أية وظيفة مرغوبة أو مفضّلة أو ممتدحة – "مهنة career فى استخراج الفحم". تتضمّن career فى العادة الاستمرارية وإن لم يكن بالضرورة الترقية أو التقدم، ومع ذلك فإن التمييز بين career وjob يعتمد جزئياً فقط على ذلك ويرتبط غالباً بالتمايز الطبقى بين أنواع مختلفة من العمل. من ناحية أخرى يلغى أحياناً هذا الارتباط، توسيع مدلول التعبير، كما فى "إرشاد وظائف careers advice"، وهناك وصف أمريكى لـ "العمال workers شبه المهرة" بأن لهم "مسار مهنة ثابت flat career trajectory".

من اللافت أن شيئاً مشابهاً للاستعارة الأصلية بمفهومها الانتقاصى المرتبط بـ ق ١٧ و ق ١٨ عاود الظهور فى وصف مجالات العمل والترفيه كسباق جرذان. لكن بالطبع يظل المعنى الانتقاصى حاضراً فعلاً فى الكلمتين المشتقّتين careerism التعلق بالمهنة و careerist اللاهث وراء المهنة اللتين يتم إبقاؤهما بعيداً عن مدلولات career الإيجابية. سجلت careerist من ١٩١٧ و careerism من ١٩٣٣ ؛ أشارت الاستعمالات الأولى للسياسة البرلمانية.

انظر : LABOUR شغل ، WORK عمل

إحسان/بر CHARITY

دخلت كلمة charity الإنجليزية في ق ١٢ من (س م) charité، فرنسية قديمة، caritas، لاتينية، (س ب) carus – عزيز. اكتسبت الصيغ اللاتينية للكلمة مفهوم ارتفاع الثمن(dearness) بالإضافة إلى العطف (وهو ارتباط تكرر واستمر في dear عزيز نفسها من الفرنسية القديمة فصاعداً). لكن الاستعمال السائد لاحسان كان في سياق الإنجيل. (تم تمييز اليونانية agape الحب إلى dilectio وcaritas في الترجمة اللاتينية للإنجيل Vulgate، وترجم وكليف Wycliff الكلمتين كحب وإحسان. ترجم تنديل Tyndale "caritas" كحب، وفي النزاع العقائدي العنيف في ق ١٦ انتقدت هذه الترجمة واختيرت "إحسان" الكنسية كترجمة أفضل في إنجيل بيشوب Bishop ثم في النسخة المعتمدة *The Authorized Version*. كانت "حب" هي إحدى الكلمات الأساسية للنسخة المعدّلة للإنجيل *Revised Version* في ق ١٩). كان الإحسان إذن حباً مسيحياً بين الإنسان والإله وبين الناس وجيرانهم. كان مفهوم البر بالجيران ، وبشكل خاص العطايا للمحتاجين مبكراً أيضاً لكن كان ذلك يتعلق مباشرة بمفهوم الحب المسيحي، كما في الاستعمال البوليني (نسبة إلى الرسول بولص Paul) : "رغم أني أمنح كل ممتلكاتي لإطعام الفقراء ... ولا أمتلك النزعة لعمل الخير فإن ذلك لا يفيدني شيئاً" (1 Corinthians 13" الرسالة الأولى إلى الكورنثيين) ، حيث لا قيمة للفعل دونما إحساس به. مع ذلك ، فإن إحسان ، في مفهومها السائد ، كمعونة للمحتاجين ، برزت بشكل مضطرد ؛ كانت على الأرجح سائدة فعلاً في ق ١٦ وتم استعمالها بمفهوم تجريدي جديد من أواخر ق ١٧ وأوائل ق ١٨. أنشئت أول " مبرة" charity كمؤسسة بحلول أواخر ق ١٧. استمرت بالطبع هذه المفاهيم.

لكن هناك توجهًا آخر للكلمة. كانت العبارة charity begins at home ينشأ الإحسان في البيت" مقولة شعبية في أوائل ق ١٧ ولها سوابق من ق ١٤. أكثر أهمية هي عبارة "بارد مثل الإحسان" cold as charity ، التي هي عكس لافت لما كان على الأرجح الاستعمال الأصلي (إنجيل متى، الإصحاح ٢٤)، حيث التنبؤ بـ "حروب وإشاعات عنها" ، وبظهور "أنبياء كثير "أدعياء"، ثم يتوج ذلك : "لأن

الجور سيعم" فإن حب الكثيرين سيزداد برودة". هذا هو المفهوم المسيحى العام. استُعملت ترجمات أسبق (مثلاً، ريميش Rhemish، ١٨٥٢) : "إحسان الكثير سيزداد بروداً". كتب براون Brown (١٦٤٢) عن "الشكوى العامة هذه الأيام أن الإحسان يزيد برودة". بحلول أواخر ق ١٨ انعكس المعني. ليس هو الآن مفهوم نضوب أو جمود الحب أو البر ؛ إنه المفهوم الأكثر تشويقاً ، المرتبط بماهية شعور متلقى عمل الإحسان ، من الخبرة المطولة مع تقاليد وأساليب معظم المؤسسات الخيرية. ظل هذا المفهوم مهما جداً ولا يزال بعض الناس يعلنون أنهم "لا يتلقون إحساناً" take charity، حتى من صناديق الأموال العامة public funds التى أسهموا هم أنفسهم فيها. صحيح أن هذا يتضمن شعوراً مستقلاً ضد تقبل عون الآخرين ، لكن المقت الذى يتخلل الإحسان فى هذا السياق ينبع من شعور جريح بالكبرياء واحترام الذات ، ويرجع تاريخياً إلى تداخل الإحسان مع الشعور الطبقى من كلا جانبى عمل الإحسان. علامات حاسمة لهذا التداخل هى حصر الإحسان على الفقراء المستحقين (ليس حب الجيران، لكن مكافأة على سلوك اجتماعى مستحسن) والحسابات فى الاقتصاد السياسى البرجوازى التى لخصها جافونز Javouns (١٨٧٨) كما يلى : "كل ما يصرّ عليه الاقتصاد السياسى هو أن يكون الإحسان ، فعلاً ، إحساناً وأنه لن يسيء إلى الذين يقصد مساعدتهم" (ليس التفريج عن ضائقة، لكن استعمالها الانتقائى للإبقاء على حافز للعمل المأجور). ليس مدهشاً أن الكلمة التى كانت فى وقت من الأوقات التعبير السائد لحب ورعاية الآخرين أصبحت (عدا سياقات خاصة، تبعاً للتعريف القانونى القائم للمؤسسات الخيرية) عرضة للشبهة لدرجة أنه يتوجب على الحكومات الحديثة إعلان مزايا الرفاهية welfare benefits (وفى الذهن تاريخ اجتماعى غنى خلف التمييز) على أنها "ليست إحساناً ولكن حقاً" not a charity but a right.

مدينة CITY

وجدت كلمة city فى الإنجليزية منذ ق ١٣ لكن يرجــع تــاريخ اســتعمالها الحديث المتميز للدلالة على بلدة town كبيرة جداً، وبدأ الاستعمال اللاحق للتفريــق بين المناطق المدنية والمناطق القروية أو الريفية فى ق ١٦. بوضوح ترتبط الدلالة والتمييز اللاحقين بالاهتمام المضطرد للحياة الحضرية من ق ١٦ فصــاعداً، لكــن حتى ق ١٩ انحصر هذا فى الغالب على العاصمة (المدينة الرئيسية capital city)، لندن. يتوافق الاستعمال العام مع التطور السريع فى الحياة الحضرية خلال الثــورة الصناعية التى جعلت إنجلترا بحلول منتصف ق ١٩ أول مجتمع يعيش غالبيته فى بلدات towns.

اشتقّت city من (س م) cité، فرنسية قديمة، (س ب) civitas، لاتينية لكن لم تكن civitas مدينة بالمعنى الحديث ؛ الكلمة التى كانت تؤدى هذا المعنى هى urbs، لاتينية. كانت civitas الاسم العام المشتق من civis، لاتينية تعنى مــواطن citizen، التى هى أقرب إلى مفهومنا الحديث لمواطن "national." كانــت civitas إذن هــى مجموع المواطنين بدلاً من مستوطنة معينة أو نوع من مستوطنة. بهــذه الطريقــة استعملها الكتّاب الرومانيون للإشارة إلى قبائل غال Gaul. فى تطوّر طويل ومعقّد أصبحت civitas والكلمات المشتقة منها محصورة فى البلدة الرئيسية للدولة وفــى الاستعمال الكنسى وصفت المدينة التى تضم كاتدرائية. فى الإنجليزية كــان هناك borough، (س م) burh، إنجليزية قديمة و town، (س م) tun، إنجليزيــة قديمــة. تطورت town من استعمالها الأصلى كمنطقة ضرب حولهــا ســياج، أو ســاحة لمجموعة مبانى فى هذه المنطقة (تبقى كذلك فى الأسماء الحديثة لبعض القــرى أو أجزاء منها) إلى بدايات معناهــا الحــديث فــى ق ١٣. أصــبحت borough وcity مترادفتين إلا أن هناك تمييزات قانونية متعدّدة بينهما ، فــى الفتــرات والأنــواع المختلفة للحكومة القروسطية وما بعد القروسطية. من ق ١٦ كان وجود كاتدرائية أحد مميزات city ولا يزال هناك إصرار متبق من ذلك لكنه خاطئ. عندما بــدأت city تتميز عن town فيما يتعلق بالمساحة، وذلك بشكل رئيسى من ق ١٩، رغــم

وجود سوابق بخصوص مدينة لندن من ق ١٦، كان لا يزال كل منهما يعتبر إدارياً borough، وأصبحت هذه الكلمة مرتبطة بنـوع معـين مـن الحكومـة أو الإدارة المحلّية. على أية حال، من ق ١٣ أصبحت city أعلى منزلة مـن town ؛ هكـذا استعملت فى الغالب بخصوص القرى الإنجيلية أو للإشارة إلى مستوطنة مثالية أو هامّة. بشكل أعـم، بحلول ق ١٦ استعملت بشكل منتظم بالنسبة للندن وفـى ق ١٧ شاع جداً التضاد بين مدينة city والريف country. بشكل عـام اسـتعملت City بمعناها المحدّد كمركز مالى وتجارى بنـاء على موقع فعلى داخل مدينة لندن من أوائل ق ١٨ عندما توسع بطريقة ملحوظة النشاط المالى والتجاري.

لم تتوطد تماماً city مدينة، بمفاهيمها الحديثة كتنظيم استيطانى متميـز فعـلا ودالّ على طريقة حياة مختلفة تماماً إلا أوائل ق ١٩، رغم أن للفكرة تاريخًا طويلاً من عصر النهضة ، بل حتى من الفكر الكلاسيكي. يمكن تعقب التركيز الحديث فى الكلمة فى تجريد مدينة city المضطرد كصفة من أماكن محدّدة أو أساليب إداريـة معينة، وكذلك فى التعميمات المتزايدة لوصف حياة حضرية على مسـتوى كبيـر. هكذا تتميّز عموماً مدينة ملايين السكان الحديثة ، وإن بشكل غيـر دقيـق ، عـن أصناف عديدة مـن city – قارن مدينة كاتدرائية، مدينة جامعية، مدينة إقليميـة – وهو تمييز يرجـع إلى فترات وأنواع استيطان سابقة. فى نفس الوقـت، قسـمت المدينة الحديثة ذاتها، كما فى الاستعمال المعاصر للمدينة الداخلية inner city، وهو تعبير أصبح ضرورياً تبعاً للوضع المتغير لضاحية suburb. كانت هذه الأخيرة من منتصف ق ١٣ منطقة خارجية ووضيعة، ويبقى هذا المفهوم فى بعض استعمالات الصفة suburban للدلالة على ضيق الأفق. لكن من أواخر ق ١٩ كان هناك تحوّل طبقى فى مجالات الأفضلية؛ جذبت الضواحى مقيمين وتركت المدينة الداخلية، فى الغالب، للمكاتب والحوانيت والفقراء.

انظر : COUNTRY ريف، CIVILIZATION حضارة

حضارة CIVILIZATION

تستعمل حضارة civilization الآن لوصف حالة أو وضع منجز من الحيـــاة الاجتماعية المنظمّة. دلّت في الأصل على "عملية"، وفي بعض السياقات لا يــزال هذا المفهوم حاضراً كما هو في ثقافة CULTURE (ا م) التي يربطها معهـــا تفاعــل طويل ومعقــد حتى الآن.

تلت civilization في الإنجليزية civilize، يحضر، التي ظهرت في أوائــل ق ١٧، من ق ١٦ civilizer، فرنسية، (س م) civilizare، لاتينيـــة وســيطة : جعــل الأمور الجنائية مدنية ومن ثم، استطراداً من ذلك، إدراجها ضمن شكل من التنظيم الاجتماعي. الأصل الأساسي (س ب) civil من civilis، لاتينية : ينتمـــي إلـــى أو يخص مواطنين citizens، من civis، لاتينية : مواطــن. هكذا استعملت civil فـــي الإنجليزية من ق ١٤، وبحلول ق ١٦ اكتسبت مفاهيم "منظّم" و"حسن التربية". في ١٥٩٤ كتب هوكر Hooker عن "مجتمع مدني "civil society" – عبارة ستصـــبح أساسية في ق ١٧ وبشكل أهم في ق ١٨ – لكن التطور الرئيســـي نحــو وصـــف مجتمع مـــنظّم كـــان civility – (س م) civilitas، لاتينيـــة – وســـطى : جماعـــة community. في الغالب استعملت civility كياسة/لطف فـــي ق ١٧ و ق ١٨ فـــي نفس المكان الذى تستعمل فيه الآن civilization حضارة. وحتى وقت متأخر عندما زار بوزول Boswell جونسون Johnson فـــي ١٧٧٢ "وجدتـــه وحـــده مشـــغولاً بتحضير طبعة رابعة من قاموسه ... رافضاً إدراج civilization، مبقياً فقط علـــى civility. مع تقديرى العظيم له شعرت أن civilization، من "يمدّن" civilize، أفضــل في مقابلة كلمة "بربرية" من civility". حدّد بوزول بدقة الاستعمال الرئيسي الـــذى كان على وشك التغلّب والذى أكّد حالة التنظيم والتهذيب أكثر من العملية، خاصـــة في تضاد ثقافي وتاريخي مقصود مع بربرية. ظهرت civilization في قاموس آش Ash في ١٧٧٥ للدلالة على الحالة والعملية. أصبحت شائعة بحلول أواخر ق ١٨ ثم بشكل ملحوظ في ق ١٩.

من ناحية، مفهوم حضارة الجديد هو جمع معيّن بين أفكار التقّدم وحـالات منجزة . وهو فهم. كانت تدعمه روح عصر التنوير العامة بتركيزها على التطوير البشرى العلمانى والتقدمي. عبّرت civilization عــن هـذا المفهـوم للعمليـة التاريخية بالاضافة إلى الاحتفاء بمفهوم الحداثة المصاحب : حالـة منجـزة مـن التهذيب والتنظيم. فى رد فعل الرومانسيين ضـد هـذه الادعـاءات للحضـارة استحدثت كلمات بديلة للتعبير عن أنواع أخرى من التطوير البشرى ومعايير أخرى للرفاهية الإنسانية، وأهـم هذه الكلمات هى ثقافة CULTURE (ا م). فى أواخر ق ١٨ كان الربط بيـن حضارة civilization وتهذيب السلوك طبيعياً فى كـل مـن الإنجليزيـة والفرنسـية. كتـب بيـرك Burke فـى *Reflections on the French Revolution* : "سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصـالحة التـى تتعلـق بالسلوك وبالحضارة". هنا الكلمتان مترادفتان لكن يجب ملاحظة أن manners لهـا معنى أشمل من الاستعمال الحديث المعتاد. من أوائل ق ١٩ تطـورت civilization نحو معناها الحديث الذى فيه توكيد على كل من التنظـيم الاجتمـاعى والمعرفـة المنظمة (فيما بعد علم SCIENCE (ا م)) وبنفس الدرجة توكيد مماثل على تهـذيب السلوك والتصرّف، وكان هذا التطور على العمـوم أسـرع فـى الفرنسـية مـن الإنجليزية. لكن كانت هناك لحظة حاسمة فى الإنجليزية فى ثلاثينيات ق ١٩ عندما كتب مـل"Mill" فى مقالة عن كوليردج:

خذ مثلاً مسألة مدى استفادة الإنسانية من الحضارة civilization. يسـتوقف المشاهد بشكل واضح تعدد أسباب الراحة الجسدية ؛ تقدم وانتشار المعرفة ؛ تلاشى الخرافات، وسائل الاتصال بين الأفراد، تهـذيب السـلوك ؛ انحسـار الحـروب والنزاعات الشخصية ؛ الحد بشكل متزايد من هيمنـة القـوى علـى الضـعيف ؛ الأعمال العظيمة التى أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير ...

هذه سلسلة من الأمثلة الإيجابية للحضارة وهى سلسلة حديثة تماماً. اسـتمر مـل ليصف نتائج سلبية: فقدان الاستقلال، خلق احتياجات مصطنعة ؛ رتابة ؛ فهم

ميكانيكي ضيّق ؛ تفاوت اجتماعي وفقر لا أمل في تخفيفه. كان هناك تعارض قدّمه كوليردج وآخرون بين حضارة civilization وثقافة culture أو تهذيب cultivation:

التمييز الدائم والتعارض من حين لآخر قائم بين تهذيب cultivation وحضارة civilization ... يعتمد استمرار الأمة ... وتقدمها والحرية الشخصية على حضارة مستمرة وفي تقدم. لكن civilization نفسها ليست كلها حسنات، إن لم تكن ذات تأثير أكثر إفساداً : تورّد المرضى وليس رواء الصحة. وأمة هذه خصالها يمكن بطريقة أفضل وصفها بالمجمّلة بدلاً من المصقولة، حيث أن هذه حضارة ليست مؤسسة على التهذيب والتنمية المتناغمة لتلك الميزات والقدرات الدّالة على إنسانيتنا، *(On the Constitution of Church and State,V)*.

بوضوح كان كوليردج على علم ، في هذه الفقرة ، بارتباط الحضارة بصقل السلوك polishing ؛ هذا هو مغزى الملاحظة عن التجميل، ويذكّر هذا التمييز بالتداخل اللافت في إنجليزية وفرنسية ق ١٨ بين مصقول polished ومؤدب polite اللتين لهما الأصل نفسه. لكن وصف حضارة بأنها "ليست كلها حسنات"، مثل وصف "مل" الأكثر إسهابا للآثار الإيجابية والسلبية، يحدّد النقطة التي أصبحت فيها الكلمة تمثّل كل العملية الاجتماعية الحديثة. من هنا فصاعداً ساد هذا المفهوم سواء اعتبرت الآثار إيجابية أو سلبية أو خليطاً منهما.

مع ذلك اعتبرت بشكل رئيسي عملية عامة بل عالمية. كانت هناك لحظة حرجة عندما استعملت في الجمع. حصل هذا في حضارات civilizations بعد حصوله في ثقافات cultures ؛ استعمالها الواضح الأول كان في الفرنسية (Ballanche) في ١٨١٩. سبقت ذلك في الإنجليزية استعمالات ضمنية للدلالة على حضارة مبكّرة، لكنها لم تصبح شائعة في أي مكان حتى ستينيات ق ١٩ .في الإنجليزية الحديثة لا تزال حضارة تشير إلى حالة أو وضع ، ولا تزال تتم معارضتها مع وحشية savagery أو بربرية barbarism. لكن النسبية المتضمّنة في الدراسات المقارنة ، والتي تنعكس في استعمال الجمع – حضارات – أثّرت على هذا المفهوم الرئيسي ، وترتبط الكلمة الآن بانتظام بوصف محدد : حضارة غربية،

حضارة حديثة، حضارة صناعية، حضارة علوم وتكنولوجيا. بهذا أصبحت نمطاً حيادياً نسبياً لأى تنظيم اجتماعى منجز أو طريقة حياة. وفى هذا المعنى لها علاقة معقدة ومثيرة جداً للجدل مع المفهوم الاجتماعى الحديث لثقافة. لكن لا يزال مفهومها كوضع منجز قوى بدرجة كافية لمنحه صفة معيارية ؛ بهذا المعنى يمكن فقدان أو اكتساب حضارة civilization، طريقة حياة متحضرة أو شروط مجتمع متحضر .

انظر : CITY مدينة، DEVLOPMENT تطور، MODERN حديث، SOCIETY مجتمع، WESTERN غربى

طبقة CLASS

من الواضح أن class كلمة صعبة سواء فى نطاق المعانى التى تشملها أو فى تعقيدات معناها المحدّد الذى يصف فئة اجتماعية. دخلت الكلمة اللاتينية classis – "تقسيم اجتماعي" بناءً على ممتلكات سكان روما – الإنجليزية فى أواخر ق ١٦ فى صيغتها اللاتينية، والجمع هو إما classes أو classies. هناك مفهوم من أواخر ق ١٦ (King 1594)، له نبرة حديثة تقريباً : "كل تقسيمات classies وتصنيفات الغرور والزهو". لكن استعملت classis بشكل رئيسى فى إشارة واضحة إلى التاريخ الرومانى ومن ثم توسعت أولاً كمصطلح فى تنظيم الكنيسة (التجمعات إما أن تكون طبقات classes أو مجمعات كنسية synods، ١٥٩٣) وفيما بعد كمصطلح عام لفئة أو مجموعة ("أصناف classis النباتات"، ١٦٦٤). جدير بالملاحظة أن الكلمة اللاتينية المشتقة classicus، التى دخلت الإنجليزية فى أوائل ق ١٧ بصيغة classic من (س م) classique، فرنسية، كان لها مفهوم اجتماعى ضمنى قبل أن تكتسب معناها العام كسلطة معيارية ومن ثم معناها المحدد : انتماء إلى العصور اليونانية والرومانية العتيقة (الآن تتميز عادة فى صيغة كلاسيكى classical التى كانت فى البداية بديلاً لكلاسيك classic). كتب

Gellius جليس: "scriptor ... classicus، non proletarius ". [الكتابة الكلاسيكية ليست هي البرولتارية]. لكن الصيغة class التي دخلت الإنجليزية في ق ١٧ اكتسبت ارتباطا خاصا بالتربية education. في شرحه لـ classe، شمل بلاونت Blount المفهوم الذي لا يزال رومانيا بشكل رئيسي كتصنيف وتوزيع الناس حسب درجاتهم المختلفة لكنه أضاف : "في المدارس (حيث تستعمل الكلمة أكثر من أي مكان آخر) صف أو محاضرة تقتصر على مجموعة معينة من الدارسين" وهذا الاستعمال لا يزال شائعاً في التعليم. تأثر بشدة تطور كلاسيك classic وكلاسيكي classical بهذا الارتباط مع الأعمال الرسمية المقررة للدراسة.

من أواخر ق ١٧ زاد باضطراد شيوع استعمال class طبقة كتعبير عام لمجموعة أو فئة. لكن ما فاقم الصعوبة إذ ذاك هو أن class أصبحت تستعمل بهذه الطريقة مع الناس وكذلك مع النباتات والحيوانات، مجرّدة من المفاهيم الاجتماعية المتضمنة في النوع الحديث. (قارن ستيل Steele، ١٧٠٩ : "هذه الطبقة من الأذكياء"). ينتمي في الأساس تطور class في مفهومها الاجتماعي الحديث، بما فيه المسميات الثابتة نسبيا لطبقات معينة (الطبقة الدنيا، الطبقة الوسطي، الطبقة العليا، طبقة العمال ... الخ)، إلى الفترة بين ١٧٧٠ و ١٨٤٠ التي هي أيضاً فترة الثورة الصناعية وإعادة تنظيمها الحاسم للمجتمع. في حديها الأقصيين لا توجد صعوبة في التمييز بين (١) طبقة كتعبير عام لأي تجمّع و(٢) طبقة كوصف دقيق لتشكيل اجتماعي. ليست هناك صعوبة في التفريق بين قول Steele "طبقة من الأذكياء" و، مثلا، بيان اتحاد برمنجهام السياسي (١٨٣٠) : "بأن حقوق ومصالح الطبقتين الوسطى والدنيا من الشعب ليست ممثلة بشكل كاف في مجلس العموم من البرلمان". لكن في فترة الانتقال العصيبة بل حتى لوقت قبلها كانت هناك صعوبة حقيقية في التأكد من أن استعمالاً معينا يتبع (١) أو (٢). حسب علمي أول استعمال – والذي يمكن قراءته بالمعنى الحديث – هو قول ديفو Defoe : "واضح أن ارتفاع الأجور يصنف شعبنا إلى طبقات أكثر مما يظهر لدى أمم أخرى" (*Review*، ١٤ أبريل، ١٧٠٥). كذلك لا بد وأن يكون هناك بعض الشك حول عنوان هانواي Hanway في ١٧٧٢ : "ملاحظات حول أسباب الفسق الذي يسود

بين الطبقات الدنيا من الشعب". يمكننا أن نقرأ هــذه كمــا نقــرأ ديفــو بــالمفهوم الاجتماعى الدقيق لكن هناك تداخلاً كبيراً بين معنى (١) ومعنى (٢) يجعلنا نتأنى. السبب الحاسم لهذا التطور هو المفردات البديلة للتقسيم الاجتماعى ؛ فى الحقيقة أنه حتى أواخر ق ١٨ – بل وبطريقة أقل حتى وقت متأخر من ق ١٩ و ق ٢٠ – كانت الكلمات الأكثر انتشاراً هى **rank** مرتبة و**order** رتبة، بينمــا كانــت **estate** منزلة و **degree** درجة لا تزال أكثر شيوعاً من طبقة **class**. كانت منزلــة **estate** ودرجة **degree**، ورتبــة **order** تستعمل بشكل واسع لوصف الوضع الاجتمــاعى منــذ القرون الوسطي. كانت **order** شائعــة منــذ أواخــر ق ١٦. كانــت هــذه الكلمات هى المعتادة تقريبا فى كل المجالات التى تســتعمل فيهــا الآن طبقــة. وأصبحت رتبة دنيا **lower order** ومراتب دنيــا **lower orders** شــائعتين بشــكل خاص فى ق ١٨.

يتعلق التاريخ الأساسى لدخول طبقة **class** ككلمة تنســخ الأســماء الأقــدم للتصنيف الاجتماعى بالشعور المضطرد بأن الوضع الاجتماعى يُصنع بدلاً من أن يكون مجرد ميراث. كل الكلمات القديمة ، باستعاراتها الأساسية بالوقوف والتدرج والترتيب فى صفوف ، ترجع إلى مجتمــع يتحدد فيه الوضع بالولادة. ينظر إلــى الحراك الفردى كانتقال من منزلة، درجة، أو رتبة إلى أخرى. لم يكن سبب تغييّــر الشعور هو مجرّد الحراك الفردى المتزايد الذى يمكن اســتيعابه ضــمن التعــابير السابقة، لكن السبب هو المفهوم الجديد للمجتمع **SOCIETY** (ا م) أو نظام اجتمــاعى **social system** معين الذى خلق فعلاً فئات اجتماعية، بما فى ذلك أنواعا جديدة من الفئات. يظهر هذا جليا فى أحد الاستعمالات الأولى الواضحة: استعمال ماديســون فى الفدرالى ***The Federalist*** (امريكا، حوالى ١٧٨٧): المصالح المالية والصناعية "تنمو بالضرورة فى الأمم المتحضرة وتصنفهم إلى طبقات مختلفة تحرّكها مشاعر وآراء مختلفة". تحت ضغط هذا الشعور ، الذى ازداد حدة إلــى درجــة كبيــرة ، بالتغيّرات الاقتصادية التى أحدثتها الثورة الصناعية والنزاعات السياسية للثــورتين الأمريكية والفرنسية ' بدأت كلمة طبقة فى السيطرة. لكن هذه كانت عملية بطيئــة ومتفاوتة ليس فقط بسبب الألفة المتبقية للكلمات السابقة وليس فقــط لأن المفكــرين

المحافظين كمسألة مبدأ استمروا فى تجنب "طبقة" كلما أمكن ذلك وفى تفضيل التعبيرات السابقة. كانت عملية بطيئة ومتفاوتة وظلت صعبة وذلك بشكل رئيسى بسبب التداخل المحتوم بين استعمال طبقة ، ليس كفئة اجتماعية محددة ، ولكن كعبارة متوفرة عموماً وفى الغالب لأى غرض تصنيفي.

بمعرفة ذلك يمكن تتبع تكوين مفردة طبقة class المحدّدة مؤخراً. استعملت lower classes طبقات دنيا فى ١٧٧٢ وكانت lowest classes الطبقات الأدنى و lowest class الطبقة الأدنى شائعة من تسعينات ق ١٨. تحمل هذه الكلمات بعض آثار الانتقال لكنها لم تكمل بعد التحول التام. من اللافت وصف طبقات وسطى middle classes الجديد الذى هو بشكل متزايد ذاتى الوعى وذاتى الاستعمال لأنه أقل اعتمادا على مفهوم قديم عام، حيث لا تختلف كثيراً طبقات دنيا عن عامة الناس COMMON (ا م). لهذا التعبير سوابق فى "رجال من حالة متوسطة" men of a middle condition (١٧٩٦) و"المحطة الوسطى للحياة" The middle Station of life (Defoe، ١٧١٩) و"أهل إنجلترا المتوسطون .. عموماً طيّبون وشجعان"، The Middling People of England ... generally Good-natured and Stout-hearted (١٧١٨) و"الطبقات الدنيا والوسطى"(١٧٨٩). فى ١٧٩٥ كتب جيسبورن Gisborne "بحث فى واجبات رجال من المرتبة العليا وطبقات المجتمع المتوسطة فى بريطانيا الكبرى *Enquiry into the Duties of Men in the Higher Rank and Middle Classes of Society in Great Britain*. وفى ١٧٩٦ كتب مور Hannah More عن "الطبقات المتوسطة" middling classes. فى ١٨٠٩، هناك عبارة يلقى "عبء الضريبة" بثقله "على الطبقات الوسطي" (*Monthly Repository*، ٥٠١)، وفى ١٨١٢ هناك اشارة إلى أناس من الطبقة الوسطى للمجتمع عصفت بهم الأيام (*Examiner*، أغسطس) ؛ ظلت rank مرتبة تستعمل على الأقل بنسبة متساوية، كما هو عند مل James Mill (١٨٢٠) : "الطبقة التى توصف عموما بأنها الجزء الأحصف والأعف من المجتمع : المرتبة الوسطى middle rank (*Essay* on Government)، لكن فى هذه الفترة اكتسبت طبقة بالفعل مفهوماً اجتماعياً عاماً عندما استعملت بمفردها.

وصل تضخّم التمجيد الذاتي ذروة مؤقتة في خطبة بروهام Brougham في ١٨٣١ : "بالشعب أعني الطبقات الوسطي، ثــروة وعقل البلد، مجد الاسم البريطاني".

هناك غرابة مستمرة في هذا التطور. تنتمي وسطى middle إلى حيّز بــين دنيا وعليا ; في الواقع كإقحام بين دنيا وعليا اللتين فقدتا بشــكل متزايــد أســباب وجودهما. في ١٧٩١ استعمل بيرك Burke ‏(*Thoughts on French Affairs*) طبقات عليا higher classes وسجلت طبقات أعلى upper classes من عشرينيات ق ١٩. في هذا النموذج لا يزال واضحاً التصنيف الهرمي القديم ؛ "طبقــة وســطي" هــي تدخّل ذاتي الوعي يشغل حيزاً بين أفراد ذوى "مرتبة" و"العامة". هذه كانت دائمــاً، حسب التعريف، غير محددة : هذا هو أحد الأسباب التي جعلت في النهاية الكلمــة التجميعية "طبقة" class بدلاً من الكلمة المحددة مرتبة rank تسود. لكــن بوضــوح عند Brougham وغالباً منذ ذلك الوقت اختفت تقريباً من التصنيف البادئــة "عليــا" higher أو upper أو بالأحرى أعطيت بعداً مختلفاً: تم حصرها على الأرستقراطية المتبقية والمحترمة لكن التي أزيحت بشكل أساسي.

هذه هي خلفية التعقيدات اللاحقة. في الجدل العنيف حول الحقوق السياســية والاجتماعية والاقتصادية في الفتــرة بــين تسـعينات ق ١٨ وثلاثينيــات ق ١٩ استعملت "طبقة" في نموذج آخر يبيّن تمييزاً بســيطاً : طبقــات منتجــة ومفيــدة productive or useful classes – تعبير قوى ضد الأرستقراطية. في ترجمة واسعة الانتشار لكتاب فــولني Voleny: *The Ruins, or A Survey of the Revolutions of Empires* (جزآن، ١٧٩٥) هناك حوار بين الذين عــن طريــق "عملهــم المفيــد يسهمون في دعم المجتمع والمحافظة عليه" (معظم الناس: "العمــال، الحرفيــون، التجار وكل المهن المفيدة للمجتمع"، من ثم يســمّون الشــعب People) والطبقــات الموسرة ("القساوسة، رجال البلاط، المسئولون العامّون، قــادة الجنــد، باختصــار موظفو الحكومة المدنيين والعسكريين والدينيين"). هذا وصف ينطوى على مفهــوم فرنسي للشعب the people يتعارض مع حكومة أرستقراطية، لكن تم تبنــى هــذا المفهوم بشكل واسع في عبارات إنجليزية مما نجم عنه نتيجة محدّدة تتوافــق مــع

الوضع السياسى الفعلى لحركة الإصلاح بين تسعينات ق ١٨ وثلاثينيات ق ١٩ : كل من الطبقات الوسطى الواعية لذاتها والناس المختلفين عنهم تماماً ، الذين يصفون أنفسهم بحلول نهاية الفترة كطبقات عاملة working classes تبنوا وصف "طبقات مفيدة ومنتجة" فى تمييز وتضاد مع الطبقة الموسرة أو العاطلة. استمر هذا الاستعمال الذى لا ينسجم مع النموذج الآخر (دنيا، وسطي، عليا) مهماً ومشوّشاً.

تمت تسمية "طبقات عاملة working classes لأول مرة عن طريق الانتقال من مفهوم طبقات مفيدة ومنتجة. هناك تشابك كبير فى ذلك : قارن "طبقات وسطى وكادّة middle and industrious classes (*Monthly Magazine*، ١٧٩٧) و"طبقات فقيرة وعاملة" poor and working classes (Owen، ١٨١٣) – الأخيرة على الأرجح هى أول استعمال إنجليزى لطبقات عاملة working classes، لكنها كانت عامة. نشر أوين Owen فى ١٨١٨ Two Memmorisls on Behalf of the Working Classes وفى نفس العام استعملت *The Gorgon* (٢٨ نوفمبر) "طبقات عاملة" working classes فى سياق واضح ومحدّد للعلاقات بين "عمال" workmen و"موظِّفيهم" their employers. تطور الاستعمال بعد ذلك بسرعة وبحلول ١٨٣١ حدّدت نشرة The National Union of the Working Classes كعدو لها ليس الامتياز بالدرجة الأولى بل "القوانين التى وضعت لتحمى ... الممتلكات أو رأس المال." (ميزوا مثل هذه القوانين عن تلك التى لم توضع لتحمى الصناعة INDUSTRY (ا م) التى ما زالت على مفهومها القديم كعمل فعلى applied labour). كتب أوبراين O'Brian فى *The Poor Man's Guardian* (١٩ أكتوبر، ١٨٣٣) عن تكوين "سيطرة تامة للطبقات المنتجة على ثمرة عملها" واستمر يصف مثل هذا التغيير "كما تتصوره الطبقات العاملة" ؛ العبارتان – "طبقات منتجة" و"طبقات عمال" – يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى فى هذا السياق. هناك تعقيدات فى تعبيرات مثل الطبقات الكادحة labouring classes وطبقات عمال operative classes التى يبدو أنها وضعت للتمييز بين مجموعة وأخرى من الطبقات المفيدة تتماشى مع التمييز بين عمال وأرباب عمل، رجال وسادة : وهو تمييز كان محتوما اقتصاديا وكان فعّالاً من ثلاثينيات ق ١٩ على الأقل. تبنوا تعبير "طبقات عاملة" الذى

سماهم به آخرون واستعملوه بفخــر، تماما كما حصل بالنسبة للطبقات الوسطى : "صنعت الطبقات العاملة **working classes** كــل الثروة" (نشــرة رولــس ***Rulez*** لجمعية ريبوندن **Ripponden** التعاونية ؛ ذكرها بريستلى **J.H. Priestly** فى ***History of RCS***؛ يرجع تاريخها الى١٨٣٣أو ١٨٣٩).

بحلول أربعينيات ق ١٩، إذن، كانــت "طبقــات وســطي" **middle classes** و "طبقات عاملة" **working classes** تعبيرين شائعين. فى البداية أصبحت الأولــى مفردة؛ ومن أربعينيات ق ١٩ أصبحت الأخيرة فى صيغة المفرد، لكــن لا تــزال حتى اليوم تتراوح بين الجمع والمفرد ، وغالباً بأهمية أيديولوجية، المفرد مــألوف في الاستعمالات الاشتراكية والجمع أكثر شيوعاً فى الوصف المحافظ. لكــن كــان الأثر الأهم لهذا التاريخ المعقد هو توفر تعبيرين شائعين الآن، يستعملان للمقارنــة والتمييز أو التعارض، نشأ ضمن نموذجين مختلفين. من ناحية دلت وســط **middle** على هرمية ومن ثم تضمنت وجود "طبقة دنيا" **lower class** : ليس فقــط نظريــاً ولكن في ممارسة متكررة. من ناحية أخرى تضمنت عاملة **working** نشاطاً منتجاً أو مفيداً وبالتالى جعلت كل من هم ليسوا فى الطبقة العاملة غير منتجين أو عديمى الفائدة (سهل بدرجة كافية بالنسبة للأرستقراطية لكنه صعب التقبــل مــن الطبقــة الوسطي). حتى اليوم هناك صدى لهذا التشويش. فى وقت مبكــر، ١٨٤٤، أشــار كوكبرن **Cockburn** إلى "ما يعبر عنه بالطبقات العاملة كما لو أن العاملين الوحيدين هم الذين يصنعون بأيديهم". مع ذلك فإن "رجل عامل" **working man** أو **workman** تشير باستمرار إلى العمل اليدوي. فى تشريع ١٨٧٥ أعطيت هذه تعريفاً قانونيــاً : "يعنى التعبير "عامل **workman** ... أى شخص بصفته شغيلاً، خادماً فى الزراعــة، عاملاً يومياً، صانعاً، حرفياً، عامل منجم ،عاملا فى أى مجال بيديه ... يكون قــد دخل فى عقد أو يعمل حسب عقد مع صاحب عمل **employer**. هكذا كان الــربط بين "عامل" و "طبقة عاملة" وثيقاً جداً لكن من الملاحظ أن التعريف يشــمل عقــدا مع صاحب العمل بالإضافة إلى كونه عملاً يدوياً. ينص تشــريع ١٨٩٠ علــى أن "شروط فقرة ١١ من تشريع إسكان الطبقــات العاملــة، ١٨٨٥ ... ســيكون لهــا مفعولها كما لو أن تعبير "طبقات عاملة" شمل كل طبقات النــاس الــذين يكســبون

معيشتهم عن طريق الأجور أو الرواتب". سمح هذا بتمييز عن أولئك الذين اعتمدت معيشتهم على أتعاب fees (الطبقة المهنية professional class)، أرباح profits (طبقة التجار) وممتلكات property (المستقلون independent). مع ذلك وخصوصاً مع تطور المهن المكتبية والخدمية كان هناك التباس خطير حول الوضع الطبقي للذين يعملون مقابل راتب أو حتى أجر ولكن لم يقوموا بأى عمل يدوي. (ترجع راتب salary كجزاء ثابت إلى ق ١٤ ؛ "أجور ورواتب" wages and salaries هو تعبير مألوف من ق ١٩ ؛ لكن فى ١٨٦٨ "قيل إن مدير بنك أو سكة حديد – أو حتى مراقباً أو كاتبا فى مصنع – يستلم راتباً" وواضح هنا محاولة التمييز الطبقى بين رواتب وأجور ؛ بحلول أوائل ق ٢٠ تم التمييز بين مستلمى الرواتب salariat والبروليتاريا proletariat. مرة أخرى هنا، وفى لحظة حاسمة واضح أثر نمونجى "طبقي". الطبقة الوسطى التى ينحاز إليها أصحاب الرواتب هى تعبير عن وضع اجتماعى نسبي، وبالتالى تمييز اجتماعي. الطبقة العاملة، وهى محددة بناءً على مفهوم مختلف للطبقات المفيدة أو المنتجة، هى تعبير عن علاقات اقتصادية. هكذا يرتكز تعبيرا الطبقة الحديثة الشائعين على نموذجين مختلفين، ووضع أولئك الذين هم على علم بالموقع الاجتماعى النسبى وبالتالى التميز الاجتماعى ولكن، مع ذلك، يبيعون عملهم ويعتمدون عليه، ضمن علاقات اقتصادية، هو نقطة تداخل حاسمة بين النموذجين والتعبيرين. من العبث الاستنتاج بأن الطبقات العاملة هى الوحيدة التى تعمل WORK (ا م) لكن إذا وصف الذين يعملون فى عمل غير يدوى أنفسهم بعبارات موقع اجتماعى نسبى ("طبقة وسطي") فإن التشويش محتوم. أحد الآثار الجانبية لهذه الصعوبة كان التفصيل الإضافى لتصنيف حسب الطبقة classing ذاتها (الفترة من أواخر ق ١٩ إلى أواخر ق ١٩ زاخرة بهذه الكلمات المشتقة : "classify"، "classification" "classifier"). من ستينيات ق ١٩ بدأت الطبقة الوسطى تنقسم إلى قسمين دنيا lower وعليا upper وفيما بعد انقسمت الطبقة العاملة إلى مهرة skilled و شبه مهرة "semi-skilled" وعمالة labouring. تبعت ذلك نظم تصنيف أخرى مختلفة برزت منها "مجموعة

اقتصادية اجتماعية" socio-economic group، التى يجب اعتبارها محاولة لمزاوجة نموذجى الطبقة والمنزلة STATUS (ام).

فى الختام من الضرورى دراسة صيغ "طبقة" كفكرة مجردة. فى أحد الاستعمالات الأولى للتعبير الاجتماعى المفرد تكاد تكون "طبقة" فى قول كراب Crabbe :

لكل طبقة اخترنا مدرسة To every class we have a school assign'd

وقواعد لكل مرتبة، وقوت لكل ذهن Rules for all ranks and food for every mind

معادلة لمرتبة "rank" وهكذا استعملت فى تعريف طبقة وسطى "middle". لكن تأثير مفهوم (١) لطبقة كتعبير عام للتجميع كان لا يزال قويا بدرجة مساوية ونجم عن ذلك بشكل رئيسى طبقات "مفيدة أو منتجة". لكن تمييز "المنتجة" كإدراك لنظام اقتصادى فعّال أدى إلى مفهوم لطبقة ليس هو بالمرادف لمرتبة ولا هو طريقة تجميع وصفي، وإنما هو وصف علاقات اقتصادية سياسية. فى الاستعمال الحديث، لا يزال مفهوم مرتبة، رغم أنه ضئيل، فعالاً ؛ فى استعمال من الاستعمالات، لا تزال "طبقة" تتحدد بشكل أساسى بالولادة. لكن تتوزع الاستعمالات الجادّة بين تجميع وصفى وعلاقات اقتصادية. من الواضح أن مصطلح علاقات اقتصادية أساسية (كما هى بين أصحاب العمل والمستخدمين أو الملاك وعديمى الأملاك) سيعتبر غير دقيق وعاماً بالنسبة لغرض التجميع الوصفى الدقيق الذى هو مختلف تماماً. من ثم النقاش المستمر بين الذين يقترحون، مستعملين "طبقة" بمفهوم العلاقات الأساسية، اثنين أو ثلاث "طبقات" أساسية والذين يجدون، مستعملين "طبقة" للتجميع الوصفي، ضرورة تقسيم هذه التصنيفات إلى فئات أصغر وأصغر. يضم تاريخ الكلمة هذا الالتباس الأساسي.

يمكن ملاحظة كل النزعات عندما كانت تتطور تعابير "طبقة" فى أوائل ق ١٩. أشارت *The Gorgon* (٢١ نوفمبر ١٨١٨) بطريقة طبيعية تماماً إلى طبقة صغرى من التجار تسمى عمال العليّات garretmasters. لكن فى ١٨٢٥ عرف كوبيت Cobett المفهوم الأحدث: "حتى تكون هناك طبقة من المجتمع متحدة لمعارضة طبقة أخرى". فى ١٨٠٥ جادل هول Charles Hall بأنه:

> **"يمكن تقسيم الشعب فى دولة متحضّرة إلى رتب orders مختلفة ؛ لكن لغرض البحث فى الطريقة التى يتمتعون فيها أو يحرمون من المتطلبات التى تسهم فى صحة أبدانهم وعقولهم فإنه يجب تقسيمهم فقط إلى طبقتين: الأثرياء والفقراء *Effects of* (*The Civilization on the People in European States*)"**

هنا يوجد تمييز بين رتب orders (مراتب ranks) وتجمعات اقتصادية فعالة (طبقات). فى ١٨١٨ وصف غازل قطن (وردت فى *The Making of the English Working Class* لمؤلفه E.P. Thompson، ص ١٩٩) أصحاب العمل والعمال "بطبقتين متميزتين من الناس". بطرق مختلفة أصبح هذا التصنيف الثنائى تقليدياً رغم أنه وجد بمحاذاة تجمعين ثلاثيين: " تجمع اجتماعى (عليا، وسطي، دنيا) وتجمع اقتصادى مستحدث: "ثلاث طبقات" جون ستيوارت مل J.S. Mill : "ملاك أراضي، رأسماليون وعمال" (*Monthly Repository*، ١٨٣٤، ٣٢٠) أو قول ماركس "ثلاث طبقات اجتماعية كبرى... عمال بالأجر، رأسماليون وملاك أراض (III.*Capital*). فى التطور الفعلى للمجتمع الرأسمالى حل تقسيم ثنائى جديد محل التقسيم الثلاثى : فى لغة ماركسية، البرجوازية، والبروليتارية (لتعقيدات التقسيم الثلاثى وبسبب التعريف الاجتماعى بشكل رئيسى للتعبير الإنجليزى "طبقة وسطي"، فإن برجوازى وحتى بروليتارى غالبا ما تكون صعبة الترجمة). تبرز بعد ذلك صعوبة إضافية: تكرار على مستوى آخر للاختلاف بين تجميع وصفى وعلاقة اقتصادية. يمكن أن تكون "طبقة" تصنيفا (كاسبى الأجر wage-earners) أو

تشكيلاً (الطبقة العاملة) لو نظر إليها حسب العلاقات الاقتصادية. كان وصف ماركس للطبقات ينحو فى اتجاه التشكيلات:

> **"يشكل الأفراد المستقلون طبقة فقط لأنه يتوجب عليهم مواصلة المجابهة ضد طبقة أخرى ؛ عدا ذلك فهم فى نزاع بينهم كمتنافسين. من ناحية أخرى، تكتسب الطبقة بدورها وجوداً مستقلا فى مواجهة الأفراد بحيث أنهم يجدون ظروف معيشتهم مقررة مسبقاً ومن ثم يكون قد تم تحديد وضعهم فى الحياة ونموهم الشخصى عن طريق طبقتهم ...". (*German Ideology*)**

يشمل هذا النقاش الصعب مرة أخرى تشويشاً. فى بعض الأحيان "طبقة" هى تصنيف اقتصادى يضم كل الذين هم بطريقة موضوعية فى ذلك الوضع الاقتصادي. لكن "طبقة" فى أحيان أخرى (ولدى ماركس غالباً) هى تشكيل تطور فيه لأسباب تاريخية شعور بهذا الوضع وتنظيم للتعامل معه. هكذا نقرأ:

> **"بقدر ما يعيش ملايين من الأسر تحت ظروف معيشة اقتصادية تفصل أسلوب حياتهم واهتماماتهم وثقافاتهم عن تلك التى تخص طبقات أخرى وتضعهم فى معارضة عدانية معها، فإنهم يكونون طبقة. بقدر ما يوجد مجرد تواصل محلى بين هؤلاء الفلاحين من صغار المستأجرين ولا يؤدى تطابق اهتماماتهم إلى تكوين مجتمع، أو رابطة وطنية ولا تنظيم سياسى بينهم فإنهم لا يشكلون طبقة." (*Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte*)**

هذا هو التمييز بين تصنيف وتشكيل، لكن حيث أن طبقة تستعمل لكليهما فقد نجم عن ذلك كثير من التشويش. لا تزال المسألة حرجة كونها تشكل أساس جدال متكرر حول علاقة وعى طبقى class consciousness مفترض بطبقة محددة موضوعيا وحول تقلبات وصف الذات وتحديدها بناءا على مقياس طبقى. تعيد كثير من التعبيرات المشتقة هذا الالتباس. بوضوح لا يمكن أن يرتبط وعى طبقى إلا

بالتشكيل. تعتمد صراع طبقى class struggle، ونزاع طبقى class conflict، حرب طبقية class war وتشريع طبقى class legislation، وتحيز طبقى class bias علـــى وجود تشكيلات (رغم أن هذا قد يكون متفاوتاً أو جزئياً بين الطبقات). من ناحيـــة أخرى، يمكن لثقافة وطنية أن تتأرجح بين معنيين: ثقافة طبقـــة عاملـــة -working class culture يمكن أن تكون معانى وقيم ومؤسسات التشـــكيل، أو ذوق وأســـلوب حياة هذا التصنيف (انظر أيضاً ثقافة CULTURE). فى نطاق واســـع مـــن الجـــدل والنقاش المعاصر يمكن ملاحظة كل هذه المعانى المتقلّبة لطبقـــة class مســـتعملة دونما أى تمييز واضح. لذا من المفيد تكرار المدى الأساسى (خارج نطاق المعانى غير الخلافية فى التصنيف العام classification والتعليم):

مجموعة group (موضوعي) : تصـــنيف اجتمـــاعى أو اقتصـــادى علـــى مستويات متفاوتة.

مرتبة rank: وضع اجتماعى نسبي، بسبب الولادة أو الحراك الاجتماعي.

تشكيل "formation" : علاقة اقتصادية مدركة ؛ تنظيم اجتمـــاعى وسياســـى وثقافي.

انظـــر: CULTURE ثقافـــة، INDUSTRY صـــناعة، MASSES جماهير، ORDINARY مـــألوف، POPULAR شـــعبى، SOCIETY مجتمع، UNDERPREVILEDGED غير ميسور

تجمع COLLECTIVE

(١) ظهـــرت كلمة تجمع collective فى الإنجليزية كصفة مـــن ق ١٦ وكاســـم من ق ١٧. بشكل رئيسى كانت تطوراً خاصـــاً مـــن collect يجمّـــع (س م) collectus، لاتينية : يضمّ معاً (هنـــاك أيضـــاً (س م) collecter، فرنســـية قديمـــة: يجبى ضرائب أو أموالاً أخرى). اســـتعملت collective كصـــفة منذ ظهورها المبكر لوصف أشخاص يعملون معاً ، ووجـــدت كـــذلك فـــى

تعابير مشابهة مثل "collective body" "هيئة متجمعة". (Ecclesiastical Polity، Hooker: ١٦٠٠، iv، VIII). كان أول استعمالات الاسم فى النحو أو فى الوصف الفيزيائي. يرتبط المفهوم الاجتماعى والسياسى لوحدة معينة – "إخوتكم فى التجمّع "your brethren of the Collective (Cobbett: Rural Rides، II، ١٨٣٠،٣٣٧) – بالشعور الديمقراطى DEMOCRATIC (ا م) الجديد. أحيى هذا الاستعمال فى فترات عدة لاحقة بما فيها وسط ق ٢٠ لكنه ليس شائعاً بعد. أصبحت collectivism "جماعية"، التى استعملت بشكل رئيسى لوصف النظرية الاقتصادية الاشتراكية وبشكل اشتقاقى فقط بالمفهوم السياسى لتجمّعى collective، شائعة فى أواخر ق ١٩ ; وصفت فى ثمانينات ق ١٩ بأنها كلمة جديدة رغم أن استعمالها سجل من خمسينيات ق ١٩. فى فرنسا استعمل التعبير فى ١٨٦٩ كطريقة لمعارضة "اشتراكية الدولة" .

(٢) انظر COMMON عام، DEMOCRACY ديمقراطية، MASSES جماهير، SOCIETY مجتمع

تجارية COMMERCIALISM

كانت commerce كلمة إنجليزية عادية للتجارة من ق ١٦؛ من (س م) commerce، فرنسية، commercium، لاتينية، (س ب) com، لاتينية: سويا، merx، لاتينية: سلعة أو بضاعة. توسعت commerce أيضاً من ق ١٦ لتشمل كل أنواع "التعاملات" dealings – اجتماعات، تفاعلات بين الرجال. ظهرت commercial تجارى من أواخر ق ١٧ فى المفهوم الأكثر تحديداً : نشاطات ترتبط بالتجارة فى تمييز لها عن النشاطات الأخرى. كانت فى البداية وصفية بالدرجة الأولى لكن اكتسبت من وسط ق ١٨ معانى إضافية حاسمة. لكن الكلمة الحاسمة تماماً هى تجارية، من وسط ق ١٩، التى تدل على نظام يقدم الربح المالى على أية اعتبارات أخرى. فى الوقت نفسه احتفظت commerce بمعناها الحيادي، ويمكن استعمال commercial إيجابياً أو سلبياً.

هناك استعمال معاصر لافت لتجارى commercial لوصف إعلان مذاع، وفى بعض الترفيه الشعبى المرتبط بذلك كان هناك من ستينيات ق ٢٠ استعمال لتجارى commercial يعنى ليس فقط عملاً ناجحاً وإنما أيضاً مؤثراً ونافذاً كما فى تعبير الموسيقى الشعبية الإيجابي: صوت تجارى commercial sound. لكن فى الوقت نفسه، فضّلت الإذاعة التجارية " commercial broadcasting" وصف نفسها بالمستقلّة (قارن CAPITALISM رأسمالية ومشاريع خاصة أو حرة "free or private enterprise").

عام / شائع / فج / مشترك COMMON

للكلمة common مجال شاسع من المعانى فى الإنجليزية ولا يمكن عزل أى عدد من معانيها المحدّدة عن التاريخ الاجتماعى الذى ما زال فعالا. سابقتها المباشرة (س م) هى communis لاتينية، اشتقت إما من com لاتينية: سويا وmunis لاتينية: ملزم، أو من com وunus لاتينية: واحد. يمكن ملاحظة اندماج هذه المعانى فى الاستعمالات الأولى بدء بـ common و community (من ق ١٤: جماعة منظمة)، الى مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر. هناك تمييزات فى هذه الاستعمالات لكن أيضا هناك تداخلات كبيرة ومتشبثة. اللافت إذن هو استعمال "common" المبكر كصفة واسم لتصنيف اجتماعى – common وthe common و commons (العموم) – معارض للوردات والنبالة. استمر هذا التوتر بين المعنيين. يمكن أن تدل common على مجموعة كاملة أو مصلحة شاملة أو مجموعة كبيرة محددة وتابعة. (قارن محاجّة إليوت Elyot (Governor، I، iii، ١٥٣١) ضد commune weale، فيما بعد commonwealth: يبدو أن هنك تنوعا مماثلا فى الإنجليزية بين publike weale و commune weale كما فى اللاتينية بين Res puplica و res plebeia".)

يظهر نفس التوتر في استعمالات معنى المجموعة الكاملة: أي التعميم. يمكن استعمال common لتأكيد شيئ مشترك أو لوصف شيء معتاد ordinary (نفسها ملتبسة فهي تنتمي إلى order (رتبة) كسلسلة أو تتابع ومن ثم ordinary – مجرى الأمور المعتاد، لكن أيضا تنتمي إلى order كمرتبة اجتماعية وعسكرية ومن ثمordinary (النوع لا يمكن تمييزه)؛ أو لوصف شيء وضيع أو فج vulgar (التي تحدد معناها من أصل مشابه، vulgus، لاتينية : عامة الناس common people. من الصعب تحديد تاريخ المعنى الازدرائي العام common. في المجتمع الإقطاعي كان الوصف منهجيا ولم يتضمن أية معان إضافية. من المهم أن أعضاء في الجيش البرلماني في الحرب الأهلية في وسط ق ١٧ رفضوا التسمية بجنود عاميين "common soldiers" وأصرّوا على جنود خاصين "private soldiers". لابد وأن يدل هذا على مفهوم ازدرائي مهم كان للكلمة، رغم أن هذا الجيش نفسه كان يحارب من أجل العامة "the common" وواصل الحرب حتى أنشأ كومنولث "commonwealth". كان البديل الذي اختاروه لافتا حيث إنه أكد تبعية للروح الحقيقية لثورتهم، أنهم هم القائمون على أمورهم. هناك عمق من التاريخ الاجتماعي في هذا الانتقال عبر سلسلة الوصف المعتاد من common إلى private: بطريقة ما كان التناقل بين معان كانت توّا متعارضة: كونهم جنودا خاصين في قضية عامة. في الجيوش البريطانية اللاحقة فقدت private أهميتها وخفضت الى مصطلح تقني عمّن هم في المرتبة الدنيا.

من أواخر ق ١٦ فصاعدا يتعذر تمييز استعمالات حيادية نسبيا للكلمة كما في "common ware" (سلع عامة) عن استعمالات مقصودة ولكن أكثر إبهاما تدل على فج vulgar أو غير مهذب unrefined وفي النهاية low class وضيع المنزلة. بالتأكيد يبدو أن الاستعمال الازدرائي الواضح يزداد من أوائل ق ١٩ في فترة يتعاظم فيها التمييز الطبقي لكن حتى ذلك الحين توجد أحداث (قارن CLASS طبقة). بحلول أواخر ق ١٩ كان لعبارة مثل حديثهم common عادي تماما" وقع لا مجال فيه للخطأ. واستمر هذا الاستعمال ليشمل نطاقا [illegible] من السلوك. في الوقت نفسه كان هناك استعمال شائع لمعان أخرى [illegible]

إيجابية. يقول الناس أنـــــه من غير الدماثة common أكل الآيس كـريم فـــى للشارع (وفى الواقع هذه فى دورها أن تصبح common بمعنى آخر)؛ لكن أيضـــا من الشائع common التحدث عن حاجة الى مجهود مشترك common (الذى قد يكون صعب التحقيق لــو اعتبر الناس المرجو مساهمتهم أفجاجاً common) .

انظر: CLASS طبقـــة، FOLK شـــعب، MASSES جمـــاهير، POPULAR شعبى، PRIVATE خاص

اتصالات / مواصلات COMMUNICATION

بمعناها الحديث الشامل وجدت كلمة communication فى اللغة الإنجليزيـــة منذ ق١٥. كانــت ســابقتها المباشــرة communicacion، فرنســية قديمـــة مـــن communcationem، لاتينية، اســم فعـــل مـــن جـــذر مـــن اســم المفعـــول لـــــ communicare، لاتينية، من (س ب) communis، لاتينية: عام common؛ ومـــن ثم "communicate": يجعل مشاعاً لكثيرين، يبث. فى البداية كانت communication هى هذا العمل ومن ثم مـــن أواخـــر ق ١٥ الشـــيء الـــذى جعـــل عامـــا: a communication: اتصال، رسالة. استمر هذا كمجال أساسى لاستعمالها. لكن مـــن أواخر القرن ١٧ كان هناك انتشار هام لوسائط means الاتصال، خاصـــة فـــى عبارات مثل خطوط مواصلات "lines of communication". فـــى فتـــرة التطـــور الرئيســـية للطرق والقنوات والسكك الحديدية كانت communications (مواصلات) التعبير العام المجرد لهذه الوسائل الفعلية. لم تصـــبح communications تـــــدل وبشكل طاغ على وسائل اتصال MEDIA (ا م) مثل الصـــحافة والإذاعـــة إلا فـــى ق٢٠ مع تطـــور وسائل أخرى لنقـــل المعلومـــات والحفـــاظ علـــى الاتصـــال الاجتماعي، رغـــم أن هـــذا الاستعمال (الذى كان أسـبق فـــى أمريكـــا مـــــن بريطانيا) لـــــم يستقر قبل منتصف ق ٢٠. هكـــذا تميـــزت عـــادة صـــناعة الاتصالات "communications industry" عـــن صناعـــة النقـــل " transport

"industry : communication اتصالات للمعلومات والأفكار مطبوعة أو مذاعة ؛ transport نقل لانتقال الناس والبضائع الفعلي.

من المفيد غالبا فى الجدل حول نظم الاتصالات ونظرية الاتصال تذكر اسم الفعل الأصلى غير المحدد والذى يمثله فى طرفيه الأقصيين (transmit يرسل) وهى عملية أحادية الاتجاه و share يشارك (قارن communion لعشاء الربانى وخاصة communicant متناول هذا العشاء)، عملية مشتركة أو متبادلة. يمكن فهم المعانى الوسيطة - يجعل مشاعا لكثيرين، يبث - فى أى من الاتجاهين ولاختيار الاتجاه عادة ما يكون حاسما. من ثم هناك محاولة تعميم التمييز فى عبارات متعارضة مثل "mainipulative communications" اتصالات موجّهة واتصالات مشاركة "participatory communications".

انظر COMMON عام / مشترك

شيوعية COMMUNISM

ظهرت كلمة communism شيوعية و communist شيوعى فى وسط ق١٩. أصولهما المعروفة على نطاق أوروبا هى البيان الشيوعى (*Communist Manifesto*) لماركس وإنجلز الصادر فى ١٨٤٨ والعصبة الشيوعية (Communist League) المرتبطة بذلك. لكن الكلمة كانت متداولة قبل ذلك. أسس بارمبى Goodwyn Barmby جمعية لندن للدعاية الشيوعية "The London Communist Propaganda Society" في ١٨٤١ وهناك ارتباط واضح لهذا الاستعمال بالعشاء الربانى communion: "يعطى الشيوعى مائدة العشاء Communion Table أهمية بالغة عن طريق اعتبارها نمطا من تلك الحياة الجماعية الألفية المقدسة". حيث أن هناك تشابهات وتداخلات للكلمات المشتقة من COMMON (ا م) فانه من المتوقع وجود هذا النطاق الواسع من المعاني، وقد تبنى اشتراكيون طوبائيون مسيحيون بعض هذه الدلالات. واضح كذلك التداخل مع اصطلاحات علمانية وجمهورية

مستمدة بشكل أساسي من الثورة الفرنسية. زعم بارمبي Barmby أنه "أول من نطق اسم communism شيوعية التي اكتسبت من ذلك الوقت سمعة عالمية". كان هذا في ١٨٤٠، وقد تم "في حديث مع أكثر العقول تقدما في الحاضرة الفرنسية" وبشكل خاص "في صحبة طلاب Babeoeuf (هكذا وردت) الذين كانوا يسمون بمناصري المساواة Equalitarians. سجل استعمال كابيه Cabet للكلمة communiste أيضا في ١٨٤٠ وتبعتها على وجه السرعة في نفس العقد communisme و communism (في الإنجليزية إضافة إلى ذلك كانت هناك communionism). في كل من فرنسا وألمانيا ولكن ليس في بريطانيا أصبحت communist كلمة أصعب من اشتراكي "SOCIALIST" (ا م). شرح انجلز فيما بعد كيف انه لم يكن في إمكانه وماركس تسمية البيان الشيوعي "مانيفستو اشتراكي" وذلك لأن إحداهما كانت حركة طبقة عاملة والأخرى كانت حركة طبقة وسطى ؛ "كانت الاشتراكية محترمة، على الأقل في القارة الأوروبية وكانت الشيوعية عكس ذلك تماماً". يرجع التمييز الحديث بين شيوعي واشتراكي في الغالب لهذه الفترة لكن هذا مضلل ليس فقط لأن اشتراكية واشتراكي كانتا أكثر انتشارا في الأحزاب الشيوعية ولكن أيضا لأن شيوعية كانت لا تزال تفهم بشكل واسع في إطار صلتها بجماعة community وبالتالي بتجارب في الملكية المشاعة. في ثمانينات ق١٩ كانت اشتراكية في الانجليزية هي الأصعب حيث أنها ارتبطت دون مواربة، مع كل نزاعاتها المختلفة، بإعادة تنظيم المجتمع ككل. استعملت communist في مفهومها الحديث بعد تجربة كميون باريس Paris Commune في ١٨٧٠ لكن اعترض عليها البعض لعدم دقتها ؛ كانت الكلمة الأدق هي communard. في تسعينات ق١٩ عبر وليام موريس William Morris عن معارضته للاشتراكية الفابية Fabian Socialism بتعبيري شيوعية Communism وشيوعي Communist الصريحين.

ظل التعبير العام السائد socialism اشتراكية حتى قيام الثورة الروسية. في١٩١٨ غير حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي الروسي اسمه من قبل القسم البلشفي المهيمن عندئذ إلى الحزب الشيوعي لكل روسيا (بلاشفة) وأصبحت كل الاستعمالات الحديثة تتبع ذلك. استرجعت إعادة التسمية التمييز الذي شعر

به كل من ماركس إنجلز ، وذكرت بكميون باريس، لكنها كانت إعادة تكوين تاريخية للكلمة ، بدلا من استمرارية تدل على التواصل. ضمن هذا التراث أصبحت شيوعية عندئذ فى مرحلة أعلى من اشتراكية التى يجب على الأولى أن تمر عبرها. كان لذلك أثر أدنى على المعانى العامة من التمييز الذى تلا عام ١٩١٨ (لكن مع سوابق مبكرة كثيرة وهامة وإن لم تكن تحمل أسماءً) بين اشتراكين ثوريين وديمقراطيين ثوريين Revolutionary and Democratic Socialists (ا م م). أنتجت الانشقاقات التالية فى الشيوعية صيغا إضافية رغم أن "شيوعي" تستعمل غالبا للأحزاب المرتبطة بالتعريفات السوفيتية، وتشيع استعمالات ثورى وماركسي- لينينى Marxist-Leninst لوصف أحزاب شيوعية بديلة أو منشقة.في هذا التاريخ المعقد والحاد انجدل هناك استعمال ذو صعوبة معينة : ماركسى Marxist. تكاد تزعم كل الأحزاب والمجموعات الاشتراكية، بما فيها الأحزاب الشيوعية، أنها ماركسية Marxist رغم أنها فى الغالب تنفى فى الجدل هذه الصفة عن أحزاب أخرى منافسة مع أنها كلها تنضوى تحت نفس التصنيف العام. خارج الحركة الاشتراكية استعملت marxist أيضا بشكل واسع ؛ جزئيا كوصف شامل للأحزاب والمجموعات الاشتراكية والشيوعية والثورية المختلفة ؛ جزئيا كطريقة لوصف اتجاهات وأعمال ثقافية ونظرية على وجه الخصوص، وذلك دونما معانى سياسية أو سياسية بشكل مباشر. (فى هذا الاستعمال الأخير تكون ماركسى marxist تعبيرا مهذبا لشيوعى أو اشتراكى ثورى رغم أن المبدأ الماركسى لإقران النظرية والتطبيق يعطى انتشار استعمال marxist المعاصر شيئا من الأهمية) .

انظر : SOCIALISM اشتراكية

جماعة COMMUNITY

كانت كلمة community في اللغة الإنجليزية منذ القرن ١٤، من (س م) comuneté، فرنسية قديمة، communitatem، لاتينية: اتحاد علاقات ومشاعر، من

(س ب) communis، لاتينية: عام COMMON (ا م). توطدت فى الإنجليزية بمعان متعددة :

(١) العموم أو عامة الناس the common people أو the commons فى تمييز لهم عن أصحاب المراتب (ق١٤ - ق١٧) ؛ (٢) دولة أو مجتمع منظم - فى استعمالاتها اللاحقة كان هذا المعنى محدودا نسبيا (ق١٤ فما بعد)؛ (٣) أهل منطقة (ق١٨ -) ؛ (٤) حالة ملكية مشتركة كما فى اتحاد مصالح community of interests، جماعة مالكى سلع community of goods (ق ١٦ -) ؛ (٥) شعور بالهوية والخصال المشتركة (ق١٦-). سنرى أن معانى (١) الى (٣) تدل على مجموعات اجتماعية فعلية و(٤) إلى (٥) طبيعة معينة لعلاقة كما فى communitas. من (ق١٧) كانت هناك علامات على التمييز الذى أصبح هاما خصوصا من (ق١٩) والذى ظهر فيه أن جماعة community تدل على قرب ومباشرة أكثر من مجتمع SOCIETY (ا م) رغم أنه يجب تذكر أن مجتمع نفسها كان لها هذا المفهوم المباشر حتى ق ١٨، وكذلك كانت فى الأصل مجتمع مدنى civil society ، (راجع CIVILIZATION) ، مثلها مثل مجتمع وجماعة، محاولة لتمييز مجموعة العلاقات المباشرة عن المؤسسة المنظمة المتمثلة فى مملكة realm أو دولة state. من (ق ١٩) تطور مفهوم المباشرة أو المحلية فى ظل المجتمعات الصناعية الأكبر والأكثر تعقيداً. كانت جماعة community هى الكلمة المحبذة عادة للتجارب فى أى نوع بديل من الحياة المشتركة. لاتزال تستعمل كذلك وألحق بها، بمفهوم أكثر تحديدا كميون commune (الفرنسية commune: أصغر الوحدات الإدارية، والألمانية Gemeinde: تقسيم مدنى وكنسي. تفاعلت هاتان الكلمتان مع بعضهما ومع جماعة community وتسربت هذه الكلمات إلى الفكر الاشتراكى (خاصة commune) وإلى علم الاجتماع (خاصة Gemeinde) لتعبر عن أنواع معينة من العلاقات الاجتماعية). أضفى تونيز Tönnies فى١٨٨٧ بطرق فعالة شكلا رسميا على التعارض الذى تم الإفصاح عنه بشكل متزايد فى (ق ١٩)، بين العلاقات الأكثر شمولية والأكثر مباشرة وبالتالى أكثر أهمية للجماعة ، وبين العلاقات الأكثر رسمية والأكثر تجردا والأكثر نفعية للدولة state أو المجتمع

society فـــى مفهومهـــا الجديـــد، ووســـمه كتعـــارض بـــين Gemeinschaft و Gesellschaft، ويستعمل هذان التعبيران اليوم أحيانـــا دون ترجمـــة فـــى لغـــات أخـــــرى. يتضح تمييز مشـــابه فـــى اســـتعمالات منتصـــف (ق٢٠) لجماعـــة community. فى بعض الاستعمالات كان لها جانـــب جـــدلي، كمـــا فـــى سياســـة الجماعة community politics التى تتميز ليس فقط عن السياسة الوطنيـــة national politcs ولكن أيضاً عن السياسة المحلية local politcs الرسمية، والتى تتطلب عادة أنواعاً مختلفة من العمل المباشر والتنظيم المحلى المباشر، "العمـــل مباشـــرة مـــع الناس"، وفـــى هذه الصيغة هى تختلف عـــن "خدمـــة الجماعـــة" service to the community التى لهـــــا مفهوم قديم كعمل طوعى يسند الدعم الرسمى أو الخدمـــة المأجورة.

هكذا يرتبط تعقيد community بالتفاعل المعقد بين نزعات تميزت أصلا فى التطور التاريخى : من جانب، هناك مفهوم الاهتمام المشترك المباشر ؛ ومن جانب آخر هناك تجسيد الأشكال المختلفة للتنظيم المشترك الذى قد يعبّر أو لا يعبر عـــن ذلك. قد تكون community كلمة مقنعة بشكل فعال لوصـــف مجموعـــة علاقـــات موجودة أو قد تكون كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة بديلة لتلك العلاقات. ربما الأكثر أهمية هو أنه، فى مغايرة لكل تعابير التنظيم الاجتماعى (دولـــة، أمـــة nation، مجتمع .. الخ)، يبدو أنها لا تستعمل أبداً بطريقة سلبية ولم يكن لهـــا أبـــدا تعبير مقابل أو مميّز إيجابي.

انظـــر : CIVILIZATION حضـــارة، COMMON عـــــــام، COMMUNISM شـــيوعية، NATIONALIST قـــومي، SOCIETY مجتمع

إجماع CONSENSUS

دخلت consensus الإنجليزية في وسط (ق١٩)، في الأصل بمفهوم سيكولوجي ثم من (ق ١٦) أصبح لها معنى محدّد: (س م) consensus، لاتينية: اتفاق أو شعور مشترك: (س ب) con، لاتينية :سوياً، sentire: شعور. هكذا تستعمل في١٨٦١: "هناك علاقة عامة بين الأجزاء المختلفة في حضارة أمة ؛ سمّها إن شئت اجماعاً consensus شريطة ألا يتسرب مفهوم مجموعة أعضاء بشرية إلى هذا التعبير". كانت consensual إجماعي أسبق، من وسط (ق ١٨)، في سياقيين خاصّين: قانوني (consensual contract) عقد بالتراضي في القانون الروماني ؛ فسيولوجي: يرتبط بأفعال غير طوعية (سمباتية sympathetic) أو انعكاس لا إرادي للجهاز العصبي. تطورت consensus وتبعتها consensual باضطراد عن طريق التحول لتدل على اتفاق عام: "إجماع consensus المبشرين البروتستانت" (١٨٦١). هناك استعمالات ثانوية مساندة في صيغ أكثر تحديدا مثل consensus of evidence إجماع البينة، وهو من نفس الفترة.

شاعت الكلمة أكثر في (ق ٢٠) وأصبحت منذ وسط القرن تعبيرا سياسيا مهما. في الغالب يتم بطريقة دقيقة تحوير الاستعمال العام، في مفهومه كاتفاق قائم في الرأي، عند تطبيقه في مجال السياسة. يمكن أن تعني consensus politics "سياسة الإجماع"، حسب المعنى العام، سياسات يتم اتخاذها بناء على توافر جملة آراء متفق عليها. ويمكن أن تعني أيضا، وبالفعل عنت ذلك في الغالب، سياسة تجنب أو تهرب من اختلافات أو انقسامات الرأي في محاولة للاحتفاظ بالمركز أو احتلال الأرضية الوسطى. في الواقع، يختلف هذا كثيرا عن coalition تحالف (في الأساس، نمو متضافر للأجزاء، من ق ١٧ ؛ (س م) coalitionem، لاتينية من coalescere : نمو متضافر، وهو مفهوم لا يزال حاضرا في coalesce التئام، اندماج ؛ لكن من ق ١٧، اتحاد أو تضافر الأجزاء، ومن ق ١٨ تضافر عن طريق الاتفاق المقصود وغالبا الرسمي). دلّ المفهوم السلبي لسياسة الإجماع consensus politics على التملص المقصود من النزاعات التي تبنى على مبادئ أساسية، لكنه دل كذلك على العملية التي تقصى فيها بطريقة فعلية مواضيع معينة عن النقاش

السياسى - ليس لوجود اتفاق عليها أو لأن تحالف الأطراف توصل إلى حل وسط ، ولكن فى التنافس على أرضية وسطى middle ground للاستيلاء عليها لا يوجد هناك حيز لمواضيع على قدر كبير من الأهمية (لأن هذه المواضيع بعيدة فعليا عن الحياة اليومية المألوفة - نائية أو أجنبية أو لأن أثرها طويل الأجل، أو لأنها لا تمس إلا الأقليات). إذن بينما تحتفظ consensus بمفهوم إيجابى عن الاتفاق العام فإنها اكتسبت أيضاً مفاهيم سلبية فى التجنب اللامبالى والجائر لمواضيع أو مناقشات ضرورية. هى كلمة صعبة جداً فى الاستعمال لأن نطاق مفهومها الفعلى يمتد من مفهوم ايجابى يدل على البحث عن اتفاق عام عبر مفهوم موافقة خاملة نسبيا أو حتى لاواعية UNCONSCIOUS (ا م) (قارن، رأى قويم محافظ orthodox opinion ومعرفة تقليدية conventional wisdom) إلى معنى نوع من السياسة الموجّهة 'manipulative" التى تسعى إلى خلق أغلبية صامتة " silent majority " كمركز قوة يمكن كبت أو إقصاء أفكار أو حركات منشقة عنه. من اللافت أن تجذب كلمة في ظاهرها معتدلة مثل هذا الشعور العنيف، لكن يمكن أن تفسر ذلك تفسيراً واضحاً نسبيا عمليات سياسة الانتخابات الحديثة وسياسة الرأى العام "public opinion".

من الجدير بالملاحظة أن الكلمة تتم فى الغالب تهجيتها الآن كالتالى "concensus" فى مواضع مثيرة للدهشة، مثل كتابات بعض الذين يشكون عموما من عدم القدرة فى الحاضر على التهجية الصحيحة. من الراجح أن هذا نشأ من ترابط الكلمة مع "census " إحصاء، ولو صح هذا الافتراض فإن ذلك لافت لأنه يدل على علاقة مألوفة الآن، إن لم تكن لاشعورية، تكمن فى ممارسة إحصاء الآراء كما فى استفتاءات أراء الجمهور. لكن هناك التباس منذ مدة طويلة بين الحرفين(s و c) فى كلمات من هذا النوع (قارن الكلمة البريطانية defence بالأمريكية defense اللتين ترجعان إلى اختلافات تهجئة من الانجليزية الوسطى). تمت تهجئة الكلمة consent نفسها فى معظم الأحيان كـ concent حتى ق ١٦.

انظر : CONVENTIONAL تقليدى

مستهلك CONSUMER

فى الإنجليزية الحديثة الكلمتان consumer وconsumption استهلاك هما اسما الوصف السائدان فى كل أنواع التعامل مع السلع والخدمات. هذا الانتشار مهم كونه يتعلق بنوع معين من النشاط الاقتصادى الذى ينشأ من طبيعة نظام اقتصادى معين كما يبين تاريخ الكلمة.

كانت consume يستهلك فى الإنجليزية منذ ق ١٤، من (س م)consumer، فرنسية، والتهجية الأخرى consommer، فرنسية (لهذه الصيغ المختلفة تاريخ معقد لكن فى النهاية مميز فى الفرنسية)، (س ب) consumere، لاتينية: يستنفذ، يلتهم، يتلف، يبدد. تقريبا فى كل استعمالاتها الإنجليزية الأولى كان معنى consume سلبيا ؛ عنت تدمير، استنفاذ، إتلاف، استنزاف. لا يزال هذا المعنى حاضراً فى consumed by fire أتلفته النار، وفى التسمية الشعبية للمرض الرئوى pulmonary phthisis : سل consumption . لاستعمالات consumer الأولى من ق ١٦ نفس معنى الدمار والتلف العام.

بدأت consumer من أواسط ق ١٨ تظهر كمفهوم حيادى فى وصف الاقتصاد السياسى البرجوازي. فى الهيمنة الجديدة لسوق منظم تم توا تعريف أعمال صنع واستعمال السلع والخدمات فى ثنائية منتج producer ومستهلك consumer وإنتاج production واستهلاك censumption، ذات الطابع التجريدى باضطراد. لكن استمرت إيحاءات consumer السلبية على الأقل حتى أواخر ق ١٩، وفى الواقع لم تنتقل الكلمة حتى منتصف ق ٢٠ من الاستعمال المحدد فى الاقتصاد السياسى إلى الاستعمال الشعبى والعام. من هنا نلاحظ أفول customer زبون النسبى التى كانت مستعملة منذ ق ١٥ للدلالة على مشتر "buyer" و "purchaser"، حيث أنها أشارت دائما إلى قدر ما من العلاقة المنتظمة والمستمرة بالممون (supplier)، بينما توضح consumer الشكل الأكثر تجريداً فى سوق أكثر تجريداً.

التطور الحديث أمريكى بشكل رئيسى لكنه انتشر بسرعة كبيرة. هيمنة التعبير كبيرة جدا لدرجة أن مجموعات مشترين ذوى معرفة وحصافة أنشأوا جمعيات مستهلكين (Consumers' Associations). يرتبط التطور بشكل رئيسى بتنظيم الأسواق ومحاولة التحكم فيها وهذا يقع فى صلب الإنتاج الرأسمالى (بما فى ذلك الإنتاج الرأسمالى للدولة) الصناعى كبير الحجم حيث يرتبط التصنيع manufacture، خاصة منذ كساد أواخر ق ١٩، ليس فقط بتزويد الاحتياجات المعروفة (التى تصفها وصفاً مرض كلمة زبون consumer أو user مستعمل) وإنما أيضا بالتخطيط لأنواع وكميات إنتاج معينة تتطلب استثماراً كبيرا فى مرحلة مبكرة وغالباً قراءة للمستقبل. يرتبط تطور الدعاية advertising (إقناع أو اقتحام وتغلغل فى سوق) التجارية الحديثة إلى نفس المرحلة من الرأسمالية: خلق احتياجات ورغبات وطرق معينة لإشباعها فى إضافة وتمييز لذلك عن الإشعار والإحاطة والتعريف notification بالمؤن المتوفرة الذى كان هو العمل الرئيسى السابق للدعاية (حيث يعتبر هذا النوع من الإقناع إطراء مسرفاً puff ومديحاً مبالغاً فيه puffery). كتعبير مهيمن كانت consumer من اختراع مثل هؤلاء الصناع ووكلائهم. تعنى الكلمة ضمنياً، والمفارقة هنا كما هو فى المعانى السابقة، استنفاد ما سيتم إنتاجه ، رغم أنه أعطى ، وقت توطد التعبير ، مظهر الاستقلال (كما فى العبارة اللافتة "اختيار المستهلك" consumer choice). من الملائم فيما يتعلق بتاريخ الكلمة إن نقد مجتمع مبذّر ومبدّد عبّر عنه فى وقت لاحق الوصف consumer society مجتمع الاستهلاك. لكن هيمنة النموذج الرأسمالى كفلت انتشاره الواسع وغالباً الساحق إلى مجالات مثل السياسة والتعليم والصحة. فى أى من هذه الحقول بالإضافة إلى المجال المعتاد فى السلع والخدمات لا يزال استخدام user، مستعملا بدلا من consumer مستهلك، يعبر عن تميز ملائم.

انظر : WEALTH ثروة

تقليدى CONVENTIONAL

فى الأصل عنت الكلمة conventional تقليدا اجتماعيا أو تجمعا، من (س م) convention، فرنسية، conventionem ، لاتينية: اجتمـاع، (س ب) convenire، لاتينية : تجمع. استعملت كذلك فى الانجليزية منذ ق ١٦ ولا تـزال فـى الغالـب تستعمل بهذا المعنى. هناك توسع طبيعى فى الاستعمال بعنى "اتفاق"، وهذا شـائع فى الانجليزية منذ ق ١٥ .

ترتبط استعمالات convention الأكثر تعقيدا وبشـكل أكبـر اسـتعمالات conventional بتوسع فى معنى "اتفاق" إلى شيء يعنى ضمنيا "معتـاد" أو "متفـق عليه"، وبنوع آخر من التوسع خاصة فى الأدب والفن إلى طريقـة متفـق عليهـا ضمنيا. يرجع التوسع إلى معنى "العادة" إلى أواخر ق ١٨. كان هذا مهمـا فـى الجدل السياسى حول الحقوق "rights" التى كانت للمفارقة تحدد فى أماكن أخـرى (الولايات المتحدة وفرنسا) بواسطة مواثيق conventions. لكن الاستعمال الأكثـر شيوعا كان فى مواضيع التقاليد والسلوك ، وبرز فى الحال مفهوم سلبى عنت فيـه كلمة conventional مصطنع أو رسمى واستطرادا "مجرد محافظ"، old-fashioned عفى عليه الزمن. يمكن بسهولة من وسط ق ١٩ فصاعدا العثور على اعتراضات على conventional ideas أفكار بالية. معظم الاستعمالات المحددة المبكرة فى الفن والأدب تأتى بنفس المفهوم كجانب مـن التفضـيل الرومانسـى ROMANTIC (ا م) المألوف للعفوية والابتداع. لكن يتضح أيضا منذ ق١٩ مفهوم أكثر تقنية ، تعتبـر فيه جميع أنماط الفن محتوية تقاليد conventional جوهرية، غالبا ما تكون ضمنية، للمنهج والهدف، ومنذ ذلك الحين استمر هذا المفهوم مهما فى النقاش المتخصـص. تكاد تكون نسبة الرسمية التى كانت مهمة قد زالت تماما، إلا فى هـذا الاسـتعمال المحدد. فى الاستعمال المعتاد تقابل convention اتفاق رسمى formal agreement، ويمكن استعمالها حياديا تماما. لكن الصفة conventional تقليـدى تعطى عـادة المفهوم السلبي. مـن ناحية أخـرى، بعـد اختـراع القنابـل الذريـة والهيدروجينية، تعارضت (مـن ١٩٥٠ تقريبـا) بطريقـة ايجابيـة

"conventional weapons" أســلحة تقليديــة مــع "nuclear weapons" أســلحة نوويــــة.

انظـــر : CONSENSUS إجماع

ريف COUNTRY

فى الإنجليزية الحديثة هناك معنيان مختلفان لكلمة country: بشكل رئيسى أرض الوطن أو الأجزاء الريفية والزراعية منه. تاريخيا الكلمة لافتة جـدا حيـث إنها مشتقة من الصفة المؤنثة contrata، لاتينية وسيطة، (س ب) contra، لاتينية : ضد كما فى عبارة "contra terra" التى تعنى أرضا "تقع فى المقابل، تجـاه أو فـى مواجهة". فى أول استعمال مستقل لها كانت تعنى قطعة أرض تمتد أمام المشـاهد. (قارن الاستعمال اللاحق "landskip"، ق ١٦، "landscape"، ق ١٨ ؛ فى الإنجليزية القديمة landscipe بقعة أو قطعة أرض ؛ تم تبنى الكلمـة لاحقـا مـن landschap الهولندية كتعبير فى الرسم.) دخلت "contrata" الإنجليزية عبر الكلمتـين cuntrée و contrée من الفرنسية القديمة. كان لها مفهوم أرض الوطن من ق١٣ والمساحات الريفية المتميزة من أواخر ق١٦. ترجم تيندل Tyndale (١٥٢٦) قسما من إنجيـل مرقص (*Marks* 5:14) على انه تم "ذكره فى المدينة وفى الريف countre".

بدأ الاستعمال المتخصص الشائع لريف country كمضاد لمدينـة city فـى أواخر ق ١٦ مع ازدياد التحضّر وخاصة نمو العاصمة لندن. فى ذلك الحـين تـم تمييز التعبير country people أهل الريف و country house منزل أو مقـر ريفـي. من ناحية أخرى، كانت تريّف countryfied و country bumpkin عبيط مـن عاميـة (متروبول) حاضرة ق ١٧. فى ق ١٩ أصبحت countryside، التى هى فى الأصل تعبير اسكتلندى يدل على منطقة محددة، تعبيرا عاما لا يصف فقط المناطق الريفية وإنما جميع نواحى الحياة والاقتصاد الريفى .

فى استعمالها العام بمعنى أرض الوطن للكلمة country (بلد) تداعيات أكثـــر ايجابية من أمة nation أو دولة state؛ قارن العبارة "يعمل شيئا من أجل الــوطن" بـــ "يعمل شيئاً من أجل الأمة" أو الدولة. فى المعتاد تشمل country وطـــن النـــاس الذين يعيشون فيه، بينما أمة nation أكثر تجريداً، وتحمل state دولة مفهوم بنيـــة السلطة. فى الواقع يمكن لوطن country أن تحل محل شعب people فى الســياقات السياسية: قارن السيدة الانجليزية التى قالت فى ١٩٤٥ : "انتخبوا حكومة اشتراكية لكن country الوطن لن يؤيدها". فى بعض الاستعمالات يتم بانتظام تمييز country وطن عن government حكومة : قارن "الرجوع للوطن country ": أى الدعوة لانتخابات. هناك أيضاً استعمال متروبولى محدد، كما فى الخدمة البريدية، حيـــث تعتبر كل المناطق خارج العاصمة country ريــــــف.

تحمل countryman معنيين ؛ أحدهما سياسى والآخر قروى لكـــن الأخيـــر أقوى، ويتوسع الأول ليشمل التعبير fellow countryman ، من أبناء الوطن.

انظر : CITY مدينة، DIALECT لهجة، PEASANT فــــلاح، REGIONAL إقليمي

خلاق / إبداعى CREATIVE

فى الإنجليزية الحديثة للكلمة creative معنى عام كأصيل ومبتـــدع ومعنـــى خاص إضافى هو منتج. تستعمل أيضا لتمييز أنواع معينة من العمل، كما فى كتابة إبداعية creative writing والفنون الإبداعية the creative arts. من الجدير بالاهتمام تتبع الكيفية التى أصبحت تستعمل فيها هذه الكلمة العاديـــة الآن والمدهشـــة عنـــد تأملها، وارتباط ذلك ببعض صعوباتها الحالية.

دخلت creative الانجليزية من جذر اسم المفعـــول لكلمـــة (س ب) creare، لاتينية: يصنع أو ينتج. هذه الصلة الضمنية بمفهوم شيء تم عمله وبالتالى حـــدث ماض كان دقيقا لأن الكلمة استعملت فى الأساس فى السياق الدقيق للخلق الربـــانى

الأول للعالم : للكلمتين Creation الخلق وcreative نفس الجذر. ضمن هذا التفكير الإيماني وكما أصر أوغسطين، "creative non protest creare": المخلوق the creature – الذى خُلق – لا يمكنه نفسه أن يخلق. ظل هذا التفكير حاسما حتى ق١٦ على الأقل، وتوسع الكلمة لتدل على صنع فى الحاضر أو المستقبل – أى نوع من الصنع يقوم به الناس – هو جزء من التحول الفكرى الرئيسي الذى نصفه الآن بإنسانية humanism عصر النهضة. كتب تورجواتو تاسو Torguato Tasso (١٥٤٤–٩٥) : "هناك مبدعان creators: الله والشاعر". هذا المفهوم للإبداع الإنسانى خاصة فى الأعمال الخيالية، هو المصدر الحاسم للمعنى الحديث. فى "دفاع عن الشعر" Apologies for Poetrie اعتبر فيليب سدنى Sidney (١٤٥٤–٨٦) أن الله خلق الطبيعة لكن خلق أيضاً الإنسان فى صورته معطيا إياه المقدرة "بقوة الروح الإلهية" أن يتخيل ويخلق أشياء سوى الطبيعة".

لكن استمر استعمال الكلمة صعبا بسبب السياق الأصلي. أشار دون Donne إلى الشعر كخلق زائف "counterfeit Creation" ولا يجب اعتبار counterfeit هنا بمعناها المتطرف كـ "زيف" وإنما يجب هنا تذكر مفهوم الفن القديم كمحاكاة imitation. لدى الكتاب اليزابيثيين Elizabethan عدة استعمالات ازدرائية لخلق creation ويخلق create:

ما أنت إلا Or art thou but

خنجر فى العقل، مخلوق زائف A Dagger of the Mind, a false Creation

ينبع من مخ صهرته الحرارة Proceeding from the heat-oppressed Brain. (*Macbeth*)

ما هذا إلا اختلاق من ذهنك

This is the very coinage of your Brain .

فالجنون جد بارع This bodiless Creation extasie.

في تجسيد ما لا جسد له Is very cunnying in. (*Hamlet*)

هل أنت إله؟ هل تعيد Are you a God ? Would you create me new

خلقي من جديد؟

(*Comedy of Errors*)

Translated thus from poor creature to a creator; for now

must I Create intolerable sort of lies. (*Every Man in his Humour*)

حولت من مخلوق معدم إلى خالق ؛ فالآن يجب أن أخلق (أختلق) كل أنواع الكذب الممجوج.

في الواقع كان التوسع الأوضح للكلمة "create" دونما ظلال سلبية إلى المنزلة الاجتماعية التي تمنح بسلطة الملك: "جلالة الملك جعله created دوقا" (١٤٩٥) ؛ "جعلتكم create أصدقاء لشخصي" (*Cymbeline*). لا يزال هذا ليس تماما خلقا إنسانيا.

لكن بحلول أواخر ق ١٧ انتشرت كل من "create" و "creation" بالمعنى الحديث وخلال ق١٨ اكتسبت الكلمتان ارتباطا بالفن Art (ا م)، وكانت هذه الأخيرة نفسها كلمة تتحور في اتجاه متمم. ضمن هذه العلاقة تم سك كلمة creative خلاق/إبداعي. وحيث أن الكلمة كما هو بين تدل على قدرة فإنه كان لا بد وأن تنتظر تقبل الناس عموما لخلق creation ويخلق create كأفعال بشرية دونما الرجوع بالضرورة إلى حدث إلهي سابق. بحلول ١٨١٥ استطاع وردزورث Wordsworth أن يكتب بثقة إلى الرسام Hayden : "مهنتنا سامية، يا صديقي، الفن الإبداعي Creative art". هذا يرجعنا إلى الإشارة الخاصة الأولى التي صادفتها: "رفيق آلهة الفن، القوة الإبداعية Creative Power، الخيال Imagination " (1728،Mallet). هناك استعمال اسبق (١٦٧٨) للكلمة creative عند كدورث Cudworth وإن كان في جملة لم تزل تحمل جزئيا المعنى القديم : "هذه القدرة الإبداعية creative power الإلهية الخارقة ". كان التطور الحاسم هو الارتباط

المقصود ثم المألوف لخلاق creative مع فن art وفكر. بحلول أوائل ق ١٩ كـان ذلك مقصودا وفعالاً. تبعت ذلك فى ق ٢٠ إبداع creativity، كاسم عام للقدرة.

بوضوح هذا تاريخ مهم جدا، وفي توكيده على المقـدرة البشـرية أصـبح التعبير باضطراد أكثر أهمية لكن هناك صعوبات واضحة. تضع الكلمـة تركيـزاً ضرورياً على الأصالة والتجديد وعندما نتذكر التاريخ يمكننا أن نلاحـظ أن هـذه ليست ادعاءات تافهة. فى الواقع نحاول أن نوضح ذلك عن طريق التمييـز بـين innovation تجديد و novelty جدة، رغم أن للأخيرة معنيين، أحدهما تافه والآخـر جاد. تنشأ الصعوبة عندما يقصد من كلمة أن تجسد فكرا جادا وساميا لكنها تصـبح تقليدية جدا، كصفة لأنواع معينة من النشاط، لدرجة أنها تسـتعمل لممارسـات لا يمكن لأحد في غياب هذا التقليد أن يدعى لها مثل هذا الادعاء. هكذا يمكن تسمية عمل أدبى مقلد أو نمطي، حسب التقليد، كتابة إبداعية creative writing، ويصـف كتاب الإعلانات أنفسهم رسميا كمبدعين creative. مع وجود عناصر كبيـرة مـن عمليـة بسـيطة لإعـادة الإنتـاج الايدولوجيـة والمهيمنـة IDEOLOGICAL و HEGOMONIC (ا م) فى معظم الأعمال الفنية المكتوبة والمرئية فإن وصـف كـل شيء من هذا النوع بأنه خلاق creative يمكن أن يكـون مشوشـا وفـي بعـض الأحيان مضللا تماما. إضافة إلى ذلك حين تصبح creative كلمـة نفـاق مبتذلـة يكون من الصعب التفكير بوضوح عن التركيز الذى قصد من الكلمة أن ترسخه : ما يصنعه الإنسان ويبتدعه. لا يمكن عزل هذه الصعوبة عن الصعوبة المرتبطـة بمعانى imagination خيال التى يمكن أن تتجه نحـو حلـم dreaming وفنتازيـا fantasy دونما صلة ضرورية بالممارسات المحددة التى تسـمى "فنـون خياليـة" imaginative أو إبداعية creative أو، من ناحية أخرى، نحـو extension بسـط وانطلاق، innovation تجديد و foresight بصيرة التى ليس لها فقط آثـار ونتـائج عملية وإنما يمكن أن تكون أيضا ملموسة فى بعض النشاطات والأعمال الإبداعية. تكون الصعوبة واضحة بشكل خاص عندما تتوسـع creative لتشـمل، بطريقـة صحيحة حسب التطور التاريخي، نشاطات فى الفكر واللغة والممارسة الاجتماعية لا يكون فيها معني imagination خيال المحدد تعبيراً مناسباً. مع ذلك فإن مثل هذه

الصعوبات محتومة ، عندما ندرك حجم وتعقيد تفسير نشاط الإنسان ، الذى تجسده الآن بطريقة لا بديل لها كلمة creative.

انظـــر : ART فن، IMAGE صورة، FICTION عمل خيالى

نقد CRTICISM

أصبحت criticism كلمة صعبة جدا لأنه بالرغم من أن معناها العام هــو تصيد الأخطاء إلا أن لها مفهوما ضمنيا كحكم، ومعنى مشوشا جدا فيمــا يتعلــق بالفن والأدب يعتمد على افتراضات قد تكون الآن فى طور التفكك. دخلت الكلمـــة الإنجليزية فى أوائل ق ١٧ من critic ناقد وcritical نقدي/حاسم، منتصــف ق ١٦، (س م) criticus لاتينية، kritikos يونانية، من (س ب) kritès يونانية: قاض. كان معناها السائد السابق ترصــد الأخطاء: "قــف عنــد العلامة criticisme ... لتتلقى التصويبــات" (Dekker، 1607). كذلك استعملت فى التعليق على الأدب وخصوصاً من أواخر ق١٧ كمفهوم لعملية الحكم على الأدب وكذلك الكتابة التى جسدت هــذه العملية. إن الأكثر إثارة للاهتمام هو أن المعنى العام كترصد أخطاء أو على الأقل تقييم سلبى استمر كمفهوم رئيسي. أدى ذلك إلــى اختيــار appreciation تــذوق، ككلمة ألطف لتقييم الأدب. لكن المهم فى تطــور criticism وcritic وcritical هــو افتراض الحكم كاستجابة سائدة بل حتى طبيعية. (هناك استعمال آخر محدد لكنــه مهم ومستمر للكلمة critical لا يصف الحكم لكنه يدل، بناء على استعمال محدد فى الطب، على نقطة تحول ؛ ومن ثم حاسم. بالطبع توسعت الكلمـــة القريبـــة crisis أزمة لتشمل أية صعوبة، بالإضافة إلى معناها كنقطة تحول.)

بينما تطورت criticism فى مفهومها العام نحو censure لــوم/اســتهجان (التى اكتسبت نفسها من ق١٧ معنى معاديا بدلا من حيــادي) تطــورت criticism فى معناها المحــدد نحــو TASTE ذوق (ا م) و cultivation تهـذيب، وفيمــا بعــد CULTURE ثقافة (ا م) وتمييز discrimination (وهذه نفسها كلمة منفصمة بمعنــى

ايجابى للتنظيم الجيد أو الحكم المبنى على معرفة، لكن أيضاً بمعنى سلبى للغاية للعزل غير العقلانى أو المعاملة الجائرة لمجموعة غيرية - قارن RACIAL عرقي). من الصعب جداً فهم التشكيل الذى كان خلف التطور العام ، لأنه استولى بشدة على عقولنا. فى المرحلة الأولى كان المعنى متعلقا بقدرة مكتسبة أو مبنية على معرفة. لاتزال تحاول فى الغالب الاحتفاظ بهذا المعنى. لكن اعتمد تطورها الحاسم من منتصف ق١٧ على عزل تلقى الانطباعات : قد يجوز القول الآن أن القارئ مستهلك CONSUMER (ا م) لسلسة من الأعمال. اعتمد تعميمها ، ضمن مهنة وطبقة معينة ، على افتراضات أحسن ممثل لها هو taste ذوق وcultivation تهذيب: نوع من التطور الاجتماعى والاستجابات الشخصية يصل إلى الدرجة التى يمكن فيها تقديم هذه الانطباعات والاستجابات على أنها STANDARDS (ا م) معايير الحكم. يبدو أن هذا الاستعمال استقر بحلول زمن كتاب Kames : *Elements of Criticism* (١٧٦٢). بالطبع اعتمدت فكرة كون الاستجابة تقييما على الثقة الاجتماعية لطبقة وفيما بعد لمهنة. تحددت الثقة بطرق مختلفة: فى الأصل كتعلم learning أو بحث ، وفيما بعد كتهذيب وذوق ، وبعد ذلك كحساسية SENSIBILITY (ا م). تحطمت أنواع من هذه الثقة فى مراحل معينة، وبشكل خاص فى ق ٢٠ كانت هناك محاولات لاستبدالها بطرق بحث موضوعية objective (قارن SUBJECTIVE)، مقدمة بذلك نوعا آخر من ركائز التقييم. ما لم يوضع موضع المساءلة هو افتراض "الحكم الموثوق authoritative judgment". بالطبع تم الاعتراض باستمرار على زعمها بالسلطة، واكتسبت ناقد critic فى أكثر صيغها الشائعة لهذا المفهوم المحدد - كمراجع reviewer مسرحيات، أفلام، كتب ... الخ - معنى ملتبساً يمكن إدراك أسبابه. لكن هذا لا يمكن حسمه بالتمييز بين منزلتى ناقد critic ومراجع reviewr. ليس موضوع النقاش مجرد الارتباط بين criticism وترصد الأخطاء وإنما أيضا الارتباط الأكثر التصاقا بين criticism والحكم "الموثوق"، واعتبار هذه الارتباطات وكأنها عمليات عامة وطبيعية. أصبحت criticism أيديولوجية كتعبير للتعميم الاجتماعى أو المهنى لعمليات التلقى لأى نوع من الاتصال COMMUNICATION (ا م)، لكن خاصة للأنواع الرسمية جداً،

ليس فقط عندما تأخذ دور المستهلك consumer ولكن أيضا عندما تحجب هذا الدور عن طريق سلسلة من تجريدات لعبارة الاستجابة الفعلية (مثل حكم، ذوق، تهذيب، تمييز، حساسية ؛ نزيه، كفؤ، صارم ... الخ). إن معنى نقد criticism كترصد للأخطاء هو المؤثر اللغوى الأكثر إفادة ضد وثوقية هذه العادة، لكن هناك أيضا علامات، من خلال رفض criticism من حين لآخر كتعريف للاستجابة المقصودة، على رفض أكثر أهمية للعادة نفسها. الهدف يكون إذن ليس الحصول على تعبير آخر يحل محلها بينما يستمر نفس النشاط ولكن التخلص من العادة التي تعتمد في الأساس على تجريد الاستجابة من وضعها وظروفها الفعلية: الارتفاع إلى "حكم" وإلى عملية في ظاهرها عامة في الوقت الذى ما يتوجب إدراكه هو خصوصية الاستجابة التي هي ليست "حكما مجردا" بل حتى عندما تشتمل، كما هو ضرورى في الغالب، استجابات ايجابية أو سلبية فإنها لا تزال ممارسة محددة في علاقات فعالة ومعقدة مع الوضع والمحيط ككل.

انظر: AESTHETIC جمالية، CONSUMER مستهلك، SENSIBILITY حساسية، TASTE ذوق

ثقافة CULTURE

هذه كلمة من اثنين أو ثلاث كلمات هى الأعقد فى اللغة الإنجليزية. يرجع ذلك جزئيا إلى تطورها فى التاريخ الشائك فى عدة لغات أوربية لكن السبب الرئيسي هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة فى مجالات ثقافية عديدة وفى نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة.

الكلمة السابقة مباشرة لها (س م) هى cultura، لاتينية، من (س ب) colere، لاتينية. كان لهذه الأخيرة عدد من المعاني: يسكن، يهذب، يحمي، يقدّر لدرجة العبادة. فى النهاية استقل بعض هذه المعانى فى الأسماء المشتقة لكن مع تداخل من حين لآخر. هكذا تطورت يسكن inhabit عبر colonus، لاتينية، إلى colony، مستعمرة. تطورت "يقدّر لدرجة العبادة" عبر cultus، لاتينية إلى cult،

جماعة المعجبين. اكتسبت culture معنى رئيسيا هو حراثة / رعاية أو عناية بما في ذلك كما لدى سيشرون cultura animi، لكن مع معانى ثانوية قروسطية متعلقة بالعبادة والاحترام (قارن culture فى الإنجليزية "كعبادة" عند Caxton (١٤٨٣). كانت الصيغتان الفرنسيتان للكلمة cultura هى couture، فرنسية قديمة، التى طوّرت منذ ذلك الحين معنى خاصا، وفيما بعد culture التى بحلول أوائل ق١٥ عبرت إلى الإنجليزية. كان المعنى الرئيسى إذن فى رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي.

فى جميع استعمالاتها الأولى كانت culture اسم عملية : العناية بشيء ما وبشكل أساسى محصولات وحيوانات. انتقل الاسم الثانوى coulter شفرة المحراث عبر طريق لغوى مختلف، من culter، لاتينية : شفرة محراث إلى culter، إنجليزية قديمة ثم إلى تهجيات إنجليزية مختلفة : culter، colter، coulter وحتى وقت متأخر فى أوائل ق١٧ – culter – شفرة محراث حارقة hot burning culture وردت فى مسرحية .Webster: *Duchess of Malfi* III,ii قدمت هذه قاعدة إضافية للمرحلة التالية المهمة للمعنى وذلك عن طريق المجاز. من أوائل ق١٦ توسع مفهوم العناية بالنمو الطبيعى ليشمل عملية التطور البشرى وكان هذا، بمحاذاة المعنى الأساسى في رعاية النباتات والحيوانات، هو المعنى الرئيسى حتى أواخر ق١٨ وأوائل ق١٩. هكذا كتب مور More: لرعاية وفائدة عقولهم " to the culture and profit of their minds" وبيكون Bacon: رعاية وإخصاب العقول " the culture and manurance of minds" (١٦٠٥) وهوبز Hobbes: رعاية عقولهم " a culture of their minds" (١٦٥١)، وجونسون Johnson: أهملت العناية بإدراكها she neglected the culture of her understanding (١٧٥٩). عند نقاط مختلفة فى هذا التطور حدث تحولان حاسمان: أولا، جعل قدر من التعود على الاستعارة مفهوم الرعاية البشرية مباشرا. ثانيا، توسع عمليات معينة إلى عملية عامة ، مما مكن الكلمة من حملها بطريقة مجردة. بدأ بالطبع من هذا التطور الأخير الاسم المستقل culture تاريخه الحديث المعقد، لكن عملية التحول صعبة جدا والمعانى الكامنة فى أحيان متشابهة جدا ، لدرجة أنه لا يمكن وضع أى تاريخ محدد لتلك

البداية. لم تكن culture كاسم مستقل وعملية مجرّدة أو نتيجة مثل هـذه العمليـة مهمة قبل أواخـر ق١٨ ولم تصبح منتشرة قبل منتصف ق١٩. لكن مراحل هـذا التطور المبكر لم تكن مفاجئة. هناك استعمال لافت عند ملتون، فى الطبعة الثانيـة (المعدلة) لمنشـوره (١٦٦٠) *The Readie and Easie Way to Establisha a Free Commonwealth* "انشر معرفة وكياسة أكثر، ليس هذا فحسب بل ديناً كذلك عبـر كل أجزاء البلاد عن طريق إيصال حرارة الحكومة والثقافة الطبيعيـة بطريقـة عادلة لكل الأطراف القاصية التى تقبع الآن مهملة ومتبلدة". يبـدو هنـا أن المعنى المجازى "حرارة طبيعية" لا يزال حاضرا ولاتزال كياسـة civility (قـارن حضارة CIVILIZATION) تستعمل بينما فى ق١٩ نتوقع مكانها فى العـادة "ثقافـة" culture. لكن يمكن أيضا قراءة "حكومة" و"ثقافة" بمفهوم حديث جدا. مـن فحـوى نقاشه يكتب ملتون عن عملية اجتماعية عامة وهذه بالتأكيد مرحلة من التطور. فى ق١٨ اكتسبت هذه العملية العامة فى إنجلترا ارتباطاً طبقياً واضحاً رغم أن تهذيب cultivation ومهذب cultivated كانتا تستعملان بشكل واسع. لكن هناك خطابًـا من ١٧٣٠ (قسيس Killala إلى Mrs Clayton أورده Plumb فـى *England in the Eighteenth Century* فيه هذا المفهوم الواضح: " لم يكن من المعتاد لأشخاص مـن محتد كريم أو ثقافة أن يهيئوا أطفالهم للكنيسة". كتـب أكنسـايد Akenside سـنة ١٧٤٤ Pleasures of Imagination: "... لا الحالة الأرجوانيـة (أى الكنيسـة) ولا الثقافة يمكن أن تمنحه". كتب وردزورث: "حيث لم تكن معروفة أبدا لا الرشـاقة ولا الثقافة" (١٨٠٥)، وكتبت جين اوستن (*Emma*،1816) "كل ميزة مـن ميـزات التهذيب والثقافة".

هكذا واضح أن culture كانت تتطور فى الإنجليزية نحو بعض معانيهـا الحديثة قبل الآثار الحاسمة لحركة ثقافية واجتماعية جديدة. لكن لمتابعة هذا التطور خلال هذه الحركة حتى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ يجب اعتبار التطـورات فـى لغات أخرى وفى الألمانية على وجه الخصوص.

حتى ق ١٨ كانت culture في الفرنسية دائما مصـحوبة بصـيغة نحويـة توضح موضوع التهذيب، كما لوحظ توّا فـي الاسـتعمال الإنجليـزي. يرجـع استعمالها من حين لاخر كاسم مستقل إلى منتصف ق ١٨، متأخرا نوعا مـا عـن الاستعمالات المشابهة في الإنجليزية. كذلك يظهر في وسط ق ١٨ الاسم المسـتقل civilization حضارة، وصلته بثقافة culture معقـدة جـدا. (قـارن CIVILIZATION والنقاش الذي يلي هنا). عند هذه النقطة كان هناك تطـور مهـم فـي الألمانيـة: استعيرت الكلمة من الفرنسية وتهجيتها في البداية (أواخـر ق١٨) هـي CULTUR ومن ق١٩KULTUR. مازال استعمالها كمرادفة لحضارة: أولاً، في المفهوم المجـرد لعملية صيرورة الإنسان متحضراً "civilized" أو مهـذبا "cultivated" ؛ ثانيـاً، فـي المفهوم الذي تم ترسيخه لحضارة civilization من قبل مؤرخي عصر الأنوار، في صيغة ق ١٨ الشعبية للتواريخ الشاملة كوصف للعملية العلمانية للتطور البشـري. ثم كان هناك تطور حاسم في استعمال هردر Herder. في كتابه الذي لـم يكتمـل *Ideas on the Philosophy of the History of Mankind* (١٧٨٤-٩١) كتب عن ثقافة culture : "لا شيء أكثر غموضا من هذه الكلمة ولا شـيء أكثـر تضـليلا مـن استعمالها لكل الأمم والفترات". هاجم فرضية التواريخ الشاملة فـي قولهـا بـأن "حضارة civilization" أو ثقافة - culture - التطور الذاتي التـاريخي للبشـرية - كانت ما نسميه الآن عملية أحادية الاتجاه تؤدي إلى الموقع السامي والمهيمن الذي يتمثل في ثقافة أوروبا في ق ١٨. في الحقيقة هاجم ما أسماه هيمنـة واسـتعبادا أوربيا للعالم، وكتب: "يا رجال المعمورة الذين هلكوا عبر العصور لم تعيشوا فقط لتخصبوا الأرض برماد كم حتى تجبر ذريتكم في نهاية الزمن على أن تكون سعيدة بالثقافة الأوربية. مجرد فكرة ثقافة أوربية متفوقة هي إهانة سمجة لعظمة الطبيعة." جادل بأنه من الضروري، وكان هذا تجديد حاسم، التحدث عن ثقافـات "cultures" بصيغة الجمع. ثقافات معينة ومتغيرة لأمم وفترات مختلفة، لكن أيضا ثقافات معينة ومتغيرة لفئات اجتماعية واقتصادية ضمن الأمة الواحدة. تطور هذا المفهوم بشكل واسع في الحركة الرومانسية كبديل لحضـارة civilization المهيمنـة والمألوفـة. استعملت أولا لتأكيد الثقافات الوطنية والتقليدية بمـا فـي ذلـك المفهـوم الجديـد

"folkculture" (قارن Folk) ثقافة الفولك/الشعبي. استعملت لاحقا لمهاجمة ما اعتبر طبيعة ميكانيكية MECHANICAL (ا م) للحضارة الجديدة التــي هــي فــي طــور الظهور: لعقلانيتها التجريدية ولعدم "إنسانية" التطور الصناعى الحالي. اســتعملت للتمييز بين التطور "الإنساني" و"المادي". سياسيا تأرجحت، كما هو الحال غالبا فــي هذه الفترة، بين الاشتراكية والرجعية ، وغالبا ما دمجــت، فــي خضـــم التغييــر الاجتماعى الكبير، عناصر من الاثنين. (رغم أن هذا يضيف إلى التعقيــد الفعلــي، فانه يجب كذلك ملاحظة أن نفس النوع من التمييز خاصة بين تطــور "روحــاني" spiritual ومادى "material" قام به von Humboldt وآخرون فى وقــت متــأخر - ١٩٠٠- مع عكس للتعبيرين حيث أصبحت ثقافة مادية وحضارة روحانيــة. لكــن بشكل عام كان التمييز الأصلى هو السائد).

من ناحية أخرى كانت Kultur، من أربعينيات ق١٩ فى ألمانيا، تســتعمل إلى حد كبير بنفس مفهوم civilization الذى كان يستعمل فى التواريخ الشــاملة فى ق ١٨. كان التجديد الحاســم هــو كتــاب G.F.Klemm كلــم *Allgemeine Kulturgeschichte der Menschelt* : "التاريخ الثقافى للبشرية" (١٨٤٣-٥٢) الــذى تتبع التطور الانسانى من الهمجية إلى التمدن ثم الحرية. رغم أن الأنثروبولــوجى الأمريكى مورجان Morgan فى تعقبه المراحل المشابهة استعمل "المجتمع القــديم" الذى يبلغ أوجه فى civilzation حضارة، فإن مفهوم كلم استمر وتبعه فى الإنجليزية مباشرة تايلور Tylor فى *Primitive Culture* (١٨٧٠). من خلال هذه السلسلة مــن الإسناد يجب تتبع المفهوم السائد فى العلوم الاجتماعية الحديثة .

عندئذ يمكن تقدير التطور الحديث للكلمة واســتعمالها الحــديث. بســهولة يمكننا تمييز المعنى الذى يعتمد على الاستمرار الحرفى للعملية الطبيعية كما هــو الآن فى "حراثة الشمندر "sugar-beet culture" أو كما فــي الاســتعمال الطبيعــى المتخصص فى علم البكتيريا منذ ثمانينــات ق ١٩، مزرعــة ميكــروب (germ culture). لكن حينما نتخطى العلاقة الطبيعية علينا أن ندرك ثلاثة أصناف عريضة من الاستعمال:(١) الاسم المستقل والمجرد الذى يصف عملية عامة للتطور الثقافى

والروحى والجمالي، من ق١٨ ؛ (٢) الاسم المستقل، سواء استعمل بشكل عام أو محدد، الدال على طريقة حياة معينة سواء لشعب أو لحقبة أو لمجموعة أو للبشرية ككل، من هردر وكليم. لكن يجب علينا أيضا إدراك (٣) الاسم المستقل والمجرد الذي يصف أعمال وممارسات النشاط الفكرى والفنى وخاصة الأخيرة. يبدو أن هذا (٣) فى الغالب هو الاستعمال الأكثر انتشاراً: الثقافة هى الموسيقى، الأدب، الرسم، النحت، المسرح والسينما. تشير "وزارة الثقافة" إلى هذه النشاطات التى تشمل أحيانا الفلسفة والمعرفة scholarship والتاريخ. هذا الاستعمال الأخير (٣) فى الحقيقة جاء متأخراً نسبياً. من الصعب تأريخه بدقة لأنه فى الأصل أحد الاستعمالات التطبيقية لمعنى(١) : استعملت بطريقة فعالة ونقلت فكرة عملية عامة للتطور الثقافى والروحى والجمالى إلى أعمال وممارسات تمثلها وتدعمها. لكن أيضا تطورت من معنى اسبق للعملية. قارن "ثقافة الفنون الجميلة التقدمية "progressive culture of fine art" عند Millar ميللر *Historical View of English Government*، (iv. 314، ١٨١٢). فى الإنجليزية لا يزال معنيا (١) و(٢) متشابهين ؛ ولا يمكن تمييزهما أحيانا، لأسباب داخلية، كما عند آرنولد Arnold *Culture and Anarchy* (١٨٦٧)، بينما قدم تايلور Tylor بطريقة حاسمة معنى (٣) فى كتابه *Primitive Culture* مقتفياً أثر كليم. أتى التطور الحاسم لمعنى(٣) فى الإنجليزية فى أواخر ق١٩ وأوائل ق٢٠ .

فى مواجهة هذا التاريخ المعقد ، والذى لا يزال نشطا للكلمة ، فإنه من السهل القيام باختيار مفهوم واحد "صحيح" أو "ملائم" أو "علمي" ورفض المفاهيم الأخرى على أنها مشوشة وغير دقيقة. هناك دليل على هذا الاختيار حتى فى الدراسة المتميزة التى قاد بها Kroeber كروبر وKluckhon كلكيون: *Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions*، حيث يعطى فعلياً الاستعمال فى أنثروبولوجيا شمال أمريكا كمعيار. من البين انه ضمن أى حقل لابد من يضاح الاستعمال المفهومي. لكن المهم عموما هو نطاق المعاني وتداخلها. يوضح تعقيد المفاهيم جدلاً معقداً حول العلاقة بين التطور البشرى العام وطريقة حياة معينة وبين كل منهما وأعمال وممارسات الفن والفكر. من اللافت بشكل خاص أنه فى

الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية تعنى الإشارة إلى ثقافة culture أو a culture ثقافة ما (ثقافة مادية)، بينما فى التاريخ والدراسات الثقافية تكون الإشارة بشكل رئيسى إلى نظم رمزية أو دلالية. كثيراً ما يشوش هذا ، بل حتى كثيرا ما يحجب السؤال الرئيسي عن العلاقة بين الإنتاج"المادي" "material" أو الرمزى "symbolic" الذى يجب أن يتصلا دائما، كما فى بعض الكتابات الحديثة (قارن كتاب المؤلف Culture)، بدلا من أن يتضادا. ضمن هذا الجدل المعقد هناك مواقف متعارضة بشكل جذرى بالإضافة إلى مواقف فعليا متداخلة ؛ كذلك هناك، كما يمكن تقديره، أسئلة كثيرة لم تحل وأجوبة مشوشة. لكن لا يمكن حل هذه الأسئلة والجدل عن طريق تخفيف حدة تعقيد الاستعمال الفعلي. هذه الملاحظة ملائمة كذلك بالنسبة لاستعمالات صيغ من الكلمة فى لغات أخرى غير الإنجليزية حيث هناك تفاوتات كبيرة. يشيع الاستعمال الأنثروبولجى فى مجموعات اللغات الألمانية والاسكندينافية والسلافونية، لكنه بالتأكيد ثانوى بالنسبة لمفاهيم الفن والمعرفة أو العملية العامة للتطور البشرى فى الإيطالية والفرنسية. بين اللغات كما هو ضمن اللغة الواحدة يبرز نطاق وتعقيد المعنى والإسناد اختلافا فى الموقع الفكرى وبعض الضبابية أو التداخل. بالضرورة تنطوى هذه التفاوتات، أيا كان نوعها، على آراء بديلة للنشاطات والعلاقات والعمليات التى تدل عليها هذه الكلمة المعقدة. بعبارة أخرى، فى النهاية التعقيد ليس فى الكلمة ولكن فى المشاكل التى تدل عليها بشكل ذى مغزى تفاوتات استعمالها.

من الضرورى أيضا اعتبار بعض الكلمات المشتقة والقريبة. مرت كل من cultization و cultivated عبر نفس التوسع المجازى من مفهوم طبيعى إلى مفهوم اجتماعى وتعليمى فى ق١٧ وأصبحتا كلمتين هامتين بشكل خاص فى ق١٨. كتب كولريدج ، فى تمييز كلاسيكى ، معبرًا عن فترة أوائل ق١٩ ، بين حضارة وثقافة (١٨٣٠): "التمييز الدائم والتعارض الظرفى بين cultivation تهذيب وحضارة civilization". اندثر فعليا الاسم فى هذا المفهوم لكن الصفة cultivated ما زالت شائعة جدا خاصة بالنسبة للسلوك والأذواق. يبدو أن الصفة المهمة cultural ثقافى التى ترجع إلى سبعينيات ق ١٩، لم تصبح سائدة إلا فى تسعينات ذلك

القرن. لم تكن الكلمة موجودة فى مفهومها الحديث إلا عندما أصبح الاسم المستقل بمعانيه الفنية والفكرية والأنثروبولوجية مألوفا. يبدو أن العداء للكلمة culture فى الإنجليزية يرجع إلى فترة الجدل حول آراء آرنولد. اشتدت قوته فى أواخر ق١٩ وأوائل ق٢٠ بالتعاضد مع عداء مشابه ضد aesthete (محبّ أو مدّعى الفن) و AESTHETIC جمالى (ا م). أنتج ارتباطها بالتمييز الطبقى الكلمة المقلدة "culchah". كذلك كان هناك مجال عداء مرتبط بالشعور المناوئ لألمانيا خلال وبعد حرب ١٩١٤- ١٩١٨، مرتبط بالدعاية المبالغة عن "Kultur". استمر المجال الرئيسى للعداء وتؤكد أحد عناصره العبارة الأمريكية الحديثة "-culture vulture" [نهاش الثقافة]. إنه لذو دلالة أن كل العداء تقريباً (مع الاستثناء الوحيد فيما يتعلق بالشعور المعاصر المعارض لألمانيا) ارتبط باستعمالات تتصل بادعاءات معرفة أسمى (قارن INTELLECTUAL فكري)، أو صقل (culchah)، أو تمييز بين فن "سام" high (culture) من ناحية وترفيه وفن شعبى من الناحية الأخرى. هكذا تسجل الكلمة تاريخا اجتماعيا فعليا ومرحلة صعبة جدا ومشوشة فى التطور الثقافى والاجتماعى .

من اللافت أن الاستعمال الاجتماعى والأنثروبولجى المتزايد لكل من culture و cultural وصيغ مثل sub-culture ثقافة أقلية (ثقافة مجموعة صغيرة مختلفة) إما تجاهل أو بطريقة-فعلية قلّص، عدا فى مجالات معينة (بطريقة ملحوظة الترفيه الشعبي)، العداء وعدم الارتياح المصاحب والارتباك. يحتفظ الاستعمال الحديث للكلمة culturalism (ثقافية) للدلالة على تعارض منهجى مع بنيوية structuralism فى التحليل الاجتماعى بكثير من الصعوبات السابقة ولا يتجنب دائما العداء .

انظر : AESTHETIC جمالى، ANTHEOPOLOGY أنثروبولجى، ART فن، CIVILGATION حضارة، FOLK شعب، DEVELOPMENT تطور، SCIENCE علم، WESTERN غربى

ديموقراطية DEMOCRACY

هذه كلمة قديمة لكن معانيها كانت دائما معقدة. دخلت الانجليزيــة فــى ق ١٦ من (س م) démocratie، فرنسية، democratia، لاتينية وسيطة: ترجمة للكلمة democratia، يونانية، من (س ب) demos، شــعب، kratos، حكــم. فــى ١٥٣١ عرفها اليوت Elyot فى إشارة خاصة إلى المثال اليونانى : "مجتمع عام آخر كان بين الاثينيين حيث مساواة الوضع بين الناس ...سميت طريقة الحكــم هــذه فــى اليونانية ديمقراطية Democratia وفي اللاتينية حكم عام Popularis potentia وفــى الانجليزية حكم شعبى " rule of the comminaltie". واضح مباشرة من الاستعمالات اليونانية أن كل شئ يعتمد على المعانى المعطاة لناس people وحكم rule. تتفاوت الأمثلة السابقة سواء مشكوكة الأصل أو معروفة المصدر من طاعة "القــانون ولا حاكم سواه" (صولون؟ Solon?) إلى "من الشــعب، بالشــعب، للشــعب (كليــون؟ Cleon?). تقترن أمثلة أحدث بين "غطرسة الطاغية" و"وقاحــة العامــة الجامحــة" (اقتبسها هيرودوتس) أو تعرف الحكومة بأنها ديمقراطية" لأن إدارتها فــى أيــدى الأكثرية وليس الأقلية"؛ كذلك " كل ما يعارض السلطة المستبدة يسمى ديمقراطيــة (أوردها ثيوسيددس Thucydides). كتب أرسطو (الشعر، ج٤) : "الديمقراطية هــى وضع يمنح فيه الأحرار والفقراء الذين لهم الأغلبية السلطة فى الدولة". لكن الكثير هنا يعتمد على معنى "منحت لهم السلطة": عما إذا كانت ســيادة مطلقــة أو، فــى الطرف الآخر، الحكم الفعلى الذى لا مشاركة فيه. قال أفلاطون على لسان سقراط (فى الجمهورية، ج ٨) إن "الديمقراطية تنشأ بعدما يدحر الفقراء خصومهم، يقتلون وينفون البعض، بينما فى الوقت نفسه يمنحون المتبقيين قدرا مساويا مــن الحريــة والسلطة".

هذا النطاق من الاستعمالات القريبة من أصول التعبير يجعل من المتعــذر صياغة أية اشتقاقات بسيطة. لكن يمكن القول حالا إن عددا من هذه الاســتعمالات - خاصة تلك التى تشير إلى حكم طبقة شعبية - بعيد عــن أى تعريــف"غربــي" WESTERN (ا م) مألوف للديمقراطية. فى الواقع ما يجب تتبعه هو ظهــور هــذا

التعريف التقليدي، الذى له غموضه أيضا. فى الغالب ما يتم الآن هو تقفى "ديموقراطية" إلى سوابقها القروسطية وتعطى مرجعية يونانية. لكن الحقيقة هى أنه فى الوثائق التى لدينا كانت الكلمة " ديموقراطية "، مع استثناءات ظرفية، تعبيرا سلبيا للغاية حتى ق ١٩ وأنه فقط من أواخر ق ١٩ وأوائل ق ٢٠ توحدت الأحزاب والأهواء السياسية فى إعلان الإيمان بها. هذه هى أهم الحقائق التاريخية اللافتة .

عرّف توماس الأكوينى Aquinas الديموقراطية بالسلطة الشعبية حيث حكمِ – اضطهد – الناس العاديون بسبب كثرة عددهم الأغنياء، فعل الناس مجتمعين فعل طاغية. ظلّ هذا المفهوم الطبقى القوى مهيمنا حتى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ واستمر فعالا فى النقاش حتى منتصف ق ١٩. هكذا نجد " الديموقراطية هى عندما تكون الحكومة للعامة، " فلمنج Fleming (١٥٧٦) (للمفهوم الطبقى لعامة multitude انظر MASSES) ؛ " الديموقراطية هى حيث يكون الرجال الأحرار والفقراء الذين هم أكثر عددا سادة الأرض. (١٥٨٦) ؛ " الديموقراطية ليست سوى سلطة العامة"، فلمر Filmer فى *Patriarcha* (١٦٨٠). أضيف إلى هذا التعريف نـ"ناس" people كعامة multitude مفهوم عام للنوع الناجم عن هذا الحكم rule : الديموقراطية هى الدولة التى كان للكل فيها الحق فى الحكم وبالفعل حكموا ؛ تمت معارضتها (كما فعل سبينوزا Spinoza، مثلا) مع دولة يكون فيها الحكم عن قبل ممثلين، بمن فيهم المنتخبين. بهذا المعنى فيم الدستور السياسى الأول تعبير ديمقراطية – دستور رود أيلاند "Rhode Island" فى (١٦٤١) : "الحكومة الشعبية "popular government" ؛ أى أنه فى سلطة هيئة المجتمعين بطريقة منظمة أو معظمهم وضع أو صياغة قوانين عادلة، تلك التى عن طريقها يتم تنظيمهم وأن ينتدبوا من بينهم ممثلين يكون لهم متابعة تنفيذها بأمانة بين الأفراد" .

يجب التركيز على هذه الفقرة الأخيرة حيث أنه تم التوصل فى النهاية إلى معنى آخر للديموقراطية عن طريق تحوير الممارسة التى أوضحت هنا. فى حالة رود آيلاند صاغ الشعب أو معظمه قوانين فى تجمّع منظم ؛ قام الممثلون بـــ

"تطبيقها بأمانة". هذه ليست شبيهة بالديموقراطية التمثيلية representative democracy التى عرّفها هاملتون Hamilton فى (١٧٧٧). كان يشير إلى مفهوم أسبق للديمقراطية عندما لاحظ أنه "عندما تُمنح السلطات القضائية judicial والتشاورية deliberative كليا أو جزئيا للهيئة الجماعية collective للشعب فلا بد أن نتوقع أخطاء والتباسا وزعزعة. لكن الديموقراطية التمثيلية هى حيث يكون حق الانتخاب مضمون ومنظم وحيث تمنح ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لأشخاص مختارين... الخ". من هذا الاستعمال الأمريكى المعدّل تطور مفهوم حديث سائد. صاغ بنثام Bentham مفهوماً عاماً للديمقراطية كحكم أغلبية الشعب وميّز بعد ذلك بين" ديموقراطية مباشرة" "direct democracy" و"ديمقراطية تمثيلية representative democracy" موصيا بالأخيرة لأنها توفر الاستمرارية ويمكن تطبيقها فى مجتمعات كبيرة. تم منذ ذلك الوقت التسليم بصحة هذه الأسباب العملية المهمة كما تم أيضا التخلى عنها بحيث أنه فى وسط ق٢٠ يمكن وصف أى إصرار على الديموقراطية حسب مفهوم رود آيلاند أو مفهوم بنثام "المباشر" بأنه معارض للديمقراطية anti-democracy حيث أن الحكم من قبل ممثلين منتخبين يعتبر أول مبادئ الديموقراطية. المناقشات العملية جادة بالطبع وفى بعض الأحيان حاسمة لكن أحد أهم التغيرين فى معنى ديموقراطية هو الارتباط الحصرى بأحد أشكالها المشتقة ومحاولة استبعاد أحد صيغها الأصلية ؛ فى إحدى الفترات كانت هذه هى الصيغة الوحيدة.

يتعلق التغيير الكبير بتفسير"الشعب" the people. هناك سجل مهم لمحاولات مختلفة لقصر "الشعب" على مجموعات معينة مؤهلة: أحرار، أصحاب ممتلكات، العقلاء، رجال ذوو بشرة بيضاء، رجال، وهكذا. حيث تتحدد الديموقراطية بعملية الانتخاب فإنه يمكن الادعاء بأن هذه الدساتير المقيدة كاملة الديموقراطية: تعتبر طريقة اختيار الممثلين أكثر أهمية من نسبة "الشعب" الذى يشارك فى ذلك. يتم تتبع تطور الديموقراطية عبر مؤسسات تستعمل هذه الأسلوب بدلا من العلاقات بين كل الناس ونظام الحكم. هذا هو التفسير المعتمد فى معظم التقارير عن تطور الديموقراطية الانجليزية. فى الواقع يُدعى أن الديموقراطية

"توسعت" extended تدريجيا بينما المقصود بوضوح هو التصويت لممثلين بدلا من المفهوم القديم لسلطة الشعب والذى كان حتى أوائل ق١٩ هو المفهوم الانجليـزى المعتاد. أصبح التمييز حاسما فى فترة الثورة الفرنسية. كان بيرك Burke يعبر عن وجهة النظر التقليدية عندما كتب: "الديموقراطية الكاملة كانت أكثر شيء مخز فـى العالم" (*Reflections on the Revolution in France*، ١٧٩٠) لأن "ديموقراطية" كانت تعتبر سلطة شعبية "هائجة" يتم فيها، ضمن أشياء أخرى، اضطهاد أو قمع الأقليات (خاصة الأقلية التى لديها ممتلكات كبيرة). كانت "ديموقراطيـــة" لا تزال حتـى منتصف ق ١٩ تعبيراً ثورياً أو على الأقل متطرفا وكـان التطـور المتخصـص لديموقراطية تمثيلية representative democracy على الأقـل جزئيـا، ردة فعـل مقصودة لذلك علاوة على أسباب الاستمرار ومدى شموليتها العمليـة. مـن هـذه النقطة فى النقاش يمكن ملاحظة تشعب المعنيين الحديثين لديموقراطية. فى التراث الاشتراكى استمرت ديموقراطية تعنى سلطة شعبية popular power: دولـة تكـون فيها مصالح أغلبية الشعب هى الأعلى وتقوم الأغلبية فيها بشكل يكاد يكـون تامـا بالاستفادة من هذه المصالح وتتحكم فيها. فى التراث الليبرالي، عنت ديموقراطيـة انتخابات عامة لممثلين وشروطا معينة (حقوق ديموقراطية democratic rights مثل حرية التعبير) حافظت على انفتاح الانتخابات والنقاش السياسي. هذان المفهومـان فى شكليهما المتطرفين يواجه أحدهما الآخر كعدوين. لو كان المعيار هـو سـلطة الشعب فى المصلحة الشـعبية فالمعـايير الأخـرى تعتبـر ثانويـة (كمـا فـى الديموقراطيات الشعبية People's Democracies) ويكون تركيز هـذه المعـايير محصوراً فى "ديموقراطية رأسمالية" أو "ديموقراطية برجوازية". لو كان المعيـار هو انتخابات وحرية تعبير فان المعايير الأخـرى تكـون ثانويـة أو مرفوضـة ؛ فمحاولة ممارسة سلطة شعبية من أجل مصلحة شعبية عن طريق إضـراب عـام، مثلا، توصف بأنها معادية للديموقراطية حيث أن الديموقراطية قد تحققت بطـرق أخرى ؛ اعتبار الادعاء بأن المسـاواة EQUALITY (ا م) الاقتصـادية جـوهر الديموقراطيـة، هـو الطريـق المـؤدى إلـى اضـطراب أو ديموقراطيـة شمولية totalitarian democracy أو حكومة اتحاد عمال. يشمل هذان الموقفان؛ مـع

تفاوتات كثيرة لهما، معانى ديموقراطية الحديثة، لكن لا يعتبر هذا عادة تنوعاً تاريخيا للكلمة : كل موقف فى العادة يوصف بأنه "المعنى الصحيح الوحيد"، والاستعمال البديل يعتبر دعاية مبالغة أو نفاق.

ديموقراطى democratic (من أوائل ق ١٩) هى الصفة المعتادة لأى من نوعى الاعتقاد أو أى من هاتين المؤسستين. لكن يجب ملاحظة معنيين إضافيين. هناك استعمال ملحوظ لديموقراطى democratic لوصف ظروف النقاش المفتوح دونما الإشارة بالضرورة إلى انتخابات أو سلطة. فى الواقع، فى استعمال مميز تعتبر حرية التعبير والتجمع حقوقاً ديموقراطية كافية بذاتها دونما إشارة إلى مؤسسة أو طبيعة السلطة السياسية. هذا مفهوم مقيّد مستمد من التركيز الليبرالى الذى يتوجب فى صيغته الكاملة وجود انتخابات وسيادة شعبية (وليس حكماً شعبياً)، لكن الذى يعارض غالباً نشاطاً ديموقراطياً مستمراً مثل اعتراضات على انتخابات قائد أو سياسته فى ظروف غير رسمية أو "مناسبة". هناك أيضاً مفهوم مشتق من الإشارة الطبقية السابقة للعامة multitude: أن يكون تلك أسلوب "ديموقراطي" يعنى أن تكون فى شعورك غير واع بالتميز الطبقى أو عن قصد تهمل هذا الشعور أو تتغلب عليه فى السلوك اليومي: تتصرف كما لو أن كل الناس متساوون ويستحقون تقديرا متساويا سواء كان هذا صحيحاً أم لا. هكذا يمكن للإنسان أن يكون فى علاقات "بسيطة وطبيعية" مع كل من يلاقى ويمكنه أيضاً أن يؤمن بحرية التعبير وحرية التجمع لكن، فى انصياعه لهذا الشعور، يمكنه أن يعارض حق الاقتراع الشامل ويقف ضد حكومة تتوجه كلية لمصالح الأغلبية. توسعت جزئيا المفاهيم، وجزئيا بعدت عن هذا المفهوم السابق والذي لا يزال على الأرجح هو المفهوم الرئيسى لطبيعة السلطة السياسية. فى الوقت نفسه، حملت "demagogy" و "demoagogie" (من م) "demagogós"، يونانية، (من ب) demos ناس/شعب، agogós قائد، agein يقود – من اليونانية المعنى السلبى السائد: المهيج للامسئول، بدلا من "قائد شعبي" فى صيغة مألوفة من التحيز السياسي. استعملت الكلمة بشكل مشابه فى الانجليزية من ق١٧ واستعملت مهيج/مؤجج "agitator" فى

البداية بمعنى "agent" وكيل، موظف من قبل مندوبى الجنود فى برلمـــان ١٦٤٧-١٦٤٩، لكن أعطيت المفهوم الازدرائى بشكل رئيسى من ق ١٨.

لا توجد مسائل أكثر صعوبة من تلك التى تتعلق بديموقراطية فى أى مـــن معانيها الأساسية. تحليل التفاوتات لن يحلها لكن قد يوضحها أحيانا. فـــى قـــرن لا مثيل له تدّعى فيه تقريبا كل الحركات السياسية تمثيل "ديموقراطية" أو "ديموقراطية صحيحة" يجب أن نضيف للمعانى الايجابية المتعارضة فى التـــراثين الاشـــتراكى والليبرالى تحريفات مقصودة لا حصر لها: اختزال مفاهيم انتخاب وتمثيل وتفويض mandate إلى شكليات مقصودة أو مجرد صيغ موجهة ؛ اختزال مفهـــوم ســـلطة شعبية أو حكومة مصلحة شعبية إلى شعارات اسمية تحجب حكم بيروقراطيـــة أو حكم أقلية. أحياناً قد يكون من السهل الإيمان بالديموقراطية أو مؤازرتهـــا لـــو أن تغيير ق ١٩ لم يحدث وأنها مازالت تعبيراً سلبياً وحزبياً. لكن سلك التاريخ طريقه ، ومعانيها المعاصرة هى السجل المشوش الذى لا يزال فعالاً .

انظـــر : Anarchism فوضـــوية، Class طبقـــة، Equality مساواة، Liberal ليبرالـــى، Masses جمـــاهير، Popular شـــعبى، Representative ممثل، Revolution ثورة، Socialist اشـــتراكى، Society مجتمع

يحدد / يحتم DETERMINE

للكلمة determine نطاق معقد من المعانى فى الإنجليزية الحديثة. وضمـــن هذا النطاق هناك صعوبة خاصة عندما يرتبط الفعل بكل من determinant محـــدِّد و determinism حتمية واستعمال معين لمحدَّد determined. هذه الصعوبة الخدمـــة هامة لأنها تتصل باتجاهات مهمة مختلفة فى الفكر الحديث.

دخلت determine الانجليزية فى ق ١٤ من (من م) determiner فـ نسية قديمة، determinare لاتينية، (من ب) terminare، لاتينية: يضع حـــدود . [illegible]

صيغ عدة تتقدمها البادئة اللاتينية de معقدة في معانيها، لكن في هذه الحالة معنى "وضع حدود" هو السائد في كل الاستعمالات الأولى. برزت الصعوبة والالتباس اللاحق عندما اكتسب أحد المفاهيم المستعملة، الذى يتعلق بوضع حد وبالتالي نهاية لعملية ما، أهمية نهاية مطلقة. هناك عمليات كثيرة لها حد أو نهاية معتادة كانت تستعمل بالنسبة لها determine ومشتقاتها بانتظام : تحدد determined مشكلة أو خلاف من قبل سلطة، ومن هذا الاستعمال والاستعمال القانوني المرتبط به، في أمور مثل عقود الإيجار، هناك مفهوم أكثر عمومية معادل لـ"يقرر" decide: مثلا، "في تاريخ سيحدد to be determined". يرتبط بهذا معنى يعادل "يحسم مسألة " settle ؛ يعطي شكلا ثابتا عن طريق الملاحظة أو الحساب أو التعريف definition. ما يميز كل هذه الاستعمالات هو أن determining تحديد هي نقطة أو عمل ثابت عند نهاية العملية ، وأن هذا المفهوم لا يحمل أى معان ضمنية ضرورية ، وفي العادة ليست هناك معان ضمنية البتة، وأن الطبيعة الخاصة للقرار أو الحسم أو الحكم النهائي هي في صلب طبيعة العملية. تحسم أو تتمم determination عملية ما؛ لكنها لا تتحكم فيها أو تتنبأ بها.

لكن كما هو واضح هناك احتمال تداخل مع معنى عملية مهيأة بطريقة تجعل من الممكن اعتبار أن تحديدها determination النهائي أو المنظور هو الذى يعرفها. من هذا التداخل تنبع كل المعاني الحديثة الصعبة. المصدر الرئيسي لهذا التوكيد ثيولوجي: يمكن اعتبار أن الإله (في مفهوم توسع من قرار معين لسلطة) حدّد determined ظروف الحياة البشرية بما فيها استحالة تجنب الموت، وبهذا المفهوم يكون حدد مصير الإنسان. من أوائل ق ١٦، عند تنديل Tyndale مثلا، لدينا العبارة الإنجيلية " علم الله بالغيب وقصده المحدد determinat counsell and foreknowledge of God". بالطبع هناك جدل طويل ومعقد حول مدى وطبيعة مثل هذه النهايات المقررة preordained وحول مضامينها ونتائجها. عموماً في هذا النقاش استعملت بشكل أكبر كثيراً الكلمة predistination قضاء وقدر (ومعها الكلمة المخففة حرية الإرادة free-will) من determination تحديد لكن بوضوح في أحيان كثيرة ارتبطت الكلمتان. هذا هو المصدر الرئيسي لتحديد/حد determination

كأمر تم حسمه وتثبيته بطريقة قطعية، لكن لم يسيطر المفهوم القطعى تماماً أبداً حتى فى هذا المجال من الاستعمال. لكن بوضوح كان هناك مجال كبير للتشويش عندما تنقل النقاش بين مفهومى ظروف تحدّد عملية، وعملية تتحكم فيها نهاية متطورة أو معروفة.

عندما بدأ استعمال determination تحديد/حد فى العلوم منذ منتصف ق١٧ نشأ نطاق مقابل من المعاني. كانت determination حد من حين لآخر الحالة النهائية أو الأساسية لمادة ما، لكن فى علم الطبيعة المبكر(Boyle بويل، ١٦٦٠) كانت تعني فعلياً ميولاً واضحة: "أخرى حركتها لها اتجاه معاكس opposite determination". كتب كلارك Clarke فى (١٧١٠): "عندما يتحرك جسم بطريقة معينة، هذا هو ما نسميه اتجاه determination ". هنا النزعة الواضحة هى فى صلب طبيعة الجسم وبالتالى لا تزال العوامل المحددة determinants لأية عملية لها صبغة معينة. فى الفترة اللاحقة التى تمت فيها صياغة القوانين العامة، سواء فى العلم science أو، كما فى السابق، فى أصناف من قوانين الله أو الطبيعة، توسع المفهوم وامتد إلى المبدأ المجرد : من فكرة أسباب ونتائج معينة إلى فكرة عملية "مستحيلة التجنب inevitable ومحدُّدة " determined". لكن من الصعب جدا عند الوصول إلى هذا المفهوم المجرد أن نميز بوضوح بين أنواع من عمليات يحكمها قانون أو قوانين عامة وأنواع من النتائج، التى - سواء استنبطت من عنصر جوهرى أو، كما هو محتمل، عرضى - تعتبر مستحيلة التجنب. تزيد الصعوبة تعقيدا عندما ندرك أن يحدد determine تستعمل بنفس القدر فى النظر إلى المستقبل كما هى فى النظر إلى الماضى prospect/retrospect ؛ يصبح مفهوم استحالة التجنب الذى يمكن أن يكون نتيجة ملحوظة لاستعادة الماضى شيئا مختلفا عندما يُسقط على أحداث مستقبلية.

لعدة قرون دارت أنواع مختلفة من النقاش، فى الغالب بصعوبة، حول هذه المعانى ليحدد determine : فى الثيولوجيا، والأخلاق ethics، وفى الفيزياء وختامًا فى النظرية theory الاجتماعية والاقتصادية. أعطت صياغة determinism

حتمية/جبرية فى منتصف ق١٩ تحريفاً خاصاً لكل النقاش. فـى معناهـا الأكثـر استعمالا تفترض حتمية ظروفاً سابقة الوجود، عموماً "خارجية"، تقـرر عمليـة أو حدثاً ما. غالباً تعنى "خارجية" مجرد خارجة عن رغبة أو مشيئة الأفراد المرتبطين بعملية كهذه؛ لا تزال الشروط المحدّدة determining فى صلب العمليـة العامـة نفسها. لكن هناك أيضاً استعمال مستمد من حجم بعض هذه العمليات التى يتم فيها، بطريقة واضحة فى الغالب، توكيد الطبيعة الخارجيـة المحـدّدة determining. لا يتحكم الناس فى عمليات محدّدة determinate مثل النظام الشمسى فى طـرف، أو عمليات النشوء والارتقاء والتوريث البيولوجى فى مرحلة وسطى، وفـى الطـرف الآخر نظام اقتصادي. استعملت حتمية/جبرية determinism التى كانت فى السابق (رغم أنها لم تعط هذا الاسم) مذهبا ثيولوجيا أو مبدأ فلسفياً خصوصاً من منتصـف ق١٩ فى البيولوجيا والاقتصاد رغم أن استعمالها الأوثق كان لا يزال فى الفيزياء. فى حالة الفيزياء، أصبح المعنى الأكثر تقييدا لحتمية determinism - أحـداث تـم التنبؤ بها تماما بناء على الأسباب المعروفة - مألوفا لدرجة أن مشاهدة الأحـداث التى لا يمكن ضمنيا التنبؤ بها أو أنها مجرد مرجحة حثت على سك تعبير سـلبى جديد: indeterminism لا حتمية الذى توسع استعماله فيمـا بعـد منتصـف ق٢٠ بطريقة متلاحقة إلى حقول أخرى بطريقة مماثلة لما حدث للتعبير السابق البسـيط determinism. بحلول هذه الفترة كان واضحا فى الاستعمال العام أن حتميـة لـم تحمل فقط معنى السبب الذى لا يمكن تجنبه وإنما أيضا السـبب الخـارجي فـى جوهره. لهذا كان توسع لا حتمية indeterminism من عمليات مشاهدة معينة إلـى ظروف الحياة الأشمل متهور ومثير للاهتمام فى نفس الوقت.

أصبحت determinism فى مفهومها العام مرتبطة بظروف الحياة العامـة، سواء البيولوجية أو الاقتصادية. هذه العمليات قد تكون ضمن المعرفـة الإنسـانية لكن خارج تحكم البشر ؛ ترسخت أساليبها. فى الواقع فـى كـل المناقشـات ذات العلاقة كانت هناك محاولات تمييز دقيقة بين determination تحديد. مهما كانـت معتقدة : "المفهوم اللاعقلانى irrational القديم المتجسد فى fate قدر (فـى الأصـل حكم الآلهة، (من ب) fari أتكلم ؛ لاحقا عملية محددة. لا شخصانية ومـن ق١٤

نهاية محدّدة ؛ اكتسبت من ق١٧ مفهوم كارثة فى fatal مهلك بينما نهايات أخـرى مقررة تم وصفها بالحظ fortune – صـدفة تنحصـر فـى الحـظ الطيـب – أو providence: التحكم العطوف والحاني. تشير طروحات من أجل حتميـة عقلانيـة "rational determinism" إلى مقدرة فهم العمليات العامة وعبر هذا الفهـم اكتسـاب بعض السيطرة عليها، مهما كان ذلك محدودا. المفهوم، إذن، أكثر تمييـزا كونـه يسمح بالتفريق ضمن العمليات العامة بين ظروف محدّدة determining أو محدّدات determinants – عوامل أساسية تضع، كما فى استعمالات سابقة، حدودا معينة أو تمارس ضغوطا معينة – وعوامل أخرى عرضية أو لا يمكن التنبؤ بها أو طوعية. يعتمد معظم النقاش العقلانى لظروف محددة أو محددات على إيضاح هذا التمييـز. خلاف ذلك، يمكن لمشاهدة عوامل فعلية محدّدة – قوى تضع حـدودا أو تمـارس ضغوطا – أن تتضخم بسرعة إلى fatalism قدرية (determinism حتمية/جبريـة) يكون فيها كل شيء قد تقرر – قرّر مسبقاً predetermined كما تصاغ في العـادة بغرض التوكيد – وليس علينا إلا ترقب حدوثها. بطريقة بديلة، يمكن أن بوهننـا شعور بالصعوبات إلى حالة غموض ولا مبالاة لا يمكن فيها الاعتـراف بوجـود عوامل ضرورية ليس فقط افتراضيا ولكن عمليا. فى الواقع، هـذا ضـرب مـن الجنون ؛ لا يجعل من الممكن تجنب التعرف على تلك الطريقة إلا الوصف الواثق المتخصص لوجهات نظر أخرى على أنها حتمية. كان هذا الطرح مهمـا بشـكل خاص فى الماركسية حيث تم فى الغالب تشجيع الحد determination الاقتصـادى المطلق، سويا مع العواقب السياسية والاجتماعية والثقافية التابعة – قوانين التـاريخ وقـانون القاعـدة 'base' (بنيـة المجتمـع الاقتصـادي) والبنيـة الفوقيـة "superstructure" (كل الحياة الاجتماعية الأخرى) – بينما فى طروحات ماركسـية أخرى كان هناك مفهوم محددات معينة يتصرف الناس ضمنها أو فى علاقة معهـا لصنع تاريخهم. أنتجت الأنواع الوضعية POSITIVIST (ا م) الأكثر تطرفا لعمليـات تم التنبؤ بها تماما أو بشكل عام أنواعاً مقابلة مختزلة لتلاعـب الأحـداث "play of events" تسمى(بتخصص شعبى مقابل للمعانى الدقيقـة) إمبريقيـة EMPRICICISM وبراجماتية PRAGMATISM (ا م م) .

لا يمكن حسم أمور على هذه الدرجة من الجدية والتعقيد عن طريق تعريف الكلمات، لكن يمكن أن يكون النقاش حول هذه الأمور مشوشاً تماماً باستعمال ملح وشبه جازم لمعنى ثابت لهذه الكلمة شديدة التقلب ومشتقاتها. في النهاية، يشمل تاريخ الكلمة كذلك مسارا آخر من المعاني ترتبط فيه determination و determined، determine، ليس بحدود أو نهايات وليس بأسباب خارجية ولكن بشكل معين بقرارات أو أفعال الإرادة "acts of will" كما في "قررت أن أحقق ذلك" ... I am determined to". في البداية يبدو أن هذا المعنى استنبط من المعنى السابق المذكور أعلاه : الوصول إلى قرار "come to a decision" ؛ هناك عدة استعمالات سابقة في صيغة يقرر مع نفسه determine with oneself، كما هو الحال في تطور مشابه ليحسم resolve وحسم resolution . ربما لم يقل أحد بعد " قررت ألا أتحدد "I'm determined not to be determined" لكن هذا يبين نطاق المعاني الفعلي. منذ أوائل ق ١٦ تستعمل determined وdetermine بشكل عام بمعنى قرار ثابت أو حاسم اتخذه شخص بناء على رغبته. على الأقل بحلول ق ١٩ نشأ مفهوم اشتقاقي عام لا يتطلب عادة تعريفاً إضافيا للفعل - قررت determined فعل أو عدم فعل شيء - في صيغته صفة عامة تدل على "مستمر بتشبث" persistent أو غير متردد unwavering: مفهوم يرتبط بالتأكيد بمعنى عملية محسومة settled ومتعذر تجنبها inevitable، لكن كذلك يعطي في الاستعمال الفعلي نوعا معاكسا من التفسير للأفعال والأحداث البشرية. للأغراض العامة الكثيرة يبقى التمييز الفعلي الحديث بين determinism وdetermination، بدرجة كافية من الوضوح، على هذا المدى من التفاوت والتعارض، لكن يصعب إدراك التمييز الأكثر صعوبة في استعمالات determine و determined كما نشاهد بانتظام.

انظر : DEVLOPMENT تطوير، EMPIRICAL إمبيريقي، EVOLUTION نشوء و ارتقاء، PRAGMATIC برجماتي

تنمية / تطور DEVELOPMENT

دخلت develop(ed) الانجليزية فى منتصف ق ١٧ فى أعقاب كلمة إنجليزية سابقة disvelop (أواخر ق ١٦) من (س م) développer ، فرنسية desvolper، فرنسية قديمة، بمعنى فى جذر الكلمة معاكس ليغلف wrap ، يحزم bundle – بالتالى يفض unfold، يبسط unroll. توسع المعنى مجازيا فى ق ١٨ وأصبح يشمل مفهوم تنمية "قدرات ... الإنسان العقلية"، واربرتون Warburton، ١٧٥٠ (قارن CULTURE ثقافة ونشوء وارتقاء EVOLUTION). تبعت ذلك development فى منتصف ق ١٨، لكنها مازالت تستعمل من قبل شسترفيلد Chesterfield، ١٧٥٢، فى صيغتها الفرنسية. كان أول توسع رئيسى لها فى البيولوجيا الجديدة فى علاقة قريبة لأفكار نشوء EVOLUTION (ا م).

يتعلق الاستعمال الجديد اللافت لمجموعة كلمات تتمحور حول develop بأفكار معينة عن طبيعة التحول الاقتصادي. فى منتصف ق١٩ تم التعبير بهذه الطريقة عن فكرة مجتمع يمر خلال مراحل تطورية evolutionary محددة : "تتقدم الأمم على طريقة تنمية Development، سماتها اللاحقة لها جذور فى العناصر الأولى". علاوة على ذلك، المفهوم الضمنى فى هذه الفكرة هو " التنمية التقدمية progressive development" التى سجلت من ١٨٦١ (انضر PROGRESSIVE). من ١٨٧٨ هناك إشارة إلى صناعة INDUSTRY (ا م) : "يرجع التطور development الحقيقى للصناعة الاسكتلندية إلى اتحاد ١٧٠٧"، (ليكى Lecky)، بينما تقول جريدة فى ١٨٨٥ "يمكن تنمية development التجارة إلى أى مدى تقريبا".

بوضوح تعزز هذا الاستعمال لعمليات الاقتصاد الصناعى والتجارى من أواخر ق ١٩ وأصبح معتاداً فى ق ٢٠. قد يكون لهما مقابل بسيط فى undeveloped، لكن التحول المهم حدث بعد ١٩٤٥ مع الكلمة الجديدة والمؤثرة underdeveloped. يرتبط هذا مع الفكرتين:(١) الأراضى التى لم تتم تنمية أو استغلال EXPLOIT (ا م) الموارد الطبيعية "natural resources" فيها بقدر كاف ؛ من

أواخر ق ١٨ استعملت resources في صيغة الجمع بهذا المعنى وعُرّفت " natural resources" في ١٨٧٠: "الركاز في المنجم، الحجارة التي لم تقتلع، الأشجار التي لم تقطع، ... الخ ؛ (٢) اقتصاد ومجتمعات مقرر لها أن تمر بمراحل من التطـور يمكن التنبؤ بها حسب نموذج معروف. من المثير للاهتمام أن المفهـوم المـوازى لتطور development وتطورى developmental في علم النفس، الذي يصف عمليـات النمو "growing-up" يمكن أن يؤثر في مفهـوم مجتمعـات ناميـة (دون تطـور) underdeveloped، بشكل علني أو خفي، سواء كتفضّل ورعاية أو كتحديد لوضعها بالنسبة للاقتصاد المتطور developed. تم في السابق التعبير عن ذلك بطريقة أقـل حصافة، وذلك بوصف تلك المجتمعات بالمتخلفة backward، التي هي نفسها تعبير تطورى developmental. ارتبط كـل مفهـوم لناميـة underdeveloped باعتبـار المجتمعات الفقيرة والمستعمرة أو المستعمرة سابقا مواقع يجب فيها تطبيق الأفكار الراسخة للتنمية. تبع هذا الوصف المجامل لهذه المجتمعات بأنها نامية developing أو في طريقها إلى النمو "in the course of development".

حجبت البساطة الظاهرة لهذه التعبيرات أمورا اقتصادية وسياسية صـعبة جداً ومثيرة للنزاع. هكذا يمكن تطوير أرض معينة لأغراض خاصة بها، كما فـي بعض أنواع اقتصاد الكفاف، لكن تعتبـر دون تطـور underdeveloped بالنسـبة للسوق العالمي الذي يسيطر عليه آخرون. ثـم اعتبـر اقتصـاديون راديكـاليون underdevelopment التطور المتدني حالة ناجمة عن ضغط اقتصادي خارجي حيث أن التنمية يمكن أن تكون إما استغلال مجتمع لموارده لأغراضه الذاتية أو – وهذا يؤدي إلى نتائج اقتصادية مختلفة تماماً – استغلال بعض موارده حسـب السـوق والطلب الخارجي. تخضع في الواقع فكرة "مناطق تنمية development areas" في دول نفس البديلين. من وجهة نظر فُضلت dependent تابعـة علـى developing نامية، كوصف للحقائق المفروضة في عملية التطور المتدني underdevelopment، لكن تكمن هناك أيضا مشاكل فعلية في أن التنمية التي تتولد داخليا قد لا تكون فقط مختلفة عن تلك التي تفرض من الخارج، ولكن قد تكون، حسب اختلاف مصـالح داخلية، متفاوتة.

مــن الواضــح، مــن خلال هــذا التشابك اللفظي، تشوش فكرة مساعدة الدول النامية "aid to the developing countries"، التي عــادة مــا تكــون نبيلــة، بممارسات تفقد كل سخاء وتلغي هويات الآخرين عن طريق تعريف تلــك الــدول بأنها underdeveloped دول نامية أو "less developed" أقل نمواً، وبعمليات تنمية مفروضة تلبي حاجة سوق عالمي يتحكم فيه آخرون. هناك شكوك مماثلــة حــول معاني سائدة لتعبير "عالم ثالث "Third World" الذي يرجع أصله إلى "Tiers Monde" في فرنسا في أوائل خمسينيات ق ٢٠، قياسا بالسلطة الثالثــة "Third Estate" فــي الثورة الفرنسية. في اللغة السياسية الحديثة، يعتمد الوصف على افتــراض وجــود "عالمين" أول وثاني، والزعم أنهما رأسمالية واشتراكية، رغم أن هذا لم يفصّل في الغالب. التعبير في الغالب كريم في مقصده لكــن فــي التــداخل المتكــرر مــع underdeveloped يمكن أن يدل إما على منطقة عامة يعمل ويتنافس فيها "العالمان" الأول والثاني أو على بلدان مختلفة جدا تقبع في حالة غير متمايزة في جوهرهــا. يمكن إن يحجب مقدار اعتماد "عالم ثالث" على تعاريف شرق/غــرب East-West (قارن WESTERN غربي) السائدة، كما في التعبير المقارب في الغالب non-aligned (دول عدم الانحياز)، علاقات أكثر حسما من النوع الذي يدل عليه الآن باضطراد وصف شمال/جنوب North-South، رغم أن له صعوباته الخاصة. في الواقع يمكن أن يقيد ويشوش ضغط فكرة التنمية development، التي في الغالب لم تفحص، أي وصف معمم للنظام الاقتصادي العالمي الحالي. لا يكون مزيد من التمييز المحــدد ضرورياً وممكنا إلا في تحليل الممارسات الفعلية التــي تنضــوي تحــت تنميــة development.

انظــر : EVOLUTION نشــوء / تطــور، EXPLOITATION استغلال، IMPERALIASM إمبريالية، NATIVE وطني / محلــي، WESTERN غربي

لهجة DIALECT

دخلت dialect الإنجليزية فى أواخر ق ١٦ من (س م) dialecte، فرنسية، (س ب) dialektos، يونانية. كان المعنى اليونانى الأصلى حــديث "discourse" أو محادثة conversation قد توسع فعلاً ليدل كذلك على طريقة الكلام أو لغة بلــد أو منطقة. بخلاف استعمالات عرضية، أصبحت الكلمة متخصصة من ق ١٧ وخاصة من ق ١٨ فى معناها الحديث السائد الذى ليس هو مجرد لغة منطقــة، بــل كمــا يعرفها قاموس أكسفورد OED، "إحدى الصيغ أو التنويعات الثانوية التابعة للغة التى تنتج عن خصوصيات محلية للمفردات والنطق والاصطلاح". الكلمة الأساسية هنــا "ثانويــــة" أو تابعــــة "subordinate" التى يجب فهمها فى سياق تعريــف"OED" الإضافي: "نوع من الكلام يختلف عن "اللغة" الفصحى أو الأدبية".

يمكن اعتبار وضع "لغة" بين مزدوجتين فى التعريف السابق كفكرة تاليــة متبصرة. تاريخياً ليست نقطة الخلاف الحقيقية الواضحة أن أساليب الكلام تختلــف فى أجزاء مختلفة من البلد أو مناطق لغوية أخرى، لكن الجرأة تكمن فى تســميتها "تابعة". يرتبط ذلك بشكل وثيق بتطور فكرة لغة إنجليزية فصحى STANDARD (ا م) أو أية لغة أخرى فصحى، يكون فيها استعمال منتقى (فى الإنجليزية مبنى على أساس طبقي) رسمى وسائد correct. ليست الإشارة البديلة "للغة أدبية" إشارة بشكل رئيسى للغة الأدب "LITERATURE " (ا م) فى معناها الحديث ككتابة إبداعية، لكــن للمفهوم القديم للغة مناسبة فى "المعرفة الرفيعة" وأهم من ذلك فى هذا النــوع مــن الكتابة المؤدبة .

الالتباس إذن واضح. لا تحمل الاستعمالات الأولى مفهوم "تــابع" لكنهــا تحدد موقعاً يدل على تنويع. فى الواقع هناك استعمال من ١٦٣٥ يمكن أن تسمى فيه لغات، حسب تصنيفنا الحالي، "لهجات": " فاللغــة السلافية تشمل لهجات كثيرة، مثل الروسية، البولندية، البويهمية، الأليرية ..." حيث نتحدث الآن عن "عائلة لغات قومية". بالفعل فى إقرار لغة "قومية" ومن ثم ضمن عملية تمركز "فصــحى" هــذه أصبحت تصنف تنويعات قومية "NATIVE" (ا م) أصيلة وقديمة تماماً على أنها تابعة

ثقافياً. عندما ننظر إليها نظرة حيادية، توجد اللغة فى هذه التنويعات. لكن ضــمن عملية الهيمنة الثقافية، ما يتم تقديمه ليس فقط صنفاً رسمياً مختارا يمكن منه الحكم على كل التنويعات الأخرى بالوضيعة أو فى الواقع غير دقيقة، لكن أيضاً مفهومــاً شبه ميتافيزيقى للغة وكأنها توجد خارج تنويعاتها الفعلية. ليس فقط هناك انجليزيــة فصحى ثم لهجات، لكن هناك أيضاً، عبر هذا التقديم، انجليزية فريدة ثــم لهجــات للانجليزية.

من اللافت ملاحظة تعديلات فى هذا النوع من الوصــف حســب تغيــر علاقات اجتماعية أخرى. مثال دال هو الانتقال من "لهجة يانكيــة Yankee dialect" إلى إنجليزية أمريكية "American English" الذى لم تكتمل (على هذا الجانــب مــن المحيط الأطلنطي) إلا فى منتصف ق ٢٠. الحالة مشابهة فــى العبــارة الشــائعة "لغات ثانوية/أقليات " minority languages" التى تحمل ضمنياً معنى "أقل أهمية" فى اقترانها المألوف بلغات رئيسية "major languages". هذا أيضاً شكل من الهيمنـــة. فعلا هناك لغات أقليات، غالباً أقليات فى ذلك الوضع الاجتماعى ، لأن وطــنهم أو إقليمهم تم ضمّه أو دمجه فى الوحدة السياسية الأكبر. هذا لا يجعلها "لغات أقليــات" سوى من منظور الهيمنة. فى موقعهم (لو تمكنوا من مقاومـــة ما يكون فى الغالب ضغوطا هائلة) هى لغتهم - لغة خاصة مثل أية لغة أخرى. بطريقــة مشــابهة، اللهجة ببساطة هــى طريقة الكلام فى مكان معين .

انظــــر: LITERATURE أدب، NATIONAL وطنى/قــومى، REGIONAL جهوى، STANDARDS معايير

جدلي/ديالكتيكى DIALECTIC

ظهرت dialectic فى الإنجليزية من ق ١٤ فى معناها اللاتينى المقبــول لوصف ما نسميه الآن منطق logic. فى معانيهــا الأساســية كانــت dialectique، فرنسية قديمة، dialectica، لاتينية، dialektike، يونانية تعنى فن النقاش والمنــاظرة

ومن ثم، بالاستنتاج، تحرى الحقيقة عن طريق النقاش. فسرتها المدارس المختلفة تفاسير مختلفة ولشرح أفلاطون تاريخ لاحق هام: عنت dialektike فن تعريف الأفكار وكذلك طريقة تحديد العلاقة بين الأفكار فى ضوء مبدأ واحد. بالتالى سيتم تمييز هذين المفهومين فيما بعد كمنطق logic وميتافيزيا metaphysics. فى الاستعمال الإنجليزى المبكر كما فى الاستعمال القروسطى عموما، كانت dialectic هى فن التفكير المنهجي: " العلم الثانى المنطق الذى يسمى 'جدل'" (Caxton، ١٤٨١)؛ "ديالكتيك أو المنطق، أى معرفة الحقيقة فى كل شيء عن طريق الجدال" (١٥٨٦)؛ "ديالكتيك هى فن المحادثة حيث يؤكد أو يدحض أى شيء عن طريق سؤال وإجابة المتجادلين" (Stanly، ١٦٥٦). كان هناك مفهوم أشمل للكلمات dialectic و dialectics و dialectical من ق ١٧ يتصل بالنقاش بشكل أعم واستمر هذا المفهوم.

كان هناك استعمال خاص ومؤثر لجدلى dialectic فى الفلسفة المثالية الألمانية. وسع ذلك مفهوم التناقض خلال النقاش أو الجدل إلى مفهوم التناقض فى الواقع. عبر سلسلة معقدة من النقاش انتقل هذا المفهوم الموسع للكلمة (الذى له صلة بمفهوم أفلاطون : تحديد العلاقة بين الأفكار فى ضوء مبدأ واحد) إلى الاستعمال العام نسبيا لكن الذى تكتنفه فى الغالب صعوبة. بالنسبة لكانط يبين النقد الدياليكتيكى dialectical الطبيعة التبادلية المتناقضة لمبادئ المعرفة عندما يتم تطبيق هذه المبادئ على الوقائع الميتافيزيائية. بالنسبة لهيجل، تم تجاوز هذه التناقضات، فى كل من الفكر وفى تاريخ العالم الذى كان سمته الموضوعية، فى حقيقة واحدة اسمى : كانت العملية الديلكتيكية إذن، الاتحاد المستمر للأضداد فى علاقة الأجزاء المعقدة بالكل. أعطى فيخته Fichte صيغة من صيغ العملية الثلاثية المشهورة: "الطريحة thesis، النقيضة antithesis، الجميعة synthesis. ثم أعطت الماركسية معنى ديالكتيك، الذى يدل على اتحاد متنام progressive عن طريق تناقض الأضداد، مرجعية معينة فى ما أسماه انجلز الجدلية المادية dialectic materialism. جعلت صيغة هيجل العملية الجدلية الروح فى المقام الأول أما العالم فكان ثانويا. تم عكس هذا الترتيب وأصبحت الجدلية dialectics "علم

قوانين الحركة العامة لكل من العالم الخارجي والفكر البشرى - مجموعتان من القوانين المتطابقة فى جوهرها لكن المختلفة فى صياغتها" (Engles، Essay on Feurbach). كانت هذه هى الجدلية المادية "materialist dialectic" التى أعيدت صياغتها فيما بعد كمادية جدلية "dialectical materialism" وطبقت على كل من التاريخ والطبيعة (Dialectics of Nature جدلية الطبيعة). اعتبرت المبادئ الأساسية التى تكمن فى صلب هذه العملية هى تحول الكمية إلى نوعية، تحديد هوية الأضداد أو دحض النقيضة ؛ هذه هى "قوانين" التاريخ والطبيعة.

كان هناك خلاف شديد حول علاقة "المادية الجدلية" بفكر ماركس الذى لم يستعمل هذا التعبير، وكذلك علاقتها بأصولها المثالية، وعلاقتها بالعلوم الطبيعية. يفضل بعض الماركسيين التعبير الأدق : مادية تاريخية "historical materialism" ولا يرغبون فى توسيع نطاق صفة جدلى dialectical لتشمل العمليات الطبيعية، بينما يصر آخرون على أن نفس القوانين تنطبق على الاثنين. هناك أيضا أقسام من الفكر الماركسى ترفض فكرة القوانين الجدلية برمتها فى الوقت الذى تحتفظ فيه بمفهوم فضفاض لجدلى dialectic يصف تفاعلات القوى المتناقضة أو المتعارضة. وجد هذا المفهوم الفضفاض طريقه إلى الاستعمال العام، بمحاذاة مفهوم عملية النقاش أو طريقة النقاش الأقدم. ليس من اليسير فى الغالب ملاحظة أى من هذه المعانى المختلفة هو المستعمل وبأية تضمينات خلال النقاش المعاصر.

انظر : MATIRIALISM مادية، SCIENCE علم

نظرى/لا عملى DOCTRINAIRE

هذه الكلمة غريبة لأنها تستعمل الآن بشكل واسع فى سياق سياسى لتدل على مجموعة أو فرد أو موقف يمكن اعتباره معتمداً على مجموعة أفكار معينة ؛ المعنى الضمني، السلبى دائما، هو أن الأفعال أو المواقف التى لها هذا المرتكز

غير مفضلة وسخيفة. هذا تحول مهم من معنى التعبير في مجال السياسة. دخلت الكلمة الفرنسية من ١٨١٥ تقريبا لتصف طرفا يحاول التوفيق بين موقفين على طرفي نقيض، وكان الازدراء في "نظري/لا علمي" doctrinaire تعبيرا عن الاعتقاد بالطبيعة النظرية فحسب لهذه المحاولات التي لم تشمل أي فهم فعلي لمصالح وأفكار الطرفين المتعارضين الحقيقية. يمكن القول أن اللانظريين doctrinaires الأصليين حاولوا التوسط والوصول إلى تسوية بين ما يسمون الآن doctrinaires الطرفين الملتزمين بمواقف سخيفة. يصعب تتبع التحول لكنه ترسخ بحلول أواخر ق ١٩ وأصبح شائعا بشكل خاص في منتصف ق٢٠ وعلى الأرجح اعتمد هذا التحول على تدهور معنى doctrine (مذهب، عقيدة، تعليم) من مجموعة تعاليم (حيادية أو ايجابية) إلى وضع مجرد جامد (قارن التطور المقارب لدوغما dogma التي لها الآن معنى أكثر سلبية). حدث هذا خاصة بالنسبة للمذاهب الثيولوجية وانتقل بشكل كبير إلى السياسة خلال ق ١٩. طورت الكلمتان indoctrinate (يعلم مبادئ المعرفة، يلقن) و indoctrination، اللتان كان لهما من ق ١٣ معنى حيادياً أو ايجابياً يدل على تدريس أو تعليم، مفهوما سلبيا بشكل واضح من أوائل ق ١٩ وهما الآن مثل doctrinaire سلبيتان تماماً. من الملفت قراءة ما ذكره مارك باتيسون Mark Pattison في(١٨٦٨): "لا يمكن أن يعلم indoctrinate العلوم الفيزيائية إلا مدرس قدير". يتم الآن التمييز بشكل واضح بين تعليمنا our teaching وتلقينهم indoctrination، ويتضمن ذلك معنى مصاحبا ولكنه ليس قاطعاً بوجود توجيه وضغط في التعبير السلبي. في نفس الوقت يعتمد معنى doctrinaire الحديث على تضاده الواضح غالباً مع التعبيرات المحددة(التي عادة ما تكون ذاتية الاستعمال) مثل sensible (واع، معقول)، practical (عملي) وفي الغالب كذلك PRAGMATIC برجماتي (ا م). لهذا صلة وثيقة جدا بالتمييز بين أفكاري ومبادئي my ideas or principles، وأيديولوجية ودوغمائية الآخر. أصبحت الصيغة مهمة في السياسة منذ نمو حركات وأفكار تعتمد على مواقف ومبادئ على خلاف أو في تعارض مع تلك التي تحكم النظام الاجتماعي القائم. عورضت تهمة

principled باستعمال متخصص مشابه يميز بين برامج وأعمال سياسية doctrinaire (ذات مبادئ محددة من المثل) وأخرى unprincipled (مجردة من المبادئ).

انظـــر: IDEOLOGY أيديولوجية

دراماتيكى DRAMATIC

هذه واحدة من مجموعة كلمات لافتة توسعت مـن اسـتعمالها الأصـلى والمستمر فى فن معين إلى استعمال أشمل كوصف لأحداث وأوضاع فعلية. بشكل رئيسى ترجع dramatic دراماتيكى بمعنى حدث أو وضع له صفات مشهد لافـت أو دهشة مشابهة لتلك المرتبطة بالدراما المكتوبة أو الممسرحة spectacle إلـى ق ١٨. كذلك الوضع بالنسبة للكلمة picturesque رائع: منظر أو زى أو فعل يعادل مشاهدة صورة أو له خصائص واضحة تجمعه مـع صـورة picture. يبـدو أن theatrical مسرحى التى تصف خصلة معينة مبالغ فيها فى فعل ما ترجع إلـى ق ١٩. على الأرجح يعود تاريخ tragic تراجيدي/مأساوى التى تصف حدثا فاجعـا بنفس الدرجة مثل ذلك الذى يحدث عادة فى التراجيديا إلى ق ١٦، لكن أصـبحت أكثر شيوعاً من أوائل ق ١٩. تم توسيع role (دور) مشـاركة أو شخصـية فـى مسرحية ليصف وظيفة اجتماعية أو نوعا من النشاط الاجتماعى حسـب مدرسـة مثالية idealist سائدة فى علم الاجتماع ومن ثم استعملت بشكل عام منـذ أوائـل ق٢٠. فى منتصف ق٢٠ توسعت scenario سيناريو، من خطة للعمـل الـدرامي، خاصة فى الأوبرا، لتصف تنبؤاً سياسيا أو عسكريا وبشكل متزايـد خطـة فعليـة للأحداث .

بعض المعانى الضمنية فى الاستعمالات الموسعة فى هذه المجموعة مثير للجدل. ينتمى بعضها مثل picturesque إلى عادة ذهنية يمكن تقفيها وتـتم فيهـا مشاهدة الحياة أو يُزعم فيها مشاهدة الحياة عن طريق الفن. يبدو أن معانى ضمنية أخرى مثل دراماتيكى أو تراجيدى تطورت بطريقة طبيعية مـن خـلال الترافـق

الناشئ عن العادة. رغم أنها تستعمل الآن دونما أية إيحاءات معينة فإنـه يبـدو أن role دور تعتمد على نوع معين مجرد من الفعل والتنظيم الاجتماعي وتعتمد كذلك بشكل خاص، كما فى أغلب استعمالات سيناريو، على نوع شكلانى formalist من النشاط الاجتماعي. الصفة theatrical مسرحى فظة لكنها ربما تكون ضرورية.

أهم أمثلة على كل هـذه المجموعـة هـو بـالطبع "person" شـخص وشخصية "personality" اللتان تتطلبان نقاشا مستمرا.

انظـر : PERSONALITY شخصية

إيكولوجيا/علم البيئة ECOLOGY

لم تكن ecology شائعة فى اللغة الإنجليزية قبل منتصـف ق ٢٠ رغـم أن استعمالها العلمى (فى الأصل oecology) يرجع إلـى سـبعينيات ق ١٩، بشـكل رئيسى عبر ترجمة عن عالم الحيوان الألمـانى هيكيـل Haeckel. لكـن هنـاك استعمالا واضح الاستقلال، وللغرابة ملائما، لدى ثورو Thoreau من ١٨٥٨. جاء عن (س ب) oiko، يونانية: أهل البيت ومعها اللاحقة logy مـن logos: حـديث، ومن ثم دراسة منظمة. تشاركها economy نفس الإسناد مع اللاحقة البديلـة nomy (قارنAstronomy علم الفلك) من nomia يونانية nomos إدارة ،: قانون (ناموس). تطورت economy اقتصاد من معنـاها الأصلى كـإدارة منـزل (ق١٦) إلـى اقتصـاد سياسـى political economy (مـن الفرنسـية، ق ١٦- ق ١٧) وإلـى economics علـم اقتصاد فى معناها الحديث العـام مـن أواخـر ق ١٨. طورت ecology (عند oklogie Haeckel) معنى habitat بيئة/موطـن (اسـم لموقـع إقامة متميز من ق ١٨ عن صيغة الفعل اللاتينى "يعيـش") وأصـبحت دراسـة علاقات النباتـات والحيوانات بعضـها ببعض وبموطنهـا. تبـع ذلك فى الاستعمال العلمي: ecotone (منطقة انتقاليـة بين مجتمعيـن نباتيـن مختلفين) ecotype (نموذج بيئي)، ecospecies (نوع بيئي). فـى ١٩٣١ اعتبـر

هـ.ج. ولز H. G. Wells أن علم الاقتصاد هو "فرع من علم البيئة ... علم بيئة الجنس البشرى the ecology of the human species". يمهد هذا لتطورات لاحقة مهمة تكون فيها ecology محط اهتمام اجتماعى عام، لكن فى البداية كانت الكلمة الأكثر ذيوعا لهذا الاهتمام بالموطن البشرى والطبيعى هى environmentalism بيئية. فى الواقع كان مصطلح environmentalism أكثر دقة كمبدأ تأثير المحيط الطبيعى على التطور؛ ارتبط أحيانا بالنظرة اللاماركية Lamarkian أكثر من ارتباطها بالنظرة الداروينية للنشوء EVOLUTION (ا م). ترجع environment بمعنى محيط، كما فى environs ضواحى إلى أوائل ق١٩ من(س م) environner، فرنسية: يحيط، (س ب) viron، فرنسية قديمة: دائرة ؛ توسعت كما لدى كارلايل Carlyle (١٨٢٧): "محيط من الظروف environment of circumstances". أصبحت environmentalist بيئي/خبير بيئى وكلمات مزاملة لها شائعة من خمسينيات ق ٢٠ للتعبير عن اهتمام بالمحافظة conservation ("preservation" الإبقاء) واتخاذ إجراءات ضد التلوث. بشكل كبير حلت ecology وكلمات مرافقة لها محل environment ومشتقاتها من أواخر ستينيات ق ٢٠ وواصلت هذه الاهتمامات وزادت منها. من هذه الفترة نجد الكلمات: ecocrisis أزمة بيئية، ecocatastrophe كارثة بيئية، ecopolitics سياسة بيئية وecoactivist ناشط بيئي، وتشكيلات أكثر تحديدا لمجموعات وأحزاب إيكولوجية. أعيد النظر فى تفسير علم الاقتصاد والسياسة والتنظير الاجتماعى بسبب هذا الاتجاه المهم والمتنامى وذلك من منطلق اهتمام مركزى بعلاقات الإنسان بالعالم الطبيعى كأساس ضرورى للسياسة الاقتصادية والاجتماعية.

انظر : CONSUMER مستهلك، EVOLUTION نشوء، EXPLOITATION استغلال، NATURE طبيعة، WORK عمل

متعلم EDUCATED

في الأصل كانت educate تعني ينشئ rear ويربي أطفالاً، من (س ب) educare لاتينية: يرعى، ينشئ (وليس من educere: يقود، ينمي، التي منها صيغة التأكيد: educare) و(س م) educationem، لاتينية، بنفس المعنى العام. لم يُفقد أبداً المعنى العام، لكن تم حصره على التعليم والتدريس المنظمين منذ أوائل ق١٧، وبشكل سائد منذ أواخر ق ١٨. فإذا لم يتحصل معظم الأطفال على مثل هذا التعليم المنظم كان التمييز بين متعلم educated و uneducated غير متعلم، واضحا إلى حد معقول، لكن من المثير أن هذا التمييز أصبح أكثر شيوعاً منذ تطور التعليم النظامي بشكل عام بل حتى منذ تطور التعليم العام. هناك مفهوم طبقي واضح في هذا الاستعمال وتم باستمرار تعديل المستوى الذي تشير إليه متعلم educated ليتسنى إسقاط معظم الناس الذين تلقوا تعليماً دونه. أسهم في هذا الوضع على الأرجح المعنى الباقي لتنشئة كما في القول حسن النشأة properly brought-up التي يمكن أن تدل على ما تحدده أية مجموعة بذاتها. الكلمتان -over educated وافر التعلم و half-educated نصف متعلم هما صفتان من منتصف ق ١٩ وبشكل خاص من أواخر ذلك القرن؛ هما ضروريتان للاحتفاظ باستعمال مميز لمتعلم educated ذاتها. يتفاعل هذا الاستعمال مع استعمال متخصص لكلمة intelligent ذكي، ليميز مستوى أو قدراً معيناً من المقدرة يختلف عن المقدرة العامة التي كانت الكلمة تدل عليها في الأصل. يظل جديرا بالملاحظة أنه بعد قرن تقريباً من التعليم العام في بريطانيا فإن معظم السكان، حسب هذا الاستعمال، يعتبرون غير متعلمين أو أنصاف متعلمين ، ولكن الحكم متروك للمتعلمين إن كانوا ينظرون إلى هذا في زهو أو في تأنيب الذات أو في تبرم من سخف هذا الاستعمال.

انظر: CULTURE ثقافة، INTELLECTUAL مفكر

نخبة ELITE

هذه كلمة قديمة أعطيت منذ منتصف ق١٨ معنى اجتماعياً معيناً وأعطيت منذ أوائل ق٢٠ معنى اجتماعياً آخر مشابها لكنه مختلف. فى الأصل وصفت elite شخصاً منتخباً أو تم اختياره بطريقة رسمية، من (س م) elit، فرنسية قديمة، من elire : ينتخب، من (س ب) eligere، لاتينية: يختار ومنها electus، لاتينية: خيار، وكل مجموعة الكلمات الإنجليزية المشتقة منها: elect ينتخب ،election ا نتخاب، electoral انتخابي. توسعت elect فى ق ١٥ من أشخاص تم اختيارهم بطريقة رسمية فى عملية اجتماعية إلى مفهوم كونهم منتخبين بشكل خاص من قبل الإله ("the elect" الصفوة المنتخبة فى الثيولوجيا والفكر الاجتماعى المرتبط بها)، وفى اتجاه مختلف، إلى مختار select أو منتقى choice، الأشخاص المفضلين والبارزين. هكذا اتسع ما كان فى الثيولوجيا أو فى النشاط الاجتماعى نوعا من الاختيار الرسمى إلى عملية امتياز أو تمييز discrimination، حيث لم يعد هناك تفريق بين elect مُنتخَب والأفضل best والأهم "most important". وبين كثير من هذه الكلمات التى تصف هذه العمليات المعقدة والمتشابكة – distinguished متميز، preferred مفضّل، select مختار، choice منتقى (كلها صفات) – نفس التعقيد والتداخل.

صارت كلمة elect عموما معادلة (عدا استعمالها الخاص كنتيجة الانتخاب election) لاستعمال elite بعد منتصف ق ١٨ ، والتى أصبحت المفضلة بشكل شبه دائم بهذا المعنى. لكن على الأرجح، كنتيجة لاستعمال elect الثيولوجى المثير للجدل الذى تميز بشكل محدد عن "الاختيار الاجتماعى أو البروز الاجتماعي"، تمت إعادة تبنى الصيغة الفرنسية elite التى حلت فى النهاية محل elect فى كل معانيها العامة كاسم. استمر بالطبع الفعل وبقيت elected منتخب و the elected المنتخب لتصف المختارين رسميا (سوى المتبقى فى Bishop-Elect الأسقف المنتخب أو Professor-Elect الأستاذ المنتخب وأمثالهما).

عــبّرت elite من منتصف ق ١٨، وبشكل أكثر شيوعا مــن أوائل ق ١٩، فى المقام الأول عــن التميز الاجتماعى عن طريق الرتــب، لكـــنها كانــت تستخدم كذلك للتفريق بين أعضاء المجموعة الواحــدة. قارن قــول بــايرون فــى ١٨٢٣: "فى تصنيف واحــد مع 'كونتيسات بلانك' الأخريات إلا فى الرتبة؛ فــى الوقت نفسه كذبة lie الناس ونخبتهم elite" (XIII،*Don Juan*) ، حيث المعنــى سـلبى والكلمة ما زالت نسبياً جديدة، مع بعض الالتباس فى نطقها بالإنجليزيــة)؛ "نخبــة النبالة الروسية the elite of the Russian nobility". (فــى ترجمة إنجليزية لكتــاب فرنسي، ١٨٤٨)؛ "ونخبة جيل متحضر بالمقارنة بسواه" (١٨٨٠). أصــبحت elite فى تطورها على هذا المنوال مساوية تقريباً للأفضل best وكانت لها أهمية فــى ظروف مجتمع ق ١٩ الجديدة ولفها غموض مثل أنواع أخرى من التمايز تجسدها rank مرتبة، order رتبة، وCLASS طبقة (ا م).

لم يكن مدهشاً إذن ظهور الكلمة بمعنى حديث محــدد يتصــل بالمناقشــات الدائرة حول طبقة class. ولذلك عنصران رئيسيان: أولهما: الشعور بــأن هنــاك تفككا فى أساليب اختيار الأنسب للحكم، أو لممارسة نفوذ عــن طريــق مرتبــة أو وراثة، وفشل فى إيجاد طرق جديدة لاختيار مثل هؤلاء الأشخاص عــن طريــق انتخاب رسمى (برلمانى أو ديمقراطي)؛ ثانياً: فى رد على الأفكار الإشتراكية عن الحكم من قبل "الطبقات"، أو عن السياسة "كصراع بين الطبقات"، كان هناك القــول بأن التشكيلات الفعالة فى الحكومة والنفوذ ليست هى الطبقات وإنما النخب. يمثــل المفهوم الأول، وهو الأقل رسمية فى ق ١٩ كلمات بديلة كثيرة – clerisy أهــل المعرفة (كوليردج)، الحكماء the wisest (مــل Mill) وقــول آرنولــد "the best" الأفضل والبقية الباقية "the remnant". الأهمية فى كل حالة تكمــن فــى التمييــز المفترض لتجمعات كهذه عن تشكيلات اجتماعية نافــذة وقائمة. فى استعمال ق٢٠ العام، وجدت كل هذه الافتراضات طريقها إلى elite ، رغم أنــه ذو دلالــة كــون الكلمة ما زالت تستبعد بسبب بعــض تــداعياتها (غالبــاً تســتعمل الآن مفــاهيم excellence امتياز أو STANDARDS معايير (ا م) "المجردة" للتعبيــر عــن أفكــار مشابهة أو مقاربة). استعمل فعليا المعنى الثانى الأكثر رسمية فى اتجاه فى النظرية

الاجتماعية مستمد من Pareto باريتو و Mosca موسكا. ميز باريتو بين نخب حاكمة governing elites وأخرى غير حاكمة، لكنه أصر كذلك على أن الثورة، وغيرها من طرق التغيير السياسي، إنما تنجم عن انحطاط وعدم ملاءمة نخبة سابقة، ومن ثم معارضتها وإزاحتها أو إسقاطها من قبل نخبة فعلية جديدة كثيرا ما تدعى أنها تقوم بذلك لمصلحة طبقة. يشير معنى نخبة هذا إلى مجموعة صغيرة مؤثرة تبقى نخبة فقط عن طريق التداول والتعزيز بأعضاء جدد. إن الاستمرارية التبادلية للمراتب والطبقات يحول دون تكوين نخبة حقيقية أو استمرارية فعاليتها. واعتبر موسكا ظهور ونجاح النخب بديلا ضروريا للثورات. تتضافر بقايا نظرية "صراع طبقي" مع أفكار مجتمع فيه منافسة مفتوحة لتنتج عندئذ نخبا متنافسة competitive elites ، وهكذا تكون إما مجموعات قديرة تمثل مصالح اجتماعية متنافسة أو متعارضة وتستعملها، أو بطريقة أكثر حيادية، مجموعات قديرة بديلة تتنافس فى سبيل السلطة السياسية. استعملت كل من هاتين الصيغتين فى الأحزاب السياسية الحديثة، وكل منهما مراجعة جذرية (غالبا دون وعى منها) لنظرية الحكومة الديموقراطية DEMOCRACY (ا م) العامة المفترضة، وخصوصا للديموقراطية النيابية REPRESENTATIVE (ا م). مثل هذه النخب لا "تمثل" represent؛ بل تعبر عن أو تستعمل لمصالح أخرى (سواء لأغراضها الأنانية أم لا، وهذا مجال خلاف ؛ لأن مناصرى النظرية يدعون أن أهدافهم الفعلية كنخب هى التوجهات الضرورية الأنسب للمجتمع ككل).

أنتج الهجوم على هذه المواقف، منذ ١٩٤٥، الصفتين السلبيتين عادة: elitism نخبوية و elitist نخبوي. تجمع معظم الاستعمالات المعاصرة لهاتين الكلمتين معارضة المفهوم غير الرسمى للحكم أو النفوذ من قبل الأفضل "the best" مع معارضة الإجراءات السياسية والتعليمية المصممة لإنتاج نخب فى مفهوم أكثر رسمية. هذه إذن إما (١) معارضة حكم أقلية أو تعليم خاص بتلك الأقلية بما فى ذلك جميع الإجراءات والمواقف المتوافقة مع هذه العمليات أو (٢) معارضة أعم لكل أنواع التمييز الاجتماعى سواء وضع ومورس رسميا أم لا. هناك التباس بين هذين المفهومين ، وقد يكون هذا مهما فى العلاقة بين أفكار نخبة وأفكار "طبقة

class" أو "طبقة حاكمة ruling class " حيث يبدو أن النقاش الاجتماعى الحقيقى يتمركز. إن وجود كلمات ايجابية بديلة للأقلية السياسية المؤثرة مثل 'vanguard طليعة" و "cadres كوادر" أمر ذو معنى. تتداخل هذه بشدة فى بعض الاستعمالات مع المفهوم الرسمى لكلمة نخبة رغم أن هناك تمييزا (يتعلق بالأغراض النهائية) بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار (مع ذلك قارن " leadership قيادة" كاسم جمعي وهو يستعمل فى الإثنين). فى الوقت نفسه يشير الارتباط الإتيمولوجى المنسى بين elite و elected إلى اهتمام معين ساخر.

انظر: CLASS طبقة، DEMOCRACY ديمقراطية، REPRESENTATIVE نيابية أو تمثيلية، STANDARDS معايير

إمبيريقي/تجريبى EMPIRICAL

كلمة امبيريقى empircal والكلمة اللصيقة بها empiricism امبيريقية/تجريبية، هما الآن فى بعض السياقات من أصعب الكلمات فى اللغة الإنجليزية. دخلت empirical (مع empiric) الإنجليزية فى ق ١٦ من (س م) empiricus، [طبيب يعتمد على خبرته العملية وحدها] لاتينية، من empeirikos، يونانية، من (س ب) empeiria، يونانية: experience خبرة ، من empeiros، يونانية: من peira يونانية، ماهر "skilled" اختبار "trial"، تجربة experiment. لكن هذا التطور العام قد تأثر جذريا فى معظم الاستعمالات الإنجليزية الأولى باستعمال متخصص للمصطلح فى الطب اليونانى حيث كانت هناك مدارس متنافسة: Empiriki تجريبية، Dogmatiki دوغماتية و Methodiki ميثودية/منهجية. اعتمدت الامبيريقية على الملاحظة العملية والأساليب المقبولة وكانت تشكك فى التعليل التنظيري. تكرر هذا الاستعمال فى الإنجليزية، فى المجال الطبى غالبا، واكتسب بالإضافة إلى معناه الحيادى معنى ازدرائياً: "مشعوذون، أطباء دجالون، امبيريقيون Empiricks (Browne، ١٦٢١). توسع هذا المعنى فيما بعد إلى نشاطات أخرى

غير الطب ليدل على جهل أو ادعاء واستعملت empiricism التجريبية فى البداية، من ق ١٧، بهذا المعنى الذى تغلب عليه السلبية.

الجدل الواسع الذى أثــر فــى النهايــة فــى معــانى empirical امبيريقــى وempiricism امبيريقية هو جزء من حركة علمية وفلسفية شــديدة التعقيــد. تــدل المعانى الحديثة الأبسط على: الاعتماد على التجربة experience تحت الملاحظة، لكن كل شيء يرتكز على كيفية فهم "experience". من بين معانيها الرئيسية أنهــا كانت حتى أواخر ق ١٨ مرادفة لاختبار experiment (قارن الفرنسية الحديثــة)، عن المصدر المشترك (س ب) experiri، لاتينية: يجرب ويضع تحت الفحص. لــم تعد experience، "اختبارا" أو "فحصا مقصودا" فقط وإنما شعوراً بما تم فحصه أو اختباره، ومن ثم شعور بأثر أو حالة. اكتسبت من ق ١٦ معنى أشمل تم فيه ضــم متعمد للماضى (المجرّب والذى تم فحصه) يدل على معرفة مستمدة مــن أحــداث فعلية بالإضافة إلى تلك المستمدة مــن ملاحظــة معينــة. احتفظــت experiment تجربة بالمعنى الأبسط: الفحص والاختبار.

تكمن الصعوبة فى أن empirical وإلى حد ما empiricism استعملتا تحــت تأثير هذه المعانى المعقدة والمتداخلة. هكذا وبمحاذاة معنى امبيريقــى الازدرائــى كدجال كان هناك استعمال أصبح مهما خاصة فى الطب وعلــم ق ١٧ الجديــدين: "امبيريقي، هو ذلك العلم الذى يعتمــد علــى الاختبــارات العمليــة experiments (١٥٦٩)؛ "كان لديه مختبر، وعرف كثيرا من الأدويــة الامبيريقيــة empirical medicines" (١٦٨٥). استعملت empiricals امبيريقيات لمواد التجريب العلمــي. استمرت امبيريقية، بمعنى مهم يتعلق بالملاحظة والتجريب كاجراء علمى أساسي، مألوفة فى الإنجليزية إلى اليوم.

أصبحت الكلمة معقدة بسبب عاملين: أولهما: دل معنــى Empiriks المحــدد والمعنى الإنجليزى المستنبط: "غير مدرب" و "جاهل" ليس فقط بســبب الاعتمــاد على الملاحظة والتجريب لكن أيضاً بسبب لامبالاة ومعارضــة قاطعــة للتنظيــر. ثانيهما، أنتج الجدل الفلسفى المعقد حول الإســهام النســبى للتجربــة experience

والعقل reason فى صنع الأفكار، كوصف لجانب من الجدل. يــدل المصــطلحان empiricism امبيريقية وempiricist امبيريقى على أن نظريات المعرفة تستمد كليــة من الحواس - أى من experience (وليس experiment تجريب/اختبار) بمعناهــا المحدد الآن. كانت هناك ولا تزال تنويعات كثيرة على هذا الجدل لكــن النقطــة الحاسمة لفهم تطور الكلمة هى سلسلة المعانى بدءا من "العبارة الإيجابية: ملاحظة مباشرة direct observation" (قارن معرفة وضعية positive knowledge ووضعية POSITIVISM (ا م) إلى "العبارة السلبية": ملاحظة عشوائية random observation أو مجرد ملاحظة دونما مبدأ أو نظرية موجهة. أدى النقــاش المتخصــص والمعقــد لنظرية المعرفة إلىاستخدامها بمفهومها التاريخى المحدد، ذلك الاستخدام المــرتبط بالفلاسفة الإنجليز الامبيريقيين empirical أو empiricist من لوك Locke إلى هيــوم Hume. لكن الاستعمال الحديث العام لا يرتبط بتفاصيل الجدل الفلسفى بقــدر مــا يرتبط بالتمييز العريض بين معرفة تعتمد علــى الملاحظــة (experience خبــرة و expirement تجربة) ومعرفة تعتمد على استعمال آراء ومبادئ موجهة تم التوصل إليها بالعقل أو أن العقل يحكمها. يقود هذا التمييز الصعب أحيانــاً إلــى اســتعمال فضفاض لامبيريقى empirical لتعنى لا نظرى atheoretical أو ضــد تنظيــرى anti-theoretical وهذا يتفاعل مع التمييز الأكثر شــيوعاً بــين عملــى practical ونظرى THEORETICAL (ا م).

من الصعب التعمق فى الإنجليزية الحديثة دون مواجهة استعمالات مشوشــة أو على الأقل صعبة لإمبيريقى وإمبيريقية: فالنظرية أو الفرضية يتم وضعها تحت فحص إمبيريقى (يعنى هذا عادة أن تختبر الملحوظة، إن لم تكن النظرية بالتحديــد هى التى تختبر). عندما يوصف تقرير بأنه "إمبيريقى بشكل فج" بمعنى ليس ببعيــد عن معنى أوائل ق١٧ : غير مدرب أو جاهل، يشير فى الدرجة الأولى إلى غياب أية أفكار أو مبادئ موجهة أو ضابطة (أو أنها ليست كافية)؛ بينما يكــون تقريــر آخر ملائما إمبيريقيا أو "مقنعا بشكل إمبيريقي" ويفهم مــن ذلــك أن المعلومــات موثوقة أو أن فرضية ما قد أثبتت. توضع بعض المواضيع الحاسمة على المحــك فى النقاشات التى تطورت من خلالها الكلمات، لكن عادة ما تُحجب هذه المواضيع

بدلا من أن توضح بالاستعمال الشائع الآن لإمبيريقى وإمبيريقية كمتقابلتين بسيطتين للمدح واللوم. فإذا ما امتد تحديد الكلمات أكثر بإضفاء صفات قومية - "الميول الإنجليزية الامبيريقية"، "الامبيريقية الأنجلوسكونية رديئة السمعة" - يفقد النقاش عادة كل جدية.

انظر: EXPERIENCE خبرة/تجربة، POSITIVISM وضعية، RATIONAL عقلاني، SCIENCE علم، THEORY نظرية

مساواة EQUALITY

كانت equality تستعمل بانتظام فى الإنجليزية منذ أوائل ق ١٥، وترجع إلى (س م) equalité، فرنسية قديمة، aequalitatem، لاتينية، (س ب) aequalis، لاتينية من aequus - مستو، متكافئ، عادل. ارتبطت استعمالات equality الأولى بكميات مادية لكن نشأ استعمال اجتماعى للكلمة، خاصة بمعنى "تكافؤ المرتبة" من ق١٥ وأصبح أكثر انتشارا من ق١٦. تطورت من ذلك equality التى تشير إلى حالة عامة و مثّل ذلك نقلة حاسمة. لم تعد تعنى "مقارنة مراتب" ولكن توكيدا على حالة أكثر عمومية، طبيعية كانت أم معيارية. يتضح هذا الاستعمال عند ميلتون Milton (*Paradise Lost* xii,26):

... not contenet

With faire equalitie, fraternal state

... لم يكن قنوعاً

بالمساواة العادلة، بالوضع الأخوى

لكن بعد منتصف ق١٧ لم تعد شائعة بذلك المعنى مرة أخرى حتى أواخر ق ١٨ عندما أعطيت توكيدا محددا فى الثورتين الأمريكية والفرنسية. أما ما تم الإصرار عليه فقد كان أولا "حالة جوهرية" - "خلق كل الناس سواسية -

وأخيراً مجموعة مطالب محددة، كما فى المساواة أمام القانون، أى تعديل التمييزات التشريعية السابقة بشأن مزايا ومراتب الإقطاع وما بعد الإقطاع. ولعلاقة كلمة "مساواة" equality بالفكر الاجتماعى فرعان رئيسيان: أولاً : عملية المساواة equalization المبنية على المبدأ الأساسى القائل إن كل الناس متساوون بالفطرة، لكن ليسوا متساوين بالضرورة فى صفات معينة. ثانيا: عملية إنتفاء المزايا الموروثة المتأصلة المبنية على مبدأ أن كل الناس يجب أن تكون "بدايتهم متساوية" "start equal" رغم أن هدف أو نتيجة هذه العملية قد تكون أنهم فيما بعد قد يصبحون غير متساويين فى الانجاز أو الوضع. بالطبع هناك تداخل كبير بين هذين الاستعمالين، لكن هناك فى نهاية الأمر تمييزا بين (١) عملية مساواة متواصلة تتم فيها إزالة أو تخفيف أى وضع - سواء موروثا أم جديد التكوين، يميز فيه أناس على آخرين أو يمنحهم سلطة عليهم - باسم المبدأ المعيارى (الذى يقرّب معنى المساواة من معنى الأخوة، كما فى استعمال ملتون) ؛ و (٢) عملية إزالة أو تخفيض ميزات تكون فيها فكرة المساواة الأخلاقية محصورة على وجه العموم فى الظروف المبكرة بينما تعتبر عدم المساواة inequalities اللاحقة أمراً محتوماً أو منصفا. والمعنى الأكثر شيوعاً من (٢) هو مساواة فى الفرص equality of opportunity التى يمكن أن تفسر بأنها منح فرصة متساوية للناس ليصبحوا غير متساوين "equal opportunity to become unequal". (قارن استعمال underpreviledged غير ميسور/فاقد الميزات، حيث privilege الامتياز هو المعيار، لكن الفئة التى تحصل على قدر منه أقل من الآخرين، توصف بأنها مجموعة فقيرة أو محرومة أو حتى مضطهدة. ترتبط الشكوى المألوفة ضد مفهوم (١) الذى يسعى لجعل كل الناس متساويين تماماً ببرنامج المساواة الاقتصادية الايجابى الذى شكل فى انجلترا فى منتصف ق ١٧ مبدأ أنصار المساواة Levellers. هناك قطيعة تاريخية واضحة ضمن كل من هذين المفهومين بين برامج تقتصر على حقوق سياسية وقانونية وبرامج تشمل أيضا مساواة اقتصادية فى أى من صيغها المختلفة. فى أوائل ق ١٩ طرح الرأى بأن استمرار عدم المساواة الاقتصادي، كما هو

موجود فى نظم ملكية ملاك الأراضى أو ملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج، جعل المساواة القانونية أو السياسية مثالية محضة.

تم إبدال الصيغة الإنجليزية الأقدم equalitarian، التى ترجع إلى منتصف ق ١٩ تحت تأثير نقاش مستمر منذ الثورة الفرنسية، بنصير المساواة egalitarian المشتقة من الصيغة الفرنسية الحديثة.

فى النقاش الاجتماعى الدائر حول كلمة المساواة كان هناك تشبث واضح بالمفهوم المادى للكلمة كمصطلح للقياس ولا يزال هذا الاعتراض قائما حول برامج المساواة الاقتصادية أو حتى برامج المساواة القانونية والسياسية (رغم أن ذلك قد خف الآن) بالقول صراحة إن الناس غير متساوين فى صفاتهم القابلة للقياس (كطول القامة، والنشاط، والذكاء، الخ). وكان الرد على ذلك هو أن ما يجب إثباته هو أن للفرق القابل للقياس صلة بعدم مساواة محدد حسب المفهوم الاجتماعي: لن يكون للطول صلة به، أما لون البشرة فقد ظل ذا صلة، أما للنشاط أو الذكاء فهناك صلة واضحة وحول هذه النقطة يتمحور أخطر الجدل المعاصر. تتعلق معظم الفروق القابلة للقياس من هذا النوع بمعنى (٢) وتعتبر، حتى عندما تكون حقيقية ويمكن إثباتها، أنها تابعة لمعنى (١) الذى لا يمكن فيه بطريقة معقولة استعمال أى فرق بين الناس أو بين الرجال والنساء لمنح بعض الرجال سلطة على رجال آخرين أو، وهذا حاسم الآن، على نساء.

انظر: DEMOCRACY ديمقراطية، ELITE نخبة

إثنى ETHNIC

الكلمة موجودة فى اللغة الإنجليزية منذ منتصف ق ١٤. يرجع أصلها إلى (س م) ethnikos يونانية: وثنى، همجى (هناك علاقة محتملة وإن لم تكن مثبتة بين ethnic وبين heathen وثنى (س م) haethen، انجليزية قديمة). استعملت بشكل واسع بمعانى همجي، وثنى وغير يهودى gentile حتى ق ١٩ عندما تجاوز هذا

المفهوم معنى آخر هو الصفة الجنسية RACIACL (ا م). أصبحت ethnics تستعمل في الولايات الأمريكية فيما وصف في ١٩٦١ بأنه "تعبير مهذب يوصف به اليهود والإيطاليين والسلالات الأخرى الأدنى". يرجع ethnology علم الأعراق البشرية والاثنوغرافيا ethnography وصف الأعراق، وكلمات أخرى مرتبطة بهما إلى ثلاثينيات وأربعينيات ق ١٩، على الأرجح تحت تأثير ألماني، أما الصلات المبكرة مع أنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY (ا م) فهي معقدة. تنحصر الاستعمالات العلمية الآن في مجالات متخصصة ضمن الأنثروبولجيا: فتختص الاثنوغرافيا بالدراسة الوصفية للعادات والاثنولوجيا بنظريات التطور الثقافي.

ثم عادت ethnic للظهور في منتصف ق ٢٠ ، على الأرجح بتأثير من الاستعمال الأمريكي السابق للكلمة ethnics ، بمعنى أقرب إلى FOLK (ا م) فولك/شعب كأسلوب معاصر متيسر يتمثل بشكل عام في الملابس والموسيقى والطعام. يمتد الاستعمال من انتساب وثيق إلى تراث (وطنى NATIVE (ا م) وثانوى أو تابع subordinate)، كما هو موجود عند مجموعات اجتماعية في أمريكا. إلى تعبير للنمط السائد المفضل" fashion الموضة" في التجارة الميتروبولوتية.

انظر: ANTHROPOLOGY انثروبولوجيا، CULTURE ثقافة، FOLK فولك/شعب، RACIAL عرقي.

نشوء / تطور / ترقي EVOLUTION

نشأت evolution من معنى نشر أو بسط شيء ما لتدل في النهاية على شيء يتم بسطه. و هي الآن مألوفة بمعنيين شائعين لكن في أحدهما وفي مقابلته المحددة لثورة REVOLUTION (ا م)، يبرز مدى أهمية تاريخها المعقد.

ترجع evolve إلى (س م) evolvere، لاتينية: يبسط، ينشر، ينهض، من (س ب) volvere لاتينية: يطوي. ظهرت في الإنجليزية، مع evolution، في منتصف ق ١٧. ترجع evolution الى (س م) évolution، فرنسية، من

evolutionem، لاتينية، سجلت بمعنى: بسط كتاب unrolling. كانت استعمالاتها الأولى فيزيائية ورياضية بمعنى جذر الكلمة، لكن سريعا مااستعملت مجازياً لكل من "الخلق الإلهي" والاستنباط أو التشكيل المتنامى لأفكار Ideas أو مبادئ مثالية Ideal Principles. واضح من معنى الجذر اللاتيني ومن الاستعمالات الأولى أن المفهوم المتضمن هو بسط شيء موجود فعلاً. يدرك الإله "تطور (بسط) evolution العصور الكامل" (١٦٦٧) في لحظة واحدة سرمدية؛ هناك "تطور (بسط) للأشكال الخارجية" (مور ١٦٤٧) ؛ وهناك "نظام كامل للطبيعة البشرية ... يجب أن يتكون تطوره من هيئة وتشكيل الطبيعة البشرية" (هيل ١٦٧٧).

ثم ظهر لها في البيولوجيا معنى يبدو حديثاً. اكتسبت evolution معنى تطور من أعضاء غير تامة النمو إلى أعضاء كاملة النمو، وكانت نظرية التطور كما طرحها بونيه Bonnet في ١٧٦٢ وصفا للتطور من جنين يحتوى بالفعل، في صورة بدائية، على كل أجزاء الكائن الحي، وكذلك إشارة إلى أن الجنين نفسه تطور من صورة سابقة لوجوده. هكذا مفهوم "البسط" من شيء موجود فعلا لايزال حاضرا بشكل حاسم. لكن خلال وصف عمليات طبيعية مختلفة أصبحت evolution تستعمل وكأنها معادلة لنمو development (من منتصف ق ١٨، من develop، ق ١٧: يفض، يكشف للعيان، يتقدم). لكن لا يزال من الصعب التأكد مما إذا كان استعمال محدد يحمل معنى راسخا لشيء ضمني او سابق لوجوده، وبالتالي يجعل الترقي evolution طبيعيا أوضروريا. في الاستعمال المعاصر محدود الانتشار لكن المألوف لـ evolution (تطور نمو أو فكرة) لا يزال حاضرا عادة مفهوم development الضروري والمنطقي.

أما ما حدث في البيولوجيا فهو إذن تعميم لمعنى development (كشف تام للعيان) من أشكال غير تامة النمو إلى نامية، وخاصة لمعنى development تحديد تطور من كائنات "أدنى" إلى "أرقى". أصبح من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ معنى عملية طبيعية عامة معروفا بالتدريج كتاريخ طبيعي علاوة على عمليات طبيعية معينة. كان ذلك واضحا لدى لايل Lyell عن تطور حيوانات برية في

١٨٣٢ وأشار إليه داروين فى "أصل الأنواع" (١٨٥٩) كما اعترف بـه "جميع الطبيعيين(علماء التاريخ الطبيعى) تقريبا" "بشكل من الأشكال" في "يومنا الحاضر". وفى ١٨٢٥ عرف هربرت سبنسر نظرية النشوء Theory of Evolution العامة على أنها تطور صور من كائنات حية أدنى إلى كائنات أرقى.

كان الجديد في ما فعله داروين هو وصف بعض العمليات التى عن طريقها تطورت أنواع جديدة ، ثم تعميم ذلك إلى ماسماه انتخابا طبيعيا natural selection. من المفارقة أن هذه الاستعارة الجديدة تماماً، التى اعتبرت فيها NATURE (ا م) الطبيعة نابذة مثلما هي مطورة لصور مختلفة من الحياة، بقيت ضمن وصف مستمر للعملية كارتقاء evolution بمفهومها كبسط لما هو موجود فعلا أو إتمام ما هو موجود فعلاً. من الممكن أن توصف عملية يثبت بالتفصيل أنها على وجه العموم مادية، وعرضية بمعنى ما، توصف بأنها عملية "للطبيعة" فيها هدف أو أهداف. ومع ذلك فمع انتشار الفهم الجديد لأصل الأنواع فقدت كلمة evolution في البيولوجيا مفهومها كخطة خلقية وأصبحت عملية تطور تاريخى طبيعي. لقد حدثت لأنها حدثت وستستمر فى الحدوث لأنها عملية طبيعية. اقتصرت عملية الهدف الضرورى على تفسيرات معينة (تطور خلاق creative evolution، أى بيولوجيا كاثوليكية مثلاً).

كان فى التشويش الناجم عن الجدل حول evolution بهذا المعنى البيولوجى والتشويش الأعظم المتعلق بتطبيقات مناظرة للتاريخ الطبيعى فى التاريخ الاجتماعى أن نشأ التضاد بين كلمتى evolution و revolution ثورة. أصبح لثورة REVOLUTION (ا م) الآن معناها المتطور كتغير عنيف ومفاجئ ، بجانب معناها كإقامة نظام جديد. يمكن بسهولة معارضة evolution لها بمعناها كتطور تدريجي. كان لاستعارتى "نمو" growth وعضوى ORGANIC (ا م) ارتباط واضح بهذا المفهوم. للمفارقة وفر التاريخ الطبيعى العام، كما هو ملاحظ فى تطور الداروينية الاجتماعية، صوراً لكل ما يمكن تخيله من نشاط وتغيير اجتماعي: منافسة لا رحمة فيها أو تعاون متبادل؛ تغيير بطئ فى سجل الصخور أو تغير مفاجئ فى

ظهور الطفرات mutations؛ تغير عنيف أثناء تحولات فى البيئة أو اختفاء أنــواع فى صراع قاتل - كل هــذه يمكن أن تستنبط، واســتنبطت بالفعل، كـــ "دروس" من الطبيعة تطبق على المجتمع. والقول بأن التغير الاجتماعى يجــب أن يكــون تطوريا evolutionary قد يعنى أيا من - أو جميع - هذه الأشياء، من تطور بطيء للمؤسسات الحديثة إلى إبادة الطبقات (الأنواع) السابقة واستبدال أنواع أرقى بهــا. وعلى عكس ثورة revolution كان للمعنى الأول الأثر الرئيسى. كــان المعنــى المقصود فى العادة هو بسط شيء موجود ضمنيا بالفعل (مثل طريقة حياة قوميــة) أو تطور شيء حسب اتجاهاته المتأصلة (مثل دستور قــائم أو نظــام اقتصــادى موجود). (قارن التضاد الحديث المألوف بيــن مجتمعــات متقدمــة developed و underdeveloped نامية، حيث يؤخذ كمسلمة الافتراض بأن مصير كل المجتمعــات هو أن تصبح حضرية وصناعية - ولا أقول رأسمالية - كما لو كان "مصــطلحا تقنيا".) التغير الجذرى الذى قد يتضمن رفض بعض الأشكال القائمة أو رفــض بعضها يمكن إذن أن يوصف، داخل هذه الاستعارات ، بأنه "غيرطبيعــى" ويمكــن ربطه، فى تعارض مع معنى ثورة المتخصص، بالعنف المفــاجئ مقابــل النمــو المضطرد.

فى تاريخ المائة سنة الأخيرة الفعلي، التى أصبح فيها تعارض ثورة/تطــور revolution/evolution مألوفا، لابد أن يعتبر هذا الاستعمال عبثيا. يســتعمل هــذا التضاد ، بعناية فقط ، بالنسبة للتغيير المخطط حيث هو فى الواقع تمييز بين بضعة تحولات بطيئة ومحدودة، يتحكم فيها ما هو قائم فعلا ، وتحولات أكثــر وأســرع يقصد منها تغيير معظم الوضع القائم. والتمييز ليس فى الواقع تمييــز عمليــة أو منهج سياسى وإنما هو انتساب سياسي. فى التغيير غير المخطــط unplanned - أى تطور evolution القوى والعوامل المتأصلة فعلاً فى النظام الاجتماعى - كــان ثمة ما يكفى من عنف ومباغتة، أما المعارضة مع ثورة revolution فلم تكــن الا اعتباطية. لكن يصبح اذن التداخل والتشويش بــين evolution كـــ (١) تطــور متأصل و(٢) تاريخ طبيعى غير مخطط و (٣) تغيير بطيء ومشروط موضــوع تحر دائب.

انظـــر: DEVELOPMENT تطـــور، NATURE طبيعـــة، ORGANIC عضوى، REOLUTION ثـــورة

وجودى EXISTENTIAL

فى الإنجليزية المعاصـــرة تراوح existential بين معنى عام قـديم نســبياً (على الأرجح أواخر ق ١٧، مؤكد من أوائل ق ١٩) ومجموعة معان جديدة نسبيا مستمدة من اتجاه الوجوديـــة existentialism الفلســفي. كانـــت existence فـــى الإنجليزية مـــن ق١٤، من (س م) existence، فرنســـية قديمـــة، existentia، لاتينية: حالة وجـــود، من (س ب) ex(s)istere، لاتينية: يبرز، يكون مُدركاً ومن ثـم بوضوح "يكـــون". فى الاستعمال السابق لـــ ق ١٧ العلاقة غيـــر واضحة بين existence وجود والكلمة التى فى ظاهـــرها تبدو بديلة essence جـــوهر، ماهية، ق١٤؛ (س م) essence، فرنسية، essentia ، لاتينيـــة: كينونة being. بالتالي: "الله هو الوحيد الكائن بذاتـــه؛ مـــن وجـــوده existens الطبيعـــي" (١٥٥٢) ؛ " ليس هناك جوهر بشرى يستحق الحسد ســـوى أبله محمر الـــوجنتين There is no essence mortal, That I can envie, but a plumpe cheekt foole (Marston ١٦٠٢). لكن كان هناك استعمال ثيولوجى لكلمة essence فـــى السياق الخاص الذى يكوّن فيه ثلاثة أشخاص (كائنـــات beings) الثـــالوث كائنـــاً واحـــداً (essence جوهر)، وكان هناك كنتيجة لذلك توجـــه للكلمة نحو معنـــى تبين اساسى أو مطلق أو نحـــو الحقيقة التى تكمن خلـــف المظهر. أصـــبح هذا فى النهاية أســـاس التعرض مـــع وجود existence بتركيز الأخيـــرة علـــى الكينونة الواضحـــة والمدركة وبالتالى فعلية (رغم أنـــه يجـــب ملاحظـــة أن existence اكتسبت أيضا معنى استمرار الكينونة الـــذى لـــه بعـــض الأثـــر المعقد). كان هناك تمييز من أواخر ق ١٧ :" قـــد أومن بوجودهـــا دونما أتدخل

البتة في جوهرها with its ' 1 might believe its Existence, without meddling at all Essence (مور ١٦٦٧؛ عن روح spirit).

اتجهت essential جوهري بثبات واطراد نحو معنى fundamental أساسي، متأصل intrinsic أو ضروري، لكن في حالات كثيرة لم يكن لذلك تعارض مع existence؛ في الواقع يكون التعارض متطلباً فقط في أنواع من الفلسفة المثالية أو الميتافيزيقية.

في هذا السياق التأملي بدأت existential تستعمل من أوائل ق ١٩ كما نجد عند كوليردج في سؤاله "عما إذا كان الإله عليماً وجوديا كما هو جوهريا" "Wheather God was existentially as well as essentially intelligent" أو في تمييزه بين الكلمتين في كتابه (III) *The Friend*: السبب الجوهرى للذنب الشيطانى هو عندما يجعل نفسه وجودياً وخارجياً "the essential cause of fiendish guilt when it makes itself existential and peripheric ". لكن كان هناك أيضا استعمال عام يعبر عن الواقع أو يدل عليه: "لا يسمح التقليد أن نقول تُنفِذ" " it executes"... لكن يمكن أن نتبنى بنفس السهولة الصيغة الوجودية "كان هناك تنفيذ There was an execution (Venn ١٨٨٨).

تأثر استعمال الكلمة في ق ٢٠ بشكل حاسم بالمصطلح الألماني Existenzphilosophie الذي نترجمه• كوجودية existentialism. كان الانتشار الرئيسي لهذا المصطلح على أيدي الفرنسيين بعد ١٩٤٥، لكن كان هذا الاتجاه معروفا بناء على الفكر الألماني منذ عشرينيات ق٢٠ ويجرى عادة إرجاعه إلى Kierkegaard كريكجارد في منتصف ق١٩. ضمن هذا الاتجاه "الوجود" existence هو خاصة بشرية في تمييز لها عن أشياء أخرى و (في معظم الحالات) مخلوقات يمكن القول بأنها توجد exist. تتعارض existence وجود مرة أخرى مع essence جوهر، لكن أعيد تقييم السمات الرئيسية والثانوية. حيث لا يزال متطلبا تعريف essence جوهر كشيء أساسي وحقيقي يكون ذلك مستمدا من صفات الوجود. أي من الكائن الفعلي. أحد استعمالات هذا العكس أو انقلب هو نقد المثالية

والميتافيزيقية: "الوجود يسبق الجوهر" "existence precedes essence": الحياة الفعلية هى الأساس وأية صفات جوهرية، كما لو كان، تستقطر منها. لكن تحرك الاتجاه الجديد الرئيسى (الذى كان فى العادة هناك إصرار على أنه ليس نظاماً فلسفياً) كان نحو مفهوم فرادة uniqueness وعدم القدرة على التنبؤ فى أية حياة فعلية بالإضافة إلى معنى مواز يرفض الحتمية DETERMINISM (ا م) أو أى تفسير مبنى على دوافع داخلية. رافق حالة الحرية فى الاختيار والفعل هذه، حسب طرق فريدة ولا يمكن التنبؤ بها، حالة إلحاح وقلق؛ فى صيغة شائعة، الاختيارات والأفعال التقليدية أو المتنبأ بها أو "المبرمجة" programmed هى فشل فى الوجود، هذا الوجود الذى يعنى تحمل الفرد مسئولية حياته دونما يقين محتمل لأية نتيجة معروفة حسب مخطط مدروس. لكن التولى المتعمد لمسئولية كهذه فى مواجهة ما هو بالضرورة مجهول ولا يمكن التنبؤ به (وبهذا المعنى الخاص "عديم المعنى"، حالة من العبث حسب المفهوم الخاص الشائع الآن) أثار قلقا وجوديا "angst" واضحا فيه رعب وحتمية. عاش الأفراد الذين لم يدركوا كيف يتم ذلك فى أنفسهم in themselves فقط؛ لكى يعيشوا لأجل أنفسهم for themselves يعنى تحمل مسئوليات معروفة فى سبيل هذه الحرية ضمن العبثية.

هناك تنويعات كثيرة على هذا الاتجاه وكانت هناك محاولات لدمج ذلك مع نظم تتضمن قدراً من الحتمية مثل الفرويدية أو الماركسية. تحكمت التنويعات المختلفة فى استعمالات existential وجودى الخاصة مع إشارة ضمنية إلى صيغة من صيغ الوجودية existentialism. لكن عبارات مثل "شعور وجوديexistential awareness "، واستعمال existential وجودي، مع أنواع من أسماء الشعور والحركة، تجاوزت كثيراً التعبير عن أى موقف محدد. فى مفهومها الدال على عملية أو واقع أو آنية (process, actuality, immediacy)، يمكن اعتبار هذه العبارات والاستعمالات مرتبطة بمفاهيم تسبق مفاهيم وجودية بل هى ترتبط بتاريخ الكلمة الرئيسي. فى الدرجة الأولى، فيما يتعلق بمفاهيم الاختيار والقلق وعدم التنبؤ، أضاف الاتجاه الفلسفي، مهما كان فضفاضا فى حالات كثيرة، معنى خاصا للكلمة المعاصرة. لكن هذا ليس دائماً منفصلاعن استعمالات

وصفية بسيطة للعيش أو الواقــع، وفى بعض الحالات يخلق هذا تشويشـاً. هكـذا يمكن ان تعنى "الطبيعة الوجودية existentialist characteristic للحياة فى المدينـة الحديثة" (١) الحياة اليومية المشاهدة مباشرة لسكان مدينة حديثة دونمـا افتـراض مسبق بخصائصها الضرورية الجوهرية essential؛ أو (٢) حياة سـكان المدينـة الغربية فاقدة المعنى والمستلبة والمليئة بالفرص الفورية لاختيارات غيـر متوقعـة ومشحونة أيضا بالتهديد والقلق؛ أو (٣) الحالة العبثيـة للمدينـة الحديثـة كنظـام اجتماعى بما فيها من حالات متأصلة (جوهرية؟ essential?) للغربة وفقدان الهدف والصلات. من الأنسب، إذن، أن نبحث كلما استعملت هذه الكلمة الفعالة عن تحديد وجودى existential سابق.

انظـــر: DETERMINE يحـــدد، IDEALISM مثاليـــة، INDIVIDUAL فرد

خبرة/تجربة EXPERIENCE

قد يبدو الارتبـاط القـديم بـين experience و experiment فـى بعـض الاستعمالات الحديثة المهمة مهجوراً تماما. (فصلت العلاقة بـين الكلمتـين حتـى أواخر ق ١٨ فى مادة EMPIRICAL إمبيريقي.) المسألة الآن هى انبحث فى العلاقة بين المعنيين الرئيسيين اللذين كانا مهمين من أواخر ق ١٨. يمكن حصر هذين فى (١) معرفة تكونت من أحداث سابقة، سواء بالملاحظة المتعمدة أو التفكير والتأمـل و (٢) نوع معين من الوعى أو الشعور يمكن فى بعض السياقات تمييزه عن "فكر" أو "معرفة". يمكن إعطاء مثل مشهور ومؤثر لكل منهما.

كتب بيرك Burke فـى كتابـه *Reflections on the Revolution in France* (١٧٩٠): "لو أمكننى المجازفة باللجوء إلى ما لم يعد، إلى حد كبير، النمط السـائد فى باريس فإنى آمل أن أجرب experience ... ." هذا طرح محافظ ضد التجديـد السياسى "المتهور"، فيه إصرار على الحاجة إلى "تطور بطيء لكن مستمر". تنقـل

كل حدث ومراقبة تأثيره. يمكن فهم كيفية تطور ذلك من مفهوم التجربة والملاحظة، لكن الجديد هو التعميم الواثق لـ "دروس التجربة" experiment: نتائج معينة بالإضافة إلى طرق معينة. ربما أجاب شخص فى باريس بأن الثورة نفسها كانت تجربة "experience" بمعنى وضع نوع جديد من السياسة تحت الفحص والملاحظة، لكن بالرغم من كل هذه المعانى السابقة للكلمة فإنه يبدو مؤكدا أنه تم التغلب عليها، على الأقل فى الإنجليزية، بمعنى أبلغ وأدق، حينئذ والآن: "دروس" مقابل "تجديدات" وتجارب "experiments".

هذا ما كان بالنسبة لـ "تجربة experience من الماضي". نستطيع الآن متابعة "تجربة الحاضر present experience" فى كتاب ت. إس. إليوت (*Metaphysical Poets*، ١٩٢١): "بالنسبة لـ "دون" Donne كانت الفكرة thought تجربة experience، فهى عدلت حساسيته". المتضمن هنا هو تمييز بين أنواع الوعى أو الشعور consciousness؛ بالنسبة لبعض الناس يبدو صعباً أن تكون "فكرة" "تجربة" بينما قد تكون فعلا (أدنى) من التفكير أو الرأي. فى هذا الاتجاه الرئيسى، تكون experience تجربة بالتالى هى النوع الأكمل، والأكثر انفتاحا والنمط الفعال للوعي، وتشمل شعورا بالإضافة إلى فكر. فى أعقاب مفهوم دينى سابق ظل هذا المعنى فعّالا فى النقاش المتعلق بالجمالى aesthetic ويمكن أن يتعارض عبر نطاق شاسع مع أنواع من الوعى ترتبط بالتفكير والتجريب experiment المقصود.

من الواضح أن أسباب الاعتماد على تجربة ماضية ("دروس") وتجربة حاضرة ("وعي" تام وفعال) مختلفة جذرياً، لكن مع ذلك هناك رابط بينهما فى بعض أنواع الشعور والفعل التى يعارضها كلاهما. ليس من الضرورى أن يكون الأمر كذلك، لكن تقارب المعنيان فعلياً من أواخر ق ١٨ ضمن وضع تاريخى مشترك.

من الصعب جداً تحديد المراحل الدقيقة التى تطور فيها ظهور هذه المعانى بناء على إشارات، كامنة دائما، فى استعمالات أسبق كثيراً. جدوى تجربة الماضى

مدركة بشكل واسع لدرجة أنه من الصعب تصور شخص يرغب فى الاعتـراض عليها، وتظل مفهوما حيادياً يسمح بالتوصل إلى نتائج متباينة مبنية على ملاحظات جمعت وفسرت بطرق مختلفة. لكن بالطبع هـذا تماما ما يقف ضـده الاستعمال البلاغى للكلمتين "experiment" تجريب وتجديد "innovation". فى زمـن معاصـر لبيرك تقريباً استعمل بليك Blake خبرة experience بطريقة أكثر إشـكالية: أقـل ابتذالا، أقل وثوقية؛ فى الواقع، تعارض بقلق كلمة براءة "innocence". بعيداً عـن كونها جملة متيسرة وإيجابية من التوصيات كانـت خبـرة "experience" "مبتاعـة مقابل كل ما يملك الإنسان" "bought with the price of all a man hath" (*Four Zoas*, II, c 1800). لا يمكن عمليا افتراض أن يكون أى تفسير محدد لخبـرة experience موجهاً؛ من المحتمل تماماً رؤية الحاجـة إلـى تجريـب experiment أو تجديـد innovation بناء على خبرة experience.

الاتفاق على هذا أهون من الاتفاق على مشكلة تجربة الحاضر experience present. من الواضح أن هذا يتطلب مناشدة كل الوعي، أى الكائن ككـل ولـيس فقط الاعتماد على حالات خاصة أو مقدرات محددة. بهـذه الصـيغة تكـون experience جزءا من حركة عامة تشكل أساس تطـور ثقافـة CULTURE (ا م) والمصطلحات المرتبطة بها مباشرة. واضحة قوة هذه المناشدة للكل مقابـل صـيغ من الفكر تستثنى أصنافا معينة من الشعور بدعوى أنها فقط "شخصية" أو "ذاتيـة" "subjective" أو "عاطفية". لكن ضمن صيغة المناشدة هذه (كما هو الحال بالنسـبة لثقافة CULTURE وفن ART) يمكن أن يصبح الإصرار على الكمـال نوعـا مـن الإقصاء لاتجاهات معينة. يكمن التاريخ الحديث هذا فى التحول فى مفهوم جمالية aesthetics(ويمكن إدراك ذلك عندما نتذكر تطـور AESTHETICS ذاتهـا) لكـن المرحلة الحاسمة كانت على الأرجح فى مذهب معين فى الدين، الميثوديـة علـى وجه الخصوص.

ينشأ المعنى من كون خبرة experience هى "عمـداً موضـوع حالـة أو وضـع" (قاموس أكسفورد OED،٤) وخصوصا من استعمال ذلك فى تجربة دينيـة

شخصية أو "باطنية inner". بينما كانت خبرة بهذا المعنى متوفرة ضمن صيغ دينية كثيرة إلا أنها أصبحت مهمة بشكل خاص فى البروتستانية وكانت باضطراد السند الأهم فى حركات بروتستانية أكثر راديكالية. هكذا كانت فى الميثودية "لقاءات خبرة" "experience-meetings" وهى اجتماعات "تلتئم لرواية الخبرات الدينية religious experiences". يسجل وصف من ١٨٥٧ أنه "كانت هناك صلاة ووعظ وسرد خبرات وإنشاد تراتيل وجدانية". هذه إذن هى فكرة شهادة ذاتية SUBJECTIVE witness (ا م) تعرض للمشاركة. ما هو هام بخصوصها بالنسبة لمفهوم عام لاحق هو أن خبرات كهذه تقدم ليس فقط كحقائق، لكن كأصدق نوع من الحقائق. ضمن الثيولوجيا كان هذا الادعاء موضوع جدل عظيم. تحذير جوناثان إدواردز Jonathan Edwards – "تلك الخبرات التى تتوافق مع كلمة الله هى الصحيحة" (١٧٥٨) – هو أحد ردود الفعل الأكثر اعتدالاً. من ناحية تقدم تجربة (الحاضر) كأساس ضرورى (مباشر وضروري) لكل التفكير والتحليل (اللاحقين). ومن ناحية أخرى، تعتبر خبرة experience (التى لم تكن اسم المفعول المضارع لـ "feeling" إحساس وإنما لـ "trying" تجريب أو "testing" اختبار شيء ما) نتيجة لظروف اجتماعية أو نظم اعتقاد أو نظم إدراك جذرية وبالتالى ليست مكونة لحقائق ولكن دليلاً على ظروف أو نظم لا يمكن لها حسب التعريف أن تفسرها.

يبقى هذا الجدل الأساسى وليس، لحسن الحظ، قاصراً على هذين الطرفين القصيّين. لكن من البداية، تشوش معظم الجدل بسبب المعانى المعقدة والبديلة أحياناً كثيراً لخبرة experience نفسها. تشمل تجربة الماضى experience past – فى أكثر الأحوال جدية عمليات التفكير والتأمل والتحليل التى يستثنيها فى أقصى حالاته استعمال تجربة الحاضر experience present، التى تنطوى على مباشرة وصحة لاشك يساورها. بالمثل يعتمد اختزال خبرة experience فى مكونات تصدر دائما من مكان آخر على إقصاء أنواع من التفكير والتأمل والتحليل ليست من نمط نظامى مستقل عمداً. ليس المطلوب إذن ألا تفحص tested أنواع كهذه،

لكن بمعنى experience الأعمق يجب أن يختبر tried كل نوع من أنواع الشـــهادة والاعتبارات المرتبطة بها.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقى/تجريبى، RATIONAL عقلانى، SENSIBILITIY حساسية، SUBJECTIVE ذاتـــــى

خبير EXPERT

ترجع expert إلـــى (س م) expert، فرنســـية قديمـــة، (س ب) expertus، لاتينية، اسم مفعول ماض لـــ experiri: يحـــاول، يجـــرب to try. ظهـــرت فـــى الإنجليزية كصفة فى أواخر ق ١٤، أى فى نفـــس الوقـــت الـــذى ظهـــرت فيـــه experience تجربة، خبرة. بدأت تستعمل - وفى هذه دلالة واضحة - كاســـم an expert خبير من أوائل ق ١٩ فى مجتمع صناعى يضع تركيزاً مضـــطرداً علـــى التخصص والتأهيل. استمرت فى الاستعمال مغطية نطاقاً واسعاً مـــن النشـــاطات، وصاحبها فى بعض الأحيان إبهام معين (قارن qualified مؤهل والأكثـــر تحديـــدا formal qualifications مؤهلات رسمية). مـــن اللافت أن inexpert كاسم مـــن معنى معارض (فاقد الخبرة) استعملت أحياناً مـــن أواخـــر ق ١٩، لكـــن الكلمـــة الرئيسية التى تحمل هذا المعنى هـــى بالطبع layman "شخص عادي" التى أصبحت شائعة مـــن التضاد القديـــــم بين laymen علمانيين و clerics رجال دين. ترجع lay إلى (س م) laicus، لاتينية، ليس من رجال الدين، (س ب) laikos يونانية، من الشعب. هناك تطـــور مشـــابه فـــى profession مهنـــة، ق ١٣، مـــن (س ب) profiteri، لاتينية: يصرح علانية، التى كانت فى الأساس إقرارا باعتقـــاد دينـــى وصارت أساساً لاســـمين؛ professor: مـــدرس مصـــنّف، ق١٤ مقـــرّ، ق ١٥؛ professional مهني، ق ١٨، فى نطاق أوسع من المهـــن والوظـــائف. ترجـــع amateur، هاو، إلى (س م) amatore، ايطالية (س ب) amator، لاتينيـــة: عاشـــق ومن ثم من يحب شـــيئا. مـــن ق ١٨ تطـــورت فـــى ازدواج متعـــارض مـــع

مهنى professional (أولا كموضوع مقدرة نسبية؛ وفيما بعد كتمييز طبقى ثم مادي).

أنظر: INTELLECTUAL مفكر

استغلال/استثمار EXPLOITATION

دخلت exploitation الإنجليزية فى أوائل ق ١٩ فيما يبدو أنه استعارة مباشرة من الفرنسية. ترجع الكلمة إلى (س ب) explico، لاتينية، بمعانيها الواسعة التى تشمل ينشر، يبسط ويرتب ويشرح explain (هذا الأخير يؤدى إلىexplication شرح، كما أدت المعانى الأسبق إلى explicit واضح، ظاهر). فى الفرنسية القديمة كانت الصيغة المستعملة هى explectation وكان هناك استعمال إقطاعى يعنى الاستيلاء على غلّة الأرض التى فشل المستأجر فى دفع الالتزام الإقطاعى عنها. لكن كان التطور الفرنسى الرئيسى فى الصيغة الحديثة exploitation للاستعمال الصناعى والتجارى للأرض والمواد، الذى كان لا يزال حرفيا فى اقتباسات من ق ١٨ ("استغلال الأملاح exploitation des salines ").

تم تقليد ذلك فى الإنجليزية كما فى مثال من ١٨٠٣ عن "الاستغلال المنقوص لهذه المستعمرات" لكن الكلمة كانت لا تزال حتى ١٨٢٥ تعتبر حديثة: "نجاح تفتقر إليه كل الاستغلالات "exploitations" (معذرة لاستعمال الكلمة الفرنسية)". كانت exploit بمعنى انجاز وتقدم ناجح واكتساب ميزة ومن ثم عملا عظيما موجودة فى الإنجليزية كاسم من ق ١٤ وكفعل من ق ١٥. أسهم ذلك بوضوح فى بروز المصطلح الجديد، خاصة فى صيغة الفعل. كانت الاستعمالات الصناعية والتجارية لاستغلال exploitation شائعة منذ أوائل ق ١٩ لكنها تأثرت كثيرا بتطور معنى حاسم لعمليات مشابهة كان الإنسان موضوعها. بالتالى على سبيل المثال كان هناك "الرق، استخدام الإنسان للإنسان (استغلال exploitation)" (١٨٢٤)؛ "يصبح ثرياً عن طريق التجارة أو المضاربة أو الاستغلال الناجح للعمل"

(١٨٥٧)؛ "استغلال الجمهور الساذج" (١٨٦٨)؛ "استغلال واستعباد" (١٨٨٧). كذلك تزحزحت بعض الكلمات المرتبطة بها: "رأسماليون ومستغلون exploiters" (١٨٨٧)؛ "ملاك أسهم رأسماليين يستغلون exploiting العمال المأجورين" (١٨٨٨)؛ "كل طبقة المستغلين" (١٨٨٣)؛ " طبقة مستغلَة exploited" (١٨٨٧). لكن لا تزال exploitation تستعمل لعمليات صناعية وتجارية، خصوصا فيما يتعلق باستخراج المعادن التى كانت الكلمة دائما وثيقة الصلة به. ظهرت في ستينيات ق ٢٠ sexploitation (استغلال جنسي) لوصف نوع معين من الأفلام والصحافة.

انظر: DEVELOPMENT تطور، نمو

عائلة FAMILY

لكلمة family تاريخ اجتماعى ذو أهمية خاصة. دخلت الإنجليزية فى أواخر ق ١٤، من (س م) familia، لاتينية: أهل بيت household، من (س ب) famulus: خادم. يبدو أن الصفة المقاربة familiar أسبق إلى حد ما فى الاستعمال العام ونطاق معانيها يذكرنا بنطاق المعانى التى سادت فى family قبل منتصف ق ١٧. هناك المعنى المباشر لأهل بيت household اللاتينية، إما بمعنى مجموعة خدم أو مجموعة تربطهم صلة الدم وخدم يعيشون معا فى منزل واحد. ارتبطت familiar بذلك فى عبارات مثل "familiar angel" ملك رفيق، "familiar devil" شيطان رفيق والاسم اللاحق "familiar" (عشير، رفيق) حيث المعنى إما الارتباط بشخص أو خدمته. هناك أيضا عبارة شائعة فى ق ١٥ و ق ١٦: عدو عائلى "familiar enemy" التى تدل على عدو ضمن الأسرة، "داخل السور"، ومن ثم بالاستنتاج عدو من داخل المجموعة. لكن المعانى الأولى الواضحة كانت تلك التى لا تزال حتى الآن سارية فى الإنجليزية الحديثة: "فى علاقة صداقة أو ود مع شخص ما" (قارن "don't be too familiar " لا تكن ودودا أكثر من اللازم)؛ معروف، كثير الاستعمال، مألوف (قارن: familiar in his mouth as household

words مترده على شفتيه مثل كلمات أهل البيت"، مسرحية شكسبير "هنري الخامس"). نجمت هذه الاستعمالات من تجربة أناس يعيشون معاً في أسرة واحدة، في علاقات وثيقة مع بعضهم البعض ومعتادين على أساليب كل منهم، لا تربطهم صلة دم، كما هو الحال الآن بالنسبة لـ "familiar".

على الأقل من ق ١٥ توسعت family لا لتصف أهل البيت household وإنما ما سمي - وهذا هام - بيتا house بمعنى ذرية أو مجموعة أقارب معينة عن طريق التحدر من سلف مشترك. توسع هذا المعنى ليدل على ناس أو مجموعة من الناس، أيضا بمعنى التحدر من سلف، وكذلك دلت على مفهوم ديني معين مرتبط هو ذاته بمعاني اجتماعية سابقة كما في "The Father of Our Lord Jesus Christ of whom the whole family in heaven and earth is named" "أحني ركبتي لدى أبي ربنا المسيح الذي منه تسمى كل عشيرة في السماوات وعلى الأرض" (*Ephesians*، 3:14، 15). اقتصرت family في نسخة الإنجيل المعتمد (١٦١١) *The Authorized Version of* " *the Bible* على هذه المعاني الشاملة: إم' مجموعة أقارب كبيرة، تعادل في الغالب قبيلة tribe (Genesis 10:5; 12:3 Jeremiah 1:15; 31:1; Ezekiel 20 : 32) أو مجموعة أقارب من جد مشترك : "and then shall he (a brother) depart from thee، both he and his children with him, and and shall return to his own family,

Number 36:6) "and unto the possession of his fathers shall he return

قارن ;Leviticus 25:41) "وعندئذ سيغادرك (أخوك)، هو وأطفاله معه وسيعود إلى أسرته وإلى أملاك آبائه سيرجع". من الملفت أن عبارات مثل طائفة "عائلة المحبة" family of love أو "الأسريين" familists من ق ١٦ و ق ١٧ استندت على مفهوم مجموعة كبيرة لكنها جعلت الدخول فيها متيسرا وطوعيا عبر الحب.

إذن لا نجد أبداً في مفاهيم ما قبل منتصف ق ١٧ المعنى الحديث المتميز لمجموعة صغيرة مقتصرة على أقارب الدم. عندما كان هذا المعنى لعلاقة بين آباء

وأطفال متطلبا فى سفر التكوين فى النسخة الرسمية من الإنجيل تم استعمال نسيب قريب near kin. لكن من الواضح أنه بين ق ١٧ و ق ١٩ أصبح سـائداً معنـى مجموعة أقارب صغيرة، عادة تسكن فى منزل واحد، سائداً جداً فى الواقع لدرجـة أنـه فى ق٢٠ سك تعبيران للتمييز بين ذلك والمعنى الثانوى لمجموعة أقـارب كبيرة: أسرة نووية nuclear family وعائلة ممتدة extended family. من الصعب تتبع هذا التطور الذى له تاريخ اجتماعى معقد. من١٦٣١ لا نزال نستطيع قـراءة "كانت أسرته family تتكون من زوجته وبناتـه وخـادمتين ورجـل" بـالمعنى الواضح لأهـل البيت household. استمر هذا فى الاستعمال الريفى مع وجـود خدم للمزرعة الذين سـكنوا فى الدار وكانوا يأكلون على نفس الطاولـة حتـى أواخر ق ١٨ وربما بعـد ذلك؛ كان التمييز اللاحق بين عائلـة family وخـدم servants مكروهـا جـداً. كذلك كان هناك تأثير طويل الأمد مـن الاسـتعمال الأرستقراطى بمعنى نسب lineage وظل هذا قويا فى العبارة الدالـة مـن ق ١٨: أنشأ أسرة "found a family". تم التعبير عن التمييز الطبقى فى فترة متـأخرة - ق ١٩ وبآثار تعدت هذا التاريخ - فى عبارات مثـل "a person of no family" "عـديم العائلة" (مقطوع مـن شجرة) حيث مجموعة القرابة الكبيرة هى المقصـودة لكـن بمعنى النسل الذى يمكن تقفى أصوله. لم تزل حتى ق ٢٠ تستعمل عبارات مثـل العائلة "the family" للدلالة على مجموعة متميزة من الطبقة العليا: العائلـة مقيمـة "the family is in residence" حيث تم بوضوح عزل معنى مجموعة النسـب عـن معنى household أهل البيت، لأن الخدم على أية حال موجودون (لكـنهم ليسـوا مقيمين inresidence حتى ولو كانوا ساكنين resident).

يمكن ربط حصر كلمة عائلة family على مجموعة نسب صغيرة فى منـزل واحد بنشأة ما يسمى الآن عائلة برجوازية bourgeois family. لكن هـذه تـرتبط، بمفاهيمها عن أهل البيت والملكية، بشكل أصح، على الأقل حتى ق ١٩، بـالمعنى الأقدم. من أوائل ق ١٩ نجد عند جيمز مل James Mill هذا التعريف: "المجموعة المكونة من أب وأم وأطفال تسمى عائلة"؛ لكن وجود ضرورة للتعريف مهم فى حد ذاته. تشير عدة استعمالات من أواخر ق ١٧ و ق ١٨ لعائلة بمعنى مجموعة نسب

صغيرة غالباً إلى الأطفال بشكل خــاص: "لكن فى حينه أرسل عائلته وزوجته but duly sent his family and wife " (*Bathurst*،Pope)، حيث لا يزال مع ذلك قد يوجد معنى أهل البيت. فى البداية أشارت family-way، الشائعة منذ أوائل ق ١٨، إلــى معنى familiar لكن فيما بعد وعبر معنى خــاص بالأطفــال دلــت علــى حمــل pregnancy. هكذا كان هناك تداخل، فى الفترة بين منتصــف ق ١٧ وأواخــر ق ١٨، بين هذه المعانى المختلفة لنسب، أهـــل بيــت، مجموعــة نســـب كبيــرة ومجموعة نسب صغيرة.

على الأرجح لم تتوطد سيادة معنى مجموعة نسب صغيرة قبــل أوائــل ق ١٩. ظهر ثقل الكلمة السائد الآن وتعريف الأنواع الكثيرة من الشعور تجاهها فى منتصف ق ١٩ وما بعده. يمكن أن يمثل ذلك تمجيد العائلة البرجوازية ثم التركيز بشدة على مفهوم العائلة المنعزلة كوحدة اقتصادية عاملة فى تطور الرأسمالية. لكن لها صلات أوثق بالإنتاج الرأسمالى المبكر ويمثل تطور ق١٩، بمعنى من المعاني، تمييزاً بين عمل الرجل work وعائلته: يعمل ليعيل عائلته؛ العائلة تعتمد على عمله. فى الواقع من المرجح أن تعريف مجموعة النسب الصغيرة، المدعوم بتطور منازل صغيرة مستقلة وبالتالى أهل بيت، يرتبط بالطبقة العاملة والطبقة "الوسطى – الدنيا" الجديدة التى تم تحديدها عن طريق العمل المأجور: ليست العائلة كنسب أو ملكيــة أو على أنها تشملهما، وليست العائلة كأهل بيت بالمعنى القديم الراسخ الذى يضــم الخدم، ولكن كمجموعة نسب وأقارب لا يمكن تحديد علاقاتها الاجتماعيــة، بــأى معنى ايجابي، إلا عن هذا الطريق. يمكن أن تمثــل family عائلــة أو family and friends عائلة وأصدقاء الارتباط الايجابى الوحيد فى مجتمع عظيم الحجم ومعقــد يعتمد كليا على كسب أجره. من المهم أن الشعور الطبقي، الاســتجابة الأخــرى الرئيسية تجاه المجتمع الجديد، استعمل أخ وأخت للتعبير عــن الانتمــاء الطبقــي، كما فى عضوية اتحاد العمال، رغم أن فى ذلك سابقة دينية واضحة فــى طوائــف معينة. من المهم أيضا أن هذا الاستعمال لأخ وأخت أصــبح يعتبــر مصــطنعاً أو مضحكاً فى نظــر الطبقة الوسطى. هناك جمعت family عائلــة معنــى واضــحا لعلاقات قرابة الدم مباشرة وإيجابية مع معنى التملك الضمني.

إنه تاريخ صعب وآسر لا يمكن تتبعه إلا جزئياً عبر تطور الكلمـة. لكنـه تاريخ يستحق التذكر عندما نسمع أن "العائلة كمؤسسة فى طريقها إلى التلاشي" أو أنه فى فترات ماضية، كانت "العائلة هى الأساس الضرورى للنظـام والأخـلاق، والأمل أن يستمر ذلك ". فى هذه الاستعمالات وأخرى مشابهة فى الوقت الراهن قد يكون مفيداً تذكر الاختلافات التاريخية الكبيرة، وبعض تعقيداتها المتبقيـة، ومـن خلالها يمكننا إدراك التعريفات المتغيرة جذرياً فى العلاقات الرئيسية.

انظـــر: SEX جنــس، SOCIETY مجتمــع

خيال/تخيل/رواية FICTION

لكلمة fiction معنى مزدوج لافت كنوع من التخيل الأدبـى IMIAGINATIVE LITERATURE (ا م م) ونوع من الاختراع المحض (بل أحيانا اختلاق أو تضـليل متعمد). المعنيان حاضران فى الإنجليزية منذ مـدة طويلة. دخلت الكلمـة اللغـة الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) fiction، فرنسية، fictionem، لاتينيـة، مـن (س ب) fingere، لاتينية : يشكل، يصوغ ؛ أنتج نفـس الجذر feign الذى له معنـى يلفق، يخترع بتزييف وتضليل، من ق١٣. استعمل كاكسـتون Caxton الكلمتـين معـا: "خيال وخداع fyction and fayning" (١٤٨٣) لكن "ficcions" بمعنى أعمـال متخيلة سجلت من ١٣٩٨ وفى أواخر ق ١٦ كانت هناك "poeticall fiction" خيـال شعرى و"Ancient Fiction" خيال عتيق. كان شائعا بشكل مـواز اسـتعمال عـام يتراوح بين فرضية مصاغة عمـداً (mathematical fiction خيـــال رياضـي، ١٥٧٩) وادعاء مصطنع مثير للشك (of his own fiction من تخيله) وظـل هـذا الاستعمال فى التداول. توسع معنى fictitious، مـن أوائـل ق ١٧، مـن هـذا الاستعمال إلى معنى اختلاق؛ وتطلب الاستعمال الأدبى البـديل اللاحـق fictional تخيلي. كان التطور الرئيسى للمعنى الأدبى من أواخـر ق ١٨: "dramatic fiction" تخيل درامى (١٧٨٠) ؛ "works of fiction" أعمال تخيـل (١٨٤١). مـن ق ١٩ صارهذا التعبير مرادفا تقريبا لروايات novels. أدت شعبية الروايات إلى إعـادة

تسمية غربية من قبل المكتبات وتجار الكتب: non-fiction غيـر تخيلـى (أحيانـا تستعمل هذه كمعادلة لقراءة "جادة"؛ بعض المكتبات تحجز لروادها الكتـب غيـر المتخيلة أو تدفع أجرة البريد لأى منها لكن ترفض تقديم هذه التسـهيلات بالنسـبة لكتب التخيل؛ على الأرجـح يسهم معنى "اختلاق" (محض اختـراع) أو التضـاد المألوف بين fiction بمعنى خيال و fact حقيقة فى وضوح هذا التمييز).

لكلمة رواية novel التى هى الآن شبه مرادفة لكلمد تخيّل fiction تاريخها الخاص المثير للاهتمام. يمثل الآن المعنيان اللذان يشـير إليهمـا الاسـم " prose fiction" تخيل نثرى والصفة (جديد، خلاق، ومن ثـم نوفوتيـه novelty) فـرعين مختلفين من التطور للسابقة البعيدة novus: لاتينية: جديـد - الأول مـن (س م) novella، إيطالية، novela إسبانية؛ والآخر من novelle ، فرنسـية قديمـة. حتى أوائل ق ١٨ حملت novel كاسم معنيين: (١) حكاية tale؛ (٢) ما نسـميه الآن ، بنفس المفهوم ، أخبارا news. هكذا سميت قصص بوكاشيو، واريوستو وآخرين novella نوفيلله: قصص قصيرة، سواء تخيلية fictional أو تاريخية HISTORICAL (ا م): قارن العبارة: "فى هذه التاريخيات histories (التى أسميها بعبـارة أخـرى novelles) يصف حياة ... أمراء عظام" (Painter، ١٥٦٦). من ناحية أخـرى، هناك أمثلـة بمعنى (٢): "للاستماع إلى novells أخبـار مـن صـنعه" (سبنسـر Spencer، ١٥٧٩)؛ "يوحى مظهرك الواضح ببعض الأخبار novel التى قد تفرحنا" (ماسينجر Massinger، ١٦٣٦). بل إن لأحد "آباء الروايـة الإنجليزيـة" فيلـدينج Fielding كتب هذا الحوار فى إحدى مسرحياته:

- ما هذا الخبر؟

What novel's this

- حقا قد يكون مبهجا لك

Faith it may be a pleasant one to you

بناء على سلسلة المعانى هذه عنت novelist بالتتابع مبتكر innovator (ق١٧)، صانع أخبار "news monger" (ق١٨) وكاتب تخيلى نثرى (ق١٨). خلال ق ١٧ وجزء من ق١٨ تناوبت novel فعليا مع ROMANCE (ا م) الأكثر ألفة، رغم أنه بشكل عام اعتبر أنه بالإمكان التمييز بينهما على أساس أن الرواية أقصر (أقرب إلى حكاية) وعلى أساس أنها أقرب إلى الحياة الفعلية. أشار ميلتون (١٦٤٣) إلى أنها "ليست مجرد رواية حب amatorious novel" لكن بحلول منتصف ق ١٨ كانت novel فى طور تحولها إلى الكلمة المألوفة، رغم استمرار إشارات ازدرائية كثيرة كما هو لدى جولد سميث: "هذه المقدرات التى تستطيع تجميع رواية كافية تماماً لإنتاج كوميديا عاطفية" أو الأكثر إصرارا : "لا رواية Novel يمكن أن تكون أكثر أثرا أو أكثر إدهاشا من هذا التاريخ" (ويسلى Wesley، ١٧٦٩). بحلول أوائل ق ١٩ اكتمل تماماً تطور novel كتعبير مألوف لعمل من التخيل النثرى لدرجة ان كلمة جديدة للتخيل النثرى القصير دخلت اللغة: novelette (١٨٢٠). معظم الازدراء الذى حملته novel انتقل إلى هذه الكلمة كما فى novelettish (أوائل ق ٢٠). فى الواقع نستطيع الآن أن نقول أحيانا إن نوفليتز novelettes، أو روايات سيئة، هى اختلاق محض pure fiction بينما تنقل لنا روايات novels (تخيل جاد) الحياة الفعلية.

انظر: CREATIVE خلاق، IMAGE صورة، MYTH أسطورة، ROMANTIC رومانسى

فولك/شعب FOLK

الصيغة folk هى إحدى تهجيات كلمة مشتركة فى لغات تيتونية؛ فى الإنجليزية القديمة كانت تهجيتها folc . كان لها معنى عام: "شعب" people فى نطاق يمتد من تشكيلات اجتماعية معينة، بما فى ذلك أمم NATIONS (ا م)، إلى الناس عموماً. منذ ق ١٧ أصبح الجمع folks أكثر شيوعاً بالمعنى الأخير؛ بشكل معتاد هى كلمة لطيفة وغير رسمية: الناس كما يرون أنفسهم وليست نظرة من

أعلى أو من الخارج، رغم أن هذا المعنى تم استحواذه أو استغلاله فـي أشـكال معينة من المجال التجاري. كذلك يستعمل "المفرد" folk بطريقة محددة بعد اسـم إقليم من أقاليم البلد.

فى منتصف ق ١٩ بدأ استعمال محدد مهم. كتب ثومز Thoms، فى رسالة إلى مجلة *Athenaeum* فى ١٨٤٦) : "ما نصنفه فى انجلترا آثاراً قديمـة شـعبية popular (رغم ... أنه ... يمكن وصفها بطريقة أكثر ملاءمة بمّركب سكسـونى مناسب Folk-Lore معرفة الشعب)". ترجع lore إلى (س م) lar، انجليزية قديمـة. استعملت فى الأصل في نطاق من المعانى يمتد من تعليم وتربية إلى تعلم ودراسة، لكنها صارت خصوصاً من ق ١٨ محصورة على الماضي، وذلك مـع المعـانى المرافقة: تراثى أو أسطوري. يرتبط اقتراح ثومـز لفولك بـدلاً مـن popular بنفس النزعة الثقافية مثـل اقتراح مراسل فى مجلـة *Gentleman's Magazine* من ١٨٣٠ بوجوب إحلال lore محل اللواحق اليونانية فى أسماء العلوم: starlore بدلاً من astronomy علم الفلك و earthlore بدلاً من geology ... الخ. لم يقتنـع عالم العلم والمعرفة التقليدى بهذه الصبغة التمييزية للإحياء الأنجلوسكونى المتعمد، لكن تم حالاً تبنى folk-lore فولكلور التى أعيدت صياغتها لاحقـاً folklore، فـى تركيز على معنى استعادى لكل من "علم" و"ماضي". بحلول سنة ١٨٧٨ كانـت هناك جمعية فولكلور وكان ثومز مديراً لها، وتم تبنى الكلمة وانتشر هذا النوع من الجمعيات بشكل واسع فى ثقافات أخرى. سجلت folk-song أغنية فلكلوريـة مـن سنة ١٨٧٠.

جزئياً ارتبط الاستعمال المحدد بـالتطورات الصـعبة فـى ق ١٩ لشـعبى POPULAR (ا م). تطورت الاهتمامات التى تمثلها الكلمة بثبات منذ أواخر ق ١٨ وأعطيت موقعاً رسمياً عن طريق أعمال هيردر Herder والأخوين جرم Grimm. عند هيردر كانت هناك ثقافة الشعوب Kultur des Volkes وعند شـليجل Schlegel شعر شعبى Volkpoesie. لم يكن الاهتمام العلمـى بأصـناف الشـعر والقصـة والمعتقدات والعادات والغناء والرقص هو العنصر الوحيد فى الصـيغة المحـددة

حديثاً. تركزت محاولات تعريف فولكلور فى أواخر ق ١٩ على معنى "survivals" مأثورات معتمدة على تعريف تايلور Tylor فى *Primitive Culture* (١٨٧١) (انظر Culture ثقافة) كعناصر تبقى "بقوة العادة وتستمر فى وضع مجتمعى جديد". من هذه الناحية يتعلق التشكيل بمجموعة معقدة من ردود الفعل على المجتمع الصناعى والحضرى الجديد. أصبحت أغنية فولكلورية folksong محصورة بشكل مؤثر على عالم ما قبل الصناعة وما قبل المدينة وما قبل الكتابة، لكن مع ذلك كانت تنتج بنشاط أغانى شعبية popular ومن ضمنها أغانى عمل صناعى جديدة. فى هذه الفترة كان لفولك folk الأثر فى إعطاء تواريخ أقدم لكل عناصر الثقافة الشعبية popular culture وقدمت فى الغالب كتضاد للأشكال الشعبية الحديثة، سواء تلك التى تنتمى إلى الطبقة العمالية والراديكالية أو التجارية. استمر هذا التوكيد المميز لكن قابلته اعتراضات، سواء من داخل الدراسات الفولكلورية، حيث تم باضطراد إيضاح تعقيد وتفاوت أصول عناصر folk التراث الفلكلورى المختلفة، أو ضمن الدراسات الثقافية cultural studies حيث يوجد اعتراض على كل من فصل الفولك folk الذى ينتمى إلى ما قبل الكتابة وقبل الصناعة عن سواه وعلى خلق تمييزات تصنيفية بين مراحل مختلفة من الإنتاج الثقافى الداخلى والمستقل وأحيانا الجماعي.

تغير الوضع أكثر، خاصة فيما يتعلق بغناء فولكلورى folksong فى منتصف ق٢٠ ، عندما برزت حركة الغناء الفولكلوري، وأصبحت واسعة الانتشار ومتشابكة وامتدت ليسع نشاطها تسجيل وتعديل أغانى ريفية شفوية وأخرى صناعية إلى نظم وأداء جديدين بنفس الروح والأسلوب السابقين. تبقى العلاقة بين folk و popular غير مستقرة ومتبدلة والسبب الرئيسى خلف ذلك، كما فى تعريف منتصف ق ١٩ ، الأصلى هو تعقيد وصعوبة POPULAR (ا م) المستمرة.

انظر: CULTURE ثقافة، ETHNIC إثنى، MYTH أسطورة، PEASANT فلاح ، POPULAR شعبى

شكلانى FORMALIST

هذه كلمة إنجليزية قديمة، لكنها استعملت بشكل واسع فى ق٢٠ فى سياق جديد نسبياً كنتيجة لاستعمالات الكلمة المقابلة لها فى اللغة الروسية. ظهر معنيان لشكلانى formalist فى الإنجليزية من أوائل ق ١٧: (١) نصير أو مؤيد لمجرد أشكال forms الدين أو مظاهر خارجية له: 'formalists and time-servers شكلانيون ومسايرون" (١٦٠٩)؛ (٢) من يفسر الأمور من خلال خصائصها السطحية بدلاً من الجوهرية: "شيء مثير للضحك ... رؤية حيل هؤلاء الشكلانيين ... فهم يجعلون المظهر الخارجى يبدو قواما له عمق وجسم" (بيكون، ١٦٠٧-١٢). فقط يمكن فهم هذا الاستعمال والتشويش المعقد لبعض الاستعمالات الحديثة بالإشارة إلى التطور المعقد لشكل form نفسها. ترجع هذه الكلمة إلى (س م) forme، فرنسية قديمة، forma، لاتينية: هيئة، شكل. كررت form فى الإنجليزية تعقيدات تطورها فى اللاتينية وهناك معنيان ضمن هذه التعقيدات يستحقان بشكل رئيسى الذكر: (١) شكل ظاهرى وخارجى فيه دلالة واضحة على الجسم الفيزيائي: "بالمصادفة التقى ملكاً فى هيئة fourm إنسان" (تقريبا ١٣٢٥)؛ "شكل forme ضئيل، مشهد ممالق، باهت" (١٥٦٨)؛ (٢) مبدأ تشكيل أساسى يحوّل مادة غير محددة إلى كيان أو شيء محدد نهائي: "الجسد مجرد مادة تكون الروح فيه هى الشكل fourme" (١٤١٣)؛ "حسب تنوع الأشكال الجوهرية تُصنَّف أشياء العالم إلى أنواعها" (هوكر Hooker، ١٥٩٤). من الواضح أن form شملت فى أقصى معانيها المدى الكامل من الخارجى والسطحى إلى الجوهرى والمحدد. غطت formality شكلية نفس المدى من "الملابس ... موضوع مجرد شكلي" (هوكر، ١٥٩٧) إلى "تلك الشكليات formalities حيث يكمن جوهرها Essence" (١٦٧٢). فى الاستعمال العام احتفظت form بكامل مداها لكن استعملت formality شكلى و formalist شكلانى ومن منتصف ق ١٩ formalism شكلانية بشكل واسع بطرق سلبية أو رافضة: "بالنسبة للشكلانيين formalists الاحتفالات أوثان" (١٦٣٧)، "تبا أيها الشكلانيون، قساة القلوب والجامدون" (ينج Young، ١٧٤٢)؛ "شكلانية عديمة الجدوى" (كنجزلى Kingsley، ١٨٥٠)؛ "نفاق

وشكلانية" (١٨٧٨). وهناك مثالان لهما صلة بالتطور المحدد اللاحق: "شكلانيون يطالبون بتفسير لأقل الكلمات إيهاما" (١٧٠٧) ؛ " شكلانية النقد المسرحي" (١٨١٤).

مع تعقيدات form ومعاني formalist المعروفة ، فإنه مدهش أن يفهم بطرق مختلفة التعبيران formal method طريقة شكلية و formalist school المدرسة الشكلانية اللذين يمكن التعرف عليهما بهذين المسميين في الدراسات الأدبية الروسية من ١٩١٦ تقريباً. إضافة إلى ذلك أظهرت formalism شكلانية خلال تطورها اتجاهات وتوكيدات كثيرة ومتنوعة. كان تركيزها السائد على خصائص العمل الأدبي المحددة والجوهرية التي تطلبت تحليلاً تبعا لشروطه الخاصة قبل أن يكون أي نوع من النقاش، خاصة التحليل الاجتماعي والأيديولوجي، ملائما أو حتى ممكناً. تعقيدات النقاش اللاحق لافتة جداً. كان هناك تضاد بسيط (يفعّل تمييزاً معروفاً بين form بمعنى (١) وفحوى أو مضمون content) بين شكلانية formalism القاصرة على اهتمامات جمالية AESTHGTIC (ا م) صرفة وماركسية تعطي الاهتمام للمضمون الاجتماعي والاتجاهات الايديولوجية. في تطور القوى التاريخية الفعلي وحسمها أصبح المعنى السلبي جداً لشكلانية formalism هو المعروف في الإنجليزية بشكل واسع حيث استعمل كمعادل لأفكار "الفن من أجل الفن". في نفس الوقت في بعض تطورات formalism، كان هذا في الغالب هو الموقف المتبع، بشكل ملحوظ في فكرة تصنيف مستقل تماماً "للغة الشعرية"، وفي الميل إلى إنكار ملاءمة المضمون أو المعنى الاجتماعي في أية مرحلةٍ. طغى الجدل بين هاتين المدرستين (في المعاني المحددة للشكلانية formalism والماركسية) على الاستعمال حتى ١٩٥٠ تقريباً. بدون شك في هذه المرحلة عرُضت شكلاني formalist للشبهة المعاني الإنجليزية السابقة: "مشهد خارجي" "ومظهر سطحي". ما كان أكثر لفتًا لكن صعباً للغاية هو مفهوم كلمة شكل form بمعنى (٢) كمبدأ مُشكِل، سواء في معناها الواسع (حيث تتداخل مع genre جنس/نوع) أو في معناها الأكثر تحديدا حيث كانت المبدأ المنظم القابل للاكتشاف ضمن العمل (قارن العبارة "لا يجرؤ أي عمل فيه نبوغ حقيقي على غياب شكل

form ملائم له"، كوليردج). بمفهوم شكل form هذا، أى معنى (٢) مميزا عن (١)، يمكن بشكل معقول وصف التركيز الماركسى كشكلانية المضمون formalism of content، مستخدمين فى ذلك معنى (١) السلبى "مشهد خارجي"، ويمكن إثارة أسئلة مختلفة حول التشكيل الفعلى formation (معنى form ٢) للعمل وهو ما يتطلب تحليلا محددا لعناصره فى تنظيم معين. بالإضافة إلى ذلك، كما حدث إلى حد ما (لكن بتحول وتشويش كبير للأسماء) كان هذا النوع من التركيز الذى يتيح أو فعلا يتضمن توسعاً من الشكل المحدد إلى أشكال أعم وإلى أشكال من الشعور والعلاقات (مجتمع) هو أحد النزعات ضمن شكلانية formalism، مما أتاح وصفها بشكلانية اجتماعية social formalism (موكاروفسكى Mukarovsky وفولوسينوف Volosinov). اختلط الغرض بتمييزات (شملت اختلافات عميقة لم يفصح بالكامل عنها دائما) بين عمليات intersubjective بين أفراد، واجتماعية SOCIAL (ا م) وبين تحليلات synchronic تزامنية وdiachronic متتابعة زمنياً: مصطلحات مستمدة من اتجاه فى اللغويات وتستعمل إما للتعبير عن تمييز مطلق بين نسق مكتف ذاتياً فى اللغة وبين نسق هو جزء من عملية تاريخية، أو للتعبير عن توكيدات بديلة، أحياناً على النسق وأحياناً على عملية التطور التى تشكل هى لحظة منه وتربطهما علاقات فعلية وديناميكية. على العموم تبعث شكلانية formalism (قارن بنيوية structuralism) التركيز السابق (intesubjective بين الأفراد وثنائية متزامن/متتالي) بدلاً من الأخير، لكن بينما لا تقف فى معارضتها إلا الماركسية، التى تعامل form شكل كـ "مجرد تعبير" أو "مشهد خارجي" للمضمون content، فإن مقدرتها فى التحليل الدقيق تظل فعالة. سيمر وقت قبل معرفة إذا ما كانت المعانى السلبية للكلمة ستحول دون تقدير التركيزالمهم الذى أسهمت فى تكوينه – ولو جزئيا – كل من شكلانى formalist وشكلانيون formalists .

انظر: STRUCTURAL بنائى

جيـــل GENERATION

كانت الكلمة فى اللغة الإنجليزية منذ ق١٣، من (س م) generatio، لاتينيــة (س ب) generare، لاتينية: يولّد من نفــس نوعــه (جنســه genus). تراوحــت استعمالاتها الأولى بين "فعل التكاثر" و "ناتج التناســل" وهكــذا اســتعملت لذريــة offspring نفس الوالدين، نسل descendants و(هذا يوجهنا نحو الاستعمال الجديــد الأهم) أجيال متدرجة فى الأسرة. كان تطورها المهم فــى اتجــاه الاســتعمالات الاجتماعية والتاريخية أعمق من المعنى البيولوجى المحدد. يصعب تعقــب ذلــك حيث أن استعمالات مثل "الأجيال القديمة the olde generations"، من ق ١٦، تــدل بالفعل على حس تاريخى إلى حد ما وفقا للحيوات المتذكرة وأحيانــا المتعارضــة. كذلك كانت هناك استعمالات مبكرة نسبياً لـــ "جيــل" لغــرض تقــدير الــزمن التاريخي، بمعدل ثلاثين سنة أو ثلاثة أجيال فى القرن. لكن يبدو مرجحاً أن المعنى الجديد الشامل للكلمة بمفهومها المحدد والمؤثر كنوع مميز من الناس أو المواقف لم يكن مهما قبل منتصف ق ١٨ ولم يتطور تماماً إلا منذ منتصف ق ١٩. نجد أحد الاستعمالات المبكرة عند سانت بيف Sainte-Beuve: "الجيل الرومانسي". كما بيّن بيل Bell، فإن مفهوم ديلثى Dilthy لـــ "وقت تمت فيه معيشة مشتركة" حاسـم فــى فكرة الجيل الثقافي، وأصبح هذا النوع من التحليل منذئذ سائداً فى التاريخ الثقافي.

من المفيد مقارنة التطور، الذى هو على الأرجح مقــارب، لكلمــة period حقبة، من ق١٥، التى ترجع إلــى (س م) periode، فرنســية، (س ب) periodos يونانية: دائرة، دورة من السنين، جملة مصقولة rounded sentence. ترتبط معظم استعمالات period حقبة قبل أوائل ق ١٨ واستعمالات كثيرة منذئذ (دورات حيض periods، ق١٩؛ دورية periodical وفى بعض الأحيان دوريا periodically، يظهر فى فترات منتظمة، من ق ١٧) بفعل متكرر، عادة بانتظام. يبدأ استعمالها للدلالــة على فترة محددة من الزمن تتسم بمعالم مميزة وبالتالى ليست متكررة فى الســيرة والتاريخ فى ق ١٨، ويصبح متطوراً جداً فى الدراسات التاريخية والبيولوجية مــن منتصف ق١٩. يبدو أن generations تبعت بشكل عام نفس المسار متيحة ظهور

مفهوم فيه توكيد على تميز وقت معين أو مجموعة ناس، لكن (كما في حقبة) ضمن مفهوم استمرار عام.

هكذا نجد "الجيل الصاعد"، التى تدل إلى حد ما على التغيير، عند جيبون Gibbon (١٧٨١)، ويبدو أن ذلك جزءا من تطور معنى جديد لتاريخ HISTORY (ا م)، وخصوصا التاريخ بصفته تقدمياً متطوراً وبذلك تعززت فكرة التميز بل وأعطيت صفة رسمية. بالتالى سجلت "أذواق الأجيال" فى ١٨٤٧ وهناك فيما بعد، فى أواخر ق ١٩، تطور واضح لمفهوم الاختلاف فى مناقشات مهاجرى "الجيل الأول" و"للجيل الثاني" خاصة فى الولايات الأمريكية المتحدة. حسب هذا الأسلوب استقر مفهوم المعنى الزمنى والاجتماعى بشكل سائد. يتم تجاوز الصلة بالأسر المهاجرة، التى تمر عبر حقب periods من التغير الثقافي، إلى استعمالات أشمل لاتحتفظ بأى معنى بيولوجى محدد و مضمونها بشكل رئيسى تاريخي.

تضاعفت مثل هذه الاستعمالات منذ أوائل ق٢٠. فى ١٩٣٠ سجلت عبارة "جيل الغارات الجوية" وكذلك الأكثر أهمية " شعور جيلي" التى تعنى ما سمى بتفاوت الأجيال أو فجوة جيلية" "generation-gap"، وهى على الأرجح من خمسينيات ق٢٠ (سجلت فى ١٩٦٤).

تتعكس سيطرة هذا المفهوم فى بعض استعمالات "جيل" الغربية لكن المتزايدة فى الانتشار لوصف انماط متعاقبة من الأشياء المصنعة؛ استعملت بالنسبة للكمبيوتر والأسلحة النووية ونظم تقنية متقدمة أخرى منذ أولخر الخمسينيات وأوائل ستينيات ق٢٠. تكون بالتالى الصلة بالفكرة السابقة لذرية بيولوجية فى الغالب من باب المفارقة لو أسوأ من ذلك.

إحدى صعوبات "جيل" بهذا المعنى المعزز هى أنه فى فترة تغير سريع تكون على الأرجح الحقبة period المستغرقة أقصر وتنقص كثيرا عن الجيل البيولوجي. هناك أيضاً، كما فى معنى حقبة غير المتكرر، مشاكل كثيرة من التداخل وبالتالى صعوبات فى التعريف الدقيق. مع ذلك، تبدو كلا الكلمتين بهذه

المعانى عناصر ضرورية من مفردات ثقافة فيها التغير التاريخى والاجتماعى واضح ومتعمد.

انظر: DEVELOPMENT تطور، FAMILY عائلة، GENETIC جينى/وراثى، HISTORY تاريخ، PROGRESSIVE تقدمي

جينى/وراثى GENETIC

تشكل الكلمة فى بعض الأحيان صعوبات لأن لها معنيين: معنى عام أصبح الآن فى بريطانيا أقل ذيوعاً لكنه لايزال شائعا فى الفرنسية مثلاً، ومعنى محدد فى فرع من العلوم وهو الذى أصبح معروفاً جداً. جينى genetic هى صفة من genesis، لاتينية، genesis، يونانية: أصل، خلق، نشوء، تكوين. دخلت الإنجليزية فى أوائل ق ١٩، فى البداية بمعنى يدل على الأصل كما لدى كارلايل: "التواريخ الأصلية genetic Histories " (١٨٣١). استمر معنى الأصل هذا عند داروين حيث دلت "صلة جينية genetic connection " (١٨٥٩) على الأصل المشترك للناس. لكن حملت genetic كذلك معنى التطور كما فى "تحديدات جينية genetic definitions" (١٨٣٧) حيث الموضوع المحدد "اعتبر حسب التقدم المستقبلي، ما سيؤول إليه" وكان هذا المعنى حاضراً كذلك فى "التطور الجينى لأقسام الكلام" (١٨٦٠). فى ١٨٩٧ عرف علم الجينات genetics فى تمييز له عن telics (علم الغايات) لوصف "عملية نمو" بدلاً من وضع نهائى أو "تام النمو". أظهرت التطورات فى بيولوجيا أوائل ق٢٠ الحاجة لكلمة جديدة. أشار بيتسون Bateson فى ١٩٠٥ إلى "دراسة الوراثة" وكتب: "لا تفى كلمة فى الاستعمال العام تماماً بهذا المعنى ... ولو كانت هناك رغبة فى سك كلمة فإن Genetics قد تفى بالغرض". من هذا الاستعمال نشأ الوصف العلمى المعتاد الآن: " فسيولوجيا الوراثة والانحرافات ... علم الجينات genetics" (*Nature*، ١٩٠٦). لكن لايزال معنى "تطور" الأقدم والأعم فعّالاً كما فى "علم النفس الجيني" (١٩٠٩) الذى

نسميه الآن فى الغالـــب سيكولوجيا النمـــو "developmental psychology" دونمـــا اشارة إلى علم الجينات البيولوجي. علاوة على ذلك يظل المعنى الأول كمـــا فـــى "الزيف الجينى genetic fallacy" (١٩٣٤) زيف فى تفسير موضوع أو تفنيده عـــن طريق الإشارة الى أسبابه الأصلية.

فى الاستعمال الإنجليزى المعتاد تدل جينـــى الآن علـــى حقـــائق الوراثـــة والانحراف فى سياق بيولوجى (وراثة جينية genetic inheritance، شـــفرة جينيـــة genetic code ... الخ) لكن بالإضافة إلى الاستعمالات الإنجليزية المتبقيـــة تظهـــر genetic أيضاً فى الغالب فى ترجمات، خاصة من اللغة الفرنسية، حيـــث المعنـــى فى العادة يتعلق بالتشكيل والتطور. هكذا يتم التمييـــز بـــين genetic structuralism بنيوية توليدية (جولدمان) وأنواع أخـــرى مـــن البنيويـــة STRUCTURALISM (ا م) بتركيزها على التشكيل والتطور التاريخى (وليس البيولوجي) للبنيـــات structures (أنواع من الشعور). من المرجح أن يساء، فى الغالب، فهم الاستعمال المترجم أو يصبح مرتبطاً ارتباطاً فضفاضا بعلم الجينات البيولوجي.

انظر: DEVELOPMENT تطور، EVOLUTION نشوء، FORMALIST شـــكلاني، HISTORY تـــاريخ، STRUCTURAL بنائى

نبوغ/نابغة/عبقرى GENIUS

دخلت genius الإنجليزية من ق ١٤ بمعناها اللاتينـــى الرئيســـى - (س م) genius، لاتينية: روح حارسة. توسعت الكلمة لتشمل سجية أو ميزة خاصة من ق ١٦ كما هو الوضع حالياً فى "كل امرئ لـــه ســـجيته المميـــزة genius (هيـــوم، ١٧٥٤). بنفس الطريقة استعملت بالنسبة للأماكن من أواخر ق ١٧. إن التطـــور نحو المعنى الحديث السائد - "مقدرة فائقة" - معقد جداً؛ حدث ذلك بتفاعل متبـــادل فى كل من الإنجليزية والفرنسية ولاحقا فى الألمانية. يبدو أنه ارتبط فى الأســـاس

بفكرة روح spirit عبر فكرة إلهام inspiration. بينما لاحظ أديسون Addison فـــي ١٧١١ أنه (لاتوجد هناك صفة تعطى بشكل أكثر تكرارا لكاتب من كلمـــة "نابغـــة genius")، فإن هناك تعريفاً فرنسياً أوضح: "يبدو أن تعبير عبقرية هذا يشير لا إلى المواهب العظيمة دون تمييز فيما بينها ولكن إلى تلك المواهب التى يـدخل فيهـا شيء من الابتكار،" وهذا موجود أيضاً فى الإنجليزية: "دائما تعنـــى genius شـــيئا خلاقا أو مبدعا" (١٧٨٣). فى الواقع يقترب هذا المعنى دائماً من معنـــى خـــلاق CREATIVE (ا م) المتطور. يبدو أن التمييز بين عبقرية وموهبة، المتنقل أيضاً بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية، اعتمد فى الأصل على هذه الاشارة إلـــى أنـــواع kinds من المقدرة بدل درجات degrees منها، رغم أنه فى الاستعمال اللاحق تغلب المعنى الأخير. تستعمل الكلمة الآن بشكل واسع جدا لوصف جميع أنواع المقدرات النادرة لدرجة أن بقايا المعنى السابق "سجية مميزة" تكون فى الغالب ملتبسة. مثال جيد هو العبارة " للإنجليزى عبقرية للحلول الوسط".

انظـــر: CREATIVE خلاق، ORIGINALITY أصالـــة

هيمنة HEGEMONY

من المرجح أن اللغة الإنجليزية تبنت hegemony مباشرة من انيونانية: (س م) egemonia، يونانية، (س ب) egemon، يونانية: زعيم، حاكم، غالبا المقصـــود لبلد غير بلده الأصلي. لم يكن شائعاً قبل ق ١٩ معنى سيطرة سياسية، الذى عادة ما يكون لدولة على أخرى، لكنه استمر منذ ذلك الحين وهو شائع إلى حد ما ويدل، إضافة الى الصفة hegemonic، على أسلوب فيه سيطرة سياسية أو يرمى إليها. فى وقت أحدث، استعملت hegemonism (مبدأ وسلوك الهيمنة) لوصف سياســـة قـــوة عظيمة أو قوة عظمى تنوى السيطرة على آخرين (فى الواقع لليهمنة بعض الرواج كبديل لإمبريالية IMPERIALISM (ا م).

كان هناك فى الإنجليزية استعمال مبكر يشيرمن حين لآخر إلى سيادة من نوع أكثر عمومية. من ١٥٦٧ نجد "هيمنة أو سيادة على الأشياء التى تنمو عليك أيتها الأرض"، ومن ١٦٥٦ هناك عبارة "الجزء السائد أو الأسمى للروح". استمرت الصفة مهيمن hegemonic، بشكل خاص بمعنى سيطرة أو مبدأ الغلبة هذا.

أصبحت الكلمة hegemony مهمة فى إحدى صيغ ماركسية ق ٢٠، خاصة بناء على عمل جرامشى (رغم أن التعبير فى كتابته معقد ومتبدل؛ راجع أندرسون Anderson). فى أبسط استعمالات الكلمة توسع معنى سيطرة سياسية من علاقات بين دول إلى علاقات بين طبقات اجتماعية كما فى "هيمنة برجوازية". لكن يمكن اعتبار طبيعة هذه السيطرة بطريقة تنتج معنى أعم يشبه إلى حد كبير استعمالات hegemonic مهيمن الإنجليزية المبكرة. بعبارة أخرى لاتنحصر الكلمة فى أمور التحكم السياسى المباشر لكنها تسعى لوصف سيطرة أكثر عمومية تشمل، كأحد معالمها الرئيسية، طريقة معينة للنظر إلى العالم والطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية. تختلف فى هذا المعنى عن مفهوم "رؤية العالم world-view" فى أن طرق النظر إلى العالم وأنفسنا والآخرين ليست فقط حقائق ذهنية وإنما أيضاً حقائق سياسية يفصح عنها فى نطاق يمتد من مؤسسات إلى علاقات وشعور. تختلف كذلك عن أيديولوجيا IDEOLOGY (ا م) فى أنها تعتبر معتمدة فى سلطتها ليس فقط على تعبيرها عن مصالح طبقة حاكمة ولكن أيضاً على تقبل الخاضعين لها عمليا "كواقع معتاد" أو بديهى "حس مشترك commonsense". هكذا هى تؤثر فى التفكير فى "ثورة" REVOLUTION (ا م) فى إصرارها ليس فقط على انتقال السلطة السياسية أو الاقتصادية ولكن كذلك على الإطاحة بهيمنة معينة: بعبارة أخرى، الهيمنة hegemony التى لا توجد بشكل متكامل فى حكم الطبقة فى مؤسسات أو علاقات سياسية فحسب وإنما أيضاً فى أنواع فعالة من التجربة والشعور. هكذا أصبح التركيز على هيمنة ومهيمن يشمل عوامل ثقافية بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية؛ بهذا المعنى هى تتميز عن الفكرة البديلة: قاعدة base اقتصادية وبنية فوقية superstructure سياسية وثقافية، حيث تتغير البنية الفوقية

بتغير القاعدة مهما كانت درجة التأثير غير مباشرة أو مهما تأخر التأثير. في مفهومها الواسع، فكرة هيمنة إذن فكرة مهمة، بشكل خاص في مجتمعات تكون فيها السياسة الانتخابية electoral politics والرأى العام عوامل مهمة ويعتمد فيها العمل الاجتماعي على القبول بأفكار معينة سائدة تعكس في الواقع متطلبات الطبقة السائدة. بخلاف أصناف قصوى من الحتمية DETERMINISM (ا م) الاقتصادية حيث يرتفع وينخفض النسق أو البنية STRUCTURE (ا م) الاقتصادية حسب قوانينها الخاصة، فإن الصراع من أجل الهيمنة يعتبر ضرورة أو عاملا حاسما في التغيير الجذري من أى نوع بما في ذلك أنواع كثيرة من التغيير في القاعدة.

انظر: CULTURE ثقافة، IMPERIALISM إمبريالية

تاريخ HISTORY

في استعمالها الأول كانت history رواية سردية لأحداث. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية من (س م) histoire فرنسية، historia، لاتينية، من (س ب) istoria، يونانية، التي كان لها معنى مبكر: "بحث وتحر"، ومعنى متطور: "نتائج البحث"، ومن ثم رواية المعلومات. في كل هذه الكلمات تراوح المعنى من قصة story أحداث إلى سرد أحداث ماضية، لكن كذلك كان معنى بحث حاضراً (قارن هيرودتس: "... لماذا دخلوا في حرب بينهم"). في الاستعمال الإنجليزي المبكر استخدمت كل من history و story (اشتقت هذه الصيغة الإنجليزية البديلة من نفس الجذر) لرواية الأحداث سواء كانت متخيلة أو من المفترض أنها صحيحة. استمر استعمال history للأحداث المتخيلة بصيغة مخففة، خاصة في الروايات novels. لكن من ق ١٥ اتجهت history نحو سرد أحداث ماضية فعلية واتجهت story نحو نطاق يشمل روايات أقل رسمية لأحداث ماضية وروايات احداث متخيلة. من أواخر ق ١٥ كانت history تعني معرفة منظمة عن الماضي وكان ذلك امتدادا معمما من معنى رواية مكتوبة محددة السابق. تبعت الكلمات historian مؤرخ و

historic و historical تاريخى بشكل رئيسى هذا المعنى العام لكن مع بعض المعانى المتبقية التى تدل على الكتابة الفعلية.

يمكن القول إن هذا المعنى العام الراسخ لتاريخ history استمر فى الإنجليزية المعاصرة كمعنى سائد. لكن من الضرورى تمييز معنى مهم لتاريخ history يشمل معرفة الماضى المنظمة لكنه يتجاوزها. ليس من اليسير تحديد تاريخ لذلك أو تعريفه لكن المصدر على الأرجح هو مفهوم تاريخ history كتطور بشرى ذاتي، ويتضح ذلك من أوائل ق ١٨ لدى فيكو Vico وفى أنواع أخرى من التواريخ الكلية أو الشاملة Universal Histories. كانت إحدى طرق التعبير عن هذا المفهوم الجديد هى اعتبار الأحداث الماضية ليس تواريخا histories محددة وإنما عملية مستمرة ومترابطة. بعد ذلك تصبح تنظيمات وتفسيرات مختلفة لهذه العملية المستمرة والمترابطة history تاريخاً بمفهوم عام جديد وفى النهاية معنى مجرداً. علاوة على ذلك، مع التركيز على التطور الذاتى تفقد history تاريخ فى كثير من هذه الاستعمالات صلتها الحصرية بالماضى وتصبح مرتبطة ليس فقط بالحاضر ولكن أيضاً بالمستقبل. فى الألمانية هناك تمييز لفظى يجعل هذا أوضح: تدل Historie بشكل رئيسى على الماضى بينما يمكن أن تشير Geschichte (والكلمة المرتبطة بها Geschichtsphilosophie) إلى عملية تشمل الماضى والحاضر والمستقبل. تعتمد history بهذا المفهوم الحديث المثير للجدل على عدة أنواع من النسق الفكري: بشكل ملحوظ على مفهوم الأنوار Enlightment لتقدم أو تطور الحضارة CIVILIZATION (ا م)؛ على المفهوم المثالى idealist، كما هو عند هيجل، فى عملية العالم التاريخى world-historical ؛ وعلى مفهوم سياسى للقوى التاريخية historical forces المرتبط بشكل رئيسى بالثورة الفرنسية ولاحقاً بالحركة الاشتراكية وعلى وجه الخصوص بالماركسية - نتائج الماضى التى هى فعالة فى الحاضر والتى تحدد المستقبل بطرق يمكن معرفتها. من الطبيعى كان هناك جدل بين هذه الصيغ المتباينة لمفهوم العملية وبينها جميعا وتلك التى تستمر فى اعتبار التاريخ رواية أو سلسلة من الروايات لأحداث ماضية حقيقية لا يمكن بدقة تبين أية خطة فيها أو، أحياناً كبديل لذلك، لا تحتوى على أية

إشارات ضرورية للمستقبل. حسب استعمالاتها فى منتصف ق٢٠، هنـــاك ثلاثـــة معانى لتاريخانية historicism: (١) تعريف حيادى نسبيا لمنهج دراسة يعتمد علـــى حقائق الماضى ويتتبع سوابق للأحداث الحالية ؛ (٢) توكيد متعمد على ظـــروف وسياقات تاريخية متقلبة يجب عن طريقها تفسير كل الأحداث المحددة؛ (٣) معنـــى معاد فيه مهاجمة كل أنواع التفسير أو التنبؤ عن طريـــق "ضــــرورة تاريخيـــة" أو اكتشاف "قوانين تطور تاريخي" عامة (قارن بوبر Popper). ليس مـــن الســـهل دائماً تمييز هذا النوع من الهجوم على تاريخانية الذى يرفض أفكار مستقبل حتمى أو حتى مرجح من هجوم مشابه علـــى مفهـــوم أى مســـتقبل future (فـــى معنـــاه المتخصص كحياة أفضل أو أكثر تطوراً) يستعمل دروس التاريخ بطريقة معممـــة جداً (تاريخ history كحكاية حوادث، أحداث غير متوقعة، إحباط أهداف مقصـــودة) كطرح خاصة ضد الأمل. رغم أن هذا المعنى الأخير لتاريخ لا يقبل أو يدرك بهذه الطريقة إلا أنه على الأرجح صيغة خاصة من ق ٢٠ لتاريخ history كعملية عامة لكنه يستخدم الآن فى تضاد مع مفهوم الإنجاز أو الأمل الذى كان للصيغ الســـابقة والمستمر الفعالية وذلك للدلالة على نمط عام للإحباط والهزيمة.

لذا ليس من السهل القول أى مفهوم لتاريخ history هو السائد حاليا. تبقـــى historian مؤرخ دقيقة بمعناها السابق. ترتبط historical تاريخي. بشكل رئيســـى ولكن ليس حصرياً بهذا المفهوم "للماضي" لكن تســـتعمل historic تـــاريخي، فـــى الغالب لتشمل مفهوم عملية أو مصير [يشمل الماضـــى والحاضـــر والمســـتقبل]. تحتفظ تاريخ history نفسها بكامل معانيها ولاتـــزال تســـرد أو توضـــح، حســـب القراءات المختلفة، معظم أنواع الماضى الذى يمكن معرفته وتقريبـــاً كـــل أنـــواع المستقبل الذى يمكن تخيله.

انظـــر : DETERMINE يحدد، EVOLUTION تطور/نشوء

إنسانية HUMANITY

تنتمي الكلمة humanity إلى مجموعة معقدة من الكلمـات تشـمل human إنسان/إنساني، humane شفوق، humanism حركة أو فلسـفة إنسـانية، humanist الصفة منها، humanitarian، خيرى، إحساني، وتمثل هذه الكلمات فـي بعـض أو جميع معانيها تعيينات محـددة للكلمـة الجـذر لإنسـان man (homo، hominis ، لاتينية: رجل، يتعلق برجل؛ humanus، لاتينية: يخص أو يتعلق برجال).

من الضرورى فى البداية إدراك الفـرق بـين human انسـان و humane شفوق، الذى أصبح مستقرا فى صيغته الجديدة فقط من أوائل ق ١٨. قبـل ذلـك كانت humane هى التهجية المعتادة لنطاق من المعانى يمكن تلخيصه بأنه العناصر المميزة او الفارقة للرجال بالمفهوم العام (قـارن MAN) للجـنس البشـري. (كـل الرجال human بشر، أو كما فى التهجية السـابقة humane ، لكـن كـل النـاس humans ، هم إما رجال (بمعنى ذكر المحدد) أو نساء أو أطفال.) دلت استعمالات humane الأولى على الفطرة البشرية، لغة بشرية، عقل بشري، لكن كـان هنـاك أيضا من أوائل ق ١٦ استعمال لـــ humane يعنـى رؤوف، رقيـق، دمـث، عطوف. بعد أوائل ق ١٨ انحصرت التهجية القديمة على الكلمة المستقلة humane بالمعانى المذكورة تو ا بينما أصبحت human مألوفة للاستعمال الأعم.

لإنسانية humanity تطور مشابه، لكـن فيـه اختلافا. اسـتعملت أولا فـى أواخر ق ١٤، من (س م) humanité، فرنسية، وكان لها مفهوم أولى أقرب إلـى humane شفوق التى يحدد تعريفها من human إنسان/إنسانى العامة. ظهرت فـى الاستعمال القروسطى مرادفة لدماثة وأدب ولباقة، ولا بد أن يرتبط هـذا، دونمـا أن يكون مطابقاً، بتطور umanità، إيطاليـة، humanité، فرنسية من humanitas، لاتينية، التى تضمنت معنى واضحاً للطـــف والكياســـة civility. كذلك كـان لــ humanitas، معنى محددا هامـا يـــدل علـى التهـذيب الـذهنى والتربيـة العقلية education liberal؛ هكذا هى ترتبط بمجموعة الكلمات الحديثـة cultivation

تهذيب/رعاية، CULTURE ثقافة و CIVILIZATION حضارة (ا م م). التطور في الإنجليزية من أوائل ق ١٦ معقد. توسع مفهوم دماثة وأدب إلى لطف وكرم: "إنسانية ... هى الاسم العام لتلك الفضائل التى تظهر المحبة والوئام المتبادل كجزء من طبيعة الإنسان" (إليوت Elyot، ١٥٣١) لكن هناك أيضاً من أواخر ق ١٥ استعمالا لإنسانية humanity يميزها عن divinity ألوهية/لاهوت. ارتكز هذا (قارن Panofsky) على الاستبدال القروسطى للتعارض بين إنسانية humanity قاصرة وألوهية مطلقة بالتضاد الكلاسيكى الأقدم بين انسانية humanity وما هو أدنى من الانسان human سواء أكان ذلك حيوانا أو (وهذا مهم) بربريا. إذن كان هناك من ق١٦ جدل وتعقيد في التعبير يشمل معانى تمتد من إنجاز مصقول إلى قصور طبيعي. بناء على هذا المفهوم عن بعض ممثلى المسرح "كفاقدى لهجة المسيحيين، مشية المسيحيين أو الوثنيين أو حتى الإنسان" فكر هاملت شكسبير أن "بعض صناع الطبيعة المهرة خلقوا رجالاً لكن لم يحسنوا خلقهم، إنهم يقلدون الانسان(ية) Humanity بشكل ردئ" (هاملت). لكن قارن: " سأبدل إنسانيتى humanity ببابون (قرد)".(عطيل)

مع ذلك لم يكن شائعاً بالفعل استعمال إنسانية بمفهومها الأكثر تجريداً لتدل على جملة خصال أو سجايا بشرية قبل ق ١٨ ، رغم أنها أصبحت شائعة تماماً بعد ذلك. كانت هناك لا تزال بقية من المعنى الذى يشمل دماثة ولطف ، وكان هناك كذلك المعنى المتطور من humanitas، و umanità الذى يدل على نوع معين من التعليم. كانت هناك استعمالات فى ق ١٥ و ق ١٦ لإنسانية humanity كنوع من التعليم متميز عن اللاهوت ، وحدد بيكون " ثلاثة معارف: فلسفة إلهية، فلسفة طبيعية وفلسفة إنسانية أو إنسانيات Humanitie (*Advancement of Learning*). لكن فى الاستعمال الأكاديمى أصبحت humanity معادلة لما نسميه الآن classics كلاسيكيات، وعلى وجه الخصوص الكلاسيكيات اللاتينية (لاتزال هناك استعمالات متبقية بهذا المعنى). من ق ١٨ اصبحت الصيغة الفرنسية the humanities (les humanités) الإنسانيات، أكثر شيوعاً بطريقة متزايدة فى الاستعمال الأكاديمى وما يتصل به ، مؤدياً فى النهاية الى إضافة الأدب والفلسفة الحديثين إلى

الكلاسيكيات. استمر هذا الاستعمال معتادا فى الإنجليزية الأمريكية ، فى تمييز له عن التصنيف البريطانى الأكثر ذيوعا THE ARTS الآداب (ا م).

تنعكس بعض هذه المعانى فى تطور humanist وفى النهاية humanism. على الأرجح استعيرت humanist مباشرة من umanista الإيطالية التى كانت من أوائل ق ١٦ كلمة مهمة فى عصر النهضة. لقد كانت لها فى أواخر ق ١٦ معان معادلة لكل من classicist دارس الكلاسيكيات ودارس المواضيع الإنسانية human وليست الإلهية. هذه صعوبة حقيقية ترتبط من جهة بالتمييزات الباقية بين علم "وثني" وعلم "مسيحي"، ومن جهة أخرى بتمييزات بين "متعلمين" learned (كما هى محددة حسب اللغات الكلاسيكية) وسواهم. هناك أيضاً صلة أبعد تتعلق بالصفة المزدوجة للنهضة: ميلاد جديد أو إحياء rebirth المعارف القديمة؛ الأنواع الجديدة من الاهتمام بالإنسان وبالنشاطات البشرية. مع هذا التعقيد فإنه ليس مدهشا وجود استعمال من أوائل ق ١٧ لإنسانى humanist (موريسون Moryson، ١٦١٧) لوصف شخص مهتم بتاريخ وشئون الدولة. يبدو أن استعمال humanist لوصف فرد فى مجموعة دارسين بارزين فى عصر النهضة وإحياء العلوم أتى لاحقاً فى ق ١٧ لكنه شاع منذ ذلك الوقت.

من ناحية أخرى ، فالأرجح أن humanism استعيرت مباشرة من Humanismus، صيغة ألمانية من أواخر ق ١٨ اعتمدت على مفهوم إنسانية humanity المجرد المتطور. إن النقاش المعقد الناجم ، الذى ينتمى فى جوهره إلى التطور المعاصر لـ "ثقافة" CULTURE و"حضارة" CIVILIZATION (ا م م) ، هو فى الحقيقة موقف من الدين وأصبحت humanism شائعة بهذا المعنى (ككلمة إيجابية مفضلة على إلحاد atheism السلبية). لكن استقر فى ق ١٩ معنى أوسع لإنسانية humanism يرتبط بأفكار ما بعد الأنوار عن التاريخ HISTORY (ا م) كتطوير وتحسين إنسانى ذاتي، وتداخل هذا مع مفهوم جديد لإنسانية humanism يدل على معنى متطور لإنسانى humanist وإنسانيات the humanities: نوع معين من التعليم يرتبط بمواقف معينة من الثقافة CULTURE والتطور أو الكمال البشري.

ظهرت humanitarian أول مرة في بداية ق ١٩ في سياق الجدل حول الدين: تصف الوضع الذي تم منه إثبات كون المسيح إنساناً وليس إلها. لاحظ مور Moore (مذكرات، ١٨١٩) أن أحد معارفه "صدم كنحوي بالكلمة أكثر من كونه رجل دين في طائفة". اتخذت الكلمة هذه الصيغة بالقياس مع unitarian موحد و trinitarian مؤمن بالثالوث. لكن هذه سرعان ما تم تجاوزها. عن طريق الارتباط بمعنى humanism الدال على التطور ، وأهم من ذلك عن طريق الارتباط بأنواع جديدة من النشاط والمواقف المتعلقة بمعنى humane عطوف المحدد الآن، أصبحت humanitarian مستقرة من منتصف ق ١٩ بمعنى ممارسة أو اهتمام عام مدروس بالرفاهية WELFARE (ا م). (هناك معنى خاص فيه مفارقة: قاتل رحيم humane killer، منتصف ق ٢٠.) من اللافت أنه خلال معظم ق ١٩ كان استعمال humanitarian عدائي أو ازدرائي (كما هو الحال في منتصف ق ٢٠ للعبارة do gooder فويعل خير) لكنها الآن من أقل الكلمات إثارة للنزاع. من الأرجح أن تعميمها الاجتماعي لما اعتبر أعمالا ومواقف فردية ومحلية هو ما أثار ذلك العداء (قارن رفاهية welfare في ق٢٠).

من الضروري إضافة ملاحظة نهائية عن human في وسط ق٢٠. بالطبع هي الآن مألوفة بمعاني عامة ومجردة. كذلك تستعمل بشكل شائع للدلالة على حميمية ود (شخص آدمي human جدا). لكن هناك أيضا استعمالا مهما يدل على ما يمكن تسميته قابلية الخطأ المغفورة condoned fallibility (غلطة بشرية "human error"، غلطة بشرية طبيعية "natural human error") ويتوسع ذلك في بعض الاستعمالات ليدل على شيء أبعد من هذه الملاحظة المحايدة نسبيا. العبارة "كان له بالرغم من ذلك جانب إنساني human" لا تعني بالضرورة أن رجلا محترما كان عرضة للخطأ فحسب؛ وإنما يمكن أن تعني أيضا أنه كان مرتبكا أو، في بعض الاستعمالات، أنه ارتكب أعمالا عدة من النزق أو الخديعة أو حتى جرما. (قارن، كانت جين أوستين إنسانة جدا أيضا: أي أنها كانت حاقدة بل قاسية وفجة أحيانا (مجلة التلفزيون *TV Times* ١٥-٢١- نوفمبر ١٩٧٥). يرتبط المعنى، بوضوح، بالمعنى التقليدي: من طبيعة الانسان human

ليس فقط ان يخطئ ولكن أن يرتكب إثماً. لكن اللافت بخصوص الاستعمال المعاصر، خاصة فى الثقافة البرجوازية الحديثة السائدة، هو أنه أعيد تقييم إثم "sin" بحيث أن أفعالا كانت توصف فى السابق بهذه الصفة كدليل على أخطاء البشرية humanity (مقارنة بكمال الإله) تقدم الآن، بمعنى الاستحسان الذى ليس هو على الدوام ساخرا أو مقنّعا، كبرهان على كون الشخص إنساناً human (ووصف "محبوب" ليس بالبعيد).

انظر: ISMS أسماء صناعية، CULTURE ثقافة، CIVILIZATION حضارة، MAN رجل/إنسان، SEX جنس، WELFARE رفاهية

مثالية IDEALISM

هناك معنيان رئيسيان لمثالية idealism: (١) معناها الفلسفى الأصلى حيث يعتقد، مع تنويعات كثيرة فى التعريف، أن الأفكار تشكل الأساس وتحدد كل الواقع؛ (٢) معنى حديث أشمل لطريقة تفكير حيث تعتبر حالة أفضل أو أسمى هى طريقة الحكم على السلوك أو للدلالة على فعل. إحدى الصعوبات الحاسمة لمعنى (٢) هى أنها تستعمل خصوصاً فى بعض مشتقاتها، بطريقة فضفاضة فى الغالب، لكل من المدح والذم.

استعملت idealism فى الإنجليزية من أواخر ق ١٨، وكانت سابقتها المباشرة (س م) هى idealisme، فرنسية، وخاصة idealismus، ألمانية. سبقتها بهذا المعنى الفلسفى idealist مثالي، من أوائل ق ١٨. ترجع الإحالة الحاسمة إلى الفكر اليوناني، خاصة افلاطون، وكانت idea موجودة فى الإنجليزية بهذا المعنى من منتصف ق ١٥، رغم أن صيغتها الأكثر شيوعاً حتى أواخر ق ١٦ كانت idee. أصلها البعيد (س ب)هو idea يونانية، من الفعل "يرى" ولها معانى تمتد من مظهر appearance وشكل form إلى النموذج أو النمط الأفلاطوني. للكلمة idea

معان مختلفة: (١) نموذج مثالى Ideal type، شائعة من ق ١٥، (٢) شكل، صورة، من ق ١٦، (٣) فكر أو اعتقاد، من ق ١٧. لم يتطور اسم عام لمعنى (٣) مثل ideation أو ايديولوجيا إلا فى أوائل ق ١٩ بعد استعمالات idealism المحددة.

يشير الاستعمال الفلسفى المحدد بشكل واضح إلى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية فى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩، لكن مع إلماع إلى الماضي، ليس فقط إلى أفلاطون وإنما أيضا لفلاسفة إنجليز مثل بريكلي. لكن تقريباً فى نفس الفترة كان هناك قلب للمعنى فيما يتعلق بالفن والفكر الاجتماعي. افترضت المثالية idealism فى الفلسفة فى كل تنويعاتها المهمة، أن الأفكار idea أساسية، سواء كانت هذه هى الفكرة idea أو الأفكار ideas سماوية أو شاملة، أو كانت هذه الأفكار هى المكوّنة للوعى البشري. واضح أن قلب المعنى بدأ من الإشارة إلى الوعى البشرى. بدأت idealism و idealist مثالى تستعملان من أواخر ق ١٨، وخصوصاً من أوائل ق ١٩ ليس للدلالة على الوعى كنشاط أساسى ومكوّن بقدر ما هى دلالة على نوع خاص من الوعى يُضفى بصورة تخيلية صفات معينة على شيء ما (وذلك فى تعارض مع المعنى الرئيسى للمثالية الفلسفية الذى يستمد فيه الشيء خصائصه بالضرورة من الوعي). وصف الفعل الجديد idealize، من أوائل ق ١٩، خاصة فى استعمالاته الأولى، عمليات الفن ART (ا م). لم يكن شائعاً توسع الكلمة إلى عملية أكثر شمولاً للسموّ التخيلى قبل منتصف ق ١٩ عندما بدأت تكتسب معنى سلبياً للزيف المصاحب (idealization). كذلك تطورت معانى idealism و idealist السلبية من ق ١٩؛ بحلول ١٨٨٤ كانت هناك العبارة الدالة الآن: مجرد مثالى "mere idealist".

يمكن توضيح تعقيدات المعنى اللاحقة بازدواج التضادين pairing opposites. كانت هناك idealism فى تضاد مع MATERIALISM مادية (ا م): فى الأساس معارضة فلسفية لكن فى ق ٢٠ توسعت، بشكل خاص عن طريق توسع كل من التعبيرين، إلى تمييز هو فى الواقع بين نكران الذات "إيثار" altruism واستئثار: تمييز ليست له أية صلة بالنقاش الفلسفى، مهما قد تكون له من جدارة

أخرى، رغم أنه فى الغالب يلتبس معه فى الجدل الاجتماعي. وهناك تعارض idealism مع realism واقعية: فى الأصل هو أيضاً تمييز فلسفي، وله تطور مقارب لوصف أنماط وعمليات فن، لوصف تضاد هو فى الواقع بين غير عملى وعملى practical/impractical، خاصة فى الكلمتين المشتقتين: idealistic و realistic. ثم هناك idealism كمفهوم اجتماعى وأخلاقى إيجابى فى تضاد مع إما أنانية، مصلحة ذاتية أو لامبالاة، مع ضيق أفق شامل general narrowness of outlook. حيث أن كل هذه الاستعمالات الحالية تتعايش فى نقاش فلسفى مستمر ومهم، هو فى حد ذاته معقد بشكل فائق، فإن مثالية idealism هى بوضوح كلمة تتطلب فحصاً دقيقاً كلما تستعمل.

انظر: IDOLOGY ايديولوجيا، MATERIALISM مادية، NATURALISM طبيعية، PHILOSOPHY فلسفة، REALISM واقعية

أيديولوجيا IDEOLOGY

ظهرت ايديولوجيا أول مرة فى الإنجليزية فى ١٧٩٦ كترجمة مباشرة للكلمة الفرنسية الجديدة idéologie التى اقترحها ذلك العالم الفيلسوف العقلانى rationalist ديستت تريسى Destutt Tracy. كتب تايلور Taylor (١٧٩٦): " قرأ تريسى بحثاً واقترح تسمية فلسفة العقل ايديولوجيا". كذلك كتب تايلور (١٧٩٧) "... ايديولوجيا أو علم الافكار ideas، من أجل تمييزها عن ميتافيزيقية القديمة". بهذا المعنى العلمى استعملت ايديولوجيا فى الابيستمولوجيا والنظرية اللغوية حتى أواخر ق ١٩.

روّج نابليون بونابرت معنى مختلفا وبذلك مهد للمعنى الجديد الرئيسى. فى هجوم على مناصرى الديمقراطية - "الذين ضللوا الناس بمنحهم سيادة ليس فى مقدورهم ممارستها" - هاجم مبادئ التنوير على أنها "أيديولوجيا": "يجب عزو كل

المحن التى ألمت ببلدنا فرنسا الجميلة الى تعليمات الأيـديولوجيين ideologues – لهذه الميتافيريقية المسهبة التى تسعى بطريقة بارعة محتالة للتوصل إلى الاسـباب الرئيسية وعلى قواعدها ترسى تشريع الناس بدلاً من تبنى قوانين حسـب معرفـة القلب البشرى ودروس التاريخ". دوى هـذا الاستعمال طيلة ق١٩. لا يزال شائعاً في النقد المحافظ لأية سياسة اجتماعية تستمد جزئيـاً أو كليـاً مـن نظريـة اجتماعية بطريقة مدروسة. تستعمل بشـكل خـاص فيمـا يتعلـق بالسياسـات الديمقراطية أو الاشتراكية، وفى الواقع فى ق١٩ كانـت أيـديولوجى ideologist، تبعـا لاستعمال نابليون، معادلة فى الغالب لثـورى revolutionary. لكـن كـذلك اكتسبت ideologist و ideology و ideological عن طريق توسـع مـن مفهـوم نابليون معنى نظرية متعصبة، غير عملية أو مجردة. من اللافت قراءة ما كتبـه سكوت Scott (نابليون، ج ٤، ٢١٥) آخذين فى الاعتبار تاريخ الكلمـة اللاحـق: "اعتقد نابليون أن ايديولوجيا، وهى الكنية التى استعملها الحاكم الفرنسى لتحديد كل أنواع التنظير الذى لا يرتكز بأى شكل على قاعدة مصلحة ذاتية، يمكن أن تسـود فقط عند صبية سريعى الاهتياج أو متحمسين مختلى العقل". حاول كارلايل Carlyle الذى كان على علم بهذا الاستعمال أن يعارضه: "هل يسمى القارئ الإنجليـزى ... مبدأنا البغيض هذا أيديولوجيا؟" (*Chartism*،vi.1839;148).

هناك إذن، استمرارية واضحة بين معنـى أيـديولوجيا الازدرائـى ، كمـا استعمله المفكرون المحافظون فى أوائل ق ١٩ ، والمعنى الازدرائى الذى روجـه ماركس وإنجلز فى "الأيديولوجية الألمانية" (١٨٤٥-٧) وبعد ذلك. ميز سـكوت أيديولوجيا كنظرية "لاترتكز بأى شكل على قاعدة مصلحة ذاتية" رغـم أن البـديل (المبيم بطريق مناسبة) الذى قدمه نابليون فعلاً هو "معرفة القلب البشرى ودروس التاريخ". فى نقدهما لفكر معاصريهما الألمان الراديكاليين، ركز ماركس وانجلـز على تجريدها بناء على عمليات التاريخ الفعلية. كما ذكرا، خاصـة فيمـا يتعلـق بالأفكار المسيطرة لحقبة، "الأفكار ليست أكثر من التعبيـر النمـوذجى للعلاقـات المادية المهيمنة، العلاقات المادية مدركة كأفكار". الفشل فـى إدراك ذلـك ينـتج أيديولوجيا: نسخة مقلوبة للواقع. "لو كان الناس وظروفهم فـى كـل الأيـديولوجيا

يظهرون بالمقلوب كما فى الحجرة المظلمة فإن هذه الظاهرة تتبع بنفس المقدار من عملية حياتهم التاريخية كما هو الحال فى قلب الأشياء على شبكة العين من عمليـة حياتها الفيزيائية". (*الايديولوجية الألمانية*، ٤٧). أو كما صاغها إنجلز لاحقاً:

"كل أيديولوجيا... حالما تنشأ ، تتطور بالنسبة للمادة – المفهـوم، وتطـور بدورها هذه المادة أكثر؛ وإلا فإنها ستكف عن كونها أيديولوجيا، أى انشغال بأفكار يعادل الانشغال بكيانات مستقلة، وتتطور هذه الأفكار باسـتقلالية وتخضـع فقـط لقوانينها الذاتية. كون ظروف الحياة المادية للناس الذين تجرى هذه العملية الذهنية داخل رؤوسهم تحدد فى المقام الأخير مسار هذه العملية الذهنية يبقـى بالضـرورة مجهولاً من قبل هؤلاء الناس ، وإلا فستكون هنـاك نهايـة لكـل الأيـديولوجيا". (*فيورباخ*، ٦٥ – ٦٦) وكذلك: "أيديولوجيا هى عملية تنجـز من قبـل ما يـدعى مفكّـر بطريقة واعية بالفعل لكن بوعى زائف. تبقى الدوافع العقلية التى تحرضـه غائبـة عنـه، وإلا فلن تكون أبداً عملية ايديولوجية. مـن ثم يتخيل دوافع زائفـة أو ظاهرية. لأنها عملية تفكير فإنه يستمد شـكلها ومحتواها مـن فكـر محـض، سـواء فكره هـو أو فكر سلفه (*Letters to Mehring*،1893). الأيـديولوجيا، إذن، فكر زائف ومجرد يرتبط بشكل ما ارتباطاً وثيقاً بالاسـتعمال المحـافظ الأصـلى للكلمة لكن مع طرح البديل بطريقة مختلفة: معرفة الظروف والعلاقـات الماديـة الفعلية. فيما بعد استعمل ماركس وإنجلز هذه الفكرة بطريقة نقدية. "مفكرو" الطبقة الحاكمة هم "إيديولوجيو مفاهيمها النشطين الذين يجعلون اتمام وهم تلك الطبقة عن نفسها مصدر رزقهم الرئيسى". (الأيديولوجية الألمانية، ٦٥). أو كما فى استشـهاد آخر: "كان الممثلون الرسميون للديمقراطية الفرنسية منغمسـين فـى أيـديولوجيا الجمهورية لدرجة أنه لم يبدأ يساورهم شعور بأهمية صراع يونية إلا بعـد عـدة أسابيع" (الصراعات الطبقية فى فرنسا، ١٨٥٠). يسـود فـى أعمـالهم مفهـوم ايديولوجيا كوهم، وعى زائف، عدم واقعيـة، واقـع مقلـوب. اعتقـد انجلـز أن الأيديولوجيتين الأسميين "higher ideologies" – الفلسفة والدين – كانتا أبعـد عـن الاهتمامات المادية من الأيديولوجيتين المباشرتين – السياسة والقـانون – لكـن الصلة بينهما، رغـم كونها معقـدة، كانـت لاتـزال حاسـمة (فيوربـاخ

Feuerbach، ٢٧٧). كانت هذه الأيديولوجيات الأسمى "عوالم مـن الأيـديولوجيا تحلق عاليا ... تصورات مختلفة زائفة عن الطبيعة وكينونة الإنسان والروح وقوى السحر، الخ ." (*Letters to Schmidt*، ١٨٩٠). اسـتمر هذا المفهوم.

لكن كان هناك معنى آخر لأيديولوجيـا يبدو أكثـر حياديـة نجـده فـى بعـض كتابات ماركس، بشكل ملحوظ فى فقرة مشهورة فى *The Contribution to the Critique of Political Philosophy* (١٨٥٩) : "يجب التمييز بين التحول المادى لظروف الانتاج الاقتصادية ... والأشـكال القانونيـة أو السياسـية أو الدينيـة أو الجمالية أو الفلسفية – باختصار الايديولوجية التى يصبح فيها الناس علـى وعـى بهذا النزاع ومن ثم يتقاتلون بشأنه". بوضوح يرتبط هـذا بطـرف مـن المفهـوم السابق: "الأشكال الايديولوجية هى تعبير عن (تغيـرات فـي) ظـروف الانتـاج الاقتصادية. لكن ينظر إليها هنا كأشكال يصبح فيها الناس على "وعـي" بـالنزاع الناشئ من ظروف وتغييرات فى تلك الظروف المتعلقة بالانتاج الاقتصادي. مـن الصعب التوفيق بين هذا المفهوم ومفهوم أيديولوجيا كمجرد وهم.

فى الواقع كان فى القرن الماضى لمفهوم أيديولوجيا هذا، كجملة أفكار تنشأ من مجموعة مصالح مادية مفترضة أو، بشكل أعم، من مجموعة أو طبقة محددة، على الأقل نفس الدرجة من الذيوع مثل مفهوم أيديولوجيا كوهم. علاوة على ذلك، استعمل كل من المفهومين، أحياناً بطريقة مشوشة، ضـمن التـراث الماركسـي. بوضوح ليس هناك أى مفهوم لوهم أو وعى زائف فى فقرة مثل هذه عند لينـين: "للمدى الذى تكون فيه الأيديولوجيا هى صراع الطبقة الكادحة (البروليتاريا) فـإن الاشتراكية تخضع لظروف ميلاد وتطور وترسيخ تلك الايديولوجيا؛ بعبارة أخـرى تعتمد على كل مكونات المعرفة البشرية وتفترض درجة عالية من العلـم science وتتطلب عملا علميا scientific، الخ ... فى صراع البروليتاريا الطبقى الذى ينشـأ تلقائياً، كقوة طبيعية، بنـاءً علـى علاقـات رأسـمالية، يقـدم الأيـديولوجيون: "الاشتراكية" (*Letter to the Federation of the North*).

هناك إذن "ايديولجيا بروليتاليـــة" "و ايــديولوجيا برجوازيـــة" وســـواهما، والايديولوجيا فى كل حالة هى نسق الأفكار الملائم لتلك الطبقة. يمكن الادعاء بأن ايديولوجية ما صحيحة وتقدمية فى تضاد مع أيديولجية أخرى. بالطبع من الممكـــن إضافة أن الايديولوجية الأخرى التى تمثل العدو الطبقى ، وتعبّر فيه عن مصـــالح طبقتها ، تكون زائفة بالنسبة لأية مصلحة انسانية عامة؛ عندئذ يمكن ربط مفهـــوم وهم ووعى زائف السابق بطريقة فضفاضة بما هو بشكل رئيسى وصف للطبيعـــة الطبقية لأفكار معينة. لكن فى الواقع أصبح هذا المفهوم لأيديولوجيا، الحيادى نسبياً والذى يتطلب عادة إضافة صفة تحدد المجموعة أو الطبقة الاجتماعية التى تمثلهـــا أو تخدمها، شائعاً فى أنواع كثيرة من النقاش. فى الوقت نفسه، فى الماركسية كمـــا فى سواها، هناك تمييز مألوف بين أيــديولوجيا وعلـــم SCIENCE (ا م) بغـــرض الاحتفاظ بمفهوم فكر وهمي أو فكر تجريدى فقط. هذا يطور التمييز الذى اقترحـــه إنجلز والذى تنتهى فيه الأيديولوجيا عندما يدرك الناس ظـــروف حيـــاتهم الفعليـــة وبالتالى دوافعهم الفعلية ويصبح بعد ذلك وعيهم علميا scientific بطريقة صـــادقة لأنهم سيكونون على صلة بالواقع (قارن Suvin). بالطبع كانت محاولة التمييـــز هذه بين الماركسية علي أنها علم science وبين الفكر الاجتماعى "الآخر" على أنـــه ايديولوجيا، موضع خلاف بين الماركسيين أنفسهم. فى نطـــاق مصـــطلح "علـــوم اجتماعية" العريض، هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا (نظم تأمليـــة speculative systems) وعلم science (حقائق مثبتة demonstrated facts).

فى الوقت الراهن، فى النقاش الرائج، لايزال يستعمل بشكل رئيسى المعنـــى الذى حدده نابليون. يعتمد الناس العقلاء على الخبرة EXPRRIENCE (ا م) أو تكون لهم فلسفة ويعتمد السخفاء على ايديولوجيا. بهذا المعنى تعتبر ايـــديولوجيا بشـــكل رئيسى الآن تعبير استهجان كما كانت عند نابليون.

انظـــر: DOCTRINAIRE نظـــري/غيـــر عملـــي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، PHILOSOPHY فلسفة، SCIENCE علـــم

صورة IMAGE

كان معنى image المبكر في الإنجليزية، من ق ١٣ هو: شكل مجسّم أو تشابه. هذا هو أيضا المعنى الأول للأصل البعيد imago (لاتينية) التي مع ذلك تطورت كذلك لتشمل معنى شبح، خيال، طيف، ومعنى فكرة أو مفهوم. هناك على الأرجح صلة بين تطور جذر كلمة "صورة" وتطور جذر كلمة imitate يقلد، لكن كما في كلمات كثيرة تصف هذه العمليات فإن (قارن vision رؤيا و idea فكرة) هناك توترًا شديدًا بين أفكار "نسخ" copying وأفكار خيال imagination وخيالي imaginary. كل من هذه دلت في الإنجليزية، على الدوام، على مفاهيم ذهنية، بما في ذلك معنى سابق لرؤية مالم يكن موجوداً ، فضلا عن مالم يكن مرئيا بوضوح. لم يكن لها ذلك المعنى السلبي الذي التصق بها فيما بعد.

كان المعنى المادى للكلمة image سائداً حتى ق ١٧، لكن من ق ١٦ استقر المعنى الأعم الذي حمل إشارة ذهنية طاغية، ومن ق ١٧ كان هناك استعمال مهم ارتبط بالنقاش حول الأدب ودل على "تشبيه" أو استعارة (figure of writing or speech). ولم تفقد معناها المادى في الإنجليزية المعاصرة لكنه اكتسب ايحاءات غير مواتية فيها تداخل مع idol وثن، تمثال. لايزال المعنى العام لتصور ذهني (قارن "... the image of "، صورة ... : نموذج دال أو ممثّل) معتادا والاستعمال المتخصص في الأدب شائعاً.

لكن في بعض الأحيان يبدو أنه تم تجاوز كل هذه الاستعمالات من قبل استعمال image المرتبط بالدعاية publicity الذي يمكن اعتباره قائما على معنى "تخيل conception" أو "نموذج دال" السابقين، كما في "brand image" صورة العلامة التجارية أو اهتمام رجل السياسة بصورته his image. في الحقيقة هذا تعبير اصطلاحي (رطانة) في مجال الاعلان والعلاقات العامة. تعززت صلته وتوثقت بسبب الاهتمام المتزايد لوسائل الاعلام المرئي مثل التلفزيون. تطور بالفعل معنى image في الأدب والرسم لدرجة أن الكلمة استعملت لوصف الوحدات الأساسية المكونة للفيلم. في الواقع يدعم هذا المعنى التقني عمليات صورة image

التجارية والموجّهة بصفتها "سمعة" أو "صيت" مدرك. من اللافت أن معانى خيال، تصور imagination وبوجه خاص imaginary خيالى يتم تجنبها فى استعمال صورة image فى الدعاية والسياسة فى منتصف ق٢٠.

انظـــر: FICTION خيال/رواية، IDEALISM مثاليـــة، واقعية REALISM

إمبريالية IMPERIALISM

تطورت إمبريالية ككلمة خـــلال النصـــف الثـــانى مـــن ق ١٩. إمبريـــالى imperialist أكثر قدما، لكنها حتى أواخر ق ١٩ عنت موالٍ لإمبراطور أو لنظـــام حكم إمبريالي. كانت إمبريالى imperial ذاتهـــا فى الإنجليزية بنفـــس المعنـــى القديم من ق ١٤؛ (س م) imperialis، (س ب) imperium، لاتينية: سلطة، ســيادة عليا.

تطورت إمبريالية، وإمبريالى بمعناها الحديث، بشكل رئيسى فى الإنجليزية، خاصة بعد ١٨٧٠. كان معناها دائما موضع نزاع حيث قدمت تبريرات وتفسيرات مختلفة لنظام تجارة استعمارية منظّم وحكم اســتعمارى مـــنظّم. مـــع ظهـــور إمبرياليات منافسة تبدل الجدل داخل بريطانيا بشكل واضح. كان هناك نقاش مؤيـــد ومعارض للتحكم فى المستعمرات عسكريا بغرض ابقائها ضمن نظـــام اقتصـــادى واحد، الذى عادة ما يكون حمائيا portectionist. كذلك كانت هناك حملة سياســية طويلة الأمد من أجل مساواة "الإمبريالية" بالحضـــارة CIVILIZAION (ا م) الحديثـــة والمهمة الحضارية "civilizing mission".

اكتسبت امبريالية دلالة محددة فى أوائل ق ٢٠ فى أعمال عدد من الكتاب – كوتسكى Koutsky، باور Baur، هوبسن Hobson، هيلفردنج Hilferding، ولينـــين – الذين يربطون بطرق مختلفة ظاهرة الإمبريالية الحديثة بمرحلة معينة من تطـــور الاقتصاد الرأسمالى CAPITALIST (ا م). هناك أدبيات ضخمة ومستمرة عن هـــذا

الموضوع. كان لتأثيرها الرئيسى على استعمالات الكلمة انقسام واضح ، وأحياناً التباس بين تركيز على نظام سياسى أو نظام اقتصادي. لو كانت الامبريالية، كما عرفت عادة فى أواخر ق ١٩ فى إنجلترا بالدرجة الأولى، نظاماً سياسياً يتم حكم المستعمرات فيه من مركز امبريالى لأسباب اقتصادية إلى جانب أسباب أخرى اعتبرت مهمة ، فإنه يمكن وصف منح الاستقلال أو الحكم الذاتى لاحقا لهذه المستعمرات، كما حدث فعلاً، "بنهاية الإمبريالية". من ناحية أخرى، لو فهمت الإمبريالية فى المقام الأول كنظام اقتصادى للاستثمار الخارجى والتغلغل والتحكم فى أسواق ومصادر المواد الأولية ، فإن التغييرات السياسية فى وضع المستعمرات أو المستعمرات السابقة لن يؤثر كثيراً على وصف النظام الاقتصادى المستمر بإمبريالى، وفى الطرح السياسى الحالى غالبا ما يلفها الغموض فتبدو ذات معنى ملتبس. هذا هو الوضع بالنسبة لـ "الإمبريالية الأمريكية"، حيث للدلالة السياسية عموماً أهمية أقل، خصوصاً إذا ما حملت الكلمة معنى ق ١٩ كحكم مباشر من مركز إمبريالى، لكن لا تزال صحيحة حيث الدلالة بشكل رئيسى اقتصادية، بما يتضمنه ذلك من تحكم سياسى وعسكرى. استعملت الكلمة بشكل واسع منذ منتصف ق ٢٠ بصيغتها المركبة **neo-imperialism** امبريالية جديدة وبصيغة أضيق **neo-colonialism** كولونيالية جديدة لكى تصف هذا النوع الأخير من الإمبريالية. فى الوقت نفسه تم إحياء صيغ تحمل المعنى القديم فى أوصاف معارضة: " إمبريالية سوفياتية"، وفى الصيغة الصينية "إمبريالية إشتراكية" لوصف إما الطبيعة الاقتصادية أو السياسية لعلاقات الإتحاد السوفيتى بالدول التابعة (قارن "الإمبراطورية السوفياتية **Soviet Empire**"). هكذا تستخدم نفس الكلمة النافذة، والتى يكاد يكون الآن معناها دائما سلبيا، للدلالة علي: نظم سياسية واقتصادية مختلفة جذرياً أو متعارضة. لكن كما فى حالة ديمقراطية **DEMOCRACY** (ا م) التى تستعمل بمعنى ايجابى لوصف نظم سياسية متعارضة فإنه لايمكن اختزال إمبريالية دلاليا إلى معنى واحد صحيح، مثلها فى ذلك مثل أية كلمة تدل على صراعات

سياسية واقتصادية أساسية. تشير تنويعات المعانى التاريخية والمعاصـــرة الهامـــة لهذه الكلمة إلى عمليات فعلية يجب دراستها وفقاً لمعطياتها.

انظـــــــر: HEGEMONY هيمنـــــة، NATIVE وطنـــــي، WESTERN غربى

يُحسّن IMPROVE

الكلمة improve مثال لافت لانبثاق معنى عام شامل من معنى ضيق محدد. دخلت الإنجليزية، فى البداية بصيغ تهجية كثيـــرة، مـــن (س م) en preu فرنســـية قديمة، (س ب) pros : يربح profit. فى استعمالاتها الأولى أشارت إلى عمليـــات ربح مادى حيث كانت غالباً معادلة لـــ "يستثمر invest " وأشارت بشكل خاص إلى عمليات [بيع وشراء] أراض أو ما يتعلق بها، فى الغالب تحويش أراضى عامة أو قاحلة. من ق ١٦ الى أواخر ق ١٨ كان المعنى الســـائد هـــو عمليـــات اســـتثمار "رابحة" مرتبطة بالأرض؛ فى ق ١٨ كانت كلمة أساسية تعبر عن نمو الرأســـمالية الزراعية الناهضة، و لا تزال عبارات مثـــل: "using to make a profit" اســـتعمال لجنى ربح" و"improve the occasion يحسن اســـتغلال الفرصـــة" و " improve the hour يغتنم الوقت" مستخدمة حتى وقتنا هذا. تطـــور المعنـــى الأشـــمل making something better" جعل شيء ما أفضل، من ق ١٧ ، وأصبح مستقراً. غالباً فـــى تداخل مباشر مع عمليات اقتصادية، فى ق ١٨. لاحظ كاوبر Cowper هذا المعنـــى وانتقده:

كذلك "التحسين" هو معبود العصر

Improvement too, the idol of the age, is fed with many a victim.

يقدم له قرباناً ضحايا كثيرون

(*The Task*.iii. 764-5.1785)

مـــن منتصـــف ق ١٨ كانـــت هنـــاك العبـــارة الدالـــة "improve oneself" "تحسين/تطوير الذات" وعبارات أخرى مثل "improving reading" "تحسين القراءة". كانت جين أوستن Jane Austen على وعي بمعاني "تحسين" التي أحيانا ما تكـــون متناقضة فليست كل العمليات الاقتصادية تؤدي إلى تهـــذيب/ تحســـين اجتمـــاعي وأخلاقي بل قد تكون معوقة له كما تصـــف فـــي روايتهـــا *Persuasion* (الفصـــل الخامس) عائلة "ملاك أراض" بأنها "في حالة تغيير و"ربما" تحسين". فيمـــا بعـــد أصبح فصل المعنى العام مـــن المعنى الاقتصادي معتاداً، لكن الصلة الأساسية بين "جعل شيء ما أفضل" و "جني ربح من شيء" مهمة عنـــدما يـــتم تـــذكر التـــاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي تطورت خلاله الكلمة بهذه الطرق. من المفيد مقارنة تطور كلمة interest حصة/مصلحة الموازي.

انظر: DEVELOPMENT تطـــور/نمـــو: EXPLOITATION استثمار/استغلال، INTEREST حصة/مصلحة

فـــرد/مفـــــرد INDIVIDUAL

في الأصل عنت individual غير قابل للانقسام، لايتجزأ. ومهما يكن المعنى متناقضا مع نفسه فإن "فردي" تحمل بين طياتها تمييزا عن الآخرين في حين تؤكـــد الصيغة الجديدة indivisible على صلة الترابط بين الأجزاء. تطور المعنى الحـــديث من المعنى القديم هو سجل في اللغة لتاريخ سياسي واجتماعي استثنائي.

اشتقت الكلمة السابقة مباشـــرة مـــن indiviualis، لاتينيـــة وســـطى، مـــن individuus، لاتينية ق٦، الصفة السلبية (in) بالإضـــافة إلـــى (بن ب) dividere، لاتينية: يجزئ، يقسم. استعملت individuus لترجمـــة atomos، يونانيـــة: لايمكـــن قطعـــه، لايتجـــزأ. حدد بوثيوس Boethius، ق ٦، معاني individuus:

"يمكن تسمية شيء "مفرد" individual بطرق مختلفة: مايسمى مفردا هو مالا يمكن تجزئته أبـــــدا مثل وحدة unity أو روح(١)؛ مالا يمكـــن تجزئتـــه لقسـوته

مثـل الفـولاذ يسمى "فــردا" (٢)؛ يســمى individual فــــردا أوحــــد مــن لاينطبـــق وصفه علـــى ســواه مـــن نفــس النـــوع مثل ســـــقراط (٣).(*In Porphyrium commentarium liber secundus*)

يمكن العثور على indiviualis و indiviual بمعنى عدم التجزئة الجوهرى فى الجدل الثيولوجى القروسطي، خاصة فيما يتعلق بالنقــاش حــول وحــدة الثــالوث (استعملت عندئذ أيضا الصيغة البديلة indivisible): "من أجل ... جــلال الثــالوث السامي والذى لايتجزأ" (١٤٢٥). استمر معنى (١) فى الاستعمال العام حتى فترة متأخرة من ق ١٧: رباط الزوجية "وحدة individuall لاتتجزأ إلى رجل وزوجته" (١٦٢٣)؛ "يقسم ... الكنيسة الكاثولكية الواحدة individuall إلى جمــاهير متعــددة" (ملتون، ١٦٤١). استحوذت "atom ذرة" فى الفيزياء من ق ١٧ بشكل عام علـــى معنى (٢). لكن معنى (٣) الذى يدل على شخص واحد متميز هو الذى لـــه مـــن أوائل ق ١٧ السجل الأكثر تعقيداً.

يحـــدد التحـــول بشكل واضـــح اســـتعمال عبـــــارة " in the individuall" مقابـــــل "in the general" فى العموم. يمكن قراءة هــذه الاســـتعمالات المبكـــرة بمفهوم جديد فالكلمة لاتزال معقدة: "فيما يتعلق بسلوك المتعلمين فإن ذلك شخصى وفـــــردى personal and individual"(Bacon، *Advancent of Learning*, I ، iii؛1650). بالنسبة إلى الصفة [فردي/فرداني] كان المعنى المتطـــور فــــى البدايـــة "غريب" و "شاذ": "يجب أن يكون المرء مختلفاً عن بقية الناس وغريبـــاً individuall يحيد بشكل ما عن طبيعته التى فطر عليها (بـــراون Browne، ١٦٤٦). المعنـــى، كما هو هنا، غالبا ازدرائي. استعملت الكلمة بطريقـــة مشـــابهة لاحتجـــاج "دون" Donne ضد الكلمتين الجديدتين "singularity" فرادة و "individualism" فردانية:

For everyman alone thinks he hath got

فكل شخص وحيد يعتقد أنه يجب

To be a Phoenix,and that then can be

أن يكون عنقاء

None of that kind of which he is but he

ولايمكن أن يكون أحد من هذا النوع الفريد سواه

(*First Anniversarie* ، 1611)

يعتمد هذا النوع من التفكير على المفهوم السائد للطبيعة البشرية، لذلك فإن كلمة فرد individual تعامل في الغالب على أنها نوع من الانحراف عن ذلك فيه شذوذ وغرور. لكن في بعض النقاش أدى التضاد بين "في العموم in the general" وفي الحالة المفردة in the individual"" إلى الظهور الحاسم للإسم الجديد. يكاد يكون موجوداً عند جاكسون Jackson (١٦٤١): "السلم ... هو السند الفعلي للأفراد individualls والأسر والكنائس وجماعات الكومنولث"، رغم أن "individualls أفراد" لاتزال تعني هنا طبقة. ربما لم يبرز المعنى الاجتماعي الحديث حتى لوك (Locke: *Human Understanding*، III، vi، 1690) لكن فقط كصفة: "فكرتنا عن أي رجل فرد "any individual Man".

فعلياً لم يكن التطور حاسما للاسم المفرد في الفكر السياسي أو الاجتماعي فيما عدا حقلين خاصين: المنطق، ومن ق ١٨ البيولوجيا: (الفرد... في المنطق... يعني ذلك الذي لايمكن قسمته الى أجزاء بنفس الاسم أو من نفس الطبيعة) (فيلبس Phillips، ١٦٥٨). فصل تشامبرز Chambers (١٧٢٧-٤١) هذا التصنيف المنهجي: " يكون التقسيم المعتاد في المنطق إلى أجناس ... هذه الأجناس إلى أنواع species، وهذه الأنواع إلى أفراد individuals. من ثم كان نفس التصنيف المنهجي متاحاً في البيولوجيا الحديثة. حتى ق ١٨ نادراً ما استعملت 'individual فرد" دون صلة واضحة بمجموعة يشكل فيها الجزء أقصى درجات التقسيم. هذا هو الوضع حتى فيما يبدو استعمالاً حديثاً عند درايدن Dryden:

That individuals die, his will ordains;

كون الأفراد يموتون، هذا قضاؤه؛ يبقى مع ذلك النوع متكاثرا.

The propagated species still remains. (*Fables Anicent and Modern*, 1700)

حتى أواخر ق ١٨ لم يمكن بوضوح ملاحظة تحول حاسم فى استعمالات الكلمة: "بين الشعوب المتوحشة من صيادين وقناصين يقوم كل فرد **individual** ... بعمل مفيد". (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة، ١٧٧٦). كان هناك ازدهار ملحوظ للكلمة خلال ق ١٩، سواء فى البيولوجيا أو فى الفكر السياسي. فى البيولوجيا التطورية أدرك داروين (*أصل الأنواع*، ١٨٥٩) "أن لا أحد يفترض أن كل الأفراد **individuals** من نفس النوع يسبكون فعلاً فى نفس القالب". باضطراد لحقت بالكلمة فرد **individual** - مثال واحد لمجموعة - وتجاوزتها كلمة الفرد " **the individual**" لتعني: ترتيب جوهرى للوجود.

يمكن عزو ظهور مفاهيم فردية **individuality** بالمعنى الحديث إلى تفتت النظام الدينى والاجتماعى والاقتصادى القروسطي. فى الحركة العامة ضد الاقطاع كان هناك تركيز جديد على وجود الإنسان الشخصى بالإضافة إلى موقعه ووظيفته فى مجتمع تراتبي. كان هناك توكيد مشابه فى البروتستانتية على صلة الانسان المباشرة والفردية **individual** بالله، فى تعارض مع تلك العلاقة التى تتوسط فيها الكنيسة. لكن لم يعتمد حتى أواخر ق١٧ و ق١٨ أسلوب جديد من التحليل فى المنطق والرياضيات ينص على أن الفرد **individual** مفرد/فرد هو الكيان الجوهرى (قارن "**monad**" الفيلسوف **Leibniz** ليبنز: عنصر الوجود الأولى) الذى تبنى عليه تصنيفات أخرى وخصوصا التصنيفات الجامعة. ولقد تبنى الفكر السياسى التنويرى هذا النموذج بشكل أساسي. استهل النقاش أفراد لهم وجود مبدئى وأساسي، ومنهم استنبطت نظم المجتمع وصيغت أشكاله: عن طريق الخضوع (كما لدى هوبز) عن طريق الموافقة والعقد، أو عن طريق الصيغة الجديدة من القانون الطبيعى (كما فى الفكر الليبرالي). فى علم الاقتصاد الكلاسيكى افترض نموذج

التجارة أفرادا مستقلين يقررون فى مرحلة مبكرة الدخول فـــى علاقـــات تجاريـــة واقتصادية. في علم الأخلاق النفعى قدّر "الأفراد" المستقلون نتائج كـل فعـل قـد يقومون به. انتُقد الفكر الليبرالى المعتمد على "الفرد" كنقطة انطلاق من قبل مواقع محافظة: "الفرد أحمق ... الجماعة حليمة" (بيرك Burke)، لكن كـذلك فـى ق ١٩ انتقد من قبل مواقع اشتراكية كما هو بشكل ضليع عند ماركس الذى هاجم تضـاد التصنيفين المجردين: فرد "individual" ومجتمع "society" وجادل بأن الفرد اختراع نشـــأ ضمن علاقات تحدده DETERMINED (ا م).

معنى individual الحديث هو، إذن، نتيجة لتطور مرحلة معينة مـن الفكـر العلمى ومرحلة من الفكر الاقتصادى والسياسي. لكن بدأ يظهر فعلاً تمييز ضـمن ذلك يمكن تلخيصه فى تطور كلمتـين مشـتقتين: individuality فرديـة/شخصـية و individualism فردانية. تنسجم الأخيرة مع الحركة الرئيسة للفكـر الاقتصـادى والسياسى الليبرالي. لكن هناك تمييز بيّنـه شـميل Simmel: فردانيـة اسـتثناء Einzigheit مقابل فردانيـــة وحدانية Einzelheit . يجادل شميل بأن singleness – الفردانية المجردة – تعتمد على فكر كمى يتمركز فى الرياضيات والفيزياء ق ١٨. بالمقابل الفرادة uniqueness هى تصنيف نوعى ومفهـوم مـن مفـاهيم الحركـة الرومانسية، كذلك هى مفهوم من البيولوجيا التطورية التى يتم التركيز فيها علـى النوع species والفرد المرتبط به، لكن مع إدراك الفرادة ضمن النوع. يخلط الآن كثير من النقاش عن الفرد individual ما بين المعنيين المميزين اللذين تشير إليهمـا الفردانية individualism والفردية individuality. تاريخ الأخيرة أطول وهو نتيجـة لمجموعة المعانى التى تطورت فيها individual مركزة على كل من الفرد الوحيـد unique والعضوية (التى لا تتجزأ indivisible) فى مجموعة. سكت individualism فى ق١٩: "تعبير جديد ولدته فكرة جديدة" (توكفيل، ١٨٣٥): نظرية ليسـت فقـط لأفراد مجردين abstract individuals وإنما كـذلك للأهميـة الأساسـية لمواقـف ومصالح فردية individual.

انظر: MAN رجل/إنسان، PERSONALITY شخصــية، SOCIALISM إشــتراكية، SOCIETY مجتمــع، SUBJECTIVE ذاتي/شخصي

صناعــة/جهــد/كــــد INDUSTRY

هناك معنيان رئيسيان للكلمة Industry: (١) الخصلة البشرية للانكباب على، أو المجهود المستمر من أجل؛ (٢) مؤسسة أو مجموعــة مؤسســات للإنتــاج أو التجارة. ينقسم المعنيان بطريقة واضحة ودقيقــة عــــن طريــــق صــفتيهما industrious مجد، كادح و industrial صناعي.

كانت industry فى الإنجليزية منذ ق ١٥، من (س م) industrie، فرنســية، (س ب) industria، لاتينية: مثابرة. كتب إليــوت Elyot فــى ١٥٣١: "لــم تكــن industrie قيد الاستعمال فى الإنجليزية لمدة طويلة مقارنة بــ Providence العنايــة الإلهية، لذا فهى أغرب وتتطلب شرحاً بسيطاً"، واستمر ليعرّفها كــإدراك ســريع، وابتكار جديد و استشارة فى وقتها. لكن كانت هناك استعمالات معاصرة كمضــاد لكلمة بلادة أو خمول، ومرادفة لمثابرة ؛ وفى استعمال خــاص عنــت وســيلة أو طريقة عمل. كانت industrious، التى تعنى إما ماهر أو مجتهــد، هــى الصــفة المشتقة الشائعة من منتصف ق ١٦، لكن ظهــرت كــذلك فــى ق ١٦ industrial للتمييز بين فواكه متعهدة بالعناية industriall وأخرى طبيعيــة natural. بالتــالى كانت industrial نادرة أو غائبة حتى أواخر ق ١٨ عندما بدأت التطور الذى جعلها شائعة بحلول منتصف ق ١٩، وربما كان ذلك فى شــكل اســتعارة جديــدة مــن الفرنسية.

من ق ١٨ بــدأ معنى industry كمؤسســة أو مجموعــة مؤسســات فــى الظهــور. فى ١٦٩٦ كان هناك ذكر لــ "كليــة صــناعة College of Industry لكــل زراعة وتجــارة مفيدة"، وذكرت لاحقــا "مــدارس صــناعة Schools of

Industry" مرتبطة بمدارس الأحد. لكن كان الاستعمال الأكثر ذيوعا في ق ١٦ في " دار الصناعة House of Industry": إصلاحية أحداث workhouse ، حيث تتضافر أفكار الانكباب الاجباري والعمل المفيد. ثم هناك عند آدم سميث استعمال معمم حديث: "... ودائع مالية موجهة للمحافظة على الصناعة" (*ثروة الأمم*، جـ ٢، فصل ٣، ١٧٧٦). على الأقل بحلول أربعينيات ق ١٩ كان هذا الاستعمال شائعاً: "صناعتنا الوطنية (دزرائيلي Disraeli، ١٨٤٤)؛ "زعماء الصناعة"، (كارلايل، ١٨٤٣). بشكل عام كانت industry كخصلة بشرية بدلاً من مؤسسة إلا أنه بعد هذه الفترة أصبح هذا المعنى ثانوياً وتبقى بشكل رئيسي محصوراً في أنواع مختلفة من إشارات التفضل.

تأثر بشكل جذري معنى industry كمؤسسة من فترة استعمالتها الرئيسية الأولى باشتقاقين إضافيين: industrialism التي سكها كارلايل في ثلاثينيات ق ١٩ للدلالة على ترتيب جديد للمجتمع يعتمد على إنتاج ميكانيكي منظم، وعبارة ثورة صناعية industerial revolution التي هي الآن مصطلح مركزي. بشكل خاص يصعب تتبع تطور الاشتقاق الأخير. يسجل في العادة أن آرنولد توينبي Arnold Toynbee استعملها لأول مرة في محاضرة ألقاها في ١٨٨١. لكن هناك استعمالات أسبق في الفرنسية والألمانية. تتبع بيزانسون Bezanson (١٩٢٢) عدة كلمات فرنسية مقاربة لـ revolution و industrielle بين ١٨٠٦ و ١٨٣٠، لكن يعتمد تحليلها على فهم الطرق التي كانت فيه كل من REVOLUTION (ا م) و industurial تتحول في كل من الإنجليزية والفرنسية. أشارت معظم الاستعمالات الأولى إلى تغييرات تقنية في الإنتاج- معنى شائع لاحق لـ "ثورة صناعية" نفسها - وكان هذا لايزال المعنى الرئيسي حتى وقت متأخر، "الثورة الصناعية الكبرى" (١٨٢٧). كان التحول الأساسي في معنى ثورة revolution المتطور كمنشئة لنظام اجتماعي جديد في ١٨٣٠، كما هو بشكل ملحوظ عند لامارتين Lamartine: "Le 1789 du comnerce et de l'industrie" ثورة معادلة للثورة الفرنسية (في ١٧٨٩) في التجارة والصناعة، التي وصفها بالثورة الحقيقية. كتب ويد Wade (١٨٣٣، *History of the Middle and Working Classes*) بعبارات مشابهة

عن "هذه الثورة الاستثنائية". كان مفهوم التغيير الاجتماعي العظيم هذا الذي يرقى إلى نظام حياة جديدة معاصراً لمفهوم industrialism المقارب لدى كارلايل، وكان هذا تعريفاً معتمداً على جملة أفكار متمايزة في الإنجليزية كما في الفرنسية من تسعينات ق ١٨. كانت فكرة نظام اجتماعي جديد المعتمدة على تغيير صناعي كبير واضحة عند ساوثي Southy وأوين Owen بين ١٨١١ و ١٨١٨ وكانت مضمرة في وقت أبكر لدى بليك Blake في أوائل تسعينات ق ١٨ ولدى وردزورث عند منقلب القرن. أصبحت العبارة أكثر شيوعا في أربعينيات ق ١٩ في كل من الفرنسية والإنجليزية. "ثورة صناعية كاملة "a complete industrial revolution (Mill، Principles of Political Economy، III، xvii)؛ في ١٨٤٨ عدلت إلى "نوع من الثورة الصناعية "a sort of industrial revolution "أولى الثورات الصناعية premére des révolutions industrielles، " (Gilbert 1847) لكن على الأرجح كانت الاستعمالات الحاسمة عند بلانكي Blanqui(Histoire de L'economie Politique، 38;1837 II): "نهاية ق ١٨ ... وات Watt واركرايت Arkwright... وضعت الثورة الصناعية في حوزة إنجلترا". وكتب إنجلز Conditions of the Working Class in England بالألمانية في ١٨٤٥): "هذه الاختراعات أعطت حافزاً لثورة صناعية، ثورة غيرت في نفس الوقت كل المجتمع المدني". رغم أن العبارة لم تكن شائعة الاستعمال في الإنجليزية حتى أواخر ق ١٩ إلا أن الفكرة كانت شائعة من منتصف ق ١٩ وكانت بوضوح في طور التكوين في أوائل ق١٩. من اللافت أنها استمرت بمعنيين مختلفين (لكن متداخلين): معنى سلسلة من الاختراعات التقنية (التي تتيح لنا الحديث عن ثورة صناعية ثانية أو ثالثة)؛ ومعنى أشمل ، لكن أيضاً تاريخيا ، أكثر تحديدا لتحول اجتماعي: مؤسسة تصنيع industrialism أو رأسمالية صناعية industrial capitalism. (كذلك يجب ملاحظة أن العلاقة بين صناعية ورأسمالية إشكالية وأن المصطلحات تحجب ذلك أحيانا. في أحد الاستعمالات، industrialism صناعية هي عبارة ملطفة لرأسمالية لكن مشاكل التصنيع الاشتراكي لها عناصر مشتركة مع تاريخ "الرأسمالية الصناعية".

من أوائل ق ١٩ أعطى الارتباط بالانتاج الميكانيكى وسلسلة الاختراعات الميكانيكية " صناعة industry" معنى مؤسسات إنتاجية من هذا النوع، وتطورت بالنسبة لذلك تمييزات مثل heavy industry صناعة ثقيلة و light industry صناعة خفيفة. تمت بانتظام معارضة industrialists صناعيين - وهم أصحاب عمل وموظفين employers فى هذا النوع من المؤسسات - ليس فقط مع عمال workpeople ولكن مع أصناف أخرى من الموظفين: تجار، ملاك أراض، الخ. هذا التعارض بين صناعة كانتاج مصانع وأنواع أخرى من العمل المنظم معتاد حتى منتصف ق ٢٠، ومازال سائداً. لكن منذ ١٩٤٥ وربما تحت تأثير أمريكى عُممت "صناعة industry" مرة أخرى على مسار ابتدأ من مجهود إلى مجهود منظم ووصل إلى مؤسسة. من المعتاد الآن سماع كلمة صناعة مرتبطة بالإجازات وأوقات الفراغ والترفيه: "صناعة إجازات holiday industry، liesure industry صناعة الراحة والفراغ، entertainment industry صناعة الترفيه، وبديلا لما كان فى الماضى تمييزا: لصناعة زراعية agricultural industry. يعكس هذا الزيادة المضطردة فى "رسملة capitalization " و تنظيم و"ميكنة" ما كان فى السابق يعتقد أنها مجالات من الخدمة والعمل غير صناعية nonindustrial. لكن التطور ليس كاملا: لاتزال industrial workers ، مثلاً، تشير بشكل رئيسى إلى "عمال مصانع" فى تمييز لهم عن أنواع أخرى من العمال وينطبق هذا على industrial areas مناطق صناعية، industrial town مدينة صناعية، industrial estate أراض صناعية. لكن أصبحت industrial relations علاقات صناعية (عمالية) محصورة على العلاقات بين أصحاب العمل والعمال فى معظم أنواع العمل؛ قارن industrial dispute نزاع عمالى و industrial action (إضرابات، الخ)، حيث يعتمد المعنى على تعارض، ضمن الحركة العمالية، مع عمل سياسى political action.

انظر: CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، EXPLIOITAION استغلال، LABOUR شغل، REVOLUTION ثورة، TECHNOLOGY تقنية، WORK عمل

مؤسسة INSTITUTION

هذه الكلمة هى أحد الأمثلة العديدة (قارن CULTURE ثقافة، SOCIETY مجتمع، EDUCATION تربية) لاسم فعل أو عملية يصبح فى مرحلة معينة اسماً عاماً ومجرداً يصف شيئاً يبدو موضوعياً ومنتظماً؛ وهذا هو عملياً "مؤسسة"، بالمعنى الجديد. استعملت فى الإنجليزية منذ ق ١٤، من (س م) institution، فرنسية قديمة، institutionem، لاتينية، من (س ب) statuere، لاتينية: ينشئ، يقيم، يعيّن. فى استعمالاتها المبكرة ، كان لها معنى واضح يدل على عمل أصلي- شيء يؤسس instituted فى وقت محدد - لكن بحلول منتصف ق ١٦ كان هناك تطور لمعنى عام يتعلق بممارسات أنشئت بطرق معينة ويمكن فهم ذلك بمعنى يكاد يكون حديثاً تماماً: " بلسان واحد، وسلوك ومؤسسات institutions وقوانين متشابهة" (ترجمة روبنسون ليتوبيا *Utopia* مور More، ١٥٥١)؛ "كثير من المؤسسات الجديدة، القوانين، السلوك وفن الحكم (آشلى Ashley، ١٥٩٤). لكن كان لايزال هناك فى السياق معنى واضح للعادة، كما فى المعنى المتبقى فى one of the insitutions of the place" أحد أعراف المكان. ليس من اليسير تحديد وقت ظهور المعنى المجرد تماماً؛ الذى يبدو مرتبطاً دائماً بتجريد SOCIETY مجتمع (ا م) المقارب. بحلول منتصف ق ١٨ يكون المعنى المجرد واضحاً تماماً، وتتضاعف الأمثلة فى ق ١٩و ق ٢٠. فى الوقت نفسه ، من منتصف ق ١٨ بدأت تستعمل institution مؤسسة ولاحقاً institute (التى حملت نفس المعنى العام مثل مؤسسة من ق ١٦) فى أسماء منظمات معينة أو أنواع من التنظيم: "charitable institutions" مؤسسات خيرية (١٧٦٤) وأسماء عدة من أواخر ق ١٨، "Mechanics' Institutes معاهد ميكانيكية"، "Royal Institute of British Archeticts المعهد الملكى البريطانى للمعماريين" ومنظمات مشابهة من أوائل ق ١٩، ويبدو أن هذا كان تقليدا للمعهد الوطنى Institut National الذى أنشئ فى فرنسا فى ١٧٩٥ بمصطلح حديث. منذئذ استعملت

institute بشكل واسع للمنظمات المهنية والتعليمية والبحثية؛ و institution مؤسسة للمنظمات الخيرية والاحسانية. فى الوقت نفسه ، ترسخ المعنى العام لشكل من التنظيم الاجتماعي، محدد أو مجرد، فى تطور institutional مؤسساتى و institutionlize يؤسس فى منتصف ق ١٩. فى ق ٢٠ أصبحت institution المصطلح المعتاد لأى جزء منظم من المجتمع.

انظر: SOCIETY مجتمع

مفكر/مثقف/فكرى INTELLECTUAL

تدل intellectual كإسم على نوع معين من الأشخاص أو شخص يقوم بنوع معين من العمل ويرجع تاريخها فعلياً إلى أوائل ق ١٩ رغم أنه كانت هناك فى وقت أبكر بعض الاستعمالات المتفرقة. يعود تاريخ intelligence بمعناها كملكة أو كعقلية أو كمقدرة على الفهم إلى ق ١٤، لكن يرجع التطور اللافت لكل من intelligent وintelligence كتعبيرين للمقارنة بين الناس بشكل رئيس إلى ق١٦: من بين الاستعمالات الواضحة يمكن ذكر "بعض علماء الإنجليز ذوى المعرفة الشاملة of good intelligence" (جرافتون Grafton، ١٥٦٨) حيث يمكن فهم intelligence كمعرفة knowledge أو معلومات information (كما لايزال المعنى حاضراً فى intelligence service مصلحة استخبارات). كان هناك استعمال مبكر: "شخص ينقصه الذكاء" "man devoyde of intelligence" (١٥٠٧؟). سجلت "intelligent the more" "الأكثر ذكاء" بمعنى مستقل من ١٦٢٦؛ هناك أيضا "اشخاص رزينون وأذكياء intelligent".(كلاريندون Clarendon، ١٦٤٧). يبدو أن هناك صلة بين هذه التمييزات، التى تشمل ذكاء نسبياً أو مطلقاً، ونقاشا حول طبيعة الحكم government. ارتبط عدد من الاستعمالات المحددة والمميّزة لكل من intelligence و intelligent فى ق ١٧ وأواخر ق ١٨ و ق ١٩ بمواقف سياسية محافظة فى نوع من النقاش بقى مألوفاً: الحكم للأذكياء أو للأكثر ذكاء. على أية حال من المهم أن

intellectual كإسم سلكت طريقاً مختلفاً. كانت صفة عادية من ق ١٤ للإسم intelligence بمعناه العام، وأصبحت اسماً للدلالة على قدرات أو عمليات الذكاء. ثم من أوائل ق ١٩ كان هناك استعمال لافت لصيغة الجمع للدلالة على صنف من الناس، في الغالب بطريقة سلبية: "أتمنى أن أكون متعافيا (مؤهلا) بقدر كاف لأتمكن من الاستماع لهؤلاء المثقفين intellectuals (بايرون Byron، ١٨١٣). رغم أن intellectual كصفة احتفظت بالحيادية في الاستعمال العام إلا أن هناك تضمينات سلبية تحوم حول مثقفين intellectuals بالمعنى الجديد. كانت "الثقافوية" intellectualism بديلا بسيطاً لعقلانية rationalism. اكتسبت، بناءً على ذلك ولأسباب عامة كثيرة، معاني تدل على برودة coldness، تجريد وعدم فعالية، والصفة الأخيرة هي الأهم. احتفظت كل من intelligence و intelligent بمعانيهما العامة والإيجابية في معظمها، بينما تجمعت معان سلبية حول intellectual. الأسباب معقدة لكنها تشمل بالتأكيد اعتراضاً على النقاش السياسي والاجتماعي المبني على التنظير أو على مبادئ عقلانية. يرتبط هذا، للغرابة، بالاستعمال المميز لأذكى أو الأكثر ذكاءا كطبقة حاكمة، ويرتبط كذلك بمعارضة "الفصل"، كما في الحركة الرومانسية، بين "رأس" و "قلب" أو "عقل" و"عاطفة". كذلك لايمكن إغفال نوع حاسم من المعارضة ضد مجموعات تقوم بجهد فكري اكتسبت خلال التطور الاجتماعي بعض الاستقلال عن مؤسسات قائمة في مجال الدين والسياسة، وما هو مؤكد هو سعي هذه المجموعات إلى هذا الاستقلال وإصرارها عليه خلال أواخر ق ١٨و ق ١٩ و ق ٢٠. في النهاية وتحت تأثير هذه التطورات يمكن استخدام intellectual و intelligent كتعبيرين متضادين وبحلول أواخر ق ١٩ كانت هناك صيغة دالة: "من يدعون مثقفين so-called intellectuals". من أوائل ق ٢٠ استعير التعبير الجمعي الجديد intelligentsia الإنتلجنسيا من الروسية. هذا المصدر مهم لأن معنى مجموعة متميزة وواعية ذاتيا كان، لأسباب اجتماعية وجيهة، مهما في روسيا من منتصف ق ١٩.

حتى منتصف ق ٢٠ سادت في الإنجليزية استعمالات سلبية للكلمات intelligentsia، intellectualism، intellectuals وواضح أن الوضع لايزال قائماً.

لكن على الأقل تستعمل intellectuals الآن في الغالب حيادياً وفي بعض الأحيان إيجابياً لوصف أناس يقومون بأنواع معينة من الجهد الفكرى وعلى وجه الخصوص تلك الأنواع الأكثر عمومية. داخل الجامعات يكون التمييز أحياناً بين متخصصين specialists أو professionals مهنيين لهم اهتمامات محددة ، ومثقفين intellectuals لهم اهتمامات شاملة. بشكل عام هناك في الغالب توكيد على "منتجين مباشرين في مجال الأيديولوجيا والثقافة culture" في تمييز لهم عن "الذين يتطلب عملهم جهداً ذهنياً" لكن بشكل رئيسي يقتصر على الإدارة والتوزيع والتنظيم و التكرار، كما في بعض أنواع التعليم (قارن ديبراى Debray). التوتر الاجتماعى حول الكلمة مهم ومعقد ويمتد من الاعتراض القديم على مجموعة من الناس تستعمل التنظير أو حتى معرفة منظمة لاصدار أحكام بخصوص أمور عامة إلى اعتراض مختلف، لكنه يمت بصلة إلى ذلك، على النخب ELITES (ا م) التى لا تدعى فقط أنواعا متخصصة من المعرفة وإنما تزعم أيضا التأهيل لإدارتها. إن النقاش حول علاقة المثقفين بالنظام الاجتماعى القائم وبالتالى حول استقلالهم النسبى عنه أو اندماجهم فيه وثيق الصلة بهذا الاعتراض. لكن بما أن النقاش وصل الى درجة منزلة أو وضع STATUS (ا م) المثقفين الاجتماعى أو وظيفتهم الاجتماعية فإن الكلمة نفسها دخلت بوضوح مرحلة جديدة عامة في تاريخها، وتدعمها فى ذلك استعمالات مشابهة في لغات وثقافات أخرى. الشيوع المضطرد للتعبير anti-intellectual (ضد العقلانية) لوصف مواقف معارضة للفكر والتعليم المنظم هو جزء من نفس هذه الحركة معتمدا على معنى أقدم وأشمل للكلمة intellectual.

رغم أن intelligence و intelligent تستمران فى الحفاظ على معانيهما الشاملة والعامة إلا أن الاستعمال المقارن المميز لكل منهما ربما يكون أكثر شيوعا عن أى وقت مضى (أليس لديك أى ذكاء؟ haven't you any intelligence? سيتضح حالا لأى شخص واع Intelligent person). فى نفس الوقت عزز وصف ذكاء عال أو منخفض high or low intelligence نظام قياس خلافى يبدو فى الظاهر موضوعياً: intelligence quotient أو IQ معدل الذكاء وهو الآن شائع الاستعمال.

لكن لايزال واضحاً توتر قديم، كما هو فى هذه الحالــة، عنــدما تقــارن وأحيانـــاً تعارض ميزة مجردة قابلة للقياس مع معنى **intelligent** الذى يعتمد، مهما كان ذلك ضمنياً، على أفكار تتعلق بخبرة **experience** ومعلومات **information** بالإضافة إلى مقدرة محددة.

انظـــر: EDUCATION تربيـــة/تعلــيم، ELITE نخبـــة، EXPERT خبير، THEORY نظرية

حصة/مصلحة/أهمية INTEREST

هذا مثال مهم (قارن **IMPROVE**) لكلمة لهـــا معـــانٍ اقتصــادية وقانونيــة متخصصة توسعت ضمن تاريخ اقتصادى واجتماعى معين إلى معنى عـــام جـــداً. الكلمة معقدة الأصل خاصة فيما يتعلق بالكلمة السابقة **interess** التى تتبادل وتتداخل معهـــا حتى ق ١٧. أصلها البعيد (س ب) هو **interesse**، لاتينية: يكون وســطاً، يميز، يهتم، لكن السوابق المباشـــرة (س م) كانـــت **interesse**، لاتينيـــة وســطى: تعويض عن خسارة والكلمتان المشـــتقتان **interesse**، فرنســية قديمـــة و**interest**، فرنسية وسطى، اللتان امتدت معانيهما من تعويض عن خسارة إلى استعمال كفعل متعد للاستثمار بحصة أو سهم. أشارت معظم اســتعمالات **interest** قبـــل ق ١٧ إلى حصة قانونية أو موضوعية فى شئ ما، وكان الاستعمال الموسع، الذى دل فى البداية على حصة طبيعية أو اهتمام مشترك، فى العادة استعارة مقصودة:

أوه مقدارمشـــــــــاركتى حزنك	Ah so much interst have (I) in thy sorrow
تعادل اهتمامى بزوجـــك النبيل.	As I had in thy Noble Husband.

(*Richard III*)

من العسير جداً تتبع تطور interest، فى البداية الى اسم عام لاهتمام شـامل أو طبيعى ومن ثم إلى شيء يجذب انتباهنا أولا "بشكل طبيعي" وبعدئـذ " فعليّـا". لكن لم تكن "interesting" لافت و "interestingly" بطريقة لافتة بمعانيهما الحديثـة العامة جداً واضحتان قبل منتصف ق ١٨. كذلك كانت interest بمعنى اهتمام عام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام تطوراً من منتصف ق ١٨. لم تكن interest بمعناها السائد الان كحب استطلاع أو اهتمام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام أو الاستغراب واضحة قبل ق ١٩. لكن المشكلة هى أن معنى اهتمـام وانهمـاك موضوعيين objective المستمد من استعمالات قانونية ورسمية ليس دائمـاً سـهل التمييز عن تلك المعانى اللاحقة الأكثر ذاتية SUBJECTIVE (ا م) وطوعية. أصبح التمييز رسمياً الآن فى الصيغ السلبية: تحتفظ disinterested بمعناها السابق: نزيه، غير متحيز، أى لا يتأثر بالتورط الفعلى فى شأن ما، بينما عبّـرت uninterested وuninteresting، اللتان كانتا مرادفتين لمعنى disinterested من ق ١٩، عن معانى عدم الانجذاب لشىء أو عدم امتلاك القدرة على الجذب. (لاتـزال disinterested تستعمل بمعانى إيجابية للدلالة على "عدم التحيز" أو "نزاهة" لكنها تدل أيضاً علـى اهتمام مستنير أو غير دوجماتى undogmatic. كذلك تستعمل بشكل متزايـد فـى الغالب للدلالة ببساطة على "عدم الاهتمام"، وهذا بالإضافة إلى كونه مشوشاً أحيانـاً فإنه يسبب إساءة لأولئك الذين لايزال لديهم المعنى الأول مهما.)

كمصطلح رسمى فى الأمور النقدية لـ interest تاريخ آخـر مهـم. فـى الاستعمال القروسطى مُيّزت عن usury ربا؛ كانت interest أو interess تعويضـاً عن تخلف فى إيفاء دين (استعمال متخصص للمعنى السابق) بينما كانت ربا أخذ ما نسميه الآن interest فائدة عن دين مرتـب/مـدروس deliberate loan. ظهـرت interest بمعناها المالى الحديث من ق ١٦ عندما عدلت القوانين المتعلقة بـإقراض المال وعندما أصبح الربح من استعمال المال، فى تمييز له عن التعـويض مقابـل التخلف عن الإيفاء بالدين، ممارسة مقبولة.

يظل مهما كون كلماتنا الأعم للاهتمام أو الانهماك ، تطورت من مصطلح موضوعى رسمى فى الممتلكات والتمويل. يبقى المعنى الأسبق بصيغة خاصة فى أنماط معينة من نظرية النزاع "conflict theory" حيث يعتبر "تعارض المصالح" "conflict of interest" جزءا متأصلا لايتجزأ من البنية الاجتماعية، وذلك كثيرا ما يكون فى أمور ممتلكات. ليس من الصعب فهم المعنى الأشمل كاهتمام أو مشاركة عامة موضوعية مما يجعله يتواصل مع المعنى اللاتينى الأصلى والذى استعمل فى عبارات مثل having an interest له مصلحة و taking an interst يولى اهتماما و being interested يكون مهتما. ربما يكون أكثر أهمية من ذلك توسع وإسقاط هذه المقدرة على الاهتمام وجذب الانتباه وحب الاستطلاع مثلما يحدث عندما نقول عن أشخاص أو أشياء أو أحداث أنها لافتة interesting. يظل السؤال هو عما إذا كان هذا المعنى لشيء يولد مثل هذا الاهتمام يرتبط بالمعنى الفعال لفائدة interest- مال يولد مالا- بعد تمييزها عن إثم الربا ومعنى intrest السابق الخامل الذى يدل على تعويض واستعادة. يبدو مرجحا أن هذه الكلمة المركزية الآن للانتباه والاهتمام والجذب مشبعة بخبرة مجتمع يعتمد على علاقات مالية.

انظر: IMPROVE يحسن

مصادر/أسماء صناعية ISMS

كانت هناك منذ بدء التاريخ المسجل "isms"، وكذلك "ists". اللاحقتان ism و ist يونانيتان. استعملت ism فى الإنجليزية لتكوين إسم فعل (baptism معمودية)؛ نوع من الفعل (heroism بطولة)، وأفعال ومعتقدات تميز مجموعة ما (Atticism الأتيكية، Judaism يهودية) أو اتجاهات (Protestanism بروتستانية، socialism إشتراكية) أو منهج فكرى (Platonism إفلاطونية). استعملت ist لتكوين اسم فاعل (psalmist مزمارى) وكذلك أسماء تدل على مناصرى نظام أو معلم/رائد فكرى (altruist إيثاري، Thomist توماسى). كان هناك نحت موسع لكلمات لاتينية جديدة

من هذا النوع في الفترة القروسطية وكانت هناك صيغ إنجليزية من ق ١٣. تضاعفت من ق ١٦ وصارت شائعة. ما كان جديدا من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ هو على الأرجح ردة فعل تجسدت في عزل isms و ists ككلمات مستقلة: "ستتشاجر حالاً حول Socialism أو بعض هذه الإيزمات isms (والبول Walpole، ١٧٨٩)؛ "ليس له اعتبار، لايحمل ist، لايعلن اعتقاده بأى ism سوى تشامخية superbism ولا عقلانية Irrationalism" (شيلي Shelley، ١٨١١)؛ "ليس مؤمناً بوحدة الوجود Pantheism أو بوحدة القدر Pot-theist [لعب على لفظي pan و pot في الإنجليزية]، أو أى موحّد Theist أو أية ist كلمة تنتهى بهذه اللاحقة. حيث هناك احتقار لاجدال فيه لكل أساليب بناة النظم أو مؤسسي الفرق من هذا النوع (كارلايل Carlayl، ١٨٣٥)؛ تشكل اللاحقتان isms و ists ضجرا متزايدا (ايميرسون Emerson، ١٨٤١)؛ "تلك المجموعة من النظريات الاجتماعية التى لم تجرب والتى تعرف باسم isms" (لويل Lowell، ١٨٦٤).

عبّر هذا التطور عن عدة اتجاهات. أولا: كان هناك ضيق من الجدل الثيولوجي؛ معظم الأمثلة المبكرة هى من هذا النوع. ثانيا: ضيق من التنظير (كما فى مثال كارلايل) الذى يمكن التعبير عنه بسهولة واحتقار بهذه الصيغة دون سواها. ثالثا: كان هناك التحول المهم من الجدل الثيولوجي إلى الجدل السياسي الذى كان سائدا بحلول زمن مقولة لويل. لاتزال اللاحقتان ism و ist تستعملان ببراعة أو باحتقار (غالبا بمعنى أصالة طاغية)، لكن يصدر هذا عادة من مواقف تقليدية ومحافظة، بل حتى من قبل scientists العلماء و economists الاقتصاديين والمؤمنين بالوطنية patriotism.

رطانة، لغة اصطلاحية JARGON

يمكن القول أن jargon نفسها أصبحت في بعض الاستعمالات الحديثة كلمة رطانة. تستعمل الآن بشكل واسع، سلبيا أو ازدرائيا، لوصف مفردات فروع معينة من المعرفة أو المواقف الفكرية. لكن لو عنت فقط مفردات متخصصة غير مألوفة

فإن استعمالها النابذ يمكن بنفس السهولة أن يسم من يطلق عليها اسم "رطانة" بأن حكمه على غرضها المفترض مزاجي مستبد. في الواقع صارت jargon سهلة الاستعمال، بطريقة فضفاضة، بسبب معانيها الأولى الأشمل. كانت في الإنجليزية من منتصف ق ١٤، من (س م) jargon، فرنسية قديمة: تغريد الطيور، زقزقة العصافير. أصولها المبكرة غامضة. يمكن العثور على استعمال مباشر بمعنى غناء الطيور birdsong حتى وقت متأخر، منتصف ق ١٩، لكن الاستعمال الموسع لأصوات أو كلام أو كتابة يتعذر فهمها يرجع إلى نفس الوقت واستمر لفترة أطول. (قارن gibberish، بربرة، غامضة الأصل، من ق ١٦.) طورت من أواخر ق ١٦ معنى متخصصا يقرب من cipher شفرة واللاحقة (ق ١٩) code كود، لكن تطورها العام كان في اتجاهين: (١) لوصف صيغ كلام (قارن DIALECT لهجة (ا م)) غير مألوفة وهجينة على وجه الخصوص أو محلية بطريقة سلبية - "رطانة jargon ولهجة patois أقاليم عدة" (براون Browne، ١٦٤٣)؛ "رطانة jargon الزنوج في الولايات المتحدة" (١٨٧٤)؛ (٢) لوصم مصطلحات موقف فلسفي أو ديني معارض- " مايفهمه الرومانيون Romanists من هذه الرطانة" (١٦٢٤)، "لتفسير هذه الرطانة" (هوبز Hobbes، ١٦٥١). على الأرجح كان هناك بعض الأثر من كل هذه الدلالات في معنى لغة مهنة متخصصة الذي يرجع بشكل رئيسي الى ق١٨ - لغة القانون "the jargon of the Law" (١٧١٧)، لكن لاتزال بشكل واضح قريبة من المعاني القديمة لعدم الفهم أو الزيف المشوش. قارن "لهجة cant أو رطانة التجار" (سويفت Swift، ١٧٠٤) حيث تطورت cant، على الأرجح من (س م) cantare، لاتينية: يغني، من وصف احتقاري لبعض أنواع الانشاد الديني إلى لغة متسولين دينين ومن ثم إلى لغة خاصة بالشحاذين والمتشردين. لم يكن دائماً ممكناً التمييز بين معنى كذب ونفاق الواضح في cant وفي استعمالات jargon العدائية ومعنى لغة مهنية أو متخصصة.

من الواضح أن المشكلة الأساسية صعبة جداً. لاتجذب مفردات متخصصة في علوم وفروع من المعرفة مختلفة وصف jargon إذا استمرت متخصصة بقدر كاف. تكمن المشكلة عادة في دخول مثل هذه المصطلحات في الكلام والكتابة

العامة. هذا شائع جداً فى حالة القانون والإدارة الواضحة، حيث فى الغالب لايمكن التحكم فى العلاقة بين مصطلحات عامة وأخرى دقيقة. لكن المشكلة أكثر حدة فى فروع المعرفة التى لها صلة بمواضيع لها فعلاً مفردات عامة وشائعة حيث الأسباب الأساسية لدقة متخصصة أقل وضوحاً أو مفقودة. من اللافت أن معظم الاستعمالات الرافضة لرطانة jargon توجد بشكل رئيسى فى علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات التى تعتمد عليهما، لكنها كذلك توجد فى موقف فكرى معارض مثل الماركسية. صحيح أنه يمكن تطوير مفردات متخصصة فى أى من هذه المجالات وأخرى سواها إلى حد الإفراط. لكن أيضاً صحيح أن استعمال مصطلح جديد أو تعريف جديد لمفهوم هو فى الغالب أسلوب ضرورى للاعتراض على طرق أخرى من التفكير أو إبراز طرق جديدة وبديلة. لكل موقف عام معروف فى أمور الفن والاعتقاد مصطلحاته المحددة. والفرق بين هذه المصطلحات التى تعرّف بأنها jargon فى الغالب ليس أكثر من ألفة نسبية وفترة زمنية. ضم معانى jargon ووصفها بأنها مفردات متخصصة، غير مألوفة و تنتمى لموقف مناوئ وثرثرة غير مفهومة يكون إذن فى بعض الأحيان فعلاً رطانة jargon: عادة محلية موثوقة ببساطة، تفترض انتشارها وقابليتها هى للفهم.

انظر: DIALECT لهجة

شغل/عمل LABOUR

يوجد ضمن أول استعمال للكلمة labour فى الإنجليزية هذان المثالان: "اشرع فى العمل... واصنع العذاب" و "اترك الشغل تترك الحزن quit o labur, and o soru"

(كلاهما من ١٣٠٠ تقريبا). ارتبط هذان المعنيان عن شغل - ألم و بلاء - ارتباطا وثيقا بالسابقة المباشرة (س م) labor، فرنسية قديمة، laborem، لاتينية؛ أصل الكلمة غير معروف لكنه قد يتعلق بالانزلاق أو التأرجح تحت وطأة حمل.

كفعل كان لشغل labour معنى شائعا يدل على الحرث أو "تشغيل"(حــرث) الأرض work the land، لكن توسعت كذلك لتشمل أنواعا أخرى من الشــغل اليــدوى وأى نوع من المجهود الصعب. كان العامل/الشغال labourer بشكل رئيسى شغالا يدويا: "عامل تعيس يعيش على ما تصنعه يداه" (تقريبا ١٣٢٥). استعملت labour بمعنــى عناء أو ألم فى الولادة من ق ١٦ ودلت على المخاض. يــتلخص معنــى الكلمــة كشغل شاق ومجهود تلخيصا وافيا فى قول ملتون Milton:

So he with difficulty and labour hard

Mov'd on with difficulty and labour hee .

(II،*Paradise Lost*)

لذا بصعوبة وشغل شاق تقدم هو،

بصعوبة وعناء.

فى نسخة الإنجيل المعتمدة *the Authorized Version*، المعنيان فعالان:

For thou shalt eat the labour of thine

hands; happy shalt thou be ... (Psalm 128:2)

The days of our years are three score and ten;

and if by reason of strength they be fourscore years

yet is their strength labour and sorrow

(Psalm 90:10)

فتستمتع بنتاج عمل(شغل) يديك

سعيداً ستكون

أيامنــــا المعدودة ستون وعشر

ولو كان بسبب المقدرة

أصبحت ثمانين عاما

فإن معاناة تلك السنين هى مشقة وأســـى.

من ق ١٩، عدا الاستعمال الخاص بالولادة، فقدت labour بالتدريج ارتباطها المعهود بالالم، و مع ذلك ما زال معنى مشقة العام واستعمالاته واضــحا. بــرز بوضوحٍ معنى labour كنشاط اجتماعى عام وبمفهوم أكثر تجريدية. دافــع لــوك Locke عن الملكية الخاصة بناء على حقيقة (فى سياقها ومغازيها عالية التجريــد) خلطنا الشغل فى الأرض(لم تكن بالفعل لأولئك الــذين عــادة مــاحملوا بوضــوح وصمات هذا الخلط أية أملاك). شُخّص الشغل labour كما فعــل جولــد ســميث Goldsmith فى *The Traveller* (١٧٦٤): " الطبيعة... لاتزال تمنح بركاتهــا كلمــا أطلق الشغل نداءه الجاد". لكن التحول الأهم كان فى استعمال labour كمصــطلح فى الاقتصاد السياسي: فى البداية بمعنى عام قائم فعلاً، "العمل السنوى لكــل أمــة" (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة)، لكن لاحقاً بمعنى عنصر يمكن قياسه وحسابه: "العمل labour... هو مقياس فعلى للقيمة المتبادلة لكل السلع" (المصــدر الســابق). بينما دلت labour فى معناها العام على كل العمل المنتج فقد أصــبحت تعنــى الآن ذلك الجزء من الانتاج الذى يصنع بالتضافر مع رأس المال والمواد سلعاً. ينتمــى هذا المعنى المتخصص مباشرة إلى المفهوم النسقى لعلاقات الانتــاج الرأســمالية CAPITALIST (ا م). اكتسبت عبارات مثل "price of labour قيمة العمل" (مــالثيوس MALTHUS، ١٧٩٨) و "supply of labour عرض العمل" معانى أكثر دقة وأكثــر تخصصا. لخصت لاحقا هذا التأثير تلخيصا وافيا بياتريس ويب Beatrice Webb:

> "كنت بالطبع على إلمام بالكلمة labour. متزاملة بطريقــة غامضة مع رفيقتها "رأسمال" كانت هذه الكلمة تتخلــل دائمــاً حديث أبــي، وجــاء ذكرها مرة بل مرات فى مجلات وتقارير الشركات التقنية التى وضعت على طاولة المكتبة. "الماء وفير والعمالة labour طيّعة"، "أجــور العمالــة فــى هبــوط إلــى

مستواها الطبيعي" ... كانت هاتـــان العبارتان محيرتان لـــى ... لم أتصور "عمالة" على أنهــا رجال ونساء مستقلين عــن أصناف وأنـــواع أخرى مختلفة ... كانت "عمالة" تجريدا بدا أنه يدل على جمهور من الناس يمكن عده حسابيا، كـل فـرد نسخة من الآخر..." (*My Apprenticeship*).

لكن كما تبين العبارتان التى تقتبسهما، طورت **labo more ur** بحلــول هــذا الوقت معنيين حديثين: أولاً، تجريد اقتصــادى للنشــاط **activity**، ثانيــاً، تجريــد اجتماعى لتلك الطبقة من الناس التى قامت بهذا النشاط. كما لاحظنا، المعنى الأول أسبق. كانت "**labour** عمل" كفكرة مجردة تدخل فى مكونات العملية الانتاجية : بين العامل **labourer** وموضوع عمله **labour**، بالمعنى الوارد فى الاستعمالات الأولى، تم فصل رأس المال باعتباره مكونا إنتاجيا، وكانت بمعناها المتخصــص والقابــل للقياس جزءا من نفس عملية التجريد. هذا هو معنى عبارة السيدة ويــب الثانيــة: "أجور العمالة". لكن بوضوح عبارتها الأولى "عمالة طيّعة" هى وصف لطبقة.

ليس من اليسير تتبع ظهور هذا الوصف الطبقى (قارن **CLASS** طبقة) بدقة. مهدت عادة الإشارة إلى "عرض العمل" الطريق لذلك. لكن ربما يرجع الاســتعمال الاجتماعى الواسع، الذى استجاب لهذا النوع من الافتراض بشكل متكافئ أو حتــى بقدر أكبر، إلى المدافعين عن العمالة **labour**، خاصة من عشرينيات ق ١٩. هكــذا نجد "*Labour Defended Against the Claims of Capital*" دفاع عــن العمــل ضــد مزاعم رأس المال لمؤلفــه "عامــل **A Labourer**" (تومــاس هودجســكن **Thomas odgskin**) حيث وضع مكوّناً ضــد الآخــر لكــن بعبــارات حــددتهما كطبقتــين اجتماعيتين. لا زال كتــاب *Labour Rewarded* (تومبســون **Thompson**، ١٨٢٧) يشير فى عنوانه إلى العمل كنشاط، لكن محاضرات براى **F. Bray** فى ثلاثينيات ق ١٩ التى نشرت فى كتاب *Labour's Wrongs and Labour's Remedies* كان لهــا بوضوح تام معنى طبقة اجتماعية. سيصبح هذا الاستعمال شائعا بعد ذلــك. بينمــا استعملت **labour** بطريقة منتظمة، سواء كعنصر يمكــن اســتئجاره أو مجموعــة

أشخاص متوفرة للإيجار(قارن "سوق العمل labour market "من منتصف ق ١٩) فى توصيفات رأسمالية فقد عارضتها "حركة عمل" Labour Movement، التى كانت تسميتها لنفسها مقصودة واستحوانية. كانت هناك تفاعلات معقدة مع الكلمة الأكثر شيوعاً trades (التى أعطتنا بمعناها السابق trade unions نقابات عمال) ومع معان معقدة لشغل work، worker شغال وطبقة شغالة working class (انظر WORK و CLASS) لكن برز المعنى الأشمل لحركة واهتمام سياسى واقتصادى فى الإنجليزية فى الكلمة labour. فى بريطانيا تعينت بشكل أدق فى Labour Representation League (١٨٦٩) عصبة التمثيل العمالي، Labour Electoral Committee (١٨٨٧) لجنة الانتخاب العمالية، Independent Labour Party (١٨٩٣) حزب العمال المستقل وفى النهاية باسمه الحالى Labour Party (١٩٠٦) حزب العمال.

من اللافت ملاحظة آثار هذه التطورات الحديثة على المعانى العامة القديمة لعمل labour. استمر معنى مخاض، لكن سوى ذلك لاتستخدم الكلمة غالبا خارج نطاق دائرتها الحديثة المحددة. تبقى فى عبارات (مثل "ارتاح من متاعبى rest from my labours") تفهم مباشرة. تحتفظ laborious (يتطلب جهدا) بمعناها العام القديم. لكن تحديدات الفترة الرأسمالية أصبحت سائدة: من ناحية، labour cost أجور العمالة، labour market سوق العمل، labour relations علاقات عمل؛ من الناحية الأخرى، حركة عمل labour movement، labour party حزب العمل الذى يحمل هذا المعنى الشرفي. مع ذلك لاتزال labourer متداولة كنوع خاص من "الشغّالة" بينما استولت work عمل/شغل بكل صعوباتها على معظم المعانى العامة الأخرى.

انظر: CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، WORK عمل/شغل

ليبرالي/تحرري/منادٍ بالحرية LIBERAL

من أول نظرة، للكلمة liberal معنى سياسى واضح جداً لدرجة أن معانيها الأخرى محيرة. لكن بالمقارنة، المعنى السياسى حديث ، ومعظم تاريخ الكلمة المشوق يسبق ذلك.

بدأت كامتياز اجتماعى محدد ، وكانت تشير إلى طبقة من الرجال الأحرار free men فى تمييز لهم عن آخرين لم يكونوا أحراراً. دخلت الإنجليزية فى ق ١٤، من (س م) liberal، فرنسية قديمة، liberalis، لاتينية، (س ب) liber، لاتينية، رجال أحرار. فى استعمالها فى "artis liberalis" الفنون الليبرالية (١٣٧٥) كانت بشكل سائد مصطلحاً طبقياً، كما نقول الآن: مهارات ومهن مناسبة لرجال ذوى موارد مالية مستقلة ووضع اجتماعى مضمون فى تمييز لها عن مهارات ومهن أخرى مناسبة لطبقة أدنى (قارن ميكانيكى MECHANICAL). لكن كان هناك تطور هام لمعنى آخر تكون فيه للمهن استقلالها الذاتي: "liberal sciences علوم ليبرالية... علوم حرة (free)، مثل النحو، الفن، الفيزياء، الفلك وسواها" (١٤٢٢). لكن كأى مصطلح يفرق بعض الرجال الأحرار عن سواهم بقى هناك توتر. توافق نموذج liberal arts فنون ليبرالية المصقول مع معنى ليبرالى كـ "كريم" (" in giffynge" liberal، ١٣٨٧، فى عطاء سخي)، لكن فى نفس الوقت قابلها معنى سلبي: مفرط. رغم أن لليبرالية معنى عاما سابقا هو حرية freedom، إلا أنه كان لها من ق ١٥ معنى واضحاً هو امتياز privilege، أو إذن أو ترخيص permission رسمي؛ يبقى هذا فى العبارة البحرية liberal boat (إجازة غياب) وكذلك فى العبارة المحافظة liberties of the subject امتيازات التابع حيث لا يوجد معنى liberty حرية الحديث بل المعنى القديم لحقوق ممنوحة ضمن خضوع لا نزاع فيه لسلطة معينة. كانت الكلمة الأخرى لمثل هذا الحق الرسمى هى licence إذن/رخصة، ويمكن بوضوح ملاحظة التوجه نحو " unrestrained مفرط" فى تطور licentious فاسق من ق ١٦. بالإضافة إلى الاستعمال الشائع لليبرالى liberal فى العبارة السائدة

"liberal arbytre" (ق١٥) حرية الإرادة فإنها كانت قريبة لفاسق فـي اسـتعمالات أخرى كما هو عند شكسبير:

من كانوا مثل مجرمين فسقة

Who hath indeed most like a liberal villaine

اعترفوا بالمناوشات الخسيسة التى قاموا بها.

Confest the vile encounters they have had.

I ،IV، (*Much Ado About Nothing*)

تتضح صيغة أضعف لكن مقاربة لهذا المعنـى فـى تطـور معنـى " not rigorous" التى يمكن فهمها على أنها تعنى إما "ليس قاسيا not harsh" وإمّا "لـيس منضبطا not desciplined".

تم ترسيخ liberal فى محيط اجتماعى مختلف عن ذلك المرتبط بطبقة خاصة من الرجال الاحرار وذلك بشكل رئيسى فى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ بناء على معنى liberty (حرية) العام الواضح من منتصف ق ١٧. استعملت بمعنـى open-minded متفتح الذهن وبالتالى "غير جامد التفكير unorthodox"، مـن أواخـر ق ١٨: "liberal opinions" آراء متحررة، (جيبون Gibbon، ١٧٨١). الصفة واضحة جدا بمعنى سياسى فى مثال من ١٨٠١: "انعدام كل أثر للحرية وكل فكرة متحررة liberal idea يرتبطون بها". أدى هذا إلى صياغة الاسم كمصطلح سياسـى أعلـن عنه بفخر بل وبتحد فى عنوان دوريـة: *The Liberal* الليبرالـى (١٨٢٢). لكـن أضفى أعداء هذا المصطلح المرتبط بالرأى السياسى غير التقليدى نكهـة أجنبيـة. كان هناك حديث عن "Ultras" متطرفى باريس و"Liberals" ليبرالى باريس فـى ١٨٢٠، وكانت بعض الاستعمالات بتهجية أجنبية Liberales (سـاوثى Southey، ١٨١٦)؛ Liberaux (سكوت Scott، ١٨٢٦). استعمل التعبير بهذا المعنى ككنيـة للرادكاليين و"الوجز Whigs " المتقدمين من قبل خصومهم؛ ثم تم تبنيـه بطريقـة متعمدة، وخلال جيل أصبح نافذا وبدوره تقليديا. من أوائل ق ١٩ تبعت "ليبراليـة"

liberalism (بمعناها السياسي) liberality، التى حملت منذ ق ١٤ معنى "سخاء" وفيما بعد "تفتح ذهن". دلت libertarian فى أواخر ق ١٨ على "مؤمن بالإرادة الحرة" فى معارضة للجبرية أوللحتمية determinism (قارن DETERMINISM)، لكن اكتسبت من أواخر ق ١٩ معانى اجتماعية وسياسية تقترب أحيانا من "liberal ليبرالي". صارت libertarian شائعة بشكل خاص فى منتصف ق ٢٠ فى عبارة libertarian socialism اشتراكية ليبرتارية، التى هى ليست ليبرالية liberalism ولكن صنفا من الاشتراكية SOCIALISM (ا م) يعارض التحكم المركزى والبيروقراطى BUREAUCRACY (ا م).

فى المفهوم السياسى الحزبى الحالى واضحة liberal الآن بقدر كاف. لكن liberal كمصطلح فى الخطاب السياسى معقدة. وقعت تحت هجوم عنيف ومنظم من مواقف محافظة حيث ألصقت بها معانى "إفراط" وعدم انضباط وكذلك معنى "سخاء" (أحمق وعاطفي). كذلك اعتمد فى النقاش الفكرى على معنى فقدان الصرامة lack of rigour. مقابل هذا الهجوم كانت liberal فى الغالب مصطلحاً جمعياً لأراء راديكالية RADICAL أو تقدمية PROGRESSIVE (ا م م)، ولاتزال واضحة بهذا المعنى خاصة فى أمريكا. لكن liberal كمصطلح قدحى استعملت بشكل واسع من قبل الاشتراكيين وخصوصاً الماركسيين. يشارك هذا الاستعمال المعنى المحافظ لفقدان الصرامة ومعنى الإعتقادات السخيفة والعاطفية. إلى هذا الحد يفسر الليبراليون ذلك بأنه شكوى مألوفة، وهناك حدة خاصة فى ردهم على الاشتراكيين بأنهم يتميزون عليهم باهتمامهم بالحرية السياسية. لكن هذا يحجب المعنى الأخطر للاستعمال الاشتراكى الذى يعبر عن ملاحظة تاريخية دقيقة بأن liberalism الليبرالية مبدأ يعتمد على نظريات فردانية INDIVDUALISM (ا م) للإنسان والمجتمع وبالتالى فى نزاع أساسى ليس فقط مع نظريات اشتراكية SOCIALIST (ا م) وإنما أيضا مع نظريات المجتمع SOCIAL (ا م) التى تتسم بالدقة. مفيدة أيضاً الملاحظة الإضافية بأن ليبرالية هى الصيغة الأسمى للفكر الذى تطور ضمن مجتمع برجوازى BOURGEOIS (ا م) وحسب شروط الرأسمالية CAPITALISM (ا م) لأنه عندما لاتستعمل liberal كشتيمة فضفاضة فإن السبب

يرجع لهذا المزيج من الأفكار المحرِّرة liberating والمقيِّدة limiting التى قصد منها أن تدل عليها. الليبرالية إذن مبدأ لأنواع ضرورية من الحرية، لكن أيضا وبشكل أساسى مبدأ لفردانية استئثارية.

انظر: ANARCHISM فوضوية، ART فن، INDIVIDUAL فـرد، LIBERATION تحرير، PROGRESSIVE تقـدمي، RADICAL راديكـالى، SOCIALIST اشـتراكي، SOCIETY مجتمع

تحرير/إطلاق/تحرر LIBERATION

دخلت liberation الإنجليزية من ق١٥، من (س م) liberation، فرنسية، (س ب) liberatio، لاتينية: يطلق سراح، يخلى سبيل. كانت استعمالاتها الأولى بشـكل رئيسى قانونية وإدارية كما فى تسديد دين أو إعفاء من الخدمة العسكرية. يـرتبط هذا مع الاستعمال المقيد لـ liberty حرية (قـارن LIBERAL) كإجـازة أو إذن أو امتياز franchise (نفسها تعنى اعفاءً قانونياً أو امتيازا من ق ١٤، وتوسـعت مـن ق١٨ كحق الإنتخاب elective franchise). عرفت المعـانى الإيجابيـة للكلمتـين liberty و liberation من اللاتينية وكان للأولى وللكلمـة liberator محـرِّر معنـى سياسياً من منتصف ق ١٧؛ كانت liberation أقل شيوعا لكن كان لها معنى سياسياً من وقت لآخر منذ ق ١٦، وصارت أكثر انتشاراً فى منتصف ق ١٩ وخصوصـاً فى منتصـف ق٢٠ (بالتحديد، هنا كاسم لحركات المقاومة ضد الفاشية فى الـدول المحتلة، بشكل ملحوظ فى فرنسا، ومن ثم للإطاحة العسكرية بسـلطات أو قـوات الإحتلال). عرف الجيش البريطانى الذى هبط فى فرنسا فى ١٩٤٤ بجيش التحرير البريطاني. ثم تم تبنى الكلمة على نطاق واسع، كما حصل فى الجزائـر وفيتنـام، لحركات مقاومة لسلطات احتلال استعمارية، خاصة من خمسينيات ق ٢٠.

فى منتصف ق ١٩ فى إنجلترا كان لايزال يعتبـر "محـرر liberationist" مناصراً لسحب اعتراف الدولة بالكنيسة. اكتسبت libertarian التى كانت تسـتعمل منذ أواخر ق ١٨ لـ "المؤمن بحرية الإرادة free will" (التى دخلت الإنجليزيـة ق ١٣ من اللاتينية liberum arbitrium) معناها السياسى الحديث مـن أواخـر ق١٩.

كان هناك بالطبع تطور مواز لكلمتين مشتقتين إحداهما من اللاتينية "liber" والأخرى من التيوتنية "freo" (التي وجدت في الإنجليزية القديمة). في كل حالة اعتمد المعنى على مصطلح معارض في اللاتينية servus: عبد، وفي اللغات التيوتنية: "من لا يمتون بصلة لأهل البيت"؛ عملياً "عبيد" أيضاً. "عزيز dear" هي أصل معنى الكلمات المرتبطة بـ free كما هي مستعملة في عبارات تتعلق بالأسرة مثل: أهل الدار الأحرار free household.

تطورت المعاني السياسية الموسعة بشكل رئيسي حول المجموعة اللاتينية، كما هو الحال بالفعل في اللاتينية نفسها، رغم أنه في دولة حرة Free State، مناضل من أجل الحرية freedom fighter، مشاريع بشروط السوق الحر free enterprise، مثلاً، كان هناك استعمال واسع في ق٢٠ للمجموعة البديلة.

كان استعمال الحركة النسائية لتحرير liberation (ومن ثم liberationist منادية بالتحرير والصفة liberated متحررة) المختصرة إلى Lib في أواخر ق٢٠ مرتبطاً بالحركات السياسية من ١٩٤٠. كانت كلمة emancipation الشائعة في الإنجليزية من ق ١٧، واتبعت في البداية معنى emancipo، لاتينية، الذي دل في القانون الروماني على إعفاء (طفل في العادة، لكن أحيانا زوجة)، من "السلطات القانونية Patria Potesta " لرب الأسرة pater familias؛ يمكن للشخص المحرر emancipated بهذه الطريقة التصرف sui juris – أي بتمام الأهلية القانونية. (تتكون الكلمة اللاتينية من e أو ex: من أو بدون و emancipium: عقد أو صفقة قانونية، من manus و capio: هكذا حرفياً أخذ باليد (وضع يد) لعقد صفقة أو اتفاق. كان هناك توسع مجازي قديم كما هو عند بيكون Bacon: "طبيعة بشرية ... تستحق أن تحرر fit to be emancipated" (١٦٠٥) وكان هناك استعمال لدى "دون" Donne: "لتحريرهم to emarcipate من الطاغية" (١٦٢٥). لكن من ق ١٨ أصبح المصطلح محصوراً تماماً على فعل التحرر من العبودية، وبلغ ذلك الذروة في يوم التحرير EMANCIPATON DAY في أمريكا في ١٨٦٣. في بريطانيا انحصر المصطلح كذلك، لكن لمدة قصيرة ،على تحرير الكاثوليك (١٨٢٩) من

اللاتأهيل الشرعى المدني. لكن خلال ق ١٩ استعملت الكلمة بانتشــار مضــطرد بمعنى إزالة اللاتأهيل القانونى والسياسى للنساء (سجل اســتعمال ســياقى سـلبى لمتحررة emancipatress من ١٨٨٢) وكان شائعاً فى بريطانيا وأمريكا فى ق ٢٠. كذلك استعملته الحركة العمالية أو استخدمه آخرون بخصوصها كما فــى تحريــر emancipation الطبقة العاملة حيث كان هناك ارتباط قائم من خلال عبارة عبوديــة الأجر Wage-slavery.

يبدو أن التحول اللاحق من emancipation إلى liberation يبين تحولاً مــن أفكار إزالة اللاأهلية أو منح امتيازات privileges (قارن UNDERPIVILEGED) إلــى أفكار فعالة لكسب الحرية وحق تقرير المصير. اكتسبت self-determination حــق تقرير المصير، التى كانت فى السابق تشير إلى "حرية الإرادة" من ق ١٧، معنــى سياسيا من منتصف ق ١٩ ("تجمع سياسى حر ومقرِر لمصيره"، جــروت Grote، ١٨٥٣) وصارت شائعة خاصة بعد ١٩١٨ ("حق الأمم فى تقريــر مصــيرها"). يبدو أن بعض الاستعمالات الحديثة تجمّع المعانى الشخصية والسياسية.

انظر: FAMILY عائلــة، LIBERAL ليبرالــى، SEX جـنس،
UNDERPRIVILEGED محروم

أدب LITERATURE

هذه كلمة صعبة، جزئياً لأن معناها المعاصر التقليدى يبدو عند أول نظــرة بسيط جداً. ليست هناك صعوبة ظاهرة فى عبارات مثــل أدب إنجليــزى أو أدب معاصر إلا عندما نجد فرصة للاستفسار عما إذا كانت كل الكتب والمؤلفات أدبــاً (وإذا لم تكن كذلك، فأية أنواع تم استثناؤها وحسب أية معايير) أو حتى نصادف - وهذا مثال مهم - تمييزاً بين أدب literature ودراما drama بناءً على أن الــدراما فيما يبدو نوع من الكتب غرضه الرئيسى الأداء المنطوق (لكن فى الغالب للقــراءة

أيضاً). ليس من السهل إدراك أسباب هذه التمييزات التى كثيرا ما تكون مشوشة حتى ننظر إلى تاريخ الكلمة.

دخلت الكلمة الإنجليزية منذ ق ١٤ بمعنى تعليم مهذب polite learning عن طريق القراءة. سابقتها المباشرة (س م) هى littérature فرنسية، litterature لاتينية، لها نفس المعنى العام. مصدرها البعيد (س ب) littera لاتينية: حرف letter (من حروف الأبجدية). بالتالى عنت a man of literature أو a man of letters ما يمكن أن نسميه الآن "رجل واسع الاطلاع". هكذا نلاحظ العبارتين: "ليس لديه اطلاع كاف sufficient literature لفهم الكتاب المقدس" (١٥٨١)؛ و "متعلم فى كل الأدب learned in all literature، والمعرفة، دينية كانت أم دنيوية (بيكون، ١٦٠٥). من مثال بيكون يمكن ملاحظة أن اسم الحالة - كونه واسع الإطلاع - أقرب أحيانا إلى اسم المفعول: الكتب التى كان الرجل مطلعاً عليها. لكن يمكن ملاحظة المعنى الرئيسى من الصفة المعتادة التى كانت literate، واسع الاطلاع، من ق ١٥، بدلا من literary أدبى التى ظهرت أولا فى ق١٧ كبديل بسيط لـ literate ولم تكتسب معناها الأعم إلا فى ق ١٨، لكن مع ذلك قارن عنوان كتاب كيف Cave اللاتينى *Literaria Historia* (١٦٦٨). حتى ظهور مؤلف جونسون *Life of Milton* كان الاستعمال السابق لايزال معتاداً: "كان لديه على الأرجح اطلاع يفوق الاطلاع literature العام حيث أن ابنه يخاطبه فى إحدى قصائده المكتوبة بـ "لاتينية بالغة الصعوبة" (١٧٨٠).

قابلت أدب literature إذن بشكل رئيسى المعانى الحديثة للكلمة literacy (معرفة القراءة والكتابة) التى كانت على الأرجح، بسبب زوال المعنى القديم فى ذلك الوقت، كلمة حديدة منذ أواخر ق١٩ ، عنت مقدرة على القراءة وحالة كون الإنسان واسع الاطلاع، يمكن تأكيد ذلك من الكلمات السلبية. فى العادة عنت illiterate (أمي) محدود الاطلاع poorly-read أو سيئ التعليم: "Judgis illitturate" (١٥٨٦) قضاة شبه متعلمين؛ "أسلوبى الفج وشبه المتعلم illeterate" (١٥٩٧)؛ وحتى وقت متأخر (١٧٤٨) نلاحظ "فى مفهومنا العام تعنى كلمة illiterate رجلاً

جاهلاً بهاتين اللغتين: اليونانية واللاتينيــة" (تشيســترفيلد Chesterfield). بشــكل أوضح كانت هناك الكلمة المنقرضة الآن Illiterature من أواخر ق ١٦: "السبب... جهل... وأمية Illiterature" (١٥٩٢). على النقيض، من أوائل ق ١٣ كان الخاصة literati هم ذوى التعليم العالي.

لكن مهد معنى "تعليم مهذب" العام، الذى ارتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الكتــب المطبوعة، الطريق لتخصصات الكلمة اللاحقــة: ميــز كولــت فــى ق ١٦ بــين literature و ما أسماه "blotterature"؛ هنا يتوسع معنى عدم المقدرة علــى كتابــة واضحة إلى صنف من الكتب أدنى من معايير القراءة المهذبة. لكــن العلامــات الأولى المؤكدة للتحول العام فى المعنى بدأت من ق١٨. توسعت literary أكثر من معادلتها literate. كانت فى البداية على الأرجح بمعنى عام: واسع الإطلاع لكــن من منتصف ق ١٨ دلت على ممارسة ومهنة الكتابة: "جدارة أدبيــة literary merit" (جولد سميث Goldsmith، ١٧٥٩)؛ "سمعة أدبيــة literary reputation" (جونســون Johnson، ١٧٧٣). يبدو أن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعى الذاتى العالى بمهنة الكتابة فى فترة الانتقال من رعاية الأدب إلى "سوق بيع الكتب". فى الوقت الــذى استعمل جونسون literature بمعنى اتساع الاطلاع فى كتابــــــــه *Life of Milton* فإنه كتب فى *Life of Cowley*، بالمعنى الجديد: "مؤلف وضعه خياله الخصب ولغته الرائعة فى مرتبة عالية من الأدب ranks of literature". (تعريف جونسون للكمــة فى قاموسه هو "معرفة مهارة الكتابة".) لكن لم تــزل تــدل literature و literary بهذا المعنى الجديد على جملة الكتب والكتابة بأجمعها، ولو تم التمييز فإنه يظهــر فى الإشارة إلى هبوط فى مستواها عن مستوى المعرفة المهذبة بدلا من الإشــارة إلى أنواع معينة من الكتابة. ذكر هيوم Hume الفيلسوف بشكل طبيعــى تمامــا أن "حبه للشهرة الأدبية literary fame ... كان ولعه الطاغي". أصبحت كــل الأعمال ضمــن نطاق المعرفة المهذبــة تعتبــــر أدبــا literature، وكــــل الاهتمامــات والممارسات أدبية literary. هكذا يكتب هازليــت Hazlitt فــى *Of Persons One Would Wish to Have Seen* (*II،Winterslow*): "قال آيرتون Ayrton "أعتقــد أن أول

شخصين تـــود اختيار رؤيتهما سيكونان أعظـــم اسمين فى الأدب الإنجليــزى السيد إســـحاق نيوتن والسيد لوك Locke" (١٨٢٥ تقريباً).

العبارة الشائعة الآن English literature أدب إنجليزى نفسها كانت جزءا من تطور حاسم. تطورت فكرة Nationallitteratur أدب قومـــى فى ألمانيـــا مـــن سبعينيات ق ١٨ ويمكن تسجيل التالي: ... أدب ألمانى أصيل... (هردر، ١٧٦٧)؛ قرون من الأدب الفرنسى (١٧٧٢)؛ تاريخ الأدب الإيطالى (١٧٧٢). يبـــدو أن "أدب إنجليزي" تبعت ذلك رغم أنها مضمرة عند جونسون. أن يكون لـــ "أمـــة" "أدب" هو تطور ثقافى واجتماعى حاسم ومن المرجح سياسى أيضاً.

ما يجب تعقبه، إذن، هو محاولات حصر literature، التى كانت فى الغالـــب ناجحة، على أنواع معينة من الكتابة. هذا صعب لأنه ببساطة غير مكتمل؛ لايـــزال يتعامل محرر أدبى literary editor وملحق أدبى literary supplement عموماً مـــع كل أنواع الكتب. لكن كان هناك تحديد لمعنى يتم تأكيده أحياناً (بســـبب غمـــوض متبق) فى عبارات مثل creative literature أدب ابداعى أو imaginative literature أدب خيالى (قارن CREATIVE إبداعي، IMAGINATION خيالى كوصفين لأنواع من الكتابة؛ قارن أيضاً FICTION خيال/رواية). فيما يتعلق بالماضى لاتزال literature كلمة عامة نسبيا لكل أنواع الكتابة: مثلاً، ينتمى كارلايل Carlyle ورســـكن Ruskin اللذان لم يكن لهما روايات أو قصائد أو مسرحيات إلى الأدب الإنجليـــزي. لكـــن كان هناك تمييز وفصل مضطردين لأنواع أخرى من الكتابة – فلســـفة، مقـــالات، تاريخ، ..إلخ – قد تمتلك وقد لاتمتلك ميزة أدبية أو تعتبر ذات اهتمام أدبى literary interest (التى تعنى أنه بالإضافة إلى اهتمامها الأصلى مثل الفلسفة أو التـــاريخ أو أى موضوع آخر فإنها حسنة الكتابة well-written) لكـــن لا توصـــف الآن كـــأدب literature الذى يمكن فهمه ككتب جيدة الكتابة ، وأبعد من ذلك يمكن فهمه بطريقة أوضح ككتب حسنة الكتابة من نوع خيالى أو إبداعي. يفهم تـــدريس الإنجليزيـــة، خاصة فى الجامعـــات، كتـــدريس أدب literature، أى بشـــكل رئيســـى قصـــائد ومسرحيات وروايات؛ و توصف أنواع أخرى من الكتابة "الجـــادة" بأنهـــا عامـــة

general أو خطابية discursive. وهناك literary criticism نقد أدبى - أى الحكم على كيفية كتابة عمل (إبداعى أو خيالي) - فى الغالب فى تمييز له عن مناقشة "أفكار" أو "تاريخ" أو "مواضيع عامة". فى الوقت نفسه لا يعتبر عدد كبير من القصائد والمسرحيات والروايات أدباً: تهبط دون مستوى الأدب، بمفهوم يرتبط بالتمييز القديم للأدب كمعرفة مهذبة؛ أى أنها ليست على درجة كافية من المتانة أو الأهمية بحيث يمكن تسميتها أعمال تنتمى إلى الأدب works of literature. يستعمل كبديل لذلك تصنيف جديد هو popular literature أدب شعبى أو دون الأدبى sub-literary، لوصف أعمال قد تكون من نظم الخيال لكنها لا تنتمى إلى الإبداع والتى تكون بذلك فاقدة القيمة الجمالية AESTHETIC (ا م) وهى ليست فنا ART (ا م).

بوضوح التحول الكبير الذى تمثل فى مجموعة المفاهيم الحديثة للأدب literature : art فن، aesthetic جمالي، creative إبداعى و imaginative تخيلى هو مجال بحث اجتماعى وثقافي. يجب اعتبار كلمة literature نفسها تمييزا من القروسطية المتأخرة وعصر النهضة لمهارات القراءة ونوعية الكتاب؛ تأكد هذا بشدة عن طريق تطور الطباعة. لكن مفهوم المعرفة مازال متأصلاً وكانت هناك أيضاً فنون arts، قواعد grammar، وبلاغة rhetoric. باضطراد، ومع هيمنة الطباعة، أصبح كتاب book وكتابة writing، مترادفين تقريباً؛ من ثم التشوش اللاحق حول "دراما" التى كانت كتابة يقصد نطقها speech (لكن بوضوح ما كتبه شكسبير يصنف كأدب، ويثبت ذلك وجود نص). ثم انحصرت literature فى "كتابة تخيلية"، ضمن المفاهيم الأساسية للحركة الرومانسية. من اللافت تذكر الكلمة التى قامت بهذه المهمة قبل تحديد معنى" أدب"، وهى بشكل رئيسى poetry شعر، التى عرفت فى ١٥٨٦ بأنها" فن الصنعة" art of making: استعملت دائما بالنسبة للشعراء الإنجليز للدلالة على ملكة الكلام الفعلية أو الكتابة بطريقة شاعرية (لاحظ ضم "الكلام" speeking). كتب سدنى Sidney في١٥٨١: "النظم ليس إلا زخرفا وليس هو الذى يصنع الشعر: لذا كان هناك عدد كبير من الشعراء المتميزين الذين لم يكتبوا نظما أبداً". حصر poetry شعر على تأليف موزون

واضح من منتصف ق ١٧، رغم أن وردزورث Wordsworth جادل فـي ذلـك: "أستعمل هنـا كلمة "شعر" (بالرغم من تحفظي على ذلك) في تضاد مـع كلمـة "نثر" وفي تـرادف مـع تأليـف "موزون" (١٧٩٨). من المـرجح أن حصـر الشعر على النظم، بالإضافة إلى الأهمية المتزايدة لأصناف نثريـة مثـل الروايـة NOVEL (ا م)، جعل literature أدب الكلمة الشاملة الشائعة. سـبقتها مـن عصـر النهضة عبارة أدب بشرى litterae humanae التي دلت بشكل رئيسي على الكتابـة العلمانية في تمييز لها عن الكتابة الدينية ونجم عن ذلك استعمال عام للكلمة letters آداب. تطورت belles letters آداب جميلة في الفرنسية من منتصف ق١٧؛ كـان عليها أن تتحصر أكثر عندما استقرت في النهاية الكلمة literature. كانـت poetry شعر هي المهارة الرفيعة للكتابة والكلام في نطاق الخيال السامي؛ يمكـن توجيـه الكلمة نحو أي من الاتجاهين. بمفهوم ق ١٩ كررت literature ذلك، لكـن مـع استبعاد "الكلام". لكنها مع ذلك كلمة إشكالية ، لـيس فقـط بسـبب انحصـارها الإضافي على مواضيع خيالية وإبداعية (في تمييز لـذلك عـن الكتابـة الخياليـة والإبداعية) ، وإنما أيضا بسبب الأهمية الجديدة لأصـناف كثيـرة مـن الكتابـة المخصصة للنطق (إذاعة ودراما) ، التي بدا أن حصر literature علـى الكتـب، حسب التعريف، أبعدها.

ومن اللافت، أنه في السنوات الأخيرة اعترض بشكل متزايد على literature و literary، رغم أن لهما تداولاً فعالاً بمعاني ما بعد ق ١٨، وذلك بناء على ما هو ، تقليدياً ، مجالهما، من قبل مفاهيم writing كتابة وcommunication اتصـال التـي تسعى لاستعادة المعاني الفعالة والعامة التي يبدو أن التخصص الفائق اللاحق قـد اقصاها. علاوة على ذلك، فيما يتعلق بردة الفعل هذه، اكتسـبت literary معنيـين سلبيين: ارتباطها بالكتاب المطبوع أو بالأدب الماضي بدلاً من كتابة وكلام معاصر فعال؛ أو كدليل (لايعتمد عليه) مستمد من كتب بدلاً من "بحث حقيقي". يلامس هذا المعنى الأخير جملة العلاقات المعقدة بين literature أدب (شـعر، خيـال، كتابـة خيالية) وتجربة حقيقية أو فعلية. كذلك بالطبع كانت literary عبارة انتقـاص فـي فنون أخرى خاصة الرسم والموسيقى، حيث يعتبر العمل قاصـراً فـي اسـتعمال

أدواته الخاصة ، وليس على درجة استقلال كافية، وكونــه معتمــداً علــى دلالات "خارجية" من نوع "أدبى literay". هذا المعنى موجود فى نقاش الأفلام. فى الوقت نفسه أصبح تعلم القراءة والكتابة literacy وأمية illiteracy مفهــومين اجتمــاعيين أساسيين فى منظور أوسع من معنى ماقبل ق ١٩. توسعت الأمية illiteracy مــن ق ١٨ للدلالة على عدم القدرة على القراءة والكتابة وكانت literacy، من أواخر ق ١٩، كلمة جديدة للتعبير عن إنجاز وامتلاك ما اعتبــر بشــكل متزايــد مهــارات ضرورية وعامة.

انظــر: AESTHETIC جمالي، ART فــن، CREATIVE إبداعي، FICTION خيال، IMAGE صورة، MYTH أســطورة، NATIONALITY وطني/قومي، NOVEL رواية

رجل/إنسان/بشر MAN

هناك استعمال لافت وهام لكلمة Man فى المفرد وبحرف اســتهلالى كبيــر لوصف الجنس البشرى ككل، النوع البشرى أو الإنســانية. التطــابق بــين man (إنسان) و man (ذكر) استمر فى الإنجليزية مدة أطول عنه فــى معظــم اللغــات الأوربية. الاستعمال المجرد فى الإنجليزية مثير للاهتمام ، إذ ليس له أداة تعريف (قارن l'homme فى الفرنسية، der Mensch فــى الألمانيــة): "التركيــب البنيــوى للإنسان man والقرد". فى توصيفات النوع البشرى الفيزيائيــة لا تسبب man إلا مصاعب قليــلة؛ تحديد الجنس sex هو الصعب فى بعض المجالات (قارن العنوان الحديث: هبوط المرأة *The Descent of Woman* [مقابل هبوط "الرجــل" بمعنــى البشر وهو المثال "الدينى" المتعارف عليه فى السابق] . خلــق التحديــد الجنســى sexual للكمة إشكالية فى بعض التنظير الفلسفى والاجتماعى العــام (قــارن بــين Paine: *Rights of Man*، Man هنا بمعنى بشــر وبــين Wollstonecraft ولســتون كرافت: *Rights of Woman*، (حيث تعنى woman هنا أنثى). لكن بخلاف تحديــد الجنس sex فإن استعمال المفرد هو الأكثر إثارة للاهتمام فى مجالات أخرى غيــر

بدنية. هناك بعض الاستعمالات الموسعة كما فى "future of man مستقبل الإنســان على هذا الكوكب" الذى لايثير أية مشاكل حقيقية. لكن فى بعــض الاســتعمالات الأخرى يسبب المفرد، وفى الغالب يحجب، بعض المشاكل. كانت الأمور أبســط عندما كانت "إنسان Man " تعميماً مميزاً عن الإله God ؛ كلمة مفردة مقابل كلمــة مفردة أخرى كما فى "الإنســان يســعى والــرب يــدبر man purposith and god disposith" (١٤٥٠) إلى جانب افتراض خلق الإله للإنســان (Man أو Man-kind النوع البشري) وتحكمه فى مصيره. المثير هو أنه استمر التعبير عن هذه الحالــة السائدة المفترضة - روحية وميتافيزيقية - بنفس صيغة المفــرد عنــدما كانــت توصف الخصائص الاجتماعية والأخلاقية الشاملة كما حدث فى عصــر الأنــوار. استعمل بعد ذلك المفرد الشامل Man مستقلا. استمر ذلك الاستعمال حتــى فتــرات متأخرة تم التركيز فيها على تطور الإنسان الذاتى (الإنســان يصــنع نفســه Man Makes Himself)، و شاع بشكل ملحوظ حتى ضمن نسبية ثقافية وتاريخية متعمدة. من الصعب جداً إذن تمييز افتراضات عامة عما هو فى الواقــع مســائل ثقافيــة واجتماعية، كما فى الأمثلة التالية: "اخترع الإنسان man العجلة والبوصلة وماكينة الاحتراق الداخلي"؛ "الإنسان man بطبيعته قناص" و"دخل الإنســان الآن مرحلــة حرجة من الحضارة الصناعية". كل هذه الاستعمالات ممكنة، لكن من المهم فــى العادة التنبه لإيحاءات المفردة المبتدئة بحرف كبير Man (الذى يفترض الشــمولية) وكذلك لتضمينات مشابهة فى الغالب لكلمة Man فــى صــيغة الجمــع المجــردة المستعملة بنفس المعنى. لو اقتصرت الاستعمالات على مجــالات ميتافريقيــة أو شمولية ، أو تاريخياً أحادية المسار لكانت المشكلة أبسط؛ لكن تأصّل فى اللغة الآن تكرار هذه الافتراضات لدرجة أن هناك استمرارية لهذا الاستعمال حتــى عنــدما يكون التأكيد على التنويع التاريخى والثقافى الفعلي. تتطلــب الاســتعمالات فــى الماركسية، حيث كانت هناك صعوبة أساسية ومهمــة وربما مستحيلة الحسم حول مفهوم "كائن- نوعى" "species-being"، اهتماما خاصا لهذا السبب وحده.

انظـــــر: HUMANITY انسانية، SEX جنـــــس

إدارة/تدبير MANAGEMENT

عندما نتحدث الآن عن مفاوضات بين إدارة management ورجال men فإننا نتحدث عن نوع معين من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. يبدو أن كلمة manage (يدير) دخلت الإنجليزية مباشرة من maneggiare، إيطالية: يروّض وعلى الخصوص يروض أو يسوس خيولاً. كانت استعمالاتها الأولى فى اللغة الإنجليزية فى هذا المجال. أصلها القريب (س م) هو manidiare، لاتينية دارجة: يروض، من (س ب) manus، لاتينية: يد. توسعت manage بسرعة لتشمل عمليات حرب ومن أوائل ق ١٥ شملت معنى عاماً يدل على تولى زمام الأمور وتقلد أو قيام بالمسؤلية أو توجيه. يتأثر تاريخها اللاحق باختلاطها بـ ménager، فرنسية: يستعمل بعناية، من ménage: أهل البيت، التى ترجع إلى mansionaticum، لاتينية دارجة، من (س ب) mansionem، لاتينية: سكن (التى أدت مباشرة إلى maison، فرنسية: منزل). هناك أدلة وافرة من أواخر ق ١٧ و ق ١٨ على تداخل بين manage و menage يبرز فى تنويعات التهجية. أثر ذلك على معانى manager من سائس وموجّه/مدير (maneggiare) إلى مدبّرة منزل مقتصدة (menager). لايزال نطاق المعانى هذا فعّالاً فى اللغة الإنجليزية فى استعمالات تمتد من الرياضة إلى الأعمال، ثم إلى تدبير المنازل (a good manager إدارى جيد).

فى الأصل كانت management اسم عملية لأى من هذه النشاطات. يبدو أنها انحصرت فى البداية على فكرة تجمّع من الرجال collective body of men ومن ثم مؤسسة موجِّهة ومتحكِّمة فى المسرح حيث لاتزال the management الإدارة عبارة شائعة. حدث ذلك فى منتصف ق ١٨، لكن استعملت manage و manager باضطراد لنشاطات ترتبط بالتمويل والأعمال business. كاسم جمع توسعت management من ق١٩ لتشمل عملية الإشراف على نشر الصحف. بمعنى مؤسَّسى، توسعت the managers باضطراد من منتصف ق ١٨ لتدل على الموجّهين أو القائمين على مؤسسة عامة (مدرسة، مأوى). فى مجال الأعمال لم

تكن manager بعد مميزة بشكل واضح عن agent (وكيل، فاعل) وعن الاستعمال الخاص للكلمة receiver (من يدير عملا تحت سلطة المحكمة). مع توسع التعبيـر فى مجال الأعمال كان لايزال هناك تمييز واضح بين المالكين وأعضـاء مجلـس الإدارة directors من جهة ، والمدراء managers من الجهة الأخرى؛ مازال المدير كوكيل هو المعنى الاوضح هنـا.

يرتبط مفهوم management العام فى ق ٢٠ باتجاهين تـاريخيين. كـان هناك توظيف متزايد لمجموعة من الوكلاء agents المـأجورين لإدارة administer مؤسسات أعمال كبيرة. فى الإنجليزية أصبح هؤلاء، مع توكيـد جديـد، هـم the managers المدراء أو the management الإدارة فى تمييـز لهـم عـن الـوكلاء الحكوميين الذين سموا (مع إلماعة متبقية من عهد الملكية monarchy [حيث الناس رعيـة]) civil servants (مـوظفين مـدنيين) أو، بشـكل أعـم، البيروقراطيـة BUREAUCRACY (ا م). لاتزال هذه الطبقة من الموظفين الحكوميين متميزة عـن management حتى عندما تكون نشاطاتهم الفعلية متطابقة؛ يتبع هذا التمييز القـائم المتعارف عليه والمتأثر أيديولوجيا بين أعمال حكومية وأعمـال خاصـة. كـان التعبير المهذب لمؤسسات شبه حكومية هو administration (رغم أن هذا يسـتعمل كذلك كمرادف سياسى للحكومة). من اللافت أن هناك تنويعات كبيرة فى التعابير غير الدقيقة المتعلقة بمجال "أصحاب العمل أو الموظّفين employers" و "إداريـين managers" فى لغات أوربية أخرى حيث ليس لـ "manager" بالمعنى الإنجليـزى (الأمريكي) فى الغالب معادلا، وتم أحياناً ببساطة تبنى هذه الكلمة. (قارن الكلمات الفرنسية gérant، régisseur، directeur ، بالإضافة إلى employeur، وبشكل ملحوظ patron). كان الاتجاه التاريخى الآخر فعلياً إرباكاً وتعمية فى علاقات الإقتصـاد الرأسمالية. كانت هناك مفاوضات (ق ١٩) بين masters أرباب العمـل و men عمال، وباضطراد حملت فى ق٢٠ الكلمـة الألطـف والسـائدة الآن employers موظِفين محل mastersr. لكن فـى منتصف ق ٢٠ فضّـلت the management الإدارة ؛ هى مصطلح مجرد يضمر معايير مجـردة وظاهريـاً نزيهـة. جـدير بالملاحظة أنه لايزال هناك جدل مثير حـول مـا سـمى managerial revolution

الثورة الإدارية التى يعتقد أن المدراء managers المأجورين استولوا فيها، ضمن نظام الرأسمالية، على السلطة الفعلية فى الشركات الكبرى من ملاكها ومساهميها القانونيين. لو كان هذا صحيحاً (والمعلومات معقدة جداً) فإن الإدارة the management ستكون الآن هى الموظِّفين employers ولظل للمصطلح المجرد والحيادى ظاهرياً مفعول أيديولوجي. بالطبع موقع أعضاء مجلس الإدارة directors فى هذه العملية هو جزء من النقاش المركزي.

فى الغالب يزيح وصف مفاوضات بين management إدارة و men الطبيعة الحقيقية لمفاوضات بين employers موظِّفين و workers عمال ويحّول طبيعة المفاوضات حول الحصص النسبية لإنتاج العمال إلى نزاع بين متطلبات "العملية" (الإدارة management المجردة) العامة ومطالب أفراد فعليين (men رجال، عمال). عندئذ يمكن التحدث عن القوانين الداخلية لمؤسسة أو نظام رأسمالى على أنه قوانين تقنية أو مجردة أو عامة مقابل مجرد رغبات أفراد أنانية. لذلك تأثير أيديولجى فائق.

فى الوقت نفسه يمكن العثور على مثال من معنى manage القديم (من maneggiare) فى التعبير الشائع "الإدارة" management. بدأ ذلك فى الجيش وكانت له صلات مباشرة بسياسة الخيول والسيطرة عليها. فى ق ٢٠ توسعت بشكل كبير كتعبير مؤثر ونافذ المفعول فى أنواع كثيرة من توظيف وإدارة العمل، وتستعمل بشكل واسع فى دورات التدريب الإدارى management-training courses دونما دراية دائما بمضمون التعبير. التعبير الأكثر مرونة لأنه أكثر تجريدا ، هو personnel management إدارة أفراد ، حيث يصبح الناس على طرفى العملية مجردين ومعممين بشكل تام.

انظر: BUREAUCRACY بيروقراطية، LABOUR عمل،

MAN رجل/بشر

جماهير، العامة، طبقة عاملة MASSES

المفردة mass ليست فقط كلمة شائعة جداً وإنما هى أيضاً كلمة صعبة جـــداً فى التوصيف الاجتماعي. بينما "the masses" الجماهير أقل صعوبة إلا أنها مثيرة بشكل خاص للاهتمام لأنها متأرجحة: تعبير احتقار فى معظم الفكـــر المحـــافظ، لكنها إيجابية فى معظم الفكر الاشتراكي.

عبارات الاحتقار الموجهة لأغلبية الناس لها تاريخ طويل وثرى. فى معظم التوصيفات الأولى المعنى البارز هو: وضيع ودنيء وذلك بناء على نموذج مجسم، مضمر لكنه غالباً واضح، للمجتمع مرتبا حسب مراحل أو طبقات متعاقبة. حـــدد هذا النموذج المجسم أكثر مفردات التوصيف الاجتماعي؛ قارن standing مكانـــة، status منزلة، emenince سمو، علو، prominence بروز، والأوصاف الاجتماعية: levels مستويات، grades مراتب، estates منازل، degrees درجات. فـــى نفـــس الوقت توسعت تعابير معينة لوصف بعـــض المجموعـــات بأنهـــا "دنيئـــة" low: plebeian من اللاتينية plebs، دهماء، villein خسيس (ولد فى الرق) و boor فظ، من المجتمع الإقطاعي. أضافت COMMON عام/ســـائر (ا م) معنـــى الوضـــاعة lowness إلى معنى المشاركة mutuality خاصة فى عبـــارة "the common people" عامة الناس. بحلول ق ١٦ فقدت vulgar (مألوف) معظـــم معانيهـــا الحياديـــة أو الإيجابية وكانت فى طور التحول إلى مرادفة لدنئ "low" و "base" وضيع؛ تبقـــى معنى أكثر إيجابية فى vulgate (نص مقبول عند الجمهور). أصبحت the people الناس نفسها مبهمة كما فى حـــدث فى طرح فى ق١٧ حاول تمييـــز "better sort" الصنف الأفضل عن الأحقر "meaner" والأدنى "basest". لايزال يمكن اســـتعمال العبارة الإجمالية the people حسب الموقف السياسى إما بشكل عـــام أو بطريقـــة انتقائية.

لتعابير الاحتقار أو الخوف السياسى الصريحة تاريخها الخاص. فى ق ١٦ و ق ١٧ كانت الكلمة الرئيسية هى multitude حشد، عامـــة، كمـــا هـــو عنـــد كريستوفر هيل Christopher Hill: "الوحش متعـــدد الـــرؤوس The Many-headed

"Monster" فـــــى كتـــــابه *Change and Continuity in Seventeenth Century England* ١٩٧٤). رغم أن معظم الإشارات كانت لـــــ vulgar، الأفجـــاج و the rabble الرعاع فإن الاسم البارز كان multitude، معززاً غالباً بوصف للتعدد كما فى "متعدد الرؤوس". كانت هنـــاك أيضـــاً base multitude حشـــد حقيـــر، giddy multitude حشد طائش، hydra-headed monster multitude حشد متـوحش مثـل الأفعوان الخرافى ذى التسعة رؤوس و headles multitude حشد عـديم القيـادة. هذا التركيز على أعداد كبيرة مهم عندما يقارن بالتطور اللاحق لكلمة mass، رغم أنه لابد وأن كان بديهيا أن أبرز شئ بالنســبة لـــــ "the common people" عامـــة الناس هو عددهم الكبير.

بالنسبة للصفة السابقة base فإن لها معنى واضـــحا بيـــن دنـــاءة الحالـــة الاجتماعية والمستوى الأخلاقي. ربما تداخلت فى الأصـــل الكلمتـــان idiot أبلـــه وgiddy طائش اللتان حملتا معنيـــى "ignorant جاهـــل و foolish أحمـــق" وأدى تشابكهما إلى معنى giddy المبكر كمجنون crazed (عنت فى الأصل "تملك من قبل إله"). لكن معنى giddy "غير متزن، متقلب" أصبح تاريخياً أكثر أهميـــة؛ ارتـــبط بالعبارة اللاتينية "mobile vulgus": عامـــة الناس المتقلبين، التى اختصرت بحلـــول أواخر ق١٧ إلى "mob" الإنجليزية (رغم أنها لاقت اعتراضاً فى أوائل ق ١٨ من آخرين بينهم سويفت Swift الذى شجبها بطريقة لطيفـــة لأنهـــــا كلمـــة ســـوقية vulgarism). من ق ١٨ حلت mob (غوغاء، سواد الناس) محل multitude، لكـــن مع سند من مجموعـــة الكمـــات المألوفـــة: vulgar و base و common و mean. بالطبع استمرت mob مستعملة لكنها صارت منـــذ اوائـــل ق ١٩ أكثـــر تحديـــدا: حشـــــد جامـــح unruly crowd معيّن بدلاً من حالة عامة. الكلمة التـــى بـــرزت لاحقاً للدلالة على الحالة العامة هى mass وتبعتها the masses.

استعملت mass بشكل واسع بمعان متعددة منذ ق ١٥. ســـابقتها المباشـــرة (س م) هى masse، فرنسية و massa، لاتينية: كتلة مادية يمكن قولبتها وســـبكها (على الأرجح كان المعنى فى الأصل لعجن الطحين)، ومن ثم أية كتلـــة كبيـــرة.

يمكن ملاحظة معنيين مهمين لكنهما أيضـا بديلان: (١) شيء غيـر متبلور وغير مميـز؛ (٢) تجمع كثيف. واضحة التداخلات والتنويعات الممكنة. كـان هنـاك استعمال فى عطيل *Othello*: "أتذكر كتلة من الأشـياء a mass of things لكنـى لا أميـز شـيئا بوضوح". كان هناك الاستعمال الهـام فـى كتـاب كلارينـدون *History of the Rebellion* :*Clarendon*، الذى يقترب كثيرا من المعنـى الحـديث: "مثل ذرات كثيرة تسهم معا فى تكوين هذه الكتلة من التشويش *mass of confusion* التى هى أمامنا الآن". كانت هناك استعمالات حيادية للكمة *mass* تتطور فى العلوم الطبيعية وفى الرسم وكذلك فى الاستعمال اليومى للدلالة على الحجم أو المقـدار الكبير. (كانت mass الدينية دائماً كلمة مستقلة، مـن missa، لاتينيـة: مرسـل، مصروف dismissed، ومن ثم طقس معين). لكن يمكن ملاحظة بـروز المعنـى الاجتماعى فى أواخر ق ١٧: "الجمهور الفاسـد The "Corrupted Mass (١٦٧٥)؛ "جمهور الناس the mass of the people" (١٧١١)؛ "كافة حشد البشر whole mass of mankind" (١٧١٣). لكن ذلك لم يكن محدداً حتى فتـرة الثـورة الفرنسـية. عندئذ ظهر استعمال معين حاسم. كما لاحظ ساوذى Southey فى ١٨٥٧: "التجنيد العفوى العام levy en mass، التلغراف وضريبة الدخل – كلها أتت مـن فرنسـا". كتبت آنا سيوارد Anna Seward فى ١٧٩٨: "أمتنا نهضت تقريبا كوحدة واحدة in mass". فى فترة ثورة وصراع اجتماعى مكشوف، كثير من الأشياء التـى قيلـت خلال الثورة الإنجليزية عن the miltitude العامة أعيـد قولهـا الآن عـن mass، وبحلـول ثلاثينيات ق ١٩ علـى الأقـل بدأت the masses تصبح تعبيراً شـائعاً رغـم أنه لم تـزل هناك حاجة أحيانـاً إلى الإشـارة إلـى حداثتـه. يظهـر واضـحاً الاحسـاس بعلاقـة التعبيـر بالثـورة الصناعيـة INDUSTIAL REVOLUTION (ا م م) فى قـول جاسكل Gaskell: "جمّعت القـاطرة البخاريـة الناس فى جماهـير كثيفة " dense masses" (*The Manufacturing Population of England*، 6;1833). كتب مـور Moore فى ١٨٣٧: "أحـد الأدلة القليلة على الذوق السليم التى قدمتها الجماهير the Masses كما تسـمى". وكتـب كارلايـل Carlyle فى ١٨٣٩: "رجال...بالنسبة لهم ملايين من المخلوقـات الحيـة المماثلـة

تعتبـــر"جماهير masses"، مجرد جمـــاهير متفجـــرة "explosive masses" لنســف الباستيل بهم وللتصويت فى الانتخابات لصالحنا". يبين هذان المثالان بدقة التشعب فى المعنى. اختار موور الكلمة الجديدة فى سياق ثقافى للدلالة علـــى "دنـــاءة" أو "غوغائية" فى تمييز لها عن ذوق TASTE (ا م). كان كارلايل على وعى بالمعنى التاريخى الدقيق للتعبير الثورى "التجنيد العام العفوى levée en masse" لكنه كـــان على وعى أيضاً بدرجة كافية بالاستعمال الموجود فى العلوم الطبيعية مكنتـــه مـــن استخدام استعارة الانفجار. من الأهمية بمكان أيضا ربط الاستعمال الثورى الذى شجبه على أنه حيلة مدبرة manipulation بالاســـتعمال الانتخـــابى البرلمـــانى - التصويت فى الانتخابات لصالحنا - الذى حمل مقـــداراً مـــن التوجيـــه المتحايـــل manipulation.

هكذا المعانى معقدة جداً حيث أن هناك اســـتمرارا للمعنيـــين الســـابقين (١) و(٢) للكلمة mass. استمر معنى (١) غير متبلور وغير متميز، خصوصـــا فـــى العبارة السائرة "in the mass" إجمالاً، على وجه الإجمال"، كما هو عنـــد روجـــرز Rogers (١٨٢٠): "نشجب ملايينا إجمـــالاً in the mass كحقـــودين"؛ أو عنـــــد مارتينـــــو Martineau (١٨٣٢): "نتكلم عن المجتمع كشئ واحد، ونعتبر الرجـــال فى مجملهمin the mass"، حيث المقصود الفشل فى تحديد الفروق الضرورية. لكن اكتسب باضطراد معنى (٢) "تجمع كثيف"، بطريقة طبيعية فى الفرنسية والألمانيـــة أكثر منه فى الإنجليزية، أهمية اجتماعية مباشرة تقـــارب جـــداً معنـــى solidarity تضامن. لا يستطيع الناس فعلا تغيير ظروفهم إلا بعملهم كـــ "فرد واحد". ماكـــان فى معنى (١) فقدان التمييز أو التفريق أصبح بناء على معنى (٢) تجنبـــا للتقســـيم والتشذر غير الضرورى وبالتالى تحقيق اتحاد. استمر معظم الراديكاليين الإنجليز فى استعمال the people الشعب وتنويعاتهـــا - common people عامـــة النـــاس، working people الشعب العامل، ordinary people الناس العاديون - كتعبيـــراتهم الرئيسية المحبذة رغم أنه فى أواخر ق ١٩ كان هناك تضاد عام بين "the masses" الجماهير و "the classes" الطبقات: "ساند الجماهير the masses ضد الطبقات the classes" (جلادستون Gladstone، ١٨٨٦). استمرت masses وتنويعاتهـــا - the

broad masses الجماهير العريضة، the working classes الجماهير العاملة و the toiling masses الجماهير الكادحة - في الاستعمال خصوصا فى التراث الثـوري، رغم أن الترجمات كانت فى بعض الأحيان غير دقيقة.

حسب المعنى الاجتماعى الحديث، اذن، لجمهور mass و masses جمـاهير نوعان مميزان من الاستعمال. جماهير masses (١) هى الكلمة الحديثة بدل حشد متعدد الرؤوس many-headed multitude و mob غوغاء، سواد الناس اللتين حملتا معاني: دنيء، جاهل، مزعزع. جماهير masses (٢) هى وصف لـنفس النـاس لكنهم يعتبرون هنا قوة إيجابية فعلية أو كامنة. أصبـح التمييز حاسـماً فى كثيـر مـن الصيغ المشتقة أو المرتبطة بالكلمة. كان لـ "اجتمـاع جمـاهيرى mass meeting" ، من منتصف ق ١٩، معنى (٢): ناس تجمعـوا لغـرض اجتمـاعى مشترك (رغم أن العبارة الازدرائية like a mass meeting مثل لقـاء جمـاهيرى مهمة كردة فعل على ذلك). لكن برز معنى (١)، كما فى قول سـميث S. Smith ١٨٠٣: "نادرة العيون والآذان المستقلة، معظم الجمهور the great mass يـرى ويسمع حسب توجيه الآخرين"، فى ق ٢٠ فىصيغ عدة: mass society مجتمـع جماهيري، mass suggestion ايحاء جمـاهيري، mass taste ذوق جمـاهيري. معظم هذه الصيغ كانت أنواعاً مصقولة نسبياً من نقد الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التى بدا أنها، وقد أصبحت منذ أوائل ق ١٩ كلمة محترمة، تحتاج وفقاً لتوجـه معين من التفكير بديلاً فعـالاً. يمكـن أن تصـف mass-democrcy ديمقراطيـة جماهيرية نظاماً سياسياً موجّهاً، لكنها فى الأغلـب تصـف نظامـاً تحكمـه آراء واختيارات جاهلة وغير متنورة: أى الشكوى الكلاسيكية ضد الديمقراطية نفسـها. فى نفس الوقت تأثرت عدة من هذه الصيغ بالصيغة الأكثر شـعبية بينهـا: mass production (إنتاج إجمالي، على نطاق واسع) التى ظهرت فى عشـرينيات ق٢٠ فى الولايات المتحدة. هذه لاتصف فعلياً عملية الانتاج الذى فى الواقع قـام فـى الأصل، كما كان فى نظام خط التجميع، على التعدد والتسلسل. ماتصفه هو نوع من الاستهلاك consumption (قارن CONSUMER مستهلك)، السـوق الجمـاهيرى the mass market حيث mass هى صيغة لمعنى (١): الحشد متعدد الرؤوس لكنـه

الآن حشد له قوة شرائية. تضادت mass market مــع quality market "ســوق نوعي" واحتفظت الأولى بمعظم معنــى (١)، لكــن أصــبحت mass production تعنى، عن طريق التوسع، الانتاج بكميــات كبيــرة. الصــعوبة الأعمــق فــى استعمالات ق ٢٠ للكلمة mass إذن واضحة: إن كلمة دلت وتدل (سواءً كان ذلك ايجابياً أم سلبياً) على تجمع كثيف تعنى الآن أيضاً عدداً كبيراً جداً من الأشــياء أو الناس. بشكل عام ساد معنى العدد الكبير جداً. مقارنة بالأنظمة الســابقة، ليســت mass communication اتصال جماهيرى و mass media وسائل اعلام جماهيرية موجهة نحو جماهير masses (أفراد متجمعين) وإنما نحو مشاهدين كثيرين جداً من حيث العدد لكنهم فى منازل مستقلة ونسبياً معزولة. تختلط عدة معان وتسبب خلطاً الأعداد الكبيرة التى يتم الوصول لها (حشد متعدد الرؤوس أو معظــم النــاس the majority of the people)؛ الأسلوب المتبع (الذى يتسم إمــا بالمنــاورة والتوجيــه manipulation أو بالشعبية popular)؛ الذوق المفترض (فج أو مــألوف)؛ العلاقــة الناجمة (مستلبة ومجردة أو نوعا جديدا من الاتصال الاجتماعي).

العنصر الأكثر إثارة فى مركّب mass و masses فى الاستعمال المعاصر هو معانيه الاجتماعية المتضادة فعلاً. الانهماك فى mass work عمل جمــاهيري، الانتماء إلى mass organization منظمات جماهيرية، تثمين mass meeting لقاءات جماهيرية و mass movements حركات جماهيرية، تكريس الحياة كليــة لخدمــة الجماهير the masses - هذه عبارات تراث ثــورى فعــال. لكــن دراســة ذوق الجماهــير mass taste، استعمال وسائل الإعلام الجماهيرية mass media، تحكم فى السوق الجمــاهيرى mass market، اشــتغال بالمراقبــة الجماهيريــة mass observation، فهم سيكولوجيا الجماهير أو رأى الجماهير - هذه عبــارة الاتجــاه السياسى والاجتماعى المعارض تماماً. يمكن تفهم جزء من الاستعمال الثورى بناء على حقيقة أنه فى ظروف معينة لا تنشأ الأحزاب الثوريــة ولاينبــع المفكــرون الثوريون من الناس the people ومن ثم ينظر إلى هؤلاء الناس على أنهــم ليســوا منهم ويعتبرون جماهير masses يجب العمل معها ومن أجلها: جمــاهير masses كموضوع أو جمهور mass كمادة يجب صياغتها. لكن التاريخ الفعــال للتجنيــد

العام العفوي" كان له على الأقل نفس التأثير. فى الاتجــاه المعــارض ابتعــدت mass و masses كثيرا عن سذاجة الإحتقار السابقة (رغم أنه فى بعض الــدوائر وفى مواقف معزولة لايزال يمكن سماع نبرة mob رعاع و idiot multitude حشد أحمق). بشكل رئيســى صيغ ق٢٠ هى أساليب تعامل مع أعداد كبيرة من الناس ينظر إليهم بشكل عام بطريقة لا تمييز فيها ، لكن دورهم حاسم فى عمليات عديدة فى السياسة والتجارة والثقافة. يتم افتراض الجمهور كوحدة لكن، للمفارقة، يقسّــم فى الغالب بعد ذلك الى أجزاء مرة أخرى: طرفان أعلى وأدنى للسوق الجماهيري؛ النوع الأفضل better kind من الترفيه الجماهيرى mass entertainment. يكــون عندئذ المجتمع الجماهيرى mass society مجتمعاً منظماً ومدركاً بمثل هذه الطرق؛ لكن كتعقيد نهائى استعملت mass society، وفى هذا ارتبــاط بمجالهــا المحــافظ السابق، كتعبير جديد فى النقد الراديكالى بل وحتى الثوري. يعتبــر mass society وجمهرة massification (عادة فى إلماعة صريحة إلى وسائل الإعلام الجمــاهيرى mass media) أسلوباً لاسترضاء وإدماج الطبقة العاملة والبروليتاريا - الجمــاهير the masses: أى أنها أسلوب جديد للاستلاب والتحكم، تمنع وتعد بمنع تطور وعى شعبى أصيل. هكذا من الممكن تصور - أو على الأقل الأمل فــى - انتفاضــة جماهيرية mass uprising داخــل mass society مجتمــع جمــاهيرى، أو mass protest احتجاج جماهيرى ضد mass media ، أو تنظــيم جمــاهيرى mass orgnization ضد massification. التمييز المقصود أو الذى كانت هنــاك محاولــة بشأنه فى هذه الاستعمالات المتعارضة هو بين جمــاهير كفاعــل SUBJECT (ا م) وجماهير كموضوع object للعمل الاجتماعي.

فى النهاية ليس مدهشاً أن تكون الأمور كذلك. فى معظم استعمالاتها تعتبر mass كلمة فنوية، لكن مشاكل المجتمعات الكبيرة ومصــاعب الفعــل ورد الفعــل الجماعى التى تستعمل بخصوصيها هذه الكلمة و مشتقاتها، عادة بطريقة مشوشــة، هى حقيقية لدرجة كبيرة ويتوجب مناقشتها بانتظام.

انظـــــــر: COMMON عـــام/مشـــترك، DEMOCRACY ديمقراطية، POPULAR شعبى

MATERIALISM مادية

كلمة materialism ماديـــة و الكلمتـــان المرتبطتـــان بهـــا materialist و materialistic هى مفردات معقدة فى الإنجليزية المعاصرة لأنها تشير إلـــى (١) نقاش طويل وصعب ومتنوع يقترح المادة matter على أنها المكون الرئيسى لكـــل الأشياء الحية، ومن ضمنها البشر، والأشياء الجامدة؛ (٢) جملة أحكام وتفســيرات مرتبطة بذلك أو ناجمة عنه لكنها متنوعة جـــدا للنشـــاطات الذهنيـــة والأخلاقيـــة والاجتماعية؛ و (٣) جملة مواقف ونشاطات يمكن تمييزها، ليس لهـــا بالضـــرورة ارتباط علمى أو فلسفى لكن يمكن تلخيصها على أنها اهتمـــام رئيســـى أو مهـــيمن بإنتاج أو امتلاك الأشياء والمال. يمكن تفهم كـــون معارضـــى وجهـــات النظـــر الموضحة فى معنيى (١) و (٢) كثيرا ما يستغلون معنى (٣) ودلائلـــه أو أنهـــم لا يفهمونه بدقة. فى الواقع فى بعض جوانب معنى (٢) هناك صلات معقولة بعناصر من معنى (٣) لا يمكن قصرها على مناصرى كل أشكال معنى (١) و (٢). فـــى الحقيقة الارتباط العام الفضفاض بين معنيى (١) و (٢) ومعنى (٣) ليس إلا أثـــارا تاريخية يسهم تاريخ الكلمات فى إيضاحه.

للكلمة المركزية matter مادة معنى رئيسى مادى مناسب. دخلت الإنجليزية، فى صيغ مختلفة، من (س م) matere، فرنســية قديمـــة، مـــن (س ب) materia، لاتينية: مواد بناء، عادة خشب timber (الذى قد ترتبط به الكلمة إتيمولوجيا، وكذلك مع domestic متعلق بالمسكن؛ قـــارن: "و المـــرأة التـــى تنتـــزع نفســـها وتبتـــر غصنها/عن جوهر نسغها will sliver and disbranch from her material sap" (الملك لير، مشهد ٤، فصل٢))؛ و من ثم التوسع إلى أية مادة substance فيزيائيـــة بشكل عام وبعد ذلك المادة المكونة لأى شيء. فى الإنجليزية استقر هذا النطـــاق الكامل للمعانى مبكراً جداً، رغم أن المعنى الأول المحدد لم يكن أبداً مهمـــاً وزال

بسرعة. ضمن الاستعمالات الأولى القائمة تميزت matter على الدوام عـــن شكل FORM (ا م) الذى اعتقد أنه ضرورى لتحويل مادة matter إلى being كائن. كـــان هناك تمييز مقارب بين material مادى وشكلى formal، لكن التمييز الأوضح كـــان بين material مادى و spiritual روحي حيـــث كانـــت spirit روح هـــى التعيـــين الثيولوجى الفعلى لشكل form. تضادت matter أيضاً، من أواخر ق ١٦، مع idea فكرة، لكن التعارضين الحديثين المهيمنين material/ ideal مادي/مثـــالى (فكـــري) و materialist/ idealist مـــن أوائـــل ق ١٨ تبعـــا التعارضـــين material/ formal مادي/شكلى و material/ spiritual مادي/روحي. هذا التضاد الأخير هو الذى كان مسؤولا بالدرجة الأولى عن المعانى المحددة لمادى material و materialist حسب معنى (٣). ليس من السهل تقصى ذلك، لكن كان هنـــاك اتجـــاه لـــربط material بأمور دنيوية وتمييزاً مقارباً، من نوع طبقي، بين أشخاص تشغلهم نشاطات ماديـــة وأخرين لهم اهتمامات روحية spiritual أو ليبرالية LIBERAL (ا م). هكذا قال كـــد Kyd (١٥٨٨): "ليس له ذهن خانع أو مادى servile or materiall، لكـــن ... قـــادر على البحث والتأمل"؛ و قال درايدن Dryden (١٧٠٠): " روحه المادية الفظة his gross material soul". هذا الاتجاه كان على الأرجح سيتطور فى كـــل الأحـــوال، لكنه تأثر بشكل حاسم بمجرى وسياق النقاش الفلسفي.

المواقف الفلسفية التى قد نسميها الآن materialist مادية قديمة وترجع فـــى قدمها إلى ق٥ قبل الميلاد وتمثلت فى الذريين atomists اليونانيين وكان الموقـــف الإيبقورى Epicurean معروفا بشكل واسع عن طريق لوكريتيس Lucretius. مـــن المهم أنه بالإضافة إلى تفسيرات بسيطة لأصول الطبيعة والحياة الفيزيائية، ربـــط هذا المبدأ تفسيرات الحضارة (تطور المقدرات البشرية الطبيعية ضمن بيئة معينة) والمجتمع (عقد أمن ضد الآخرين) والأخلاق (مجموعة تقاليد تقود إلى السعادة وإذا لم تقم بذلك يمكن تعديلها، حيث إنه ليست هناك قـــيم ســـابقة الوجـــود ، والـــدافع الطبيعى الوحيد هو المصلحة الذاتية). ورغم أنها لم تعط بعد هـــذا الاسـ‍ـــم فـــإن المنطلق الأول فى materialism المادية الإنجليزية كان عند هوبز Hobbes حيـــث الافتراض الأساسى هو أن الأجسام فى حركـــة - ميكانيكـــا MECHANICS (ا م) -

وحيث كان الاستدلال من قوانين هذه الأجسام المتحركة علـــى الســلوك البشــرى الفردى (كون الإحساس والفكر صنفين من أصناف الحركة) وعلى طبيعة المجتمع: تصرف الأفراد بناء على علاقة كل منهم بالآخر (والخضوع لسلطة بهدف التنظيم الضروري). في فرنسا ق ١٨، عند Holbach مثلاً، كان الجدل مشابها بــأن كــل العلاقات السببية هى ببساطة قوانين حركة الأجسام ، وفى صراحة غير معهــودة أن الأسباب البديلة ، وخصوصا فكرة الرب ، أو أى نوع من الخلــق أو التوجيــه الميتافيزيقى ، زائفة. من منتصف ق١٧ وصفت مبادئ من هذا النــوع بالماديــة materialist وعرفت من منتصف ق ١٨ كمادية materialism. كان للربط المنتظم بين التفســيرات الفيزيائيــة لأصــول الطبيعــة والحيــاة والتفســيرات التقليديــة CONVENTIONAL أو الميكانيكية MECHANICAL (ا م)، الــذى ازداد وضــوحاً ، عندما أصبحت هذه التفسيرات إنكاراً معلناً للــدين، تــأثير كبيــر علــى تحــول materialism و materialist فى أحد الاستعمالات الدارجة ، إلى دلالة على مجــرد أشكال ومواقف سلوك. فى الهجوم المضاد العنيف ، الذى قام به مــن يعتمــدون تفسيرات دينية وتراثية للطبيعة والحياة ومن ثم أنواعا أخرى من الأسباب للســلوك الأخلاقى والتنظيم الاجتماعي، ألحقت materialism و materialist بمعنــى material مادى أو دنيوى worldly السابق ، ليس لوصف التعليل الســابق ولكــن لوصــف المواقف الأخلاقية والاجتماعية المستنتجة، وعندئذ، فى تطور مشحون بالجدل، تــم تحويل مفهوم مصلحة الذات كدافع طبيعى وحيد إلى أنانية selfishness علـى أنهــا أسلوب حياة يفترض تزكيته وتفضــيله. واضــح أن النقــاش الأخلاقــى المــادى materialist سواء التقليدى conventional أو الميكانيكى mechanical كــان مهتمــا بكيفية تسخير أو تنظيم هذا الــدافع - مصــلحة الــذات self-interest - للمنفعــة المتبادلة. فى ق ١٨ كان الاستعمال لا يزال بشكل رئيسى فلسفيا؛ بحلــول أوائــل ق١٩ أثر بعمق التوسع المتهور والجدلى من اقتراح إلى تزكية معانى materialism و materialist، وتبعت ذلك بطريقة مناسبة الكلمة الأكثــر فضفضــة materialistic "مادى" من منتصف ق ١٩.

لا يمكن حسم نقاش على هذه الدرجة من التعقيد عن طريـق تتبـع تطـور الكلمات. لا يزال البعض يجزم بأن الدنيوية الأنانيـة selfish worldliness هـي النتيجة الحتمية، حتى وإن لم تكن هى المقصودة، لإنكار وجود سـلطة أخلاقيـة أساسية، سواء إلهية أم بشرية. يلاحظ بعض الناس هذه النتيجـة بغـرض تعـديل النقاش الفيزيائي؛ آخرون يقبلون، علنا أو ضمناً، النقاش الفيزيائى لكـن يسـكون مصطلحات جديدة للتفسير الأخلاقى أو الاجتماعي. فى الاستعمال الدينى ، أو شبه الدينى ، أصبحت materialism والكلمات المرتبطة بها شعارات للتـداعى الحـر ولوصف أى شيء من العلم الفيزيائى إلى مجتمـع رأسـمالى ، وكـذلك الثـورة الاشتراكية ضد المجتمع الرأسمالي. يجب دراسة الطبيعة الاعتباطية لهذا الـربط الشائع بطريقة نقدية وتاريخية. لكن ما يجب أيضا ملاحظته، لأن له أثرا مركزيـا على هذا النقاش، هو التطور اللاحق للمادية الفلسفية. هكذا تقبّل نقد ماركس للمادية - التى وصفت للتو - تفسيرات أصل الطبيعة والحياة لكنه رفض الصيغ المستمدة منها للطرح الأخلاقى والاجتماعى ، واصفا الاتجاه كلـه بأنـه ماديـة ميكانيكيـة mechanical materialism. عزل هذا النوع من المادية الأشياء objects وأهمل أو تجاهل الفواعل subjects (أنظر SUBJECT) وخصوصا النشاط البشـرى كفاعـل subjective. من ثم تمييز ماركس بين مادية ميكانيكية مألوفـة وماديـة تاريخيـة historical materialism جديدة، تلك التى ستتضمن النشاط البشرى كسلطة أساسية. التمييز مهم لكنه يترك أسئلة كثيرة دونما إجابة. اعتبر النشاط الاقتصادى البشرى - رجال يُفعلون جهدهم وذهنهم فى البيئة - على أنه رئيسـى وفـى إحـدى التفسيرات كـل النشاطات الأخـرى، اجتماعيـة، ثقافيـة، أخلاقيـة، كانـت ببساطة مستمدة مـن (DETERMINDED محدَّدة بـ) هـذا النشـاط الرئيسـي. (بالمناسبة، هذا يتيح تداعياً حراً مع المعنى الشائع لماديـة materialism: النشـاط الإقتصادى رئيسي، و من ثم المـاديون materialists بشـكل رئيسـى مهتمـون بنشاطات كسب المال - وهو بالتأكيد ليس ما عناه ماركس.) عمم إنجلـز معنـى ماركس للتفاعل - رجال يؤثرون فى أشياء فيزيائية والطرق التى يفعلون بها ذلـك والعلاقات التى ينشئونها لعمل ذلك، ويؤثرون فى "الطبيعة البشرية" التى يكونوهـا

من خلال عمل ما يحتاجونه للبقاء - كمادية ديالكتيكية DIALECTIC (ا م)، ووسّعه ليكون له مفهوم قوانين، ليس فقط للتطور التاريخى و لكن لكل العمليات الطبيعية والمادية. فى هذه الصياغة، التى هى صنف من أصناف الماركسية، تشير مادية تاريخية إلى النشاط البشرى بينما تدل مادية ديالكتيكية على عمليات شاملة. المهم فيما يتعلق بتاريخ الكلمات هو أن المادية التاريخية تقدم تفسيرات لمعنى materialism مادية (٣) - انهماك أنانى فى السلع والمال - وبدلا من تزكية هذا التوجه تصف الطرق التاريخية والاجتماعية للتغلب عليه وإرساء التعاون والتكافل. بالطبع لا يزال هذا تعليل مادى فى تمييز له عن أنواع أخرى من التعليل وصفت، بطريقة سلبية، كمثالية IDEALIST (ا م) أو أخلاقية أو طوبائية. مستعملين هنا معانى الكلمات المعقدة، يمكننا القول إنه نقاش مادى materialist، نقاش يعتمد على المادية materialism ضد مجتمع مادى materialistic.

انظر: DIALECTIC ديالكتيكي/جدلى، EXPLOITATION استغلال، IDELISM مثالية، MECHANICAL ميكانيكي، REALISM واقعية

ميكانيكى MECHNICAL

يبدو الآن أن ميكانيكى mechanical مشتقة من machine ماكينة وأنها تحمل معانيها وتضميناتها الرئيسية، لكن هذا مضلل. كانت mechanical أسبق فى الإنجليزية من machine وكانت لها عدة معان محددة مستقلة. كان لمصدرها البعيد (س ب)، كما فى اللاتينية machina، معنى أداة مخترعة (حيلة contrivance) واستعملت mechanical (من س م، mechanicus، لاتينية) من ق١٥ لوصف عدة فنون وحرف ميكانيكية؛ كان مجالها العمل المنتج خارج نطاق الزراعة. لأسباب اجتماعية اكتسبت mechanical عندئذ مفهوما طبقيا ازدرائيا للدلالة على أشخاص ينخرطون فى هذا النوع من العمل وخصالهم المفترضة: "ميكانيكيون Mechanicall ورجال من حالة وضيعة" (١٥٨٩)؛ "عمالة

عالية الميكانيكية والقذارة" (شكسبير، هنرى الرابع، فصل٢، مشهد٥)؛ "تسب ميكانيكى حقير" (١٦٤٦). منذ أوائل ق ١٧ استمر استعمال ميكانيكى بمعنى نشاط روتينى لا ذهني. يمكن الآن اعتبار هذا مشابها لأعمال الماكينة، والمناظرة واضحة من منتصف ق ١٨. لكن فى الاستعمالات الأولى يبدو أن التحامل الاجتماعى كان على الأقل فى نفس الحدة.

من ق ١٦ دلت machine ماكينة على أية بنية structure أو هيكل framework، لكن من ق ١٧ بدأت تتحصر فى أجهزة تستخدم الجهد، ومن ق ١٨ تخصصت فى أدوات أكثر تعقيداً تشمل أجزاء متحركة ومتداخلة. ينتمى إلى هذه المرحلة التمييز عن tool أداة والتفريق بين machine-made صنع الماكينة و-hand made يدوى الصنع، خاصة من أواخر ق ١٨. لكن فى الوقت نفسه اكتسبت mechanical معنى جديداً ومؤثراً، و ذلك بشكل رئيسى من العلم الجديد mechanics الميكانيكا أو علم الحيل. كتب بويل Boyle فى ١٦٧١:

لا أستعمل المصطلح Mechanicks حسب المعنى الأدق والأصح كما هى العادة، حيث يدل فقط على مبدأ القوى المتحركة (مثل الذراع المتذبذب، الرافعة، البراغي، الإسفين) وجعل المحرك يضاعف قوته؛ إنما استعمله ... بمعنى أشمل ليدل على تلك الفروع من الدراسة التى تتكون من استعمالات الرياضيات التجريدية لانتاج أو تعديل الحركة فى أجسام دنيا. فى الانتقال من جملة نظريات عن ممارسات محددة إلى نظريات عامة عن قوانين الحركة بدأت ميكانيكا mechanics فى التفاعل مع نظريات دينية مختلفة، وفى الواقع تداخلت فى الغالب مع مادية MATERIALISM (ا م). هكذا نسمع بحلول أواخر ق ١٧ عن الإلحادى الميكانيكى Mechanical Atheist ، وأدى هذا فى أواخر ق ١٨ إلى mechanism التى يعتبر فيها أن كل شيء فى الكون تنتجه قوى ميكانيكية (فى السابق عنت mechanism التى يرجع أصلها إلى ق١٧ بشكل رئيسى أداة مخترعة). هكذا اعتبرت mechanical ميكانيكي، الفلسفة الميكانيكية والمبدأ الميكانيكى أشكالا من الفلسفة المادية، واستعملت أحياناً بطريقة وصفية وأحيانا أخرى بطريقة تعسفية من قبل

مفكرين دينيين ومثاليين لوصف مناوئيهم الرئيسيين. فى النهاية، مـــن منتصـــف ق ١٩، كان هناك تمييز ضمن المادية MATERIALISM بين mechanical ميكانيكية من ناحية و historical تاريخية أو dialectical دياليكتيكية من الناحية الأخرى.

ليس من المتعذر فهم هذا التطور الرئيسي، لكن كلمة mechanical صـــارت معقدة بشكل استثنائى من أوائل ق ١٩ نتيجة لتفاعلها مع معنـــى جديـــد لماكينـــة machine وتوسعها لتشمل أوصافا مثل mechanical civilization حضارة ميكانيكية. يمكن أن يعنى ذلك حضارة تستعمل أو تعتمد على الماكينـــات بمعناهـــا الحـــديث: مجتمع صناعى INDUSTRIAL (ا م) كما نقول الآن أيضاً. لكن من أوائـــل ق ١٩ كان هناك فى بعض أنواع التفكير ربط أو صهر أو إدماج لهذا المعنى (كمـــا هـــو لدى كوليردج وكارلايل) مع المعنى الـــذى عارضـــت فيـــه mechanical روحـــى وميتافيزيقى أو مثالي. حصل فى نفس الفترة تمييز مهم بين mechanical وعضوى ORGANIC (ا م) اللتين كانتا فى الماضى قريبتين جدا فى المعنى. أوحت الماكينات الجديدة التى انطلقت تعمل لوحدها مستبدلة العمل البشرى ارتباطا بفكرة كون دونما إله أو قوة إلهية مسيّرة، وكذلك ارتباطا بالمعنى القديم (المتأثر اجتماعيـــا) لنشـــاط روتينى لا ذهنى - وبالتالى عملا دونما وعي.

بقى تعقيد الكلمة صعبا كلما استعملت خارج نطاق المعنى الوصفى المرتبط مباشرة بالماكينات حتى عندما تم نبذ بعض الارتباطات السابقة. تتطلب المصـــادر الفعلية لمعانى الكلمة والتعارضات الضمنية المختلفة فحصاً من حين لآخر.

انظـــر: INDUSTRY صناعة/جهد، MATERIALISM مادية، ORGANIC عضوى

وسائل (إعلام) MEDIA

ترجع كلمة medium وسيلة إلى medium، لاتينية: وسط. كانت تســـتعمل بانتظام من أواخر ق ١٦ وكان لها، على الأقل من أوائل ق ١٧، معنى عامـــل أو

مادة وسيطة أو بينية. فى ١٦٢١ كتب بيرتون Burton: "للرؤية ثلاثة أشياء متطلّبة: الموضوع object، العضو organ والوسيط medium"؛ وفى ١٦٠٥ كتب بيكون Bacon: "تم التعبير عنها بواسطة medium الكلمات". بعد ذلك كان هناك استعمال تقليدى من ق ١٨ بالنسبة للصحف: "عبر وسيلة medium نشرك العجيبة" (١٧٩٥)، وتطور ذلك خلال ق ١٧ إلى استعمالات مثل "معتبراً مجلّتك إحدى أفضل الوسائل mediums الممكنة لمثل هذا المشروع" (١٨٨٠). ضمن هذا الاستعمال العام أصبح شائعاً فى أوائل ق ٢٠ وصف الصحيفة كوسيلة medium للإعلان. على الأرجح كان تطوّر media وسائل فى منتصف ق ٢٠ فى المقام الأول فى هذا السياق. صارت media واسعة الاستعمال عندما أصبحت broadcasting الإذاعة، بالإضافة إلى الصحافة، مهمة فى الاتصال COMMUNICATIONS (ام)؛ عندئذ كانت الكلمة العامة ضرورية. تتالت بعد ذلك التعابير: Mass media وسائل إعلام جماهيرية (ام)، media people رجال إعلام و media studies دراسات إعلام.

على الأرجح تضافرت ثلاثة معان: (١) معنى عام قديم لعامل أو مادة وسيطة أو بينية؛ (٢) معنى تقنى مقصود، كما فى التمييز بين وسائل media الطباعة والصوت والصورة؛ (٣) معنى رأسمالى محدّد حيث تعتبر الصحيفة أو الخدمة الإذاعية broadcasting service – وهى أمر قائم فعلاً أو يمكن إعداده – وسيلة لشيء آخر، مثل الإعلان. من اللافت أن معنى (١) يعتمد على أفكار مادية أو فلسفية معينة حيث لا بد من وجود مادة وسيطة بين إحساس وأثره أو فكرة والتعبير عنها. فى معظم الفلسفة والعلم الحديث، وعلى الخصوص فى الفكر المتعلق باللغة. تم التخلّى عن فكرة وسيط هذه؛ وبالتالى اللغة ليست وسيلة بل ممارسة رئيسية، وكذلك كل من الكتابة (للنشر) والتحدث أو التمثيل (للإذاعة) ممارسة. إذن هو موضوع جدال عما إذا كانت الطباعة والإذاعة بمعنى (٢) التقنى هما وسيلتان media أو، بشكل أكثر دقة، أشكال forms مادية ونظم إشارة. على الأرجح فى هذا السياق، تؤكد المعنى المألوف أفكار اجتماعية معيّنة تعتبر فيها الكتابة والإذاعة محدّدة DETERMINED (ام) حسب أهداف أخرى – من

معلومات information الحيادية نسبياً إلى إعلان advertizing وبروبجندا propaganda واضحتي النزعة – لكنها تشوّش أى معنى حديث للاتصال COMMUNICATION (ام). إن معنى medium التقني، كشيء له خواصّه المعيّنة والمحدّدة determining (أحياناً تأخذ فكرة وسيلة هذه الأسبقية المطلقة على أى شيء قيل أو كتب أو عُرض فعلاً)، متوائم فى الواقع مع معنى اجتماعى للكلمة media تعتبر فيه المؤسسات والممارسات عوامل وسيطة لأغراض تختلف تماماً عن أهدافها الرئيسية.

جديربالإضافة أنه من خلال شعبيتها السريعة منذ خمسينيات ق٢٠ أصبحت media فى الغالب تستعمل كمفرد (قارن phenomena).

انظر: COMMUNICATION اتصال، MEDIATION وساطة

وساطة، توسط MEDIATION

لمدة طويلة كانت mediation كلمة معقدة نسبياً فى الإنجليزية وأصبحت أكثر تعقيداً عن طريق استعمالها كمصطلح أساسى فى نظم عدة للفكر الحديث. دخلت الإنجليزية فى ق١٤، من (س م) mediacion، فرنسية قديمة، mediationem، لاتينية متأخرة، من (س ب) mediare، لاتينية: يقسم إلى نصفين، يحتل موقعا وسطا، يقوم بدور وسيط. هذه المعانى الثلاثة المختلفة جدا للكلمة اللاتينية حاضرة كلها فى الاستعمالات الإنجليزية لكل من mediation والفعل mediate الذى تشكّل لاحقاً من الاسم ومن الصفة mediate التى تخللتهما. هكذا يحمل مثالان مبكران لاستعمال mediation فى الإنجليزية، وكلاهما مقتبسان من كتابات تشوسر Chaucer، معنيين من المعانى الثلاثة الرئيسية التى أصبحت مستقرة: (١) التدخل بين خصمين بمعنى واضح يدل على الصلح بينهما: "عن طريق توسط mediation البابوات ... تم التوفيق بينهما" (Man of Law's Tale، تقريبا ١٣٨٦)؛ (٢) وسيلة نشر أو وكالة كوسيط medium: "عن طريق by mediacion

هذا المقال أرغب فى تعريف..." (الإسطرلاب، تقريباً عام ١٣٩١). سجل من ١٤٢٥ تقريبا المعنى الثالث، المهجور حالياً، (٣): الشطر أو التقسيم: "المناصفة mediacion هى أخذ نصف العدد من العدد الكلي".

فى الاستعمال العام أصبح المعنيان (١) و (٢) شائعين. استعمل معنى (١) تكراراً لشفاعة المسيح بين الله والبشر، وفى السياسة لفعل المصالحة أو محاولة ذلك بين خصمين. شمل معنى (٢) الوسيلة البينية التى تضم أشياء مادية: "يجب ألا تلمس إلا بواسطة by mediation عصا" (١٦١٥)، وأفعالاً ذهنية: "يتلقى الإدراك الأشياء بواسطة by the mediation الحواس الخارجية ثم الصور الذهنية" (١٦٤٦). فى الوقت ذاته حملت mediate (توسط) الفعل كلا المعنيين، بينما حملت الصفة mediate ليس فقط معنيي intermediary واسطة، وintermediate متوسط لكن أيضاً معنى علاقة غير مباشرة أو تابعة. هكذا نجد: "سبب الوفاة المباشر immediate هو خمود أو انطفاء الروح ... وما فساد الأعضاء إلا السبب غير المباشر mediate ." (بيكون، ١٦٢٦)؛ "الإدراك إما مباشر أو غير مباشر ... غير مباشر mediate كما يحدث عندما ندرك كيف ترتبط (فكرتان) ببعضهما عن طريق مقارنتهما بثالثة (نورس Norris، ١٧٠٤)؛ "الحقيقة إما غير مباشرة mediate.... مستمدة من حقيقة أخرى ... أو مباشرة وأصيلة" (كوليردج، ١٨١٧).

هكذا كان هناك مركّب من المعانى يمتد من مصالحة إلى متوسط ثم إلى غير مباشر. ضمن هذا المركب أدرجت فى نظم تفكير حديثة معينة استعمالات محددة مختلفة، مبنية فى العادة على ترجمة للكلمة الألمانية Vermittung وسط، توسط/وساطة. كان معنى (١) المصالحة والتوفيق حاضراً بقوة فى الفلسفة المثالية Idealist: بين الله والإنسان، بين الروح والعالم، بين الفكرة Idea والشيء المدرك Object، بين الفاعل Subject والمفعول Object. فى معانى الكلمة المتطورة يمكن تمييز ثلاثة مراحل لهذه العملية: (أ) التوصل إلى نقطة مركزية بين متعارضين اثنين كما فى استعمالات سياسية كثيرة ؛ (ب) وصف تفاعل مفهومين

أو قوتين متعارضتين ضمن وحدة كاملة يفترض أنهما ينتميان إليهـا، أو بالفعـل ينتميان إليها، (ج) وصف مثل هذا التفاعل على أنه فى حد ذاته جوهرى له أشكاله الخاصة بحيث أنه ليس العملية الحيادية لتفاعل أشكال مستقلة ولكنه عملية فعالـة يحول فيها شكل التوسط الأشياء التى يتم التوسط بينها mediated، أو حسب طبيعة ذلك الشكل يبين خصائص تلك الأشياء.

استمر معنى mediation السياسى كمصالحة وتوفيق واضحاً، لكـن تعتمـد معظم الاستعمالات الفلسفية الحديثة على فكرة وسيط جوهرى بـدلا مـن وسـيط حيادى فقط أو ذرائعى instrumental. بالطبع تختلف كيفية تعريف ذلك. فى الفكر المثالى كانت الكيانات المستقلة ظاهرياً هى فعلياً أجزاء فى وحدة متكاملة؛ بالتـالى التوسط mediation بين تلك الكيانات يعمل حسب قوانين مشتركة. أكـد اسـتعمال آخر لوحدة متكاملة totality ، فى التراث الماركسي، تناقضات يتعذر التوفيق بينها ضمن ما هو، بالرغم من ذلك مجتمـع متكامـل total society: اكتسـبت عندئـذ mediation أحياناً المعنى الذى كان فعلاً موجوداً فى الإنجليزية - علاقـة غيـر مباشرة. لاتزال تستعمل غالباً بمعنى سلبى فى تضاد بين علاقات فعلية وأخـرى mediated غير مباشرة، حيث تكون mediation هى إحدى العمليات الأساسية ليس فقط للوعى ولكـن كـذلك للايـديولوجيا IDEOLOGY (أ م). يتوافـق اسـتعمال mediation هذا مع الاستعمال الحديث لكل من MEDIA وسائل (إعـلام) و MASS MEDIA (أ م) وسائل (إعلام) جماهيرية، حيث تعتبر وسائل اجتماعية معينة علـى أنها تتموضع بطريقة متعمدة بين الواقع والوعى الاجتماعى بغرض الحيلولـة دون إدراك الواقع. يوجد معنى مشابه لعدم المباشرة، الملتوى أو المضلل فـى بعـض فكر التحليل النفسي، حيـث يخضـع محتـوى لاشـعورى UNCONSCIOUS (ا م) للانتقال إلى العقل الواعى conscious mind. تعتمد هذه الاستعمالات على ثنائيـة مفترضة - واقع reality و وعـى consciousness ، و لا شـعور unconscious وشعور conscious - تتدخل mediation بين كل منهما إنما بطريقة غير مباشرة أو مضللة. لكن هناك أيضاً، بالإضافة إلى هذه الاستعمالات المعتمدة بشـكل رئيسـى على معنى (١) أعلاه، استعمالات أخرى تتبنى على معنى (ج). هذه الأخيرة الآن

هي، على الأرجح، الأكثر أهمية. ليست mediation هنا حيادية ولا هـي كـذلك "غير مباشرة" (بمعنى ملتو أو مضلل). إنها نشاط مباشر وضروري بـين أنـواع مختلفة من النشاط activity والوعي consciousness، لهـا دائماً أشكالها المحـددة الخاصة بها. هذا التمييز واضح في تعليق أدورنو Adorno: "mediation هي فـي الشيء ذاته، وليست شيئاً بين هـذا الشيء المدرك object وما يتحول إليه. لكـن ما تحتويه الاتصالات communications محصور كلية فـي العلاقـة بيـن المنتـج والمستهلك" (*Theses on the* Sociology *of Art*، ١٩٦٧). كـل الأشـياء، وفي هذا السياق بشكل ملحوظ الأعمال الفنية works of art، يتم التوسـط mediated فيها عن طريق علاقات اجتماعية محددة لا يمكن اختزالها إلى تجريد لتلك العلاقة؛ التوسط mediation إيجابي وإلى حد ما مستقل. يرتبط ذلك، ولو بطريقة خلافيـة، بالشكلانية FORMALISM (ا م) حيث الشكل (الذي قد يعتبر أو قد لا يعتبر توسـطاً mediation) يحل محل أسئلة العلاقات التي تقبـع علـى جانبيـه بـين منتجـين producers و مستهلكين consumers.

في الاستعمال الحالي، واضح جداً إذن تعقيد mediation. استعمالاتها الأكثر ذيوعاً لكن المتضاربة هي: (١) المعنى السياسي كفعل توسط intermediacy بهدف التوصل إلى مصالحة أو اتفاق؛ المعنى الثاني لنشاط يعبر عن علاقة، إما بطريقـة غير مباشرة أو ملتوية أو مضللة، بين حقائق وأفعال وخبرات experiences لولاها لبقيت مستقلة؛ (٣) المعنى الشكلاني لنشاط يجسد بطريقة مباشرة علاقات لايمكـن بطريقة سواها التعبير عنها. يمكن القول إن كل معنى من هذه المعاني لـه كلمـة أفضـل: (١) conciliation توفيـق، استرضـاء؛ (٢) إيـديولوجيا IDEOLOGY أو تسويغ RATIONALIZATION (ام م)؛ (٣) شكل form. لكن في التطور التـاريخي الفعلي لـ mediation كمفهوم أصبحت العلاقات بين هذه المعاني المتميزة موضوع بحث وجدل مطول، خاصة العلاقة بين (٢) و (٣). ترك التقصي والجدل المعقـد والطويل بصماته المتفاوتة على الكلمة التي، في استعمالاتها الأكثر عمقاً، تستعيد ولو أنها لا تستطيع حل الصعوبات الهامة و المتعذر تجنبها.

انظـــــــر: DIALECTIC ديالكتيـــك، EXPERIENCE خبـــــــرة، IDEALISM مثاليـــة، MEDIA وســـائل (إعــلام)، UNCONCIOUS لاشعور

قروسطى MEDIEVAl

استعملت medieval (فى الأصل كانت تهجيتها mediaeval) منذ أوائل ق١٩ للدلالة على فترة تقع بين (العالمين) القديـــم والحديـــث (ا م). ســـبقتها the middle Ages (أوائل ق ١٨) العصور الوسطى و Middle Age العصـــر الوســـيط (أوائل ق١٧)، وذلك فى اتباع للكلمتين المقابلتين فى لاتينيـــة ق١٥: media aetas و medium aevum. حدد أحد تعاريف منتصف ق ١٨ (حســـب دائـــرة معـــارف تشمبرز Chambers) تلك الفترة بالمدة بين حكم الإمبراطور قســـطنطين وســـقوط القسطنطينية. تطور التضاد بين القديم Ancient والحـــديث Modern فـــى عصـــر النهضة ودخل الإنجليزية بحلول أواخر ق١٦. أصبح منـــذ ق١٧ شـــكلا مألوفـــا لتحقيب التاريخ. فى فكر ق١٦ أدرجت بين القديم والحديث حقبة أخرى أو وسيطة لكن اعتمد ترسيخ تلك الحقبة الكامل على إعادة تقييم لفن وحياة العصور الوســـطى medieval، الذى تم بشكل رئيسى من أواخر ق ١٨ ثم بدرجة أكبر من أوائـــــــل ق ١٩ عندما أصبح هذا التعبير يستعمل كتضاد مفضل مقابل حديث modern (كما توجد بشكل خاص فى modern industrial صناعى حديث أو modern commercial تجارى حديث). عندئذ اتخذت Middle Ages عصور وســـطى تحديـــداً مرســـوماً بالحروف الاستهلالية الكبيرة وأصبحت medieval قروسطى (من medius، لاتينية: وسط، aevum، لاتينية: عصر) الصفة المعتـــادة. فـــى منتصـــف ق١٩ تبعتهـــا medievalism و medievalist، لكن دلت الكلمات الثلاث على أحـــــد المعنيـــين: (١) إشارة تاريخية إلى العصور الوسطى (٢) تأييد جوانـــب معينـــة مـــن حيـــاة العصور الوسطى أو دينها أو عمارتها أو فنها (كما هو بطرق متنوعة عند كوبـــت Cobbett، بوجن Pugin، رسكن Ruskin، وموريس Morris). و فى ردة فعل ضـــد

معنى (٢) اكتسبت medieval من منتصف ق١٩ معنى سلبيا واضحا يمكن مقارنته بمعنى primitive بدائى السلبى أو بمعنى antiquated مهجور. رغم أن الجدل مستمر حول تحديد دقيق للعصور الوسطى التى تمت تجزئتها بطرق متعددة إلا أن المعنى التاريخى هو السائد الآن.

انظر: MODERN حديث

حديث/جديد MODERN

دخلت modern الإنجليزية من (س م) moderne، فرنسية، modernus، لاتينية متأخرة، من (س ب) modo، لاتينية: توّا. كانت استعمالاتها المبكرة أقرب إلى contemporary معاصر بمعنى " يحصل الآن، حالاً". (بشكل رئيسى استعملت contemporary أو معادلتها، حتى منتصف ق ١٩، co-temporary ، كما هى لا تزال تستعمل غالباً، لتعنى "من نفس الفترة" بما فى ذلك فترات من الماضي، بدلاً من "وقتنا الحالي"). ترسخ تضاد تقليدى بين قديم ancient وحديث modern قبل عصر النهضة ؛ بدأ تحديد فترة وسيطة middle أو MEDIEVAL قروسطى (ا م) من ق١٥. كانت modern بهذا المعنى التاريخى والمقارن شائعة منذ أواخر ق ١٦. تبعتها modernism و modernist و modernity، فى ق١٧ و ق ١٨؛ كانت معظم استعمالات ما قبل ق ١٩ سلبية عندما كان الغرض المقارنة. كان للكلمة modernize، يحدّث، التى ترجع إلى ق ١٨، إشارة خاصة مبكرة إلى المبانى (والبول Walpole، ١٧٤٨: "بقية المنزل تم تحديثه modernized كلية"؛ والتهجية (فيلدنج Fielding، ١٧٥٢: " أتجرأ على التجاوز من أجل تحديث modernize اللغة)؛ والموضات فى الملابس والسلوك (ريشاردسون Richardson، ١٧٥٣: "تردد حتى لا يحدّث modernize ولو قليلاً"). يمكن من هذه الأمثلة ملاحظة استمرار وجود معنى واضح لنوع من التغيير الذى يتطلب تبريراً.

استمر المعنى السلبى لـــ modern، والكلمات المرتبطة بها، لكن خـــلال ق ١٩ وبشكل أوضح فى ق ٢٠ كان هناك تحرك قوى إلى الجهـــة الأخـــرى حيـــث أصبحت modern معادلة تقريبا لكل من IMPROVED محسّن (ا م) أو satisfactory مرض أو efficient فعال. أصبحت modernism حداثة و حداثى modernist أكثـــر تحديدا وانحصرتا فى اتجاهات معينة، خاصة فى الكتابة وفى الفن التجريبـــى فـــى الفترة من ١٨٩٠-١٩٤٠ تقريباً، وسمح ذلك بتمييز لاحق بين modernist حداثى وحديث modern (التى تدل على الجدّة). أصبحت modernize يحدّث، التـــى قـــد شاعت بحلول منتصف ق١٩ (قارن قـــول ثـــاكرى Thackary (١٨٦٠): "هـــدف البارود والطباعة إلى تحديث modernize العالم") وmodernization تحـــديث (التـــى كانت تستعمل بشكل رئيسى فى ق١٨ للمبانى والتهجية) باضطراد شائعة فى نقاش ق٢٠. بالنسبة للمؤسســـات INSTITUTIONS (ا م) أو الصـــناعة INDUSTRY (ا م) تستعمل الكلمتان للدلالة على شيء محبذ أو إيجابي. كشعار لنـــوع معـــين مـــن التغيير تتطلب الكلمتان تدقيقاً. من الممكن فى الغالب تمييز modernizing فى طور التحديث وتحديث modernization عن حديث modern؛ على الأقل الآن التعبيـــران الأوليان (كما فى برامج فعلية كثيرة مماثلة) يدلان على بعض التغيير أو التحســـين لما يزال فى الأساس مؤسسة أو نظاماً قديماً. بالتالى لايمكن أن تكون modernized democracy ديمقراطية محدّثـــة بالضـــرورة معادلـــة لـــــ modern democracy ديمقراطية حديثة.

انظـــر: IMPROVE يحســـن، PROGRESSIVE تقـــدمي، TRADITION تراث

احتكار MONOPOLY

قد تكون monopoly صعبة لأن لها معنى حرفياً شائعاً ومعنى آخـــر أكثـــر نيوعاً نسبياً وله أهمية تاريخيـــة. دخلـــت الإنجليزيـــة فـــى ق ١٦ مـــن (س م) monopolium، لاتينية متـــأخرة، monopolion، يونانيـــة، مـــن (س ب) monos،

يونانية، وحيد، فقط، مفرد و polein، يونانية: يبيع. يبرز معنيان من الأمثلة الإنجليزية المبكرة : (١) الملكية الحصرية للتجارة فى صنف ما؛ (٢) الامتياز الممنوح بترخيص لبيع سلعة ما. هكذا نجد حسب معنى (١):

> "من لا يعلم أن احتكار Monopoly هو عندما يشترى شخص سلعة بكميات كبيرة ويضعها تحت سيطرته ولا يمكن لشخص آخر المتاجرة بالسلعة ذاتها إلا عن طريقه" (١٦٠٦)؛
>
> "الاحتكار نوع من التجارة، فى البيع والشراء والمبادلة أو المقايضة، مغتصب من قبل قلة وأحياناً ليس إلا فرد واحد ويتم صد كل الآخرين" (١٦٢٢).
>
> وحسب معنى (٢):"الاحتكار... رخصة بعدم أحقية بيع أو شراء شيء إلا من قبل شخص واحد فقط" (١٦٠٤) ؛"احتكارات الصابون، الملح، الجلود، الفحم، ... "(١٦٤١).
>
> كان هذا الاحتكار المرخص أو هذا الامتياز مهماً بشكل خاص فى أوائل ق ١٧. مع ذلك فالمعنى الرئيسى الذى برز هو معنى (٢).

تبرز الصعوبة عندما يكون هناك إصرار على المعنى الحرفى - البيع الحصرى المفرد، الذى له أساس تاريخي ويمكن أن يكون حقيقة معاصرة - مقابل استعمالات احتكار للدلالة على سيطرة فعلية على السوق. يبين المثال من عام ١٦٢٢ أن الكلمة استعملت للتملك من قبل "قلة" بالإضافة إلى "شخص واحد"، وهناك مثال أسبق من منتصف ق ١٦ (من ترجمة كتاب ***Utopia*** لمور) يسند ذلك:

> "لا نترك هؤلاء الأغنياء يشترون كل شيء، يكدسون ويسيطرون وعن طريق احتكارهم يتحكمون فى السوق كما يرغبون".

بوضوح هذا وصف لنشاط طبقة وليس فردا. بهـذا المعنـى يمكـن ادراك الاستعمال المحير فى العبارة الحديثة **monopoly capitalism** رأسـمالية احتكاريـة التى صارت رائجة فـى أوائـل ق ٢٠ لوصـف مرحلـة مـن الرأسـمالية **CAPITALISM** (ا م) كان فيها السوق إما (أ) منظما مـن قبـل كـارتيلات **cartels** ومثيلاتها أو (ب) مسيطراً عليه من قبل مؤسسات كبـرى **corporations**. يمكـن انتقاد أى من هذين الاستعمالين من قبل من يعتمد المعنى الحرفى لـــ **monopoly** الذى يشير إلى أن المؤسسات الكبرى، سواء باتفاقات كارتيل رسمية أو بدونها، لا تتنافس فى البيع: أى أن هناك بائعاً واحداً فقط. بما أن هذا بوضوح غير صـحيح وحيث أن هناك احتكارات محددة فى صناعات ومؤسسات المنفعة العامة (خاصـة المؤسسات) التابعة للدولة فإن مصطلح رأسمالية احتكارية يبدو فضفاضـاً. تـتهم عندئذ اتحادات العمال بكونها احتكارات تتحكم فى شروط واتفاقات بيـع العمـل. لكن النطاق كان تاريخياً واسعاً. يمكن بطريقة مقبولة تطبيق مثال منتصـف ق١٦ من كتاب ***Utopia*** على الوضع الـذى يسـميه الإشـتراكيون **capitalist monopoly** احتكار رأسمالي.

انظـــــر: **CAPITALISM** رأسمالية

أسطورة MYTH

دخلت **myth** الإنجليزية فى أواخر ق ١٩ رغم أن صيغة **mythos** (ق١٨) قد سبقتها – من (س م) **mythos**، لاتينية متأخرة، **mythos**، يونانية: خرافة، قصـة أو حكاية؛ تضادت فيما بعد مع **logos** و **historia** بمعنى "ما لم يكن ممكنا فعليا وجوده أو حدوثه". سبقت بشكل واسع كلا من **myth** و **mythos** فى الإنجليزيـة الكلمـة **mythology** (من ق١٥) والكلمات المشتقة منها (من أوائـل ق ١٧) **mythological**، **mythologize**، **mythologist** و **mythologian**. كل هذه كانت لهـا صـلة بالسـرد الخرافـــى **"fabulous narration"** (١٦٠٩)، لكـــن اســـتعملت **mythology** و**mythologizing** فى الغالب بمعنى تفسير وتعليق على الحكايات الخرافية. لـــدينا

mythological interpretation من ١٦١٤، وهناك عنوان كتاب لســانديز Sandys من ١٦٣٤ بنفس المعنى:

Ovid's Metamorphosis Englished,Mythologiz'd and Represented in Figures.

يمكن ملاحظة اتجاهين للكلمة فى أوائل ق ١٩. استعمل كــوليردج mythos بمعنى صار شائعاً: بنية خيالية معينة (حبكة بالمعنى الأوسع). فى الوقت ذاته (فى ١٨٣٠) كتبت الدورية العقلانية *Westminster Review*، فيما قد يكــون الاســتعمال الأول للكلمة، عن "أصل الأساطير myths" والبحث عن "أثرها فى ملابسات التاريخ الخرافي".

كل هذه الإشارات كانت استعادية وتناوبت myth مع fable خرافة وتميــزت عن legend رواية التي، رغم أنها قد تكون غير موثوقة، فإن لها صلة بالتــاريخ، وتميزت كذلك عن allegory القصة الرمزية ، التى قد تكون خرافية لكن فيها دلالة على شيء من الواقع. مع ذلك من منتصــف ق ١٩ أصــبح شــائعا الاســتعمال المختصر myth الذى يدل ليس فقط على إبداع invention خرافى وإنما أيضاً علــى إبداع غير موثوق أو حتى مضلل عمداً واستمر ذلك بشكل واسع.

من ناحية أخرى، اكتسبت myth فى تراث بديل معنى جديــداً إيجابيــاً فــى سياق جديد. قبل ق ١٩ رُفضت الأساطير myths لأنها مجرد خرافات (فى الغالب اعتبرت خرافات وثنية أو همجية) أو عوملت كقصص رمزية أو ذكريات مشوشة عن البدايات أو ما قبل التاريخ. لكن اتضحت الآن عدة مقاربات فكريــة جديــدة. أقيمت علاقات بين الأساطير و "داء اللغة" (Muller) حيث أدى اختلاط الأسماء إلى تشخيصات؛ وبين الأساطير و مرحلة أرواحية فى الحضــارة البشــرية (Lang)؛ وبينها وبين طقوس محددة أتاحت الأســاطير التعــرف عليهــا (فريــزر Frazer وهاريسون Harrison؛ يرجع الربط الشائع بين myth و ritual طقس إلــى بحــوث هذين المؤلفين من أواخر ق ١٩ وأوائل ق ٢٠). مع تطور الأنثروبولوجيا تطور بوضوح كل من المعنى الأخير كوصف للطقوس ومعنى آخر حيــث أســطورة ،

بصفتها كشفا للأصول ، كانت صيغة فعالة فى التنظيم الاجتماعي. من كل من الصيغتين (اللتين استمرتا بأشكال مختلفة فى التجاذب بينهما بالإضافة إلى مقاومة جهود عقلنة RATIONALIZE (ا م) الأساطير عن طريق إما دحضها أو إبراز أسبابها أو أصولها (الأخرى) الحقيقية) تطورت مجموعة من الاستعمالات الإيجابية الشائعة. اعتبرت الأسطورة myth صيغة واقع أصدق (أعمق) من التاريخ (العلماني) أو الوصف الواقعى أو الشرح العلمي. تمتد هذه النظرة لتشمل اللاعقلانية الساذجة وفق الطبيعة (غالبا بعد ظهور المسيحية) والدراسات الأكثر تعقيدا حيث تعتبر الأساطير تعبيرات جوهرية لخصائص معينة للعقل البشرى بل وحتى للنظام الذهنى أو السيكولوجى الأساسي. هذه "التعبيرات" خالدة timeless (دائمة) أو جوهرية لفترات أو ثقافات معينة. قامت محاولات مقاربة لذلك بإدماج هذه الوظيفة الأسطورية بالوظائف الإبداعية CREATIVE العامة للفن والأدب أو، حسب إحدى المدارس، إدماج الفن والأدب فى هذه النظرة للأسطورة. الجدل الداخلى والخارجى الناجم معقد بشكل فائق، والآن أسطورة myth كلمة هامة جداً لكن أيضاً صعبة جداً. لم تدخل الكلمة اللغة الإنجليزية إلا فى المائة وخمسين سنة الماضية، فى فترة انحلال الدين الرسمى (الأرثودوكسي)، واستعملت سلبيا كمقابل للحقيقة والتاريخ HISTORY (ا م) والعلم SCIENCE (ا م)؛ أصبحت متشابكة مع المعانى الحديثة الصعبة لتخيل imagination، creative خلاق و fiction خيال؛ استعملت لتوضيح وتحليل "الطبيعة البشرية" بمعنى ما بعد مسيحى واضح (رغم أنه تم استيعاب أسلوب مدارس مختلفة تستعمل أسطورة بهذا المعنى فى إعادة صياغة ودفاع مسيحي). فى الوقت نفسه و خارج هذا الإطار من الأفكار، للكلمة المعنى العام الصريح لاعتقاد أو سرد زائف (اللذين غالباً ما يكونا متعمدين).

انظر: CREATIVE خلاق/إبداعي، FICTION خيال/رواية، HISTORY تاريخ، IMAGE صورة، RATIONAL عقلانى

قومي/وطنى NATIONALIST

كانت كلمة nation (من س م nation، فرنسية، nationem، لاتينية: ذرية، عرق، جنس) شائعة الاستعمال فى الإنجليزية منذ أواخر ق ١٣، فى الأصل ضمن المعنى الرئيسى لمجموعة عرقية بدلاً من تجمع منظم سياسياً. بما أن هناك تداخلاً واضحاً بين هذين المعنيين فإنه ليس من السهل تأريخ بروز المعنى السياسى الحديث السائد لـ "تشكيل سياسي". استمر بالفعل التداخل بالنسبة لتشكيلات من هذا النوع وأدى من جانب إلى تعريفات محددة لـ"الدولة - الأمة nation-state"، ومن الجانب الآخر إلى نقاش معقد يدور حول nationalist قومى و nationalism قومية. كانت الاستعمالات السياسية الصريحة واضحة من ق ١٦ وصارت شائعة من أواخر ق١٧ رغم أن realm، kingdom مملكة و country بلد استمرت شائعة حتى أواخر ق ١٨. كان هناك من أوائل ق ١٧ استعمال لـ the nation الأمة يدل على شعب بلد بأكمله، عادة فى تضاد، كما هو الوضع فى الجدل السياسي، مع مجموعة أقلية ضمن هذا البلد. استعملت الصفة national قومي (كما هو الآن فى national interest مصلحة قومية) بهذا المعنى التوحيدى المقنع منذ ق ١٧. الاسم المشتق national مواطن، السياسى بوضوح، أكثر حداثة ولا زال يتناوب مع الاسم الأقدم subject تابع، فرد من الرعية. اكتسبت nationality جنسية، التى استعملت بمعنى عام من أواخر ق ١٧، معناها السياسى الحديث فى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩.

ظهرت nationalist قومى في أوائل ق ١٨ و nationalism قومية فى أوائل ق ١٩. وصار كل منهما شائعاً من منتصف ق ١٩. كان التداخل المستمر بين مجموعة وتشكيل سياسى مهماً، حيث أن المطالبة بـ nation أمة و أن تكون لها حقوق قومية national، التى عادة ما انطوت على تكوين nation بالمعنى السياسي، قد تكون ضد إرادة أمة سياسية قائمة تضم هذا التجمع و تصر على ولائه. يمكن القول - وهذا ما يكرره معارضو nationalism قومية - إن أساس ادعاءات التجمع عرقية RACIAL (ا م). (كانت race عنصر/عرق، ذات الأصل

غير المحدد، في التداول بمعنى أصــل مشترك من ق ١٦. ترجع الصــفة racial إلى ق ١٩. في معظم استعمالات ق ١٦ كانت racial إيجابية واستحسانية، لكــن بدأت في نفس الفترة تصبح نظريات العــرق race الاعتباطيــة و المميــزة أكثــر وضوحاً وعزيت السمات القومية national إلى فروق جذرية يفتــرض أن تكــون "علمية scientific". تأثرت في النهاية racial عنصرى بالنقد الموجه ضد هذا النوع من التفكير واكتسبت معانى سلبية بعضها محدد والآخر فضفاض. كــان غــرض صيغة racialism عنصرية، من ق ٢٠، وصف - وفى العادة نقد - هذه التمييزات و الفروق الواضحة.) كذلك قيل أن تلك المطالبة كانت أنانية، كونها ضد مصــالح الأمة (المجموعة السياسية الكبرى القائمة). في الواقع، ونحن نضع فى الاعتبــار انتشار الاستيلاء والهيمنة، نلاحظ أن الحركات القومية nationalist تأسســت إمــا بناء على تجمع ســــياسى قائم لكن تابع و إما على مجموعة تتميز بلغــة خاصة و إما على جماعة يفترض أن عرقها واحد. القومية nationalism هــى حركــة سياسية فى الــــدول الخاضعة التى شملت عدة أعــراق "races" و لغــات (مثــل الهند) أو فى الــــدول و الأقاليم أو المناطق التابعة حيث التمييز يكون بناء علــى لغة خاصــــة أو دين مختلف أو أصل عرقى مفترض. فى الواقع هناك صــعوبة فى استعمال الكلمتين nationalism و nationalist مشابهة لاستعمال NATIVE (ا م). لكن تحجب تلك الصعوبة عن طريق عــزل national feeling الشــعور الــوطنى (حسن) عن الشعور القومى nationalist feeling (سيء إذا كان يصدر من بلد أخر معاد لبلدنا)، أو عن طريق فرز national interest المصلحة الوطنية (حسن) عــن nationalism (المصلحة القومية المعلنة لمجموعة أخــرى). ازداد هــذا التعقيــد بــالتمييز بــين قوميــة nationalism (الســعى الأنــانى لأمــة ضــد الآخــرين) و internationalism (التعاون بين الأمم). لكن الأممية التى تشير إلى علاقات بــين أمم - دول ليست فى تعارض مع nationalism قومية فى سياق مجموعة سياســية تابعة تسعى إلى إحراز هوية مميزة لها؛ إنها فقط تنــاقض السياســات الأنانيــة و التنافسية بين الدول السياسية القائمة.

دخلت nationalize يؤمم و تأميم nationalization فى أوائل ق ١٩ للتعبير عن عمليات تكوين الأمة أو جعل أمر ما قومياً بشكل متميز. برز المعنى الاقتصادى الحديث فى منتصف ق ١٩ ولم يكن شائعا قبل أواخر ق ١٩، فى البداية بشكل رئيسى فى مجال التأميم المقترح للأرض. فى مسار الجدل السياسي، اكتسبت كل كلمة نبرة محددة بحيث أنه يمكن القول دونما صعوبة واضحة بأنه قد يكون أو قد لا يكون فى المصلحة العامة أن نقوم بالتأميم.

انظر: ETHNIC اثنى، FOLK فولك/شعب،
NATIVE وطنى/محلى، RACIAL عنصرى/عرقى،
REGIONAL إقليمى، STATUS منزلة/حالة

محلى NATIVE

كلمة native هى إحدى الكلمات اللافتة التى تحتفظ بانسجام جوهرى فى المعنى لكنها فى الوقت نفسه تستعمل أيضاً فى بعض السياقات بطرق تنتج معانى ونبرات مختلفة جذرياً بل حتى متناقضة. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية كصفة من ق ١٤ وكاسم من ق ١٥، من (س م) natif، فرنسية، التى أخذت فى وقت أسبق صيغة naif (وهذه مصدر الكلمة الإنجليزية naive، ساذج، بمعنى طبيعى و بسيط)، من nativus، لاتينية: صفة تعنى فطري/خلقى أو متأصل و nativus، لاتينية قروسطية: اسم مصاغ من نفس الكلمة. كان الجذر اسم المفعول الماضى لـ nasci، لاتينية: على وشك الولادة.

كانت معظم استعمالات native الأولى كصفة من نوع مازال يمكننا التعرف عليه: فطري، طبيعى أو عن مسقط الرأس (قارن nation أمة المقاربة). كان المعنى السياسى والاجتماعى الإيجابي، كما فى native land أرض الميلاد و native country البلد الأصلي، واضحاً من ق ١٦ فما بعد. لكن أنتج الاستيلاء والهيمنة السياسية المعنى الآخر السلبى للكلمة فى كل من الصيغتين الاسم

والصفة، حيث كانت عموماً معادلة لقن bondman أو خسيس villein، ولد في الرق. و رغم أن هذا المعنى الاجتماعى المحدد أصبح مهجوراً إلا أنه أصبح شائعاً استعمال سلبى للكلمة لوصف السكان الوضعاء لمكان يخضع لغزو أو سلطة سياسية أجنبية، أو لمكان تتم زيارته وملاحظته من نقطة استشراف أسمى مفترضة.

كانت بشكل خاص شائعة كتعبير لغير الأوربيين في فترة الاستعمار والإمبريالية، لكن استعملت أيضا لسكان دول و مناطق مختلفة فى بريطانيا وأمريكا الشمالية و(بمعنى مرادف إلى حد ما للاستعمال الازدرائى لـ locals محليين) لسكان مكان استقر فيه شخص ذو نفوذ. لكن طيلة هذا الوقت و بموازاة هذا الاستعمال بقيت native كلمة إيجابية جدا عندما يستخدمها المرء لوصف نفسه أو موطنه.

لا يزال يمكن العثور على الاستعمال السلبي، خاصة لـ "غير الأوربيين" حتى فى كتابات ترفض ظاهرياً مضامين الكلمة الأيديولوجية. أدت الكلمة Indigenous بلدي/ فطرى دور تعبير مؤدب واعتبرت أكثر حيادية. فى الإنجليزية يصعب استعمال هذه الكلمة البديلة بمعنى تحويل الآخرين إلى وضعاء (التعبير بالإنجليزية to go indigenous التصرف مثل المحليين أصعب فى القبول من to go native). لكن فى الفرنسية مرت indige'nes بنفس التطور مثل الإنجليزية natives وتستبدل الآن فى الغالب بـ autochthones أهل البلد الأصليين.

انظر: DIALECTIC ديالكتيكى/جدلى، ETHNIC إثنى، NATION أمة، PEASANT فلاح، RACIAL عنصرى، REGIONAL إقليمى/جهوى

طبيعية NATURALISM

بشكل رئيسى حالياً الكلمة naturalism هى مصطلح نقدى فى الأدب أو الفن، لكنها أكثر تعقيداً، كما يبين تاريخها، مما يدرك عادة الآن. ظهرت الكلمة في الإنجليزية للمرة الأولى من أوائل ق ١٧ كمصطلح فى الجدل الديني والفلسفي. سبقتها naturalist طبيعي فى نفس السياق، من أواخر ق ١٦. حملت naturalism معنى معينا للطبيعة NATURE (ا م) حيث كان هناك تضاد مع إله أو روح. لدراسة الأسباب الطبيعية natural causes للأحداث أو لشرح أو تبرير الأخلاق بناء على الطبيعة nature أو الطبيعة البشرية human nature، كان على المرء أن يكون طبيعياً naturalist وأن يعرض تبنى الطبيعية naturalism، رغم أنه يبدو أن الذى صاغ المصطلحات ذاتها هم مناوئو هذا المنهج. أمثلة على ذلك: "هؤلاء المجدفون الزنادقة المعارضون للحقيقة و الطبيعيون الملاحدة Atheisticall naturalists" (١٦١٢) ؛ "ملاحدة أو رجال لا يؤمنون إلا بالأخلاق Morality أو الطبيعية Naturalism والعقل البشري" (١٦٤١). بهذا المعنى الأصلى لطبيعية كان المضاد الضمنى هو supernaturalism فوق الطبيعية، و استمر هذا صحيحاً، لكن مع مصطلحات بديلة أكثر تداولاً فى الجدل المتعلق بالأخلاق و الفضيلة. لكن كان هناك معنى دراسة الطبيعة الفيزيائية، ورغم أنه تداخل في بعض الأحيان ولأسباب جلية مع المعنى الأخلاقى فإنه برز مستقلاً. كانت naturalist طبيعي اسم شائع فى ق ١٧ للفيلسوف الطبيعى natural philosopher أو كما يجب تسميته الآن عالم SCIENTIST (ا م): فى الواقع من نسميهم الآن فيزيائيين أو بيولوجيين. كانت هذه هى المعانى السائدة لطبيعية وطبيعى (إما (١) معارضة فوق طبيعية supernaturalism أو (٢) دراسة التاريخ الطبيعى الذى هو الآن بشكل رئيسى علم الأحياء).

بالنسبة للفن والأدب كانت تطورات الكلمة أكثر تعقيداً. كان هناك أولا تأثير أحد معانى natural طبيعي، كما فى " أسلوب كتابة بسيط وطبيعي" (منتصف ق ١٨). بوضوح أثر هذا فى أحد الاستعمالات الأولى الجديدة:

"أول مثال بارز للطبيعية naturalism دونما ريب فى كل الشعر الإيطالي" (Rosetti، ١٨٥٠). ثم ثانياً، كان هناك تأثير معنى "تاريخ طبيعي" بصفته المميزة بالملاحظة المفصلة والدقيقة: "كان فيلدنج a naturalist بمعنى أنه كان مراقباً غريزياً دقيقاً". يتبقى كلا المعنيين، خاصة الثاني، فى مصطلح ق ٢٠ المتطور. لكن الذى أهمل عادة فى تاريخ و نقاش الكلمة النقدى هو التأثير الثالث: طبيعية فى المفهوم العلمى والفلسفى العام الذى تأثر هو نفسه بالتطورات الجديدة و الخلافية فى الجيولوجيا والبيولوجيا و خصوصاً نظرية داروين للانتقاء الطبيعى فى النشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م). بشكل خاص تأثرت المدرسة الطبيعية فى فرنسا، كما هو لدى زولا، بفكرة تطبيق المنهج العلمى فى الأدب : خاصة دراسة الوراثة فى قصة العائلة، لكن أيضاً، بشكل أعم، بمفهوم وصف و شرح السلوك البشرى بمصطلحات طبيعية صارمة، مستثنية فرضية سلطة متحكمة و موجِّهة خارج الطبيعة البشرية. كانت هذه الطبيعية أساساً لنوع جديد من الكتابة، وتمت مناقشة الموقف الفلسفى بلغة مباشرة: قارن سترندبيرج: "محا الطبيعى naturalist الشعور بالذنب بإلغائه الإله"؛ "يجب إعتراض الطبيعيين ... على أحكام المؤلفين المتسرعة على الأشخاص، فالطبيعيون هم الذين يعرفون ثراء المركب الروحى soul-complex ويدركون أن "رذيلة" و "فضيلة" ما هما إلا وجهان لنفس العملة" (مقدمة السيدة جولي، ١٨٨٨). مُنح اهتمام جديد لبيئة environment الشخصيات والأحداث. (كانت environment فى معناها الخاص و الرئيسى الآن للظروف، بما فيها الظروف الفيزيائية التى يعيش و ينمو فى كنفها الإنسان والكائنات، تطوراً مصاحباً لطبيعية من أوائل ق١٩، وذلك من معنى محيط surroundings العام الأسبق). اعتبرت الشخصية والحدث متأثرة أو محددة بالبيئة التى توجب، خاصة فى مفهوم اجتماعى أو فيزيائي-اجتماعي، وصفها بعد ذلك بدقة كعنصر أساسى لأى تصوير للحياة. ارتبط هذا بمعنى الملاحظة الدقيقة والمفصلة، من التاريخ الطبيعي، لكن لم تكن (كما افترض لاحقاً) وصفاً مفصلاً لغرض الوصف أو اتباعاً أميناً لتقليد؛ بالأحرى، اعتمد ذلك على المعنى الجديد والطبيعى naturalist الملائم للتأثير المحدد أو الحاسم أو الفعال للبيئة على الحياة (ضمن التفاوت بين المحدد

determining والفعال influential يمكن إدراك كثير من التطورات اللاحقة). كذلك كان هناك استعمالان متخصصان. أولاً، عنت naturalism ضمنياً تقصّياً لعناصر البيئة الاجتماعية التي كانت حتى ذلك الحين، وعلى الخصوص في الفترة السابقة مباشرة، مستثناة من الأدب؛ هذا يفسر الإجابة المسجلة في *Daily News* في ١٨٨١: "ذلك الوصف الدقيق دونما ضرورة لأحداث مهينة الذي وجد له السيد زولا الاسم الجديد Naturalism". هذا وصف كاريكاتوري لكنه دال على هذه النظرة. ثانياً، كان هناك استعمال خاص لصيغة من "الانتخاب الطبيعي natural selection"، كما هي في الداروينية الاجتماعية، يرتبط بالصراع و الخلاف في العلاقات الإنسانية: "الطبيعية الحقيقية هي التي تبحث عن تلك النقاط في الحياة حيث توجد النزاعات العظيمة" (سترندبيرج، مقدمة السيدة جولي، ١٨٨١). من كل من هذه الاتجاهات و كذلك من نكران فوق الطبيعية الأسبق و الأكثر تشدداً، كانت هناك ردة فعل محافظة استمرت، لكن بطريقة ضمنية، في التأثير على الاستعمالات النقدية للطبيعية كمصطلح.

مع ذلك، تضافرت هذه الاستعمالات مع معنى الملاحظة المفصلة و الدقيقة التي نجمت من الطبيعية البيولوجية ومن المعنى الأسبق لطبيعي natural. كان هناك تفاعل معقد و غالباً مشوش بين طبيعية وواقعية REALISM (ا م). بشكل خاص في الرسم، استعملت طبيعية و الكلمة الجديدة، من وسط ق ١٩، naturalistic طبيعي ليس لوصف الملاحظة الدقيقة فحسب وإنما أيضا لـ "إعادة إنتاج reproduction" الأشياء الطبيعية بالتفصيل: "مدرستنا الجديدة من رسامي مناظر طبيعيين naturalistic landscape painters". التعقيد الفعلي هو أنه، لاحقاً، اكتشفت دراسات إضافية للطبيعة والطبيعة البشرية، في ما كان لا يزال حسب المعنى الأسبق تعبيرات طبيعية naturalist، عمليات ونتائج إما لم تكن قابلة للملاحظة النظرية أو متعذرة الوصف في مظاهر خارجية جامدة. الأشخاص الذين تحمسوا في الماضي لـ naturalism وجدوا أسماء بديلة لعملياتها و مناهجها، و انحصرت الكلمة باضطراد على أسلوب وصف خارجي دقيق. هذا هو ما يعنيه المصطلح الآن بشكل رئيسي، لكن بسبب التحديد تم تجاوز جوانب حاسمة من

النقاش الأصلي. إحـــدى النتائج هى أن صيغاً متعـددة مثاليـة IDEALIST (ا م) وفـــوق طبيعية للطبيعة والإنسان استمدت دعماً ظــاهراً (ومشوشــاً) مـــن الأساليب الفنية (Impressionism انطباعية، expressionism تعبيريـــة ومثيلاتهمـــا) التي، بنظرة أشمل، يمكن اعتبارها استمراراً، غالباً بشكل مباشر وواضح، للنزعـة الطبيعية naturalist الأصلية. فى نفس الوقت كان هناك تفاعـل بـين الطبيعيـة و الإمبيريقية EMPIRICISM (ا م) و المادية MATERIALISM (ا م) حيث كان النقـاش الحاسم المتعلق بمعنى naturalism (بمساعدة من المناهج البيئية environmental فى الوصف و الشرح) عن العلاقة بـين الفاعـل SUBJECT (ا م) والأشــياء objects المراقبة (سواء كانت natural أو naturalistic).

بهذا التعقيد فى تاريخها فإن طبيعية naturalism كلمة أصعب كثيراً مما يبدو من استعمالاتها الحالي.

انظـــــر: ECOLOGY علـم البيئـة، EMPIRICAL إمبيريقـــي، MATERIALISM ماديـــة، NATURE طبيعـــة، POSITIVIST وضعي، REALISM واقعية

الطبيعـــة NATURE

ربما تكون nature أصعب كلمة فى اللغة الإنجليزية. من الســهل نســبياً تمييز ثلاثة مجالات للمعنى: (١) الميزة والخاصية الأساسية لشيء ما؛ (٢) القــوة المتأصلة التى تسير العالم أو البشر أو كليهما؛ (٣) العالم المادي، سواء شمل ذلـك البشر أم لم يشملهم. لكن واضح أن المعانى الدقيقة ضمن كل من (٢) و (٣) متقلبة وفى بعض الأحيان متعارضة، وذلك رغم أن مجال المرجعية جلى بشــكل عــام. التطور التاريخى للكلمة عبر هذه المعانى الثلاثة مهم، لكنه مهم أيضاً أن المعــانى الثلاثة كلها، بالإضافة إلى التنويعات والبدائل الرئيسية ضمن الإثنين الأكثر تعقيــدا فيهاً، لاتزال فعالة ومنتشرة فى التداول المعاصر.

يرجع أصل nature إلى (س م) nature، فرنسية قديمة و natura، لاتينيـة، من جذر فى اسم المفعول الماضى لـ nasci، لاتينية: يولد (التى اشتقت منها أيضاً nation أمة، native محلي، innate متأصل، الخ). كان معناها الأول، كما هو فى الفرنسية القديمة والأصل اللاتيني، هو معنى (١): الميـزة والخاصـية الأساسـية لشيء ما. هكذا nature هى واحدة من عدة كلمات مهمـة، مـن ضـمنها culture ثقافة، بدأت كأوصاف لميزة أو عملية، مُعرّفة مباشرة بمرجعيـة محـددة، لكنهـا أصبحت فيما بعد أسماء مستقلة. العبارة اللاتينية الملائمة لهذه المعانى المتطـورة هى natura rerum – طبيعية الأشياء، التى اختصرت فـى بعـض الاسـتعمالات اللاتينية إلى natura: تكوين أو قوام العالم. فى الإنجليزية برز معنى (١) منـذ ق ١٣، معنى (٢) منذ ق ١٤ ومعنى (٣) منذ ق ١٧، رغم أنه كان هناك اسـتمرار أساسى من ق ١٦ الذى بدأ فيه أيضاً تداخل كبير بيـن معنـى (٢) و (٣). فـى العادة ليس من الصعب تمييز معنى (١) عن الآخرين وفى الواقع هذا غالباً ما يتم بحكم العادة وفعلياً لاتتم ملاحظته عند القراءة.

"فى حالة الطبيعة الفجة rude nature لا وجود لشيء يمكن وصفه بشـعب people ... فكرة شعب ... مختلقه تماماً؛ صيغت، مثل كـل الاختلاقـات fiction القانونية الأخرى، عن طريق الاتفاق المشترك. تستنتج الطبيعـة nature المعينـة لذلك الاتفاق من الشكل الذى تقولب فيه ذلك المجتمع."

هنا عند بيرك Burke مشكلة بالنسبة للاستعمال الأول لـ nature لكـن لا إشكال بالنسبة للثانى (المعنى (١))، بل تكاد لا تكون نفس الكلمة. مع ذلـك، فـى بعض الأحيان لا بد من جعل الصلات والتمييزات بين المعانى الثلاثـة واضـحة. على سبيل المثال، يمكن أن تشتمل العبارة الشـائعة "الطبيعـة البشـرية" human nature (دون تمييز ذلك بوضوح) أيا من المعانى الثلاثة الرئيسـية بـل وكـذلك تنويعاتها وبدائلها الرئيسية. هناك استعمال حيادى نسبياً لمعنـى (١): إنهـا ميـزة وخاصية أساسية للبشر لعمل شيء ما (رغم أن هذا الشيء المحدد قد يكون بالطبع مدار خلاف). لكن فى كثير مـن الاستعمالات الصيغة الوصـفية (التـى يمكـن

بالتالى تأكيد صحتها أو دحضها) لمعنى (١) هى أقل بروزاً من العبارة المختلفة تماماً التى تعتمد على معنى (٢)، القوة المتأصلة المسيِرة، أو أحد المعانى المتفرعة من معنى (٣)، خاصية راسخة للعالم المادي، الذى هو فى هذه الحالة "الإنسان الطبيعى natural man".

ما يجب ملاحظته فى العلاقة بين معنى (١) ومعنيى (٢) و (٣) هو بشكل عام أن معنى (١)، حسب التعريف، مفرد محدد: طبيعة the nature of شيء ما، بينما معنيا (٢) و (٣) فى كل استعمالاتهما تقريباً، هما مفردتين مجردتين: اصبحت nature of طبيعة كل الأشياء مفردة nature أو Nature. بالطبع المفردة المجردة الآن مألوفة لكن لها تاريخاً محدداً. تطور معنى (٢) من معنى (١) وأصبح مجرداً لأن المطلوب كان " ميزة أو خاصية جوهرية" واحدة شاملة. هذه مقاربة بنيوياً وتاريخياً لبروز God إله من god أو the gods. هكذا تمت صيغة "Nature الطبيعة" المجردة، القوة المتأصلة الجوهرية، عن طريق افتراض سبب واحد رئيسي، حتى عندما تمت مقابلتها من قبل بعض المتجادلين بالسبب أو القوة الأكثر وضوحا فى تجريدها: God الإله. كان لهذا أثره الذى شمل معنى (٣) حيث تحتوى الإشارة إلى كل العالم المادي، وبالتالى تعدد فى الأشياء والمخلوقات، افتراض شيء مشترك يجمعها وهو إما (أ) الحقيقة البسيطة لوجودها، وهذا حيادي، أو، على الأقل بنفس المقدار من المشاركة، (ب) تعميم ميزة مشتركة وهذا هو ما يرتكز عليه فى عبارات من نوع (عادة حسب معنى (٣) بوضوح): "تبين الطبيعة... Nature shows us that". اختزال التعدد هذا إلى المفرد عن طريق بنية وتاريخ الكلمة الهامة هو إذاً، بشكل مثير، متوافق إما مع الجزم بميزة مشتركة، التى تتلاءم مع المعنى المفرد، وإما مع الإثبات المحدد أو الضمنى لميزة مشتركة فعالة، الذى تتمكن الصيغة المفردة مع ذلك من اشتمالها.

سيكون أى تاريخ كامل لاستعمالات nature هو تاريخ جزء كبير من الفكر البشري. (للحصول على موجز مهم، راجع Lovejoy). لكن من الممكن إيضاح بعض الاستعمالات والتحولات الحاسمة. هناك، أولاً، التشخيص

المبكر جداً، والذى هو للغرابة مستمر، للمفرد Nature: طبيعة الآلهة، "الطبيعة نفسها nature herself". يختلف هذا التشخيص المفرد بشكل واضح عن ما يسمى الآن "آلهة الطبيعة nature gods" أو "أرواح الطبيعة nature spirits": تشخيصات أسطورية لقوى طبيعية معينة. فى طرف، "الطبيعة نفسها" آلهة بالفعل، قوة كونية مسيرة، وفى الطرف القصى الآخر (وهنا يصعب تمييزها عن استعمالات مفردة غير دينية) قوة غير مميزة لكنها مع ذلك قوة مشكِلة وخلاقة جبارة. تقع العبارة المقاربة "الطبيعة الأم Mother Nature" عند هذا الطرف الأخير من الطيف الأسطورى والديني. هناك إذاً تعقيد عظيم عندما يتعايش هذا النوع من التجريد الدينى والأسطورى المفرد مع قوة مفردة أخرى جبارة، أى الإله التوحيدي. كان الخط المتبع فى الاعتقاد الأوربى القروسطى هو استعمال كلا المطلقين المفردين لكن تم تعريف الإله على أنه الأساس والطبيعة Nature وزيرة أو نائبة له. لكن كان هناك اتجاه معزز لرؤية الطبيعة بطريقة أخرى كملك مطلق. واضح أنه من الصعب فرز هذا الاتجاه عن نظرة آلهة أو وزيرة، لكن بشكل خاص استعمل المفهوم للتعبير عن الإيمان بالقدرية بدلاً من العناية الإلهية. كان التركيز على سلطة القوى الطبيعية وعلى الاستعمال الذى يبدو أنه اعتباطى ونزوى لهذه السلطات من وقت لآخر، مع ما له من تأثير محتوم على الناس والذى غالباً ما يكون مدمراً.

فى العادة، كما هو متوقع فى أمور على هذا القدر من الصعوبة الجوهرية، كان مفهوم nature فعليا أكثر شمولاً وتنوعاً من أى من التعريفات المحددة. كانت هناك إذاً حالات من الاستعمال المتقلب، كما فى مسرحية شكسبير الملك لير:

لو لم يسمح للطبيعة بأكثرمن حاجة الطبيعة،/ لبخسة كانت حياة الإنسان، كالحيوان.

Allow not nature more than
، nature needs
Man's life's as cheap as
beat's...

لك ابنة واحدة/ تفدى الطبيعة
من اللعنة الشاملة التى/ أنزلتها بها
اثنتان أخريان.

فالطبيعة التى تزدرى بأصلها/
لا يمكن حصرها ضمن نطاقها
باطمئنان.

...و اقصفى يا رعود مزمزمة/
و اسطحى كروية الدنيا
الكثيفة!/

حطمى قوالب الطبيعة واسكبى
هباء كل بذرة؟/ تصنع الإنسان
العقوق!

أيتها الطبيعة اسمعى! أيتها
الآلهة العزيزة/
اسمعى!

...one daughte
Who redeems nature from
the general curse
Which twain have brought
her to.

which ،That nature
،contemns its origin
Cannot be border'd certain in
itself...

... All shaking thunder
all ،Crack nature's moulds
، germens spill at once
That make ungrateful man..

nature hear; dear ،... Hear
hear ... ، goddess

فى هذه الأمثلة هناك نطاق من المعانى يمتد من طبيعة بدائية سبقت المجتمع البشري؛ عبر معنى براءة أصلية نشأ منها سقوط ولعنة يتطلبان خلاصاً؛ وعبر المعنى الخاص لنوع من الولادة، كما فى جذر الكلمة؛ وكذلك عبر معنى أشكال وقوالب الطبيعة التى يمكن مع ذلك، بشكل تناقضي، أن تدمرها قوة الرعد الطبيعة؛ إلى تلك الصيغة البسيطة والمستمرة لآلهة، " الطبيعة نفسها". هذا التعقيد فى المعانى ممكن فى أسلوب درامى بدلاً من تفسيري. ما كان يمكن ملاحظته كالتباس كان أيضاً توتراً: فى نفس الوقت كانت nature بريئة، محرومة، واثقة،

فاقدة الثقة، مثمرة، مدمرة، قوة محضة وفاسدة ولعينة. تم نقل التعقيد الفعلي لعمليات طبيعية إلى تعقيد ضمن مصطلح مفرد.

كان هناك، خاصة منذ أوائل ق ١٧، جدل مهم حول ملاحظة الطبيعة وفهمها. قد يبدو من الخطأ البحث فى أفعال ملك مطلق أو وزير إله، لكن تم التوصل إلى صيغة مرضية: فهم الخلق هو تقدير وتعظيم الخالق، ملاحظة السلطة المطلقة من خلال الأعمال الممكنة. فى الواقع أصبحت تلك الصيغة ادعاء وتم لاحقاً إهمالها. فى موازاة مع التغييرات السياسية تم تعديل " الطبيعة" من ملك مطلق إلى ملك دستوري، مع تأكيد جديد على قوانين الطبيعة. فى الواقع، كثيرا ما تم تشخيص الطبيعة فى ق ١٨ و ق ١٩ كرجل قانون دستورى. صدرت القوانين من جهة ما وتم تحديد ذلك بطرق مختلفة لكن غالباً دون إيلاء ذلك أية أهمية؛ توجه معظم الاهتمام العملى إلى تفسير وتصنيف القوانين، و استنتاج توقعات بناء على سوابق و اكتشاف أو إحياء نظم أساسية منسية وفوق كل ذلك صياغة قوانين جديدة من حالات مستجدة: الطبيعة ليس كقوة متأصلة ومسيرة، لكن كتجميع وتصنيف للحالات.

كان هذا هو البروز الحاسم لمعنى (٣): الطبيعة بصفتها العالم المادي. لكن أدى التركيز على القوانين القابلة للاكتشاف –

الطبيعة وقوانين الطبيعة قبعت مختفية فى ليل دامس؛

قال الرب: ليكن هناك نيوتن! وعم الضياء كل الكون(بوب Pope) –

– إلى تماهى الطبيعة مع العقل: موضوع الملاحظة مع أسلوب الملاحظة. كون هذا أساسا لتعديل مهم تمت فيه معارضة الطبيعة مع ما صنعه الإنسان أو ما أعده لنفسه. يمكن معارضة "حالة الطبيعة state of nature" – أحيانا بطريقة متشائمة لكن غالبا بتفاؤل بل حتى بطريقة مبرمجة – مع حالة المجتمع القائمة. ثم لعبت "حالة الطبيعة" وفكرة الطبيعة Nature التى شخصت للتو أدوارا حاسمة فى

الجدال حول، أولاً، مجتمع فاسد وعقيم فى حاجة إلى خلاص وتجديد وثانياً مجتمع "مصطنع artificial" أو "ميكانيكي" حيث لا بد وأن تشفيه الاستفادة من الطبيعة Nature. بشكل عام، كانت هاتان هما مرحلتا عصر الأنوار والحركة الرومانسية. يمكن بسهولة تمييز المعنيين لكن كان هناك فى الغالب تداخل كبير بينهما. خلق التركيز على القانون أساساً فلسفياً لتصور مجتمع مثالي. وخلق التركيز على سلطة أصلية ذاتية – نسخة حديثة للفكرة الأكثر قدماً – أساساً لإحياء فعلى أو، حين يتعذر أو يتباطأ الإحياء، مصدراً بديلاً للاعتقاد بطيبة الحياة و صلاح البشر، كمقابل أو كعزاء للعالم القاسي.

كانت كل هذه التصورات للطبيعة جامدة: مجموعة قوانين – تكوين أو قوام العالم، أو قوة شاملة، متأصلة، أساسية لكن أيضاً متجددة – بارزة فى "جمال الطبيعة " و فى "قلوب البشر" تلقن طيبة فريدة. استمرت كل من هذه المفاهيم فى التداول، خاصة المفهوم الأخير. فى الواقع أحد الاستعمالات الأكثر فعالية لـ " طبيعة " منذ أواخر ق ١٨ كان بهذا المعنى الإنتقائى للطبيعة و البراءة. عنت الطبيعة " الريف"، "الأماكن غير الملوثة"، النباتات والمخلوقات سوى الإنسان. يكثر هذا الاستعمال بشكل خاص فى معارضة المدينة بالريف: الطبيعة هى ما لم يصنعه الإنسان، لكن لو صنعها منذ مدة طويلة – وشيع أو صحراء – فإنها تعتبر فى العادة طبيعية natural. ترجع عبارات مثل "محب الطبيعة Nature-lover" و"شعر الطبيعة" لهذه المرحلة.

لكن كان هناك تشخيص إضافى فعال وهو لا يزال متبقياً: الطبيعة كآلهة، وزيرة، ملك، قانوني، أو مصدر البراءة الأصيلة، ثم الطبيعة كمولدة انتقائية: خلقت فكرة "الانتخاب الطبيعي"، والمنافسة "الشرسة" التى يبدو أنها تتضمنها، أساساً لاعتبار الطبيعة تاريخية وفعالة. لم يزل للطبيعة فى الواقع قوانينها، لكنها قوانين البقاء والعدم: أنواع species نمت وترعرعت، اضمحلت وماتت. تم اختصار تراكم المعرفة الاستثنائى عن عمليات ارتقاء فعلية وعن العلاقات المتنوعة بين الكائنات الحية و بيئاتها التى تحتوى كائنات أخرى إلى اسم مفرد. "الطبيعة" فعلت

هذا الشيء أو ذاك للأنواع. ثم كان هناك توسع للصيغ المختلفة للتعميم العلمي الحديث: " تعلم الطبيعة ..."، "تبين الطبيعة أن ... ". في الواقع ما تم تعليمه أو إيضاحه تراوح بين منافسة مرة متأصلة ومحتومة وبين تبادل أو تعاون متأصل. يمكن اختيار أمثلة طبيعية natural عديدة لدعم أي من هاتين الصيغتين: عدوان، ملكية، تطفل، تكافل، تعاون – كلها تم إثباتها، تبريرها وبثها في أفكار اجتماعية عن طريق أقوال انتقائية عادة ما تطرح على أنها ترتكز على طبيعة Nature مفردة في نفس الوقت الذي تجمع وتستعمل فيه حقائق التنوع والاختلاف.

لا مجال للدهشة حول تعقيد الكلمة خاصة عند العلم بالأهمية الأساسية للعمليات التي تدل عليها. لكن بما أن طبيعة nature تحمل، خلال فترة طويلة جداً، كثيراً من المجالات الرئيسية في الفكر البشري – غالبا ما يكون ضمنياً، مهما كان الاستعمال، لكن له تأثير فعال في طبيعة النقاش – فإنه من الضروري بشكل خاص إدراك صعوبتها.

انظر: COUNTRY بلد/ريف، CULTURE ثقافة،
EVOLUTION نشوء/ تطور، EXPLOITATION استغلال،
NATURALISM طبيعية، SCIENCE علم

عادي ORDINARY

لاستعمال كلمة ordinary في عبارات مثل "ordinary people ناس عاديون" تاريخ ومعنى لافتان. فالكلمة دخلت الإنجليزية من ق ١٤، (س م) ordinarie، فرنسية قديمة، ordinarius، لاتينية وسطى، (س ب) ordo، لاتينية: نظام ولاحقه arius، لاتينية: يخص، للدلالة على تعيين أو منصب رسمي، كما هو الآن في الكلمتين المقاربتين ordination رسامة الكاهن و ordinance أمر/ قانون بلدي. استعملت بشكل واسع بالنسبة لأشخاص قادرين على التصرف حسب مشيئتهم، في أمور دينية وقانونية، ثم توسعت لتشمل طبقات كاملة من الموظفين المعينين. كذلك

استعملت لوصف أنماط معينة فى الطقوس والتعليم. ثم توسع المعنى الضمنى لشيء أنجز حسب قواعد أو تبعاً لأوامر، بطريقة تخلو من التناقض فى البداية على الأقل، ليشمل شيئا أنجز حسب العادة. فى أحد مسارات تطور الكلمة، حملت an ordinary معنى مطعم eating-house بوجبات ثابتة الأسعار، وفى هذا المسار وفى مسارات أخرى أكثر عمومية بدأت تتجمع معان اجتماعية مختلفة حول الصفة.

فى ق ١٨ تظهر أوضح أمثلة للمعنى السلبى الذى يتضمن أفكاراً صريحة عن التفوق أو الدونية الاجتماعية: "عبارات، مثل ... حتى أسوأ الناس فى الشارع وأكثرهم اعتيادية ordinariest لا يستعملونها" (ديفو، ١٧٥٦)؛ "غير ملائم واعتيادى بشكل مفرط" (تشسترفيلد، ١٧٤١). كذلك توجد عبارة " ordinary people ناس عاديون" عند نفس المؤلف: "معظم النساء وكل الناس العاديين بشكل عام يتحدثون فى استخفاف واضح بكل القواعد" (١٧٤١). هذه هى لحظة الانفصام بين معنى ملائم /صحيح correct أو STANDARD معيارى (ا م) التى كانت تعبر ordinary عنه، ومعنى COMMON عام/مشترك (ا م) أو مألوف customary. استمر هذا المعنى، كما هو فى عبارات مثل "ordinary looking" عادى المظهر أو "very ordinary looking"، لكن استمر بوضوح كذلك المعنى المتطور للمتوقع، المنتظم، و المألوف. لذا يمكن استعمال "ordinary people" للتعبير عن موقف اجتماعى أو تحيز بطرق متعارضة فعلياً. يمكن أن تعنى عبارة "ما يعتقده الناس العاديون"، فى سياقات مختلفة، إما ما يعلمه أو يعتقده ناس "غير متعلمين uneducated" (قارن EDUCATED) و "غير مستنيرين uninstructed"، و هذه تعتبر بوضوح طرقاً قاصرة، أو يمكن أن تعنى ما يعتقده ناس عقلاء، أسوياء ولطفاء فى تمييز لذلك عن وجهات نظر طائفة أو آراء المثقفين INTELLECTUALS (ا م).

فى الوقت نفسه فى العادة تشير "the ordinary people"، سواء استعملت كإطراء أو نبذ، إلى جمع عام للآخرين (قارن MASSES جماهير و people شعب) من منظور نخبة إدارية أو حاكمة. كثيرا ما تثير هذه الاحتجاج مثلها مثل

العبارة ذات التنوع فى المعنى " ordinary people". من المفيد مقارنة بعض الكلمات الأخرى التى تعبر عن هذا النوع من العلاقات الاجتماعية المتصورة.على سبيل المثال فى العادة تستعمل 'rank-and-file' جمهور/جنود لوصف أعضاء عاديين فى حزب سياسى أو تنظيم مشابه، فى تمييز لهم عن القيادة " the leadership"، التى أصبح استعمالها منتشراً ضمن نظرية للنخب ELITES (ا م)، وذلك من ترجمة لكتابة Michels فى ١٩١٥. (استعملت المفردة قيادة leadership لقائد leader حزب أو معارضة فى مجلس العموم من أوائل ق ١٩؛ و كانت leadership كسلطة شائعة من وسط ق ١٩ و leadership كمقدرة يمكن تدريبها من أوائل ق ٢٠؛ بوضوح تختلف the leadership كمجموعة متحكمة على رأس منظمة عن كل الاستعمالات السابقة.) استعملت rank-and-file بمعناها العسكرى الصريح من أواخر ق ١٦ ولعامة COMMON (ا م) الجنود من ق١٧. بعد تشعبات محدودة، اكتسبت هذا المعنى الحديث فى وسط ق١٩: "مجرد قاعدة rank-and-file الحزب" (مل، ١٨٦٠). من اللافت أنه منذ وسط ق ٢٠ تم فى الغالب اعتماد الوصف بمعنى إيجابى للدلالة على الناشطين الفعليين للحزب أو المنظمة. لكن تحل باضطراد محلها فى المعنيين الكلمة الأمريكية grassroots القاعدة/الأساس. يبدو أن هذه العبارة بدأت فى مجال تعدين الذهب بمعنى يكاد يكون حرفياً لمكامن الذهب فى سبعينيات ق ١٩، ويبدو أن عبارة " getting down to grassroots الهبوط إلى القاع" كانت عامية فى أمريكا من ثمانينات ق ١٩. لم تسجل إلا من ثلاثينيات ق ٢٠ الاستعمالات السياسية مثل 'grassroot candidacy الترشح من القاعدة" بما تتضمنه من إشارة إلى الريف (قارن COUNTRY بلد/ريف و PEASANT فلاح) فى أمريكا، لكن لم تصبح الكلمة شائعة إلا من أربعينيات ق ٢٠، وفى بريطانيا، عن طريق الصحافة السياسية، من ستينيات ق ٢٠. يمكن القول أن لها نبرة ألطف من ordinary أو rank-and-file لكن يظل مجال بحث فى بعض الحالات إذا ما كان هذا اللطف مدروساً، حصيفاً أو فعلياً.

انظر: COMMON عـــام/مشـــترك، EDUCATED مـــتعلم، INTELLECTUAL مثقـــــــف، MASSES جمـــــــاهير، POPULAR شعبي/رائج، STANDARD معيار

عضـــــوى ORGANIC

تحمل كلمة organic معنى محدداً فى الإنجليزية الحديثة يدل على عمليــات ومنتوجات الحياة عند البشر والحيوانات والنباتات. ولها أيضاً معنى اســتعارى أو مجازى مهم للدلالة على أنواع معينة من العلاقات ومن ثــم أنــواع معينــة مــن المجتمع. بهذا المعنى الأخير هى كلمة صعبة جداً، وتاريخها على أية حال معقــد بشكل استثنائي.

ظهرت organic المرة الأولى فى الإنجليزية من ق ١٣ للدلالة علــى آلــة موسيقية؛ ظهرت آلة تشبه الأورجان organ الحديث بهــذا المفهــوم مــن ق ١٤. كانت سابقتها المباشرة (س م) هى organe، فرنسية قديمة، من organum، لاتينية، (س ب) o'rganon، يونانيــة: آلة، محــرك، أو أداة بمعنيــين مشــتقين: " الآلــة المجردة: وسيلة و كذلك آلة موسيقية. كان هناك معنى مادى لاحق instrument " لـــ organon تكرر فى الكلمات المشتقة: العــين كآلــة رؤيــة seeing instrument والأذن كآلة سمع وغيرهما، ومن ثم organ كجزء من الجسد. التــى كانــت فــى الإنجليزية من أوائل ق ١٥. لكن نطاق المعانى الكامل - آلة موسيقية، محــرك، آلة (organ of opinion وسيلة الرأى) وجزء من الجسد - كــان موجــوداً فــى الإنجليزية فى ق ١٦. تبعت ذلك organic التى ظهرت فــى ق ١٦، فــى البدايــة بمعنى محرك أو أداة. كتب نورث فى ١٥٦٩ مترجما بلوتــارك: "يصــنع آلات instruments ومحركات Engines (تسمى ميكانيكيــة أو عضــوية organicall)". هذا مفيد فى ضوء التضاد التقليدى اللاحــق بــين عضــو ى organic وميكــانيكى mechanical.

تطورت فى النهاية من معنى organ كآلة أو وسيلة الكلمتان organize ينظم و organization منظمة بمفهومهما الحديث، وذلك بشكل رئيسى من أواخـر ق ١٩ (قارن تطور كل من society مجتمع و civilization حضارة). لكن استعملت مبكرا كلتا الكلمتين بدلالة ماديـة واضحة كما هـو الحال كذلك بالنسبة لـــ organism كائن حـــى (متعضى) بدء من ق ١٧.

تبعت عضوى organic مساراً مختلفاً وفى الواقع بحلول ق ١٩ كـان مـن الممكن استعمالها كمقابل لـ organized منظم. مصدر معناها الحـديث المحـدد الشائع هو التطور العظيم للتاريخ الطبيعى وعلم الأحياء فى ق ١٨ عندما اكتسـبت دلالة على أشياء حية ونامية. تم تعريف organic chemistry كيمياء عضوية فـى أوائل ق ١٩، مكتسبة لاحقا المعنى الأكثر تحديدا ككيمياء مركبات الكربـون مـن ١٨٦٠ تقريباً. كان هذا التطور فى علـم الأحياء و "life sciences علوم الحيـاة" هو الذى وضع الأساس للتمييز بين الكلمتين اللتين كانتا متـرادفتين فـى السـابق: organic عضوى وميكانيكى MECHANICAL (ا م).

تم التمييز فى الحركة الرومانسية، فى البداية على الأرجح فى ألمانيا، عنـد فلاسفة الطبيعة. ميز كوليردج بين أجسـام عضـوية organic وغيـر عضـوية inorganic أو systems أنظمة. فى الأجسام العضوية "الكـل هـو كـل شـيء والأجزاء لا قيمة لها" بينما فى اللاعضوية "الكل ما هـو إلا مجموعـة الأجـزاء المستقلة". لهذا صلة واضحة بالمعنى المتطـور لمـنظَّم organized و organism متعضى، لكن تأثر التمييز بشكل جوهرى بالتضاد مع ميكانيكى وبالمعارضة مـع الفلسفة الميكانيكية وبالتأكيد بالأهمية الجديدة للماكينات فى الثورة الصناعية. عنـد استعمال organic فى التنظيم الاجتماعى يقترب معناها من معنى natural طبيعـى المعاصر: المجتمع العضوى organic هو المجتمع الذى نما بدلاً من كونه صـنع. اكتسبت هذه أهمية مبكرة فى نقد الطروحات أو المجتمعات الثوريـة علـى أنهـا artificial مصطنعة وضد natural order النظام الطبيعى للأشياء. اكتسـبت لاحقـاً أهمية بالتضاد بين مجتمعات زراعية بشكل رئيسى وأخرى صناعية INDUSTURAL

(ا م). كان لا يزال فى ذهن كارلايل المعنى المعقد عندما كتب عن ترويض الثورة الفرنسية "حتى يمكن لهدفها الأصلى أن يتحقق وأن تصبح organic عضوية وتستطيع العيش ضمن organisms المتعضيات والكائنات الأخرى". لكن بيرك استعمل وهو يتحدث عن نفس الموضوع معنى مضاداً: كتب مقارنا الإنجليز فى ١٦٨٨ بالفرنسيين فى ١٧٨٩: " أحدثوا تغييراً فى الدول المنظمة العتيقة حسب تنظيمها القديم وليس حسب الخلايا العضوية organic moleculae لشعب ممزق". تذكرنا خلايا moleculae هنا بالمعنى المتطور لـ atomistic متذر للدلالة على أشكال نسبياً منحلة أو مشتتة للمجتمع والفكر الاجتماعي.

كانت organic تستعمل خلال ق١٩ وحتى وسط ق٢٠ غالبا فى الفكر الاجتماعي، الذى كان بشكل رئيسى من نوع محافظ. عارض ليفس وتومبسون فى كتابهما "الثقافة والبيئة" (١٩٣٢) الدولة الحديثة "المنظمة organized" مع "إنجلترا القديمة ... ذات المجتمع العضوى organic". وجادل وايت فى كتابه "التراث المحافظ" (١٩٥٤) " أنه من الأفضل أن تكون الدولة شجرة بدل محرك engine" وأن "انتشار السلطة هو ميزة الحياة العضوية تماما كما يميز تركيز السلطة المذهب الميكانيكى mechanism". جادل بيرتراند رسل فى توجه مختلف، فى كتابه "توقعات الحضارة الصناعية" (١٩٢٣) "أن الماكينة فى جوهرها عضوية، بمعنى أن لها أجزاء تتضافر لإعطاء نتيجة واحدة مفيدة وأن الأجزاء المستقلة قليلة القيمة بمفردها" (يعيد التمييز الأخير للذاكرة ذلك الذى قام به كوليردج) وأنه بالتالى "عندما يتم حثنا على جعل المجتمع "عضويا" فإنه من الماكينة يجب بالضرورة أن نستمد نماذجنا التخيلية، حيث إننا لا نعرف كيف نجعل المجتمع حيواناً حياً". فى بعض المواضيع، خلف الجدل الحديث يبدو أن للاستعارة القديمة للمجتمع كجسد بأعضاء ومن ثم كائنا حيا بمعنى بيولوجى بعض الأثر. ميز دوركهايم بين التضامن العضوى organic والتضامن الميكانيكى حيث تحمل organic معنى الاعتماد المتبادل الوظيفي. لكن يمكن أن تغرى العلاقات الحديثة الصعبة، والتداخل الأساسي، بين organic و organized و organization

و organism بالقول إن كل المجتمعات عضوية لكن بعضها أكثر عضـوية organic - أى مخططة بطريقة هادفة instrumentally أو متطورة بشكل طبيعي.

لا يزال هناك تأثير لمعنيين آخرين لــ "عضوى organic". هنـاك المعنـى الحديث المحدد للزراعة والطعام مع توكيد على الطبيعى natural بدلا من المصـنع artificial فى الأسمدة وطرق التربية والتوليد. يرتبط هذا بالنقـد العـام للمجتمـع الصناعى industrial. هناك أيضاً المعنى الأشمل لوصف نوع من العلاقة بدلاً من، كما هو الحال فى التنظير الاجتماعى الصريح، نـوع مـن المجتمعـات (قـارن ECOLOGY علم البيئة). استعملت organic على نطاق واسع فى مناقشـات الفـن والأدب للدلالة على علاقة مهمة أو علاقات متداخلة بين أجـزاء عمـل: organic relation صلة عضوية و organic connection علاقة عضوية. هـذا الاسـتعمال الذى يشير إلى صلة أو علاقة بطريقة ذات مغزى أو بطريقة متممة واضح لـيس فى وصف مجتمعات ككل بقدر ما هو وصف لعلاقـات داخليـة معينـة: "صـلة عضوية بالتجمع المحلي". هذا الاستعمال بالمعنى الأكثر تحديداً أسهل لكنه لـيس تام السهولة.

انظر: ECOLOGY علم البيئة، EVOLUTION نشوء/تطـور، INDUSTRY صناعة/جهد، MECHANICAL ميكانيكى، NATURAL طبيعى، SOCIETY مجتمع

أصالة/ابتكار/طرافة ORIGINALITY

هذه كلمة حديثة نسبياً. استعملت بشكل واسع فى الإنجليزية من أواخـر ق ١٨. بالطبع، تعتمد على معنى original أصيل التى كانـت بالإضافة إلـى origin (من س م origine، فرنسية، originem، لاتينية: نشوء، بداية، مصدر، مـن س ب oriri، لاتينية: يبرز) فى اللغة الإنجليزية منذ ق١٤. فى كل الاستعمالات الأولـى كان لــ origin أصل معنى جامد للحظة ما فى الزمن أو طاقة أو شخص تنشأ عنه

أشياء أو ظروف لاحقة. لكن بينما احتفظت origin بهـذا المعنـى الارتجـاعى المتأصل فإن original طورت معانى إضافية بحيث أنه بالإضافة إلى original sin الخطيئة الأولى و original law القانون الأساسى و original text الـنص الأصـلى كانت هناك لاحقا original بمعنى عمل فنى أصيل (فى تمييز له عن نسـخة copy) وبمعنى شخص فريد singular (حيث سيكون مهما التمييز اللاحق بين singularity فرادة و originality أصالة). فى حالة الأعمال الفنية كان هناك تحول من المعنـى الارتجاعى لــ original (العمل الأول وليس النسخة) إلى ما كان فى الواقع معنـى مقاربا لــ new جديد (لا يشبه الأعمال الأخرى). حدث هذا بشكل رئيسـى فـى ق١٧: "بخصوص هذا البحث سأضيف فقط أنه original مبتكر" (درايدن، ١٦٨٣). كانت an original شائعة فى ق ١٨ بمعنى شيء فريد أو نادر و كـذلك بمعنـى يرتبط بنظرية جديدة فى الفن: قارن، "لا أداء يمكن أن ينال التقدير ما لـم يكـن original أصيلا" (ولستد، رسائل، ١٧٢٤). كتـب يـنج فـى ١٧٥٩: "الأصـيل original ... ينشأ تلقائيا من أساس العبقرية الحيوي؛ إنه ينمو ولا يصنع؛ كثيرا مـا تكون المحاكاة نوعا من العمل المصنوع يقوم به هؤلاء الميكـانيكيون mechanics، مستعملين المهارة art و الجهد labour، من مواد موجودة سابقاً وليسـت مـوادهم" (كتاب "آراء حول التأليف الأصيل"). هنا تستعمل كلمات أساسية مجتمعة وتتفاعل فى فلسفة جديدة للفن art و الطبيعة nature والمجتمع. من اللافت أن ما حدث هـو توسع مجازى للمعنى القديم لــ original أصيل ومحاكاته (نسخة) إلى معنى جديـد لنوع من العمل يتميز بالنبوغ والنمو وليس مصنوعاً وبالتالى ليس ميكانيكياً، يستمد مادته من ذاته وليس من مصادر أخرى وليس هو مجرد منتوج من الفن ART (هنا لا زالت بمعنى مهارة، ا م) و labour الشغل (الجهد). ثـم أصـبحت originality (أصالة/ابتكار/طرافة) تعبيراً شائعاً لإطراء الفن والأدب، ولكن ليس دائمـاً بكـل معانى ينج وإن شمل عادة معظمها. يعتبر العمل جيداً ليس بمقارنته بأعمال أخرى أو بمعيار ولكن "حسب شروطه الخاصة".

كذلك تبعت an original مساراً آخـر فـى وصـف الأشـخاص. كتـب Wycherley فى *The Plain Dealer* (١٦٧٦): "أكره المحاكـاة، تقليـد مـا يفعلـه

الآخرون. كل من يعرفني يكرمني بالقول إني فريد an original". هذه ملتبسة الطابع، وفي استعمالها للأشخاص استمر الالتباس حيث كان المعنى في الغالب eccentric غريب الأطوار أو على الأقل فرد غير معتاد بدلاً من شخص لديه جدة لافته أو، كما في الفن، حقيقي authentic. لكن بحلول أواخر ق ١٨ كتب هوكنز في كتابه "حياة جونسون": "يمكن ملاحظة أن الفرادة singularity هي في العموم أصالة originality؛ وبالتالي ليست عيباً". يبدو أن الانتقال من an original فريد إلى original أصالة عزز المعنى الإيجابي وأصبح هذا سائداً فيما بعد منتجا المقابل المحبط لشخص أو كاتب عديم الأصالة no originality.

في الوقت الذي استقرت فيه originality في اللغة الإنجليزية فإنها فقدت تقريباً كل صلة لها بـ origin أصل؛ في الواقع القصد هو أن لا يكون لها origin أصل إلا ذاتها. مع ذلك، احتفظت original بالمعنيين: المعنى الارتجاعي إلى الأصل ووصف شيء بأنه جديد و(عادة) مهم.

انظر: ART فن، CREATIVE خلاق، GENIOUS عبقري، MECHANICAL ميكانيكي، ORGANIC عضوي

فلاح PEASANT

ترجع كلمة peasant إلى (س م) paisant، فرنسية قديمة، س ب pagus، رومانية: منطقة ريفية، ومن ثم في تطور آخر نشأت الكلمة pagan وثني. كانت شائعة الاستعمال في الإنجليزية من ق ١٥ ويمكن غالباً تمييزها عن rustic (س م rusticus، لاتينية: رجل من الريف، س ب rus: ريف) حيث أن peasant عنت في العادة الشغل في الأرض بالإضافة إلى العيش في الريف. ظهر اسم الجمع peasantry الفلاحين (أو الفلاحة على وزن وبمفهوم مقارب لـ"عمالة" – المترجم) في ق ١٦. استمرت peasant بمعناها التقليدي في الإنجليزية حتى قرننا الحالي (ق ٢٠)، لكن اقتصر ذلك تدريجياً على الاستعمال الأدبي. خلق التحول الاجتماعي

والاقتصادى فى الزراعة الإنجليزية من ق ١٦ إلى ق ١٩ صـــعوبة خاصـــة فـــى استعمال الكلمة. فى إنجلترا بحلول أواخر ق ١٨ انتهى تقريباً وجود طبقة صغار مستأجرى وعمال الأراضى فى علاقة إقطاعية أو شبه إقطاعية مـــع أرســـتقراطية ملاك الأراضي، كما وجد فى روسيا وفرنسا قبل الثورة فيهما ويوصف فى الغالب بهذه الكلمة الفرنسية، وحلت محلها العلاقات الرأسمالية الجديدة بين مالـــك الأرض والمستأجر والعامل. لاحظ كوبيت فـــى كتابـــه "الســـجل السياســـي" (١٨٣٠): "peasantry اسم جديد أطلق على العمال الريفيين من قبل قبائل المتـــاجرين بفكـــرة القصبة boroughmongering ومروجى الديون الوقحين. منذ ذلك الحين أصـــبحت peasant و peasantry فى اللغة الإنجليزية إما كلمتان أدبيتان فى أفول وإما، كمـــا هو الحال فى استعمالهما فى الوصف الاجتماعي، هما كلمتان أعيدت فـــي الواقـــع استعارتهما من لغات أخرى أهمهما الفرنسية والروسية. كان هناك أيضاً استعمال خاص تم تبنيه أيضاً من الفرنسية والروسية حيث peasant عبارة إهانة طائشـــة – فى الإنجليزية عادة مقصودة ومضخمة – لأشخاص "غير متعلمين" أو من "العامة". فى نفس الوقت، فى وصف مجتمعات أخرى خاصة فـــى العـــالم الثالـــث (قـــارن DEVELOPMENT)، لا تزال peasantry تحمل معنى رئيسياً يشير إلـــى مجموعـــة اجتماعية واقتصادية واضحة المعالم وأعطيت peasant، فـــى بعـــض الســـياقات، معانى إما وصفية أو بطولية ثورية.

انظر: COMMON عام/مشترك، COUNTRY بلد/ريـف،
EDUCATION تربية، MASSES جماهير

شخصية PERSONALITY

كانت personality "شخصية" شيئاً ملكنـــاه جميعـــاً فـــى الماضـــي. فـــى استعمالاتها الإنجليزية المبكرة كانت تعنى صفة كون الإنســـان شخصـــاً a person وليس شيئاً واستمر ذلك على الأقل منذ أواخر ق ١٤ إلـــى أوائـــل ق ١٩: "هـــذه المقدرات تكون الشخصية، فهى تعنى ضمنياً فكراً ووعياً" (بيلي، ١٨٠٢). هـــذا

ليس معناها الحالي، لكن التطور جزء من سلسلة عمليات مهمة. دخلت person الإنجليزية فى ق١٣ من (س م) persone، فرنسية قديمة، personae، لاتينية. كانت persona قد مرت عبر تطور لافت من معناها السابق كقناع يستعمله الممثل ثم كشخصية فى مسرحية وبعد ذلك الدور الذى يقوم به المرء وأخيراً كلمة عامة تعنى الإنسان. (تم فصل هذه المعانى مرة أخرى فى صيغ مختلفة كما فى personage شخصية بارزة والاستعمال السيكولوجي لـ persona.) لا تزال الاستعارة الضمنية تلازمنا. لكن فى الإنجليزية، رغم وجود استعمالات مبكرة لـ person للدلالة على شخصية سواء ممثلة أو مفترضة، فإن معنى فرد individual كان مبكرا أيضا (ق ١٣) وفيما بين ق ١٤ وق ١٦ ضم هذا المعنى، خاصة فى personal شخصي، معانى أخرى نميزها الآن كفرد(ي) INDIVIDUAL وخاص PRIVATE (ا م) . كان لـ personalitas، لاتينية، معنيان خاصة فى تطور قروسطي: الطبيعة العامة لكون المرء شخصاً وليس شيئاً (تعبير معقد فى الجدل السكولائى حول الثالوث، لكنه عنى أيضاً البشرية)، ومعنى الممتلكات أو المتعلقات الشخصية personal belongings التى استعارتها الإنجليزية كـ personalty ملكية شخصية. (يمكن تتبع معنى مقارب فى personnel موظفين التى استعملت فى الفرنسية مقابل matériel مادى، غالباً فى الحديث عن الجيش؛ تم تبنيها ككلمة أجنبية فى الإنجليزية من أوائل ق ١٩ ثم عوملت ككلمة إنجليزية بحلول أواخر ق ١٩. تحتفظ فى تعبير personnel management إدارة أفراد بمعناها كإدارة الممتلكات البشرية التى تتكون هنا اسمياً من persons أشخاص دونما تركيز على معانى هذه الكلمة الأخرى؛ انظر MANAGEMENT إدارة).

إن المهم فى شخصية personality هو التطور من صفة عامة إلى أخرى تدل على الخصوصية والفرادة. عندما نقرأ، من ١٦٥٥، " لفترة يفقد الإحساس بشخصيته ويصبح مجرد أداة مذعنة للآلهة"، فإننا نفهم بشكل يتعذر تجنبه المعنى الحديث المتطور الذى نستعمل له individuality فردية. لكن رغم أن هذا المعنى موحى – إنها فترة تحول معنى الكلمة – إلا أنه ليس مؤكدا حيث أن الكلمة البديلة لـ personality قد تكون، فى إطار ذلك النوع من التفكير، بشرية HUMANITY

(ا م). لم يتم بروز المعنى "الفرداني" بوضوح إلا فى ق ١٨. عرّف جونسون personality على أنها "وجود أو فردية أى إنسان"، وكانت هناك استعمالات عديدة للهوية الشخصية المتميزة. ربما يكون أكثر إثارة للاهتمام هو بروز معنى الهوية الشخصية المفعمة بالحياة، الذى هو أساس لفهم مثال من ١٧٩٥: "حتى فتاة فرنسية لها من العمر ستة عشر عاماً، لو كان لها شيء من الشخصية personality، فإنها تكون ميكيافيليه". بينما يبدو هذا متناغماً مع الاستعمال المتطور لهوية محددة (مثلاً، "شخصية طاغية"، إمرسون، ١٨٤٧؛ "شخصية قوية"، "شخصية متحكمة"، "شخصية ضعيفة") فإنه يتيح مجالاً يمكن أن نصف فيه إنساناً، فى تمييز تام عن المعنى السابق، بأنه " لا يملك شخصية". لا تزال كل هذه المعانى فى حيز الاستعمال، لكن كان هناك تطور متخصص فى ق٢٠ - بشكل عام، كما هو الحال غالباً، فى مجالى السياسة والترفيه - لاسم جديد من المعنى الأكثر تحديداً. هناك شخصيات قيادية " leading personalities" (personages شخصيات بارزة أو، حسب الاستعمال المحدد السابق، persons؛ كما تقول العبارة الحالية Very Important Persons شخصيات هامة) لكن هناك أيضاً، بكل تأكيد، "Personalities". ربما يكون هؤلاء الآن مشهورين أكثر من كونهم مفعمين بالحياة، رغم أن معنى الحيوية لا يتلاشى تماماً. حسب هذا الاستعمال من المفترض أن معظم الناس ليسوا "personalities" شخصيات.

مع ذلك لا تزال لدينا شخصية من نوع ما. يمكن مقارنة هذا التشكيل للكلمة بتطور character شخصية. دخلت هذه الكلمة الأخيرة الإنجليزية من (س م) caracte're، فرنسية، character، لاتينية، من الكلمة اليونانية لآلة الدمغ والنقش أو الحفر: عنى أصلها البعيد (س ب) شحذ/بري، ثلم، نقش أو حفر. استمر هذا المعنى فى مجال حروف الأبجدية أو رموز أخرى منقوشة أو محفورة؛ وفى الفترة من ق ١٤ إلى ق ١٦ استعملت بشكل واسع لأية علامة محفورة. تطور الاستعمال للناس، مجازياً، من ذلك مع إشارة خاصة للوجه: "عن طريق علامات محفورة characters graven على جبينك" (مارلو، تمبرلين)؛ "ذهن يتلاءم مع مظهرك character الخارجى الجميل" (شكسبير، الليلة الثانية عشر). ساند

استعمال أكثر عمومية لوصف طبيعة NATURE (ام) شيء ما، استعمالاً بالنسبة للأشخاص بلغ تطوره التام، بالرغم من استعمالات أخرى كثيرة في الفترة الوسيطة، بحلول أوائل ق ١٨. كتب بتلر فى ١٧٢٩ أن "هناك تنوعا كبيرا فى جوانب ما نسميه شخصية يفوق قسمات الوجه". التحول فى الكلمة اكتمل هنا بوضوح. كانت هناك أيضاً استعمالات أخرى من أوائل ق ١٨ للدلالة على السمعة (بما فى ذلك إصدار (شهادة) أخلاق character رسمية أو كما نسميه الآن شهادة حسن سيرة وسلوك character reference). تتشابك الكلمة مع تطور personality للدلالة على ميزة مدهشة: "معظم النساء لا شخصيات character لهن البتة" (بوب، ١٧٣٥)؛ "الرجال ذوو الشخصية character" (١٧٣٧). كانت كتابات characters، وصف وتقويم رسمى للأشخاص، عملاً أدبياً رائجاً فى ق ١٧ و ق ١٨. أصبح ممكناً وصف فرد بأنه character قبل وصفه بأنه personality ومع أنه يصعب تحديد تاريخ ذلك إلا أن وسط ق١٩ هو الأرجح. فى محاكاة لافتة لـ persona، وصف أشخاص الروايات والمسرحيات المتخيلين FICTONAL (ا م) من وسط ق ١٨ كشخصيات characters. مدهش تكرار الاستعارة من قناع وعلامة حفر، وكذلك التداخل بين عرض مسرحى أو خيالى وحيازة طبيعة خاصة إلى جانب أخرى بارزة. رغم أنها فقدت كثيراً من هذه المعانى المعينة إلا أن الكلمة المقاربة disposition نزعة/مزاج، من التنجيم والفسيولوجيا المبكرة، هى أكثر تحديدا DETERMINED (ا م). لكن personality أو character، اللتين كانتا فى السابق علامة خارجية، تم استبطانهما بشكل نهائي، لكن الاستبطان كان كتملك وبالتالى كشيء يمكن عرضه أو تفسيره. حسب أحد المعاني، هذا هو حد أقصى من individualism الفردانية الإقتنائية لكنه فى الحقيقة أقرب إلى تسجيل للإدراك المتزايد بالاعتماد الذاتى freestanding وبالتالى وجود قابل للتقويم الذى منحنا، مع كل الصعوبات، الكلمة individual ذاتها.

يمكن بالطبع التمييز بين personality و character فى بعض معانيهما. نعرف ما نقصد أو نعتقد ذلك عندما نقول، مميزين الحيوية عن الوثوقية، أن أحدا من الناس "لديه كثير من الجاذبية المفعمة بالحياة personality لكن ليس لديه

character خلق يركن إليه". ينعم النظر بانتظام أيضا فى السلوك الخاص private characters لشخصيات مشهورة personalities ابتدعت شخصيات خيالية characters.

انظر: DRAMATIC دراماتيكي، HUMANITY إنسانية، INDIVIDUAL فرد، MAN إنسان، PRAIVATE خاص

فلسفة PHILOSOPHY

احتفظت فلسفة بمعناها الأصلى العام، من (س م) philosophia، لاتينية، philosophia، يونانية: حب الحكمة الذى يتجسد فى دراسة ومعرفة الأشياء ومسبباتها. اكتسبت فى أوقات مختلفة معانى ثانوية كما هو فى مفهوم الحكمة العملية ما بعد الكلاسيكى الذائع الذى أدى إلى تمييز مثل الذى قام به بن Penn فى ١٦٧٩: "معروفة لعفتها وفلسفتها عندما عنت هذه الأخيرة (الفلسفة) ليس الجدل العقيم ولكن حياة ورع". من هذا القبيل الاستعمال الشائع لفلسفى philosophical فى عبارات مثل "يتخذ موقفاً فلسفياً"، وفى الواقع تعادل فلسفة هنا "إذعان" أو "استسلام". فى الاستعمال الرسمي، خاصة فى الجامعات، قسمت الفلسفة إلى ثلاثة أقسام: ميتا فيزيقية، أخلاقية، وطبيعية؛ حل علم SCIENCE (ا م) محل القسم الأخير. فى بعض الأحيان تم التمييز بوضوح بين الفلسفة كمعرفة وتفكير فى الدين: "حتى لا يخدعك أحد بالفلسفة والمغالطات التافهة التى تتبع أراء الناس وترتبط بأشياء دنيوية وليس تبعاً لتعاليم المسيح" (ويكلف، ١٣٨٨) ؛ يتضح فى تعليق حنا مور (١٧٩٠) " الفلسفة ... (كما يسر الكفر فى الفترة الأخيرة أن يسمى نفسه)". كذلك كانت الفلسفة philosophy اسما شائعا لأى نظامٍ معين للأفكار يحدده وصف دقيق.

يجب ملاحظة استعمالين معاصرين فى الإنجليزية. إلى حد كبير انحصرت الفلسفة الأكاديمية فى إنجلترا لبعض الوقت على المنطق ونظرية المعرفة وهناك

اتجاه إلى قصر الفلسفة philosophy على هذا المعنى واعتبار ارتباطها التقليدى بنظم فكرية و أخلاقية عامة خطأ. هذا تقليد مسيطر لكنه محصور جدا. لكن الأكثر انتشاراً هو الاستعمال المتزايد لفلسفة فى الحديث البيزوقراطى والإدارى حيث يمكن أن تعنى philosophy سياسة عامة لكن كما هو الغالب مجرد تصورات أو حتى إجراءات داخلية لمشروع تجارى أو مؤسسة: من فلسفة البيع عبر فلسفة طرق السيارات إلى فلسفة متاجر المؤن (سوبر ماركت). يمكن إسناد ذلك إلى كتاب *Philosophy of Manufactures* (١٨٣٥) فلسفة الصناعات لمؤلفه Ure، لكن أصبح هذا الاستعمال شائعاً بشكل أكبر فى وسط ق٢٠ للدلالة على رفعة ما هو فى الواقع مجال نشاط محلي.

انظر: SCIENCE علم

شعبي/شائع/مشترك POPULAR

كانت popular مصطلحاً سياسياً وقانونياً، من popularis، لاتينية: يخص الناس. كانت popular action (دعوى شعبية، من ق١٥) قضية قانونية يمكن لأى فرد أن يتقدم بها. دلت popular estate منزلة شعبية و حكومة شعبية popular government، من ق ١٦، على نظام سياسى أسسه وطبقه كل الناس، لكن كان هناك أيضاً معنى (قارن COMMON) "وضيع" أو "حقير". من اللافت التحول إلى المعنى الحديث السائد: مفضل من قبل الكثيرين أو محبوب كونه يحتوى على قدر واضح من السعى لكسب الاستحسان، بما يتضمنه ذلك من الإعداد المحسوب الذى لم يختف بعد بل هو واضح فى عبارة معززة مثل deliberately popular شعبى بشكل مدروس. اعتبر معظم الذين تركوا سجلات عن استعمال الكلمة الأمر من وجهة النظر هذه: من الأعلى إلى الأدنى. كانت هناك استعمالات حيادية مثل قول نورتون: "أكثر شعبية popular وتواق لرضا واستحسان عامة الناس" (١٥٨٠) (حيث لم تزل popular تعبير سياسة أكثر منه تعبير حالة)، واستعمالات إزدرائية بشكل واضح مثل قول بيكون: "رجل نبيل من أسرة عريقة، لكنه مضطرب

وpopular شـــعبي" (١٦٢٢). عــرّف كــوللير Collier فـــى ١٦٩٧ popularity الشعبية بأنها "تملق لكسب ود الناس بممارسة غير ملائمة". على الأرجح عــززت ذلك استعمالات سلبية: كان هناك المعنى الحيادى فـــى "موضــوعات ... شـــعبية" (١٥٧٣)، لكن الثقل كان للعبارات: "خطأ شعبي" (١٦١٦) و "ســـــقم شـــعبي" (١٦٠٣)، أو "مرض شعبي" (ق ١٧- ق ١٩) التى تدل على مجرد انتشار شـــيء مكروه. بحلول أواخر ق ١٨ أصبح واضحاً المعنى الرئيسي: مفضل مــن قبــل الكثيرين؛ يرجع معنى محبوب "well-liked" على الأرجح إلى ق١٩. لاحظت مجلة أمريكية من أواخر ق ١٩: "أصبحوا ... يعتبرون popular بطريقة جادة وواضحة مرادفة لــ "good" حسن، طيب". هنا كان التحول فى المنظور واضــحاً. بــدأت popular ترى من وجهة نظر الناس بدلاً من أولئك الذين يسعون للحصول علـــى ودهم أو لكسب سلطة منهم. لكن المعنى السابق لم يمت. لــم يعــرّف الشــعب people الثقافة الشعبية popular culture ولكن عرّفها آخرون، ولا تــزال تحمــل معنيين قديمين: أنواع وضيعة من الأعمـــــال (قـــارن popular literature أدب شعبي؛ صحافـــــة شعبية فى تمييز لهــــا عن صحافة جادة)؛ وأعمـــال تسـعى بطريقة مدروسة لكسب الــود (popular journalism كتابة صحفية شــعبية فـــى تمييز لها عن ديمقراطية، أو popular entertainment ترفيه شعبى)؛ بالإضافة إلى المعنى الحديث – محبوب من قبل الكثيرين – الذى يتداخل، بالطبع، فـــى حـــالات كثيرة مع المعنيين السابقين. يختلف عن كل ذلك معنـــى popular culture كثقافـــة ينتجها فعلا الشعب لنفسه. بوضوح، يرتبط ذلك بمفهــوم هــردر Herder لــــ " Kultur des Volkes" ثقافة الشعوب، من أواخر ق ١٨، لكن يمكــن تمييــز "ثقافـــة فولكية/شعبية" folk-culture (قارن FOLK) التى برزت فى الإنجليزية عن المعانى الحديثة لثقافة شعبية popular ، سواء كانت معاصرة أو تاريخية. يمكن ملاحظــة هذه المعانى المختلفة مرة أخرى فى popularize (ينشر بــين الجمهــور، يجعــل رائجا) التى كانت حتى ق ١٩ تعبيراً سياسياً بالمعنى القديم ومن ثم اكتسبت معناها المحدد لتقديم المعرفة بطرق مبسطة. بشكل رئيسى كانت تحمل معانى إيجابية فى

ق١٩ واستمر ذلك فى ق٢٠ إلا أن هناك أيضا معنى واضحا يدل على " التبسيط "، الذى يسيطر فى بعض الدوائـــر.

فى النقاش السياسي، تجسد populism شعبوية، كل هذه التنويعـــات. فـــى أمريكا كان الشعبويون Populists (من ١٨٩٢، حـــزب الشـــعب) فـــى تحـــالف راديكالى مع منظمات العمـــال، رغـــم أن العلاقـــة بـــين populism و socialism اشتراكية معقدة. تبقى معنى تمثيل المصالح والقيم الشعبية popular، لكن كثيرا مـــا طغى عليه إما (أ) نقد يمينى لذلك، كما فى demagogy ديماجوجية التى تحولت من "قيادة الشعب" إلي" تهييج مبسط وفج"؛ أو (ب) نقد يسارى للحركـــات اليمينيـــة أو الفاشية التى تستغل "التحيزات الشعبية"، أو نقدها لحركات يسارية تخضع الأفكـــار الاشتراكية لمفاهيم وتقاليد شعبية popular أو شعبوية populist.

فى وسط ق ٢٠ اختصرت بطريقـــة دالـــة popular song أغنيـــة شـــعبية و popular art فن شعبى إلى pop ، وتجمّعت مرة أخرى هنـــا جملـــة المعـــانى المألوفة من الإيجابية إلى السلبية. منح الاختصار الكلمة بساطة لكنه فـــى نفـــس الوقت عرّضها بشكل سهل لمعنى تفاهة. من الصعب القول بأن هذا المعنى اندمج مع معانى pop القديمة: المعنى الشائع لحركة مفعمة بالحياة والعفوية، كما هو فـــى سياقات كثيرة مألوفة وسارة، بالتأكيد ملائم .

انظر: COMMON شائع/مشـــترك، CULTURE ثقافـــة، DEMOCRACY ديمقراطيـــة، FOLK فولـــك/شـــعب، MASSES جماهير

وضعى POSITIVIST

يكاد يكون من المستحيل الآن فرز معنى شائع لوضـــعى positivist مـــن النقاش العام حول الإمبيريقية EMPIRRCISM (ا م) والمنهج العلمـــى SCIENTIFIC (ا م)، رغم أن تاريخ الكلمة الفعلى يتطلب منا أن نكون حذرين من بعض استعمالاتها

الأكثر غموضاً. أدرج كونت من ١٨٣٠ الكلمة بشكل فعال في الفرنسية واستعملت بكثرة في الإنجليزية في منتصف ق ١٩. كان مصدرها **positive** يدل في أحد معانيه المتطورة على وجود حقيقي أو فعلي (وفي ذلك تحول من الاستعمال الأسبق الذي دل على "يخطط رسمياً": (س م) **postivus**، لاتينية، (س ب) **ponere**، لاتينية : موضوع **laid down**؛ بوضوح أسهم معنى "قطعي" و "يقيني" في هذا السياق الرسمي في معنى "الحقيقي **real**"). جادل كونت أن العقل البشرى انتقل من مرحلة التفسير الثيولوجي الأولى ، عبر مرحلة التفسير المجرد والميتافيزيقي ، إلى مرحلة الإدراك الوضعي **positive** أو العلمي **scientific** الناضجة حيث الاعتماد يقتصر على الحقائق التي يمكن ملاحظتها ، والعلاقات القائمة بينها والقوانين التي يمكن استنباطها من تلك الملاحظة، وأن كل أنواع البحث عن الأصل والسبب أو الهدف هي ما قبل علمية. بهذا المفهوم تم تبني **positivist** بشكل واسع وكانت في الغالب بديلة لعلمي **scientific**. لكن عند كونت الوضعية **positivism** لم تكن مجرد نظرية للمعرفة وإنما كانت أيضا خطة للتاريخ وبرنامج إصلاح اجتماعي. بهذا المفهوم الأشمل أصبحت **positivism** في إنجلترا حركة تفكير حر وراديكالي ، بالإضافة إلى كونها حركة علمية. في الحقيقة، لأن الوضعية كانت مشغولة بفهم وتغيير المجتمع فإنها اتهمت بكونها ليست علمية بدرجة كافية أو ليست موضوعية **objective** بمقدار كاف (قارن علم اجتماع **SOCIOLOGY** ، الكلمة الأخرى الرئيسية التي سكها كونت). علاوة على ذلك، انفصل فرع من الوضعية في محاولة لتأسيس كنيسة وضعية **Positivist Church**: دين البشرية الحديث. لكن كل هذه التطورات هي جزء من ماضي الكلمة المنتهي. المعنى العام الذي برز أولا هو "ضد الدوغماتية **anti-dogmatic**: "الوضعية، أي تقديم الحقائق دونما خلط بالتنظير أو الميثولوجيا" (١٨٩٢)؛ وكذلك برز لاحقا، كجزء من جدل عام وصعب حول الإمبيريقية والمنهج العلمي، معناها الشائع الآن والسلبي في عمومه كموضوعية ساذجة **naive objectivity**. من اللافت أنها لا تستعمل الآن، على عكس كل من علمي وإمبيريقي، لوصف وتبرير معيار للمعرفة الموثوقة. بدلاً من ذلك تستعمل الكلمة بشكل رئيسي من قبل

معارضى فكرة اعتبار هذا المعيار مطلقاً. ما يجادل هؤلاء ضده ليس مــا جــادل ضده الوضعيون، سواء الاعتقاد الدينى أو الأفكار القبلية a priori. بدلاً من ذلــك، يعتمد نقد positivism على ما اعتبر غموض مفهوم "الحقائق المشاهدة observable facts" أو فى قصورها العام على حقائق تخضع لقياس مادى أو قياس مكرر ويمكن التحقق منه. كان الجدل أن هذا لا يهمل فقط وضع المشاهد الذى هو أيضا حقيقة وليس مجرد أداة، و إنما يهمل أيضاً خبــرات experiences ومواضــيع لا يمكــن "قياسها" بهذه الطريقة؛ و بالتالى سيقصر هــذا التنظيــر THEORY (ا م) والمــنهج العلمى SCIENTIFIC (ا م) على مجالات معينة، ويعرّض مجالات أخرى إلى مجرد التقليد أو اللامبالاة.

هذا طرح هام، لكن نتيجة استعمال positivist كأحد مصطلحاته المركزيــة، فى الوقت الذى أسقطه فعلــياً المدافعون عن الموقع المهاجم، فإنــه فــى الغالــب إقصاء للمشكلة الحقيقية، أو حتى إعاقة لتوضيحها. تصبح الكلمة شتيمة لكن دونما شتم. لكن النقاش الحقيقى لا يزال قائماً. ببساطة قد يكون أكثر إزعاجاً تركيــزه على scientific حيث المواضيع هى فى الوقت ذاته أصعب و أوضح.

انظــــــر: EMPIRICAL إمبيريقــــــي، SCIENCE علــــــم، SUBJECTIVE ذاتى، THEORY نظرية

برجماتي/عملى PRAGMATIC

تستعمل pragmatic الآن غالبا فى تضاد، خاصــة فيمــا يتعلــق بالسياســة والسياسيين، إما مع dogmatic دوجماتى أو ملتزم بالمبــادئ principled، ويكــون الاختيار تبعاً لوجهة النظر. صلتها بــالبرجماتية pragmatism ملتبســة فمعانيهــا تمتد من practical عملى مقابل نظرى theoretical إلى إشارة غير واضحة تمامــاً لنظرية فلسفية معينة عرفت منذ أواخر ق ١٩ بالبرجماتية Pragmatism. لذا هــى مثال لافت للتجمع اللغوى المعقد حول مفاهيم نظريــة THEORY (ا م) و practice ممارسة.

دخلت pragmatic الإنجليزية فى ق ١٦ (فـى البدايـة pragmatic كإسـم وpragmatical كصفة) بالمعانى المحددة: (١) مرسوم حكومى و (٢) وكيل/وسـيط أو رجل أعمال، من (س ب) pragmaticus، لاتينية: بارع فـى الأعمـال، لاحقـاً ارتبطت بأمور الدولة، pragmatikos، يونانية: (رجل) بارع فى الأعمال، من (س ب) pragma، يونانية: عمل، أمـر من أمور الأعمال business. (business من bisig (busy) مشغول)، إنجليزية قديمة، لها نطاق واسع من المعاني، مـن قلـق وشغف إلى مهنة جادة، لكن لم يتبق من ذلك إلا القليل الذى غالبا ما يظهـر فـى عبارات معينة، حيث حصرت هذه الكلمة الشائعة على التجارة وكان ذلك واضـحا من ق ١٧ وبشكل مألوف بحلول ق.١٩.) استمرت الاستعمالات المبكرة رغـم أن معنى (١) أصبح نادراً واقتصر على دلالة تاريخية معينـة. فـى ق ١٧ توسـعت الصفة لتشمل (٣) عملى ومفيد: " ليست معرفة غريبة وتافهـة ... لكـن معرفـة عملية pragmatical مليئة بالجهد والعمـل business" (١٥٩٧)؛ و (٤) فضـولي، متطفل وجازم: "أناس متطفلين متدخلين واثقين pragmatic" (١٦٧٤). نجم عن (٤) معنى فرعى لافت، (٥): متشبث برأيه، دوجماتي، استعمل فى الغالب مـن ق ١٧ إلى ق ١٩: "أسلوب عنيد قاطع pragmatical للتعبير عن آرائهـم" (١٧٠٤)؛ "فـى مغايرة صارخة لكوبيت البرجماتى كان هنـاك مـاكينتوش المحبـوب، الهـادئ، المتأمل" (١٨٧٢)؛ "دوجماتية عنيـدة pragmatic وعديمـة الصـلة بالموضـوع" (١٨٧٢). كان هناك أيضاً معنى آخـــر من ق١٩ (٦) استمد من pragmatisch و pragmatismus الألمانيتين لوصف الدراسة المنهجية للتاريخ مع اهتمام خـاص بالأسباب و النتائج.

هذه المعانى اللاحقة مدهشة جدا الآن وليس من السهل تتبع التطور فـى ق ٢٠. كان معنى (٣) لا يزال حاضراً فى بعض استعمالات ق١٩ لكن لم يقتصـر على مهارة عملية بل شمل كذلك الـدهاء وقابليـة الاسـتعمال: "حكمـة سياسـية وبرجماتية" (١٨٢٢). فى نفس الوقت، من سبعينيات ق ١٧، استعمل الفيلسـوف الأمريكى بيرس pragmatism كمنهج فى علـم المنطق: "منهـــج للتحقـق مـن معنى الكلمات الصعبـة والمفـاهيم المجـردة". (*Collected Papers Of Charles*

Sanders Pierce، V، 1931-5; 464). كان المنهج هو أن "تعتبر الآثار، التى يمكن أن تصور موضوع الفكرة حاصل عليها، والتى نتصور أن لها مركزا عمليا ... إن فكرتنا عن هذه الآثار هو كل فكرتنا عن الموضوع" (نفس المصدر، جـ ٧، ٢). هذه طريقة للفهم وليست (كما حدث لاحقاً فى دعم وليام جيمز للبرجماتية) للتبرير. فى تطور نظرية البراجماتية المعقد جدا كان التأكيد السائد على "اتباع دقيق للحقائق" وعلى "ملاحظة سلسلة الخبرات التى تنجم" عن فعل أو فكرة. من المفارقة أن بيرس، الذى أدرج هذا المصطلح فى هذا السياق، ركز كثيرا على مصاعب التأكد من الحقائق ومن ثم ركز على المعرفة واللغة كإشكالية. من المؤكد أن الأسئلة التى طرحها بيرس ستضع حدا نهائيا لأى برجماتى pragmatist عادي. لكن هناك معنى ارتبطت فيه الصيغة الشائعة (فلسفة العناية بالحقائق والنتائج والعملية) بصفات الإطراء فى معنى (٣)، رغم أن الصلة أصبحت زائفة عندما بلغت المعنى المختزل: "فن الممكن"، أى مجرد الحسابات السياسية التى يكون فيها تلاعب ودهاء. لا يزال هذا المعنى الأخير يجد تبريراً بتمييزه عن دوجماتى dogmatic، وعن المعانى المختزلة الشائعة التى تستعمل لنظرية theory أو مبدأ principle أو حتى ثبات. عند هذا المستوى تعدّ كل الصلات بالموقف الفلسفى فعليا زائفة. لكن من اللافت أن الكلمة تستعمل بشكل واسع وأن معنيى (٤) و (٥) أسقطا. من "كوربت البرجماتى (العنيد)" إلى " سياسى برجماتى (داهية، متلاعب)" مسافة نادراً ما يمكن لكلمة أن تقطعها. لكن الكلمة كانت مفيدة كبديل مقبول لعديم المبادئ unprincipled أو timeserving انتهازي، خاصة فى الحركات السياسية التى تعلن مجموعة مبادئ وتقرر تحت ضغوط أن تهملها أو تنبذها أو تخونها، لكنها تظهر بمظهر البراعة والدهاء.

انظر: DOCTRINAIRE غير عملي، THEORY نظرية

خاص PRIVATE

لا تزال private كلمة معقدة، لكن تم انجاز المراجعة التاريخية الاستثنائية لها بشكل عام منذ مدة طويلة. دخلت الإنجليزية من (س م) privatus، لاتينية: منعزل عن الحياة العامة، من (س ب) privare، لاتينية: يسلب أو يحرم (احتفظت الكلمة الإنجليزية deprive بالمعنى المبكر الواضح). استعملت للزوايا الدينية المنعزلة حيث كان النشاط طواعية (ق ١٤) ومن ق ١٥ استعملت للأفراد الذين ليس لهم رتبة أو موقع رسمى أو عام، كما هو باق الآن فى private soldier جندى عادى و private member عضو خاص (فى البرلمان). اكتسبت معنى سرى أو خفى فى كل من السياسة وفى المعنى الجنسى للعبارة private parts (عورة الإنسان). اكتسبت أيضاً (وهذه كانت إحدى اللحظات الحاسمة فى تحول الكلمة) معارضة تقليدية مع عام public، كما هو الحال فى private house منزل خاص، private education تعليم خاص، private theatre مسرح خاص، private view عرض خاص، private hotel فندق خاص، private club نادى خاص و private property ممتلكات خاصة. فى كل هذه الاستعمالات تقريباً كان المعنى الرئيسى يتعلق بالامتياز privilege؛ اعتبرت المشاركة المحدودة أو صعوبة المنال ليست حرمانا و إنما ميزة (قارن exclusive حصري). تطور هذه المعنى المؤاتى بشكل رئيسى من ق ١٦ وكان فى طور الانتشار السريع فى ق ١٩، فى نفس الوقت الذى احتفظت فيه privation فاقة/عوز بمعنى الحرمان القديم واحتفظت privateer (فى الأصل رجل حرب خاص private) بمعناها: الاستيلاء على ممتلكات الآخرين. توافقت privilege امتياز مع private خصوصي؛ ترجعان أساساً إلى priviligium، لاتينية: قانون أو حكم لمصلحة أو ضد شخص ما، لكن أصبحت ميزة أو منفعة خاصة.

لكن هذا التوجه العام فى private (ارتباطها بالامتياز privilege) يجب وضعه بمحاذاة توجه آخر حل فيه معنياً استقلال وحميمية محل انسحاب وانعزال. من الصعب تحديد تاريخ لذلك. هناك استعمال إيجابى عند Ridley (١٥٤٩):

"لواعج privitis قلبي وضميري". كان هناك معنى شائع لحميمية محظية privileged في العلاقة مع شخص نافذ أو هام، وأتاح ذلك تداخلاً مع معنى متطور لرفع الكلفة، كما في private friends أصدقاء خواص. في القرنين ١٧ و ١٨ خاصة الأخير تم تقدير الانعزال بمعنى حياة هادئة كـ privacy خلوة وتطور هذا أبعد من معنى التوحد solitude إلى معنى الانسحاب المحترم والنبيل وإلى معنى خصوصية privacy أهلي وأصدقائي، وأبعد من هذين إلى القيم العامة للحياة الخاصة private life. ارتبط هذا التطور ارتباطاً وثيقاً بالتغيرات الموازية في معاني INDIVIDUAL فرد و أسرة FAMILY (ا م).

لا تزال تحتفظ private life حياة خاصة بمعناها القديم، في تمييز خاص لها عن public life حياة عامة ("ما يفعله في حياته الخاصة")، لكن يبدو أن ارتباط الكلمة الدائم بـ personal شخصي، وهما كلمتان محبذتان جداً، هو السائد الآن. لا يزال ممكنا للكلمة أن تكون سلبية: private profit ربح خاص (مخفي) و private advantage ميزة خاصة (تشتمل التمييز)، لكن الصلة بالاستقلال الشخصي هي من القوة بدرجة تسمح بتسمية شركات المحاصصة الكبرى private enterprises مشاريع خاصة (حيث التمييز المفضل ليس عن public عامة ولكن عن الدولة state). في معانيها الإيجابية الكلمة private سجل لإيجاد شرعية لوجهة نظر برجوازية: الامتياز العام المطلق، رغم تجريده في التطبيق، للانعزال والوقاية من الآخرين (the public العامة)؛ ولعدم المسئولية أمامهم؛ وللمكتسبات المشابهة في الحميمية والراحة من هذه الأصناف العامة. في هذا الوضع، خاصة في معاني حقوق الفرد individual (في حياته الخاصة private life، أو من منطلق مختلف تماماً، في حرياته المدينة civil liberties) وفي الحميمية المقدرة للأسرة والأصدقاء، تم تبني private بشكل واسع خارج نطاق وجهة النظر البرجوازية الضيقة. هذا هو السبب الحقيقي لتعقيدها الحالي.

انظـــر: COMMON شـــائع/مشـــترك، FAMILY أســـرة، INDIVIDUAL فـــــرد، PERSONALITY شخصــــية، SOCIETY مجتمع، UNDERPRIVILEGED محروم

تقدمـــــى PROGRESSIVE

كتعبير للوصف السياسى كلمة progressive حديثة نسبياً. برزت فى الجدل الثيولوجى فى وسط ق ١٩ لكـــن ســـبقتها فـــى السياســـة صـــيغة progressist: "إشتراكيون و progressists تقدميـــون" (١٨٤٨)؛ "حزبان طبيعيان ومحتومان ... محافظون و progressists" (١٨٥٦). كان عندئذ التعبير المعارض conservative محافظ نفسه حديثا فى المعنى السياسي، رغم أنه استعمل منذ ق ١٤ فى المفهـــوم العام للحفظ والوقاية وكان للكلمة conservatory وصاية/حراســـة اســـتعمال أقـــدم. يرجع تاريخ تداول conservative كتعبير سياسى عادة إلى كروكر (١٨٣٠): "مـــا يسمى حزب Tory تورى هو ما يمكن بدقـــة أكبـــر تســـميته حـــزب المحـــافظين Conservative". كانت عندئذ تستعمل بشكل واسع، رسمى أو غيـــر رسمي، فـــى النقاش السياسي، و توسعت خلال منتصف ق ١٩ لتصف توجهات أعـــم. كانـــت progressist تقدمانى و progressive تقدمى معارضان طبيعيان لها فى هذا النقاش. كتب دزرالى (١٨٤٤): "المحافظة conservatism تنبذ الإملاء، تنفر من المبـــادئ وترفض التقدم Progress". من ثمانينـــات ق ١٩ كـــان التقـــدميون Progressives مجموعة ليبرالية Liberal فى السياسة المحلية فى المدن: "هنـــاك تقـــدميون ليســـوا ليبراليين ... لكن ليس هناك ليبراليون غير تقـــدميين (روزبـــرى، ١٨٩٨). فـــى ق٢٠ توسعت progressive بشكل كبير، ليس فقط للدلالة على مواقـــف عامـــة أو أحزاب، و إنما كذلك لوصف سياسات و اتجاهات معينه. لذا يمكن أن نسمع عـــن progressive conservatism محافظة تقدمية.

بعيداً تماماً عن تعقيدات بعض المجادلات حول الكلمة: فـــإن progressive كلمة معقدة لأنها تعتمد على التاريخ المعقد بشكل ملحـــوظ لـــــ progress تقـــدم.

كانت هذه الكلمة الأخيرة فى الإنجليزية منــذ ق ١٥، مــن progressus، لاتينيــة: المضى إلى الأمام، من (س ب) pro إلى الأمام و اسم المفعــول الماضــى لـــ gradi: يخطو/يتدرج. كانت استعمالاتها الأولى للسير أو الرحلة أو المشى الفعلي، ثم لسلسلة أحداث متنامية. ليس هناك معنى أيديولوجي بالضرورة فى هذا المعنــى للحركة إلى الأمام أو سلسلة متنامية، كما لا يزال ممكناً ملاحظته فى اســتعمالات مثل progress of disease تطور المرض. كل ما يعنيه ذلك بالتأكيد هو مراحــل متتابعة يمكن اكتشافها. من ناحية أخرى، مجرد ترابط المعنيين – التحــرك إلــى الأمام و التوالى القابل للاكتشاف – جعل اختيار الكلمة طبيعياً عندما بدأ المعنيــان الجديــدان لحضـــارة CIVILIZATION (١م) و تــاريخ HISTORY (١م) يســتقران، خاصـــة فى ق ١٨. أصـــاب Bunyan فـــى كتابـــه *The Pilgrim's Progress* (١٦٧٨) المعنى الرئيسى لرحلة، منذ ق١٧، لكنه بالطريقة التى أتم بهــا عنوانــه: "من هذه الدنيا إلى تلك التى ستتبع"، شمل معنى "مصير واضح" و "مستقبل future" (التى اكتسبت، خاصة "the future المستقبل" معرفــة، نفــس إيحــاءات "المصــير الواضح") وسرعان ما تمت علمنة ذلك وإعطائه محتوى جديداً تمامــاً. بخــلاف بعض السياقات، اعتمد التحديد الرئيسى للمعنى على إدراك أن "الحركة" هى مــن الأسوأ إلى الأفضل. إن تجريد تلك الحركة كنمط تاريخى قابل للاكتشاف هو الذى أنتج Progress تقدم كفكرة عامــة مرتبطــة ارتباطــاً وثيقــاً بأفكــار الحضــارة CIVILIZATION و IMPROVEMENT تطوير/تحسين. أتمت التجريد الفكرة الإضافية بأن هذه حركة تاريخ عامة واضحة أو قابلة للاكتشاف، كما هو بشكل ملحوظ فى Universal Histories التواريخ الكلية أو الشاملة من عصر الأنوار. دعمــت هــذا المعنى أيضاً فكرة التطور فى EVOLUTION النشوء والارتقاء (١م) حيث صار مبدأ التطور الفطرى إلى أنواع أسمى هو المعنى الرئيسي. فى ١٧٤٢ استعمل يــنج Young تقدم progress بمعنى التحسين و التطور العام:

تبتهـــج الطبيعة بالتقدم progress؛ فى الترقي

من الأسوأ إلى الأفضل؛ لكن عندما تسمو العقول

يعتمد التقدم progress جزئيـاً على تلك العقول.

لكن حتى هذا يختلف عن التجريد النهائي: عملية متأصلة للتطوير التاريخى والاجتماعي. رغم أن أساسها كان فــى ق ١٨ إلا أن التطــور الكامــل لفكــرة Progress، كقانون للتاريخ ("لا تستطيع إيقاف التقدم progress")، ينتمى إلى ثورات أواخــر ق ١٨ و ق ١٩ السياسية و الصناعية. من اللافت أنه بســبب الطبيعــة المتنوعة لهذه التحولات أصبحت Progress موضع تساؤل أو معارضة ليس فقــط من قبل المواقف المحافظة أو الميتافيزيقية ولكن أيضاً من قبــل الــذين لاحظــوا حركات متناقضة أو مختلفة فى التاريخ مما جعل تجريد Progress كقانون تاريخى أو اجتماعــى شامل مجرد مثالية IDEALIST (ام). فى ق٢٠ احتفظــت progress بمعناها الرئيسى للتطوير لكن لها معنى هاماً (بالإضافة إلى ما فيه مــن مفارقــة) تظهر فيه على أنها مجرد تغيير: امتداد لتوجه ما فى مراحل واضحة، كما كان فى المعنى القديم. أى تقدم progress يمكن عندئذ إما استحسانه أو رفضــه حســب معايير مختلفة تماماً.

التعبير progressive تقدمى صعب فى السياسة لأن له هذا التاريخ الطويل. لا يزال يمكن استعماله ببساطة كمقابل لمحافظ conservative؛ أى شخص يرحــب بالتغيير أو يناصره. بمعناه الأكثر عمومية الدال على التحسين و التطــوير هــو صفة يستعملها الجميع لكل المشاريع تقريباً التى تقدمها كل الأحزاب. هناك تعقيــد فى كون التعبير، من ناحية، يستعمل بشكل عام لليسار (فرق من اليسار) كما فى progressive-minded people أشخاص تقدمى الذهن، لكن، من الناحية الأخــرى، يستعمل لتمييز مساندى التغيير المعتدل و المنتظم (كمــا هــو فــى EVOLUTION مقابــل REVOLUTION ثــورة (ام))، حيث يستحضر معنى رحلــة يكــون فيهــا التحرك خطوة خطوة بانتظام فى اتجاه ما، كما فى "حــزب تقــدمى progressive لكنه ليس إشتراكيا" أو "المحافظة تقدم منتظم: نحن الحزب التقدمى الحقيقي". مــن المؤكد و الهام أن كل الاتجاهات السياسية تقريباً تحلم الآن بــأن توصــف بأنهــا تقدمية، لكن للأسباب السابقة فإن العبارة الآن اقناعية أكثر من كونها وصفية.

انظـــر: CIVILIZATION حضـــارة، DEVELOPMENT تنميـــة، EVOLUTION نشوء و ارتقاء، EXPLOITATION استغلال، HISTORY تاريخ، IMPROVE يحسن/يطور، REACTIONARY رجعي، REFORM إصلاح، REVOLUTION ثورة

سيكولوجى PSYCHOLOGICAL

سكّت psychologia ككلمة لاتينية فـــى ألمانيا فى ق ١٦. كانـــت الكلمـــة اليونانية psyche – نفس، روح – قد تطورت فى اللاتينية كروح، نفـــــس وعقــل (قارن anima، لاتينية: هواء، نفس، حياة، روح). كان الاستعمال الألمانى الأصل فى عبارة psychologia anthropologica, sive animae humanae doctrina ، ووجد هذا المعنى العام لعلم العقل أو الروح البشرية طريقه عبر الفرنسية إلى الإنجليزيـــة كـــ psychology سيكولوجيا/ علم النفس فى أواخر ق١٧. كان معنى هذه الكلمـــة المبكر هو معتقد الأرواح (كان هناك فى الفرنسية معنى يدل على علم الأشـــباح). فى ١٧٣٢ عرف وولف فى الألمانية empiric psychology السيكولوجيا الإمبيريقية بمفهوم أكثر حداثة وتبنى ذلك فى الإنجليزية هارتلى فى ١٧٤٨، لكن لم تســتعمل الكلمة بكثرة قبل ق ١٩.

سجلت psychological من ١٧٩٤: "الاتحاد السيكولوجى الذى نسميه العقل". كذلك استعملها دزرالى بمفهوم ألمانى فى ١٨١٢. لكن فى ١٨١٨، مميزا بـــين " الطريقتين... السيكولوجية ... والشعرية" عند شكسبير، طلب كوليردج "المعذرة من استعمال هذه الكلمة المتعجرفة، لكنها كلمة لغتنا فى أمس الحاجة لها. ليس لـــدينا كلمة واحدة تدل على فلسفة العقل البشري". كل هذه الاستعمالات بعيدة نسبياً عمـــا آل إليه المعنى الأعم للكلمة. لا تزال psychological صفة محددة مشـــتقة مـــن psychology: "بحث سيكولوجى psychological" الخ. لكن ربما تحت تـــأثير مـــن بعض مدارس "سيكولوجيا"، وكذلك فى علاقة بالحركة العامة التى منحتنا المعـــانى الحديثة لشخصية PERSONALITY، PRIVATE خاص و SUBJECTIVE ذاتى (أنظـــر

المواد)، اكتسبت psychological معنيين مختلفين يدلان إما على (١) شعور " داخلي" أو (٢) الشخصية والسلوك كما يرى من وجهة النظر هذه. كان معنى ثالث، كما فى psychological moment لحظة سيكولوجية، شائعاً فيما يتعلق بأثر فعل ما على الشعور وخصوصا معنويات الآخرين، وذلك من ١٨٧٠ تقريباً.

بخلاف استعمالاتها العلمية لاتعبر psychological فى العادة، كما هو واضح من المعانى التى بينها كوليردج عن العقل البشرى ككل. إنها تدل على ما يعتبر جزءا من العقل (قارن UNCOSCIOUS اللاوعي) متعلقا بشكل رئيسى بالشعور بدلا من العقل أو الفكر أو المعرفة. تعطى الأسباب السيكولوجية psychological reasons فى العادة ليس لأنها مستمدة من السيكولوجيا psychology (سوى بمعناها الذى توسع بطريقة مماثلة والذى يشير إلى فهم شعور أو سلوك الآخرين)، لكن كإلماع إلى هذا الجزء المفترض من العقل. (هناك مقارنة لافتة مع sociological سوسيولوجى التى استعملت على نطاق واسع ليس فى الغالب لإيضاح حقائق أو نظريات مستمدة من sociology علم الاجتماع ولكن كصيغة مشتقة من social اجتماعي: "العوامل السوسيولوجية sociological فى هذا الإضراب". فى الغالب العوامل السوسيولوجية هى social اجتماعية والعوامل السيكولوجية psychological هى شخصية personal ضمن التصنيف التقليدى بين SOCIETY مجتمع و INDIVIDUAL فرد (أنظر المادتين). مع ذلك، بينما توجد social كبديل بسيط لاستعمال sociological الرائج فإنه لا يوجد بديل سهل لسيكولوجى psychological؛ للكلمتين psychic و psychical معان مختلفة تماماً، متبقية من استعمالات psychology و psyche المبكرة. هناك أيضا صيغة مشابهة فى technological تكنولوجى التى تستعمل فى الغالب بمعنى technical تقني: أمور تتعلق بالتقنية technique (techne، يونانية: فن أو حرفة؛ technical ترجع إلى ق ١٧؛ technique (ق ١٩): منهج فى الفن، لاحقا منهج فى أى مجال) بدلا من تكنولوجيا technology (ق ١٧): دراسة الفنون والحرف، علم المصطلحات التقنية، لاحقاً (بشكل رئيسى ق٢٠) المعرفة والطرق التطبيقية فى العلوم والصناعة.

مهما كانت التحفظات علـــى psychology و psychological مـــن وجهـــات النظر الأكاديمية أو العلمية فإن الدلالة فـــى التعبيـــرين علـــى أمـــور "الشـــعور" و"الشخصية character" سائدة الآن. تنتميان بهذا المعنى إلى مجموعة من الكلمات الأخرى: subjective و individual و sensibility حساسية وبعـــض المعانـــــــى المتطورة لـــ art فن، interest اهتمام، creative خلاق. يتكرر هذا التـــوتر بـــين معانى هذا التشكيل الثقافى المهم ومعانى psychology الأدق على مستوى مختلــف (حتى ضمن psychology نفسها) التى تشتمل مجالات مثيرة للجدل الشديد تمتد من الدراسات الفيزيائية التجريبية و عبر دراسات تجريبية فى العلاقات بين الأشخاص interpersonal (التى لها تطبيقـــات متخصصـــة فـــى الســـيكولوجيا الاجتماعيـــة والصناعية) إلى مبادئ وممارسات من نوع فلسفى وعلاجى يعتمد معظمها علـــى معان متطورة للكلمات الرئيسية فى التشكيل. بطريقة دالة فى الغالب تتكر كل هذه الاتجاهات المختلفة بشكل متبادل المعنى الدقيق لسيكولوجيا psychology.

يمكن ملاحظة أثر مهم للمعنى الأعم فى استعمالات معينة لـــ psychology: بشكل ملحوظ، psychological realism واقعيـــة ســـيكولوجية و the psychological novel الرواية السيكولوجية. لم يكن بالإمكان اختراع هذين التعبيـــرين ولا يمكـــن الاستمرار باستعمالهما بطريقة معقولة إلا بناءً على افتراض عـــالم بـــاطنى inner world مستقل أو على الأقل جذرياً متميز تتم فيه عمليـــات الشـــعور والعلاقـــات والنشاط حسب شروطها، وفى الغالب آخذة فى الاعتبار أولوية هذه العمليات وتبعية أو عرضية العالم الخارجى outside world: الطبيعة nature أو المجتمـــع society. الفصـــل التقليـــدى الآن بـــين the psychological الســـيكولوجى و the social الاجتماعى هو أحد أهم العلامات البارزة فى هذا التشكيل ككل.

انظر: BEHAVIOUR ســلوك، PERSONALITY شخصـــية، PRIVATE خاص، SENSIBILITY حساســـية، SOCIOLOGY علـــم اجتمـــاع، SUBJECTIVE ذاتـــي، TECHNOLOGY تكنولوجيـــا، UNCONSCIOUS لاوعى

جنسى/عرقى RACIAL

دخلت كلمة race الإنجليزية فى ق ١٦، من (س م) race، فرنسية و razza، إيطالية. أصولها الأسبق ليست معروفة. فى استعمالاتها الأولى لها مجموعة من المعاني: (١) ذرية بمعنى سلسلة نسب – "عرق وسلالة race and stock إبراهيم" (١٥٧٠) – كما فى الاستعمالات الأسبق لـ "دم" و مرادفتها جذع stock التى استخدمت بهذه الطريقة منذ ق ١٤ فى استعارة مطورة من stoc، إنجليزية قديمة: جذع أو ساق؛ (٢) نوع أو فصيلة من النباتات (١٥٩٦) أو الحيوانات (١٦٠٥)؛ (٣) تصنيف عام كما فى "الجنس البشري" (١٥٨٠)؛ (٤) مجموعة من الناس وهذا المعنى هو توسع وتوضيح لمعنى (١) مع تأثر بمعنى (٢): "آخر أمير لويلز (ولى العهد) من العرق race البريطانى (١٦٠٠)".

استمرت مجموعة المعانى هذه لكن الكلمة أصبحت حسب معنى (٤) مع تأثير من معنى (١) إشكالية خاصة فى تداخلها وتشوشها مع معنيين (٢) و (٣) البسيطين نسبياً. استعملت race بمحاذاة كل من genus جنس و species نوع فى التصنيف البيولوجي، لكن تنشأ مشاكلها كلها عندما تستعمل للدلالة على مجموعة داخل النوع كما فى حالة "أجناس/ أعراق races البشر". من ناحية، يرجع هذا إلى المعانى القديمة لدم أو جذع، لكن توسع بشكل كبير من ذرية محددة يمكن تتبعها إلى مجموعات قومية وثقافية واجتماعية أكثر شمولاً. مع ذلك، من الناحية الأخرى، منذ Blumenbach (١٧٨٧) كانت الأنثروبولوجيا الفيزيائية الجادة تتعقب مجموعات متمايزة بين البشر؛ ميز تصنيف بلومنباخ، الذى اعتمد بشكل رئيسى على قياس الجماجم، القوقازى والمنغولى والملاوى والأثيوبى والأمريكى (الهندي)، بالإضافة إلى الفروق بناءً على لون البشرة: أبيض، أصفر، أسمر، أسود، أحمر. تلت ذلك نظم أكثر تعقيداً فى الأنثروبولوجيا الفيزيائية تتضمن أصناف ما قبل الإنسان وأصناف أنسوية huminid أخرى، لكن منذ بروز " البشر الكاملين" أصبح التعقب هو لفروق ضمن نوع واحد لا ريب فى وحدانيته.

أصبح هذا الجهد العلمي الجـاد ملتبساً بشكل جذرى فـى ق ١٩ بأفكـار مستمدة من التحيز الفكرى السياسى والاجتماعي. إحدى العلامات البـارزة هـى كتاب Gobineau: *Essai sur L'inegalite des races humaines* بحـث فـى عـدم المساواة بين الأعراق البشرية (١٨٥٣-١٨٥٥) الذى قدم فكـرة "الجـنس الآري" (التى تطورت من Aryan، سنسكريتية: نبيل، التى استعملت بشكل واسع من أوائـل ق ١٩ لوصف "عائلة" اللغات الهندوأوربية كما عرفتهـا اللغويـات المقارنـة أو، بطريقة أكثر دقة، القسم الإيراني-هندى من تلك "العائلـة"). كـان التحـول مـن مجموعة لغوية إلى مجموعة فيزيائية (عرقية racial) مضللاً جداً عندما تم دمجـه، كما هو عند جوبينو، مع أفكار "السلالة النقية" وتفوق الأرومة النورديـة/الشـمال أوربية Nordic ضمن تلك السلالة، ومن ثم الفكرة العامة بعدم المسـاواة العرقيـة الخلقية. لم تدخل racial جنسي/عرقى فى الاسـتعمال فـى الإنجليزيـة إلا منـذ منتصف ق ١٩. كان هناك تأثير إضافى من الأفكار التى أصبحت تعـرف بـــ " الداروينية الاجتماعية"، حيث توسع مفهوم النشوء والارتقـاء evolution (صـراع تنافسى من أجل البقاء وكذلك " بقاء الأفضل") من مصدره البيولوجي، الذى دل فيه على علاقات بين الأنوع المختلفة، إلى نزاعات وعواقب سياسية داخل نوع واحد: البشر. فيما يتعلق بالجنس/العرق race، ظهر أكبر الأثر لهذا التوجه فى eugenics اليوجينيا/علم تحسين النسل، وهى كلمة سكها جالتون Galton فى ١٨٨٣ من جذور يونانية بمعنى "إنتاج النسل النقي". فى بعض فروع اليوجينيا تـم الترويج بشـكل واسع لأفكار التفوق الطبقى class والعرقى racial، وتم خلط، بل تجاهـل، الـدليل العلمى للوراثة المتفاوتة بناء على مفاهيم ما قبل علميـة لـــ " النسـل العرقـى الصافي"، و للوراثة، عن طريق الدم أو العرق، لخصال مكتسبة ثقافيا (رغـم أن جالتون نفسه رفض ذلك). تفاعل مبدأ التفوق العرقى الخلقى فى صيغته الفجة مع أفكار الهيمنة السياسية، خـاصة الإمبريالية IMPERIALISM (ا م). دال وجـود هذا فى عبارات مثل "تمييزات شخصـية عرقيـة race-character فـى حكـم (الزنوج)" (١٨٦٦). تم الترويج بشكل واسع للمهمات والمسـؤوليات التاريخيـة

المفترضة للعرقين races " الأنجلو-ساكسون" و "الألمان" (اللذين سيكونان لاحقا في صراع "قومي national" بينهما.

هكذا أصبحت مجموعة الكلمات التي تحلقت حول racial متميزة بشكل فعلي عن المجموعة الأسبق حول race، رغم أنه واضح استحالة فصل المجموعتين. ظهرت racialism التمييز العرقي في السنوات الأولى من ق ٢٠، وسجلت racialist من ١٩٣٠. هاتان كلمتان تكاد تكونان دائماً عدائيتان (في السنوات الأخيرة اختزلتا إلى racism و racist وهما كذلك دائما عدائيتان) لوصف آراء وأفعال مناصري التفوق العرقي أو التمييز discrimination (العنصرية). إلى حد ما عرّضت الكلمتان للشك والريبة العمل المستمر في الأنثروبولوجيا وفي علم الجينات GENETICS (ا م) حيث لا يزال البحث العلمي في الوراثة والتنوعات ضمن النوع البشري مهماً ومفيداً.

سجلت race-hatred كراهية عرقية من ١٨٨٢ رغم أنه يجب ملاحظة قول ما كولي: "لم يحدث في أي بلد أن وجدت العداوة العرقية enmity of race بالقدر الذي كانت عليه في إنجلترا" (١٨٤٩). واضح أن غموض race في معانيها السياسية والاجتماعية الحديثة هو أحد أسباب تأثيرها الضار والطائش. استخدمت ضد مجموعات مختلفة حسب تصنيفات متباينة مثل اليهود (ثقافياً أوربيون ومن أمريكا الشمالية، في معظم السياقات المعتادة)؛ و الأمريكيين السود (أقلية مختلطة ضمن سكان الولايات المتحدة المتباينين)؛ و "الشرقيين" (كما في فكرة " الخطر الأصفر")؛ و"الهنود الغربيين West Indians" (سكان متنوعون تحددت هويتهم بأصل جغرافي لكن استمر التعبير حتى عندما انتهت تلك الصلة)؛ وبعد ذلك استخدمت، بطرق مختلفة، ضد كل من الأيرلنديين والباكستانيين حيث يبلغ الافتراض الآري (هندي- أوربي) حرفيا إلى حدوده القصوى، لكن بطرق إقصائية. يتم تبني وتصور وتعميم فروق بدنية وثقافية واقتصادية و اجتماعية، وخلطها بحيث تستعمل أصناف مختلفة من التنوعات وكأنها ترمز أو توحي ببعضها البعض. التحيز والعنف، الذي غالباً ما ينجم عنه، وتبرير الإثنين

بدعوى الخلط والتشويش، ليس هو مجرد شر يقتصر عليهما؛ بشكل عميق تسبب هذا التحيز والعنف الشديد فى تعقيد، بل وضع تحت التهديد، اللغة الضرورية للمعرفة (غير المتحيزة) للتنوع البشرى وتجمعاته الفعلية.

انظر: ETHNIC إثنى، GENETIC جينى، IMPERIALISM إمبريالية، NATIONALISM قومية/ وطنية، NATIVE محلى

جذرى/متطرف/راديكالى RADICAL

استعملت radical كصفة فى اللغة الإنجليزية من ق ١٤ وكاسم من ق ١٧، من (س م) radicalis، لاتينية حديثة، (س ب) radix، لاتينية: جذر. كانت معظم استعمالاتها الأولى مادية، للتعبير عن ميزة أساسية ومتأصلة ثم توسع ذلك إلى أوصاف أعم، من ق١٦. ينتمى التوسع المهم إلى الأمور السياسية والذى كان دائماً كامناً فى هذا الاستعمال العام، بشكل خاص إلى أواخر ق ١٨، بالذات فى عبارة Radical Reform الإصلاح الجذري. كانت radical كاسم لوصف مناصر الإصلاح شائعة من أوائل ق ١٩: "radical هى كلمة نتنة الرائحة هنا، لأنها تستعمل الإشارة إلى مجموعة من الأوغاد" (سكوت، ١٨١٩)؛ "الحب هو المسوّى العظيم؛ الجذرى radical المثالي" (كوبيت، ١٨٢٢)؛ "استعمل التعبير Radical فى الماضى كنعت فيه تأنيب لطيف، وو جد الآن طريقه إلى أماكن راقية وانتشر كاسم لطبقة تزهو بهذا الوصف" (١٨٣٠)؛ " الغوغاء الراديكاليون" (إميرسون، ١٨٥٦). تشكلت radicalism راديكالية من هذا الاستعمال فى أوائل ق ١٩ ولحقتها radicalize يجعل جذرياً/راديكالياً؛ فيما بعد كان للكلمتين تاريخ لافت. بحلول النصف الثانى من ق ١٩ كانت Radical، خاصة بالحرف الأول الكبير محط احترام يكاد يصل مستوى liberal ليبرالي، وتبعتها بشكل عام Radicalism راديكالية. لكن بقيت radical، فى بعض الاستعمالات، بمعنى أوائل ق ١٩ الأدق. بينما نجد فى ١٨٥٢ "راديكالية مبتذلة، اتجاهات تشارتية chartist أو أمارات إشتراكية" كان هناك بحلول أواخر ق ١٩ تمييز واضح بين الراديكاليين

والإشتراكيين، وعبر السنين وجدت الأحزاب الراديكالية (فى دول أخرى) بشكل كبير فى الطرف الأيمن من الطيف السياسي.

تعقّد فى ق ٢٠ استعمال الكلمة. استمرت radical، سواء بحرف استهلالى كبير أو صغير، تستعمل لوصف العناصر النشطة فى LIBERALISM الليبرالية (ا م)، وبشكل عام للدلالة على إصلاحات فعالة وبعيدة الأثر. فى وضعها هذا تم فى الغالب مضادتها بإشتراكية "دوغماتية" أو برامج ثورية. كذلك استعملت بشكل واسع بمعناها العام الأقدم كما هو فى "radical re-examination إعادة فحص(مراجعة) جذرية". عقد ذلك استعمالان إضافيان. هناك الآن الاستعمال الشائع كما فى عبارة Radical Right يمين متطرف سواء للدلالة علي سياسة اليمين المتطرف أو بشكل أدق للدلالة على سياسات التغيير النشطة ذات المسحة اليمينية فى تمييز لها عن CONSERVATISM (ا م) محافظة التى هى أكثر تقليدية. من الناحية الأخرى، أعيد تبنى radical، خاصة فى أمريكا من أواخر خمسينيات ق ٢٠، بمعنى قريب جداً من معنى أوائل ق ١٩؛ عندئذ هى فى الغالب معادلة تقريبا لإشتراكى socialist أو revolutionary ثوري، وتحلقت حولها نفس الدائرة من الردود كما فى تلك الفترة السابقة. على الأرجح يمكن نسب اختيار radical، خاصة فى الولايات المتحدة رغم أن أوروبا وسواها قاموا بتقليد ذلك، إلى صعوبات منتصف ق ٢٠ فى تعريف SOCIALIST (ا م) و COMMUNIST شيوعى (ا م) (قارن "Marxist ماركسي"). بدا أن radical وفرت مخرجاً يتجنب الارتباط الدوجماتى والحزبى فى نفس الوقت الذى تؤكد فيه الكلمة على الحاجة إلى تغيير أساسى وفعال. كذلك تجنبت الكلمة بعض الصعوبات فى REVOLUTIONARY ثورى و ذلك بخلق تمييز ضرورى بين ثورة مسلحة ومعارضة مناضلة ضد النظام السياسي. ثم ابتعدت radical كثيراً عن معانيها من وسط ق ٢٠ المقبولة ولم يمكن فى النهاية تجنب مشاكل التعريف (بما فى ذلك أمور الدوغما dogma والزمرة/الحزب faction أو المبدأ principle والتنظيم organization) عن طريق إعادة إحياء الكلمة. فى توسع مبنى على هذه الحركات، هناك مجموعة تعبيرات مرتبطة بوجهات نظر اجتماعية "بديلة" كما فى radical technology تكنولوجيا

راديكالية. من اللافـــت أن العبارة القديمة radical reform شـــطرت إلى الكلمتين المتعارضتين radical و reformist إصلاحى وذلك ضمن الحركة الراديكالية، بينما فى سياق آخر تؤدى radical دور المقابل للكمة moderate معتدل (التى فى الواقـــع غالباً ما تكون عبارة ملطفة لأى شخص ليس راديكاليا وإن كـــان صـــاحب مبـــدأ والتزام).

انظـــر: COMMUNISM شـــيوعية، LIBERAL ليبرالـــي، PROGRESSIVE تقـــدمى، REFROM إصـــلاح، REVOLUTION ثورة، SOCIALIST اشتراكى

RATIONAL عقلانـــــى

إن مجموعة الكلـــمات المشتقة من - والتى تشمل rational - معقول/عقلى و reason عقل معقدة جـــداً. يبـــين ذلـــك مـــثلا البعـــد بـــين reasonableness حصافة/صواب التفكير و rationalization تسويغ/تبرير/ترشيد. التـــاريخ الفكـــرى والاجتماعى المتضمن فى تطور هذه الكلمات عظيم، لكن يمكن التقاط بعض نقاطه الرئيسية.

كان لعقل reason (من (س م) reisun أو raison فرنسية قديمة، rationem، لاتينية، من جذر فى اسم المفعول الماضى لـــ reri، لاتينية: يفكر) منذ استعمالاتها الأولى فى ق ١٣ فى الإنجليزية نوعان من المعاني. كانت الكلمة فى نفس الوقت محددة - إفادة، سرد أو فهم كما هو حاليا فى عبارات مثل "believed with reason اعتقد بناء على منطق" و "a reason for believing سبب لاعتقـــاد"، وعامـــة - (عادة محصورة على البشر) مقدرة للفكر والفهم المحكم. ليست هنـــاك ضـــرورة ماسة لتعارض هذين المعنيين، لكن كان التمييز بل حتى المقابلة الجذريـــة بينهمـــا معالم فى الجدل الطويل والمستمر. هناك فترات كانت فيها Reason، غالباً بادئـــة بالحرف الكبير فى هذا الاستعمال، تمييز بشكل قاطع عـــن إعطـــاء أى ســـبب أو

أسباب محددة. المثالان الملحوظان هما من استعمال Reason الثيولوجي في أواخر ق ١٦ و ق ١٧، الذي عادة ما يؤكد على كونه Right Reason الفكر الصحيح، مقابل أنواع جديدة من reasoning التفكير والبرهنة و rationality العقلانية، واستعمالها المثالي Idealist في أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ كمقدرة سامية لإدراك المبادئ الأولى وذلك في تمييز لها عن عمليات التحقق الإمبيريقي EMPIRICAL (ا م) والتقديرات العقلانية rational. بهذا التعقيد فإنه ليس مدهشا أنه في أكثر الجدل عنفاً ادعى كل حزب أن reason كان في جانبه. كانت reason بمعناها المحدد كسبب لأمر ما بعيدة نسبياً عن الخلاف واستمرت شائعة. كانت reason بالمعنى الأعم كملكة بشرية دائما متوفرة، لكن تفاوت استعمالها لدرجة كبيرة ممتدا من reason مفهومة على أنها "معروفة بفضل الله" مقابل مجرد تفكير علماني، إلى reason مفهومة على أنها مجموعة مبادئ شاملة في تمييز لها عن reason كملكة للنقاش المحكم والمبرهن، مما جعلها بوضوح كلمة لا يمكن الاعتماد عليها مفردة. يمكن ملاحظة بعض آثار هذا النقاش في تأثير reasonable المتغير والمتفاوت، لكن التأثير الأهم كان في معاني rational ومشتقاتها.

للكلمتين rational و reasonable نفس المعنى الرئيسي: موهوب كمخلوق بعقل reason أو يتميز كفعل أو نقاش بدافع/برهان reason. لكن طورت reasonable في وقت مبكر جدا معنى خاصا بالاعتدال والقصور الذي يشير بوضوح إلى إدراك الحالة البشرية ضمن منظور ثيولوجي قروسطي: " a reasonable prayer صلاة ملائمة (تشوسر، ١٣٦٦)، "reasonable request، طلب معتدل / مقبول" (١٣٩٩)، "ressonable desyris رغبات معقولة" (١٥٦١). من اللافت أن هذا المعنى تطور منذ ق ١٧ ليس فقط إلى استعمالات أكثر عمومية للدلالة على الاعتدال (كما هو الآن في "reasonable wage demands مطالبات بأجور عادلة". حيث يوجد بوضوح توتر كبير بين reasonable عادلة/معتدلة و demand مطالبة، وحيث تكون المبادئ الأساسية، رغم صلابتها، مضمرة)، وإنما أيضاً إلى استعمال مستمر يدل على الرخص: "عندما يكون الورق أرخص more reasonable" (١٦٦٧)؛ "بسعر زهيد reasonable". في الواقع

لم تتبع rational أبداً هذا التطور رغم أن معنى الاعتدال لم يهجـر الاسـتعمالات الجدلية، مثل "أى شخص منطقى rational" أو "كل سليمى الفكر rational"، حيث يتم فى العادة افتراض واثق مقدماً للنتائج التـى تـنجم عـن rationality عقلانيـة أو reasoning تفكير معين.

استمرت rational بمعناها السائد نسبيا ثابتة. لا تـزال تعنـى امـتلاك أو استعمال ملكة التفكير، وعكسها irrational تقابل ذلك المعنى بدقـة. لكـن الأمـر مختلف بالنسبة لـ rationalist و rationalism بل حتى rationality. كان الأطبـاء العقلاء rational أو العقلانيون rationalist حالة خاصـة (قـارن EMPIRICAL إمبيريقي). فى الواقـع بـرز التعبير فى الثيولوجيا وفى المناقشات السياسـية والفكريـة والاجتماعيـة المرتبطة بذلك ارتباطا وثيقـا فـى ق ١٧، حيـث تـم الاعتراض على Reason رشـد مرتبط بالإيمان والأسـبقية والقـانون القائـم مـن قبل تفكير reasoning جديد ومفاهيم جديدة لـ reasonable وكـذلك مـن قبـل (وهذا يحصل ضمن النقـاش المعقـد) احتكـام يتجـاوز (مجرد) العقل reason (البشري). (قـارن C. Hill: *Change and Continuity*; 1974;4 .) هذا مثال من ١٦٧٠: "مجرد Rationalist عقلانى (أى فى لغة إنجليزيـة بسـيطة: زنـديق حسب الطبعة الأخيرة)". استمر هذا الاستعمال لكن مع تنويع فى التفاصيل: قارن: "يجعل العقلانى the Rationalist كل موضوع الدين والـوحى ... أمـر إثبـات محسوس أو برهان ذهنى (مايرز، ١٨٤١). سكت rationalism عقلانية فى ق١٩ بهذا المعنى بشكل رئيسي. أدى الهجوم المستمر عليها إلى سك التعبير المعـارض irrationalism لاعقلانية.

مع ذلك كانت rationale (من ق ١٧) لا تزال تعنـى نقاشـاً مبـرراً أو الدوافع الأساسية. مثير للاهتمام تتبع تطور تعديل آخر لـ rationality يؤثر الآن من حين لأخر حتى على rationale وبالتأكيد يؤثر على rational و rationalist، لكن التأثير الأوضح هو على rationalize. كان الاستعمال الثيولوجى فى السابق بسـيط نسبياً: كان الناس يحاولون إيجاد تفسير reason لأمور لم يسـتطع "العقـل دونمـا

مساعدة unaided reason " حسمها؛ كانوا فى حاجة إلى مساعدة إما الوحى أو إرشاد موثوق؛ أولئك الذين رفضوا كليهما كانوا مجرد rationalists، سواء أكانوا لم لم يكونوا مصرحين بإيمانهم. سار النقاش حول الوحى فى مساره الخاص؛ لكن امتد النقاش حول الإرشاد الموثوق بشكل أوسع. فى نفس الوقت عبر قول بوزول "عقلانية rationality جافة إلى حد ما" (١٧٩١) عن ردة فعل جديدة؛ سياقها دينى لكن له دلالة على تمييز rationality عن emotion عاطفة أو feeling شعور. قد تكون هذه عواطف راسخة (شعور بالولاء أو بالواجب، وقد انتقدها المفكرون العقلانيون rationalist thinkers) أو أية عواطف (التى كان يعتقد أن العقلانيين rationalists يبخسونها أو يحتقرونها، فالبشر الآن هم مخلوقات عاطفية كما هى عقلانية، و العقلانى rational مجرد "جانب" من الطبيعة البشرية). كان هناك استعمال من ق ١٧: "مجرد Mental ذهنى أو Rational" (Gale، ١٦٧٧) مقابل Real واقعي، لكن عبرت rationalize بطريقة أكثر تحديداً، فى أوائل ق ١٩ ، أولا عن تفسير مبنى على أساس عقلانى ثم عبرت عن اختلاق الأعذار: " rationalize away يشرح نافياً كل العجائب" (كنجزلي، ١٨٥٥). استمر هذا المعنى المهم وسند معانى rationalist و rationalism الانتقاصية. لكن أعطى التمييز بين reason و emotion، جانبى الطبيعة البشرية، الذى أصبح تقليدياً فى أواخر ق ١٨ و ق ١٩، إنعطافاً جديداً فى ق ٢٠. فى سيكولوجيا فرويد وتلك المرتبطة بها أعطيت feelings – نزعات غريزية – الأولوية؛ أى قلب للتعريف القديم لعقل reason وعقلانى rational كمقدرة بشرية مركزية وأساسية. لم تعد rationalization عندئذ تعنى التفسير الاقصائى للمقدس أو العجيب؛ إنما عنت التذرع بدافع زائف أو مجرد واق عن فعل أو شعور له أصول "غريزية" مختلفة تماماً. بانتشار هذا الاستعمال أصبحت rationalization تعنى أى سبب زائف أو بديل، حتى للسبب "الفعلي". لم يتضح تماما كيف يؤثر هذا على reasoning و rationality. يمكن فهم rationalization كتفسير زائف، لكن لا تزال irrational تستبعد لأن التمييز هنا لم يقم (على الأقل بطريقة منتظمة) على هذا الأساس. رغم وجود كلمات أخرى لاتثير القلق، فإن القناعة الضمنية فى العادة هى أن البشر فى الأساس وجوهرياً لا

عقلانيون irrational؛ و من ثم فالعقلانية the rational هي مجرد خلق الأسباب وإيجاد الدوافع التي ليست هي الأسباب أو الدوافع الأساسية. يعيد هذا الوضع إلى الذهن بعض البنيات السابقة من نوع مثالي أو ثيولوجي، وحيثما تستعمل reason فإنها تحدد حسب كل بنية. يمكن حصر rational في مثل هذه البنية على المحسوس والمترابط؛ وبشكل لافت، تعني reasonable "معتدل"، متقبل للقيود "الضرورية".

في مجموعة الكلمات هذه حسب استعمالاتها المعاصرة يتركز التوتر الآخر الهام حول irrational بمعنى مختلف تماماً. تُرفض أنواع جديدة مختلفة من النشاط لها أسس منطقية rationales ومدعومة غالباً بتفكير reasoning عميق على اعتبار أنها لاعقلانية irrational ("اللاعقلانية الجديدة the new irrationalism"؛ صيغة أخرى لها هي: mindless غير فطين)، لكن السبب الفعلي هو أنها ليست reasonable (معتدلة) بالمعنى المألوف. أن تكون معتدلا reasonable أو عقلانيا rational يعني أن تكون لديك قناعات بهدف أو نظام أو منهج و تؤمن بها إيمانا عميقاً جداً لدرجة أن اعتراض الآخرين عليها لا يعتبر غير معقول unreasonable فحسب وإنما أيضا "لاعقلانيا" irrational (وعلى الأرجح هذا rationalization تبرير لعاطفة أو دافع آخر مختلف تماماً). قد يكون من المفيد في مواجهة هذا التشوش لو كان ممكنا في أي درجة من الثقة أن نحتكم إلى reason عقل، لكن لاحظنا كم كان ذلك متقلباً. مع ذلك، قد تقوم reasoning المقارعة بالحجة.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE تجربة، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية، UNCONSCIOUS لا وعي

رجعـــــى REACTIONARY

تستعمل reactionary الآن بشكل واسع كوصف مواقـف وأوضـاع يمينيـة (كانت "يمين" و"يسار" كلمتين مألوفتين منذ أوائل ق ١٩ لكنهما أصبحتا أكثر ذيوعاً فى ق ٢٠ للدلالة على مواقـف محافظـة conservative و تقدميـة progressive، ويعود أصل التسمية إلى مناسبة معينة فى ترتيب الجلوس فى البرلمان الفرنسـي). لكن رجعى reactionary كلمة معقدة وإن كان ذلك فقط بسبب تعقيـدات progress تقدم وتقدمى PROGRESSIVE (ام). دخلت reaction الإنجليزية فى وسـط ق ١٧ بمعنى مادى فى الغـالب: فعل يقابل أو يقاوم فعلاً آخر (ما نجم عنـه أن action و reaction رد فعل أصبحا جزءا من القوانين الفيزيائية) ثم، بشكل أوسـع، فعـل متأثر بفعل سابق له أو فى استجابة له خاصة فى الكيمياء والفسيولوجيا، لكن بشكل أعم بمعنى استجابة معلنة أو يمكن ملاحظتها ("ردة فعلي reaction على ذلك"، "ردة فعل الجمهور على ذلك"). بدأ الاستعمال السياسى أولاً فى الفرنسية فى أوائـل ق ١٩ فى سياق سياسى محدد نسبياً: استعملت للمواقـف والأفعـال المعارضـة أو المقاومة للثورة بمعنى صريح يدل على الرغبة فى إعادة الأوضاع إلى ما كانـت عليه قبل قيام الثورة. من هذا السياق الخاص استعيرت الكلمـة فـي الإنجليزيـة بمعناها المحدد، لكن استعملت منذ وقت مبكر فى مجالات واسعة: عنـت "إدامـة الصراعات الحزبية" (سكوت، ١٨١٦) وعنت كذلك "معارضة الإصلاح". بعد ذلك تم تكبير الحرف الأول للكلمة بشكل مشابه لما حدث لـ Progress.

أصبحت reactionary صعبة لأنها يمكن أن تعنى (١) معارضة للإصـلاح، (٢) أو الرغبة فى العودة إلى وضع سابق، (٣) أو، تطبيقياً، مساندة صيغة (يمينية) معينة للمجتمع. الصعوبات المبينة عندما تكون بواعـث التغيير (أفعـال actions) من اليسار وكل المقاومة (reactions ردود الفعل) تأتى من اليمين. لكن، كمثـال، لو كان حزب رأسمالى فى مرحلة تتسم بالتجديد، أو لو اقترح حزب فاشي نظامـا اجتماعيا جديداً، فإن كلا منهما يمكن أن يسمى الآخر رجعيا: (١) لأن الرأسماليـة والفاشية يمينيتان فهما بالتالى رجعيتان reactionary؛ (٢) و لأن مقاومـة نـوع

معينة من التغيير، خصوصاً تغييرات وتجديدات فى الرأسمالية والفاشـية، تعتبـر رجعية (راغبة فى المحافظة على - أو استعادة - وضع مـا). هكـذا يمكـن أن يطلب منا تحديد اليمين الرجعى reactionary Right (عادة بمعنى اليمين المتطـرف فى تمييز له عن المحافظين الإصـلاحيين reforming أو التقـدميين progressive، بالإضافة إلى تمييزه عن الليبراليين Liberals واليسار the Left)، لكن كذلك يمكـن غالباً طلب تعريف اليسار الرجعى reactionary Left (معارضى أنواع من التغييـر يعتبرونها تغييراً للأسوأ، أو معتمدين على معانى معينة فى التراث الاشـتراكى أو الديموقراطى يقومون بوضعها مقابل تغييرات حالية من نوع مختلف).

من المرجح أن تحتفظ الكلمة بمعناها السائد كمحافظة متطرفة لكن ستسـهل الأمور كثيراً لو أن، بجانب هذا المعنى المحدد، كل الأفعال actions السياسية كانت حسنة وكل ردود الفعل reactions بالتالى سـيئة. لافـت أن reaction احتفظـت بمعناها الحيادى وصفتها الحيادية reactive تفاعلى بـالرغم مـن كـل تعيينـات Reaction و reactionary.

انظـــر: PROGRESSIVE تقدمي، REFORM إصلاح

واقعيـــة REALISM

كلمة واقعية realism صعبة، ليس فقط بسبب تعقيد الجدل فى الفن والفلسفة الذى تشير إليه استعمالاتها السائدة، وإنما أيضاً لأن الكلمتين اللتين يبدو أنها تعتمـد عليهما، real حقيقي/واقعى و reality حقيقة/واقع، لهما تاريخ لغوى معقد جداً. كان الواقعيون Realists الأوائل فى الإنجليزية بعيدين كثيراً عن أى شيء يـدل عليـه التعبير الآن، لأن المدرسة الفلسفية المعروفة بالواقعية Realist كانت تعارض بشكل رئيسى بالإسمانيين Nominalists الذين قد يصنفون أنفسهم - حسب مصطلحات ما بعد منتصف ق ١٩ - كواقعيين realists من نوع متطرف. كان مبـدأ الواقعيـة Realism القديم هو الجزم بالوجود المطلق والموضوعى للجوامع universals حسب

المفهوم الأفلاطوني. اعتبرت هذه الأشكال Forms أو الأمثلة Ideas الشاملة موجودة فى استقلال عن الأشياء التى تم إدراكها فيها، أو أنها موجودة فى هذه الأشياء كخصائصها المكونة. كانت "الحمرة" عند الاسمانيين مجرد اسم (مشوش) لعدد من الأشياء الحمر؛ بالنسبة للمفاهميين conceptualists أصبحت فكرة ذهنية عامة؛ بالنسبة للواقعيين Realists كانت "الحمرة" شكلاً مطلقاً وموضوعياً مستقلاً عن الأشياء الحمراء أو أنها مكون جوهرى لهذه الأشياء. من اللافت والمشوش جدا أن هذا المبدأ الواقعى Realist هو ما نسميه الآن مثالية IDEALISM (ام) متطرفة.

يمكن القول إن ذلك الاستعمال قد تلاشى ويمكن القول كذلك إنه من أوائل ق ١٩ طغت عليه وطمسته معان مختلفة تماماً لـ realist والكلمة الجديدة realism بمعنى أكثر حداثة. لكن هذه ليست الحقيقة كاملة. جوهرياً يرجع تمييزنا الشائع بين appearance مظهر و reality حقيقة/واقع إلى الاستعمال المبكر - "الحقيقة reality خلف المظاهر appearances" - وقد أثر هذا بشكل حاسم فى مناقشات كثيرة حول realism. من البداية كان لـ real هذا المعنى المزدوج المتقلب. سابقتها المباشرة هى real، فرنسية قديمة، realis، لاتينية حديثة، من (س ب) res، لاتينية: شيء. كانت أولى استعمالاتها فى الإنجليزية (من ق١٥) فى مواضيع القانون والملكية للدلالة على شيء موجود فعلياً. هناك استعمال لاحق متصل بهذا المعنى ولا يزال موجوداً يدل على الأملاك غير المنقولة كما تبين العبارة real estate عقار. من أواخر ق ١٦ تم نقل معنى شيء موجود فعلاً إلى الاستعمال العام فى معارضة ظاهرة أو ضمنية لشيء imaginary خيالي: "هل ما أشاهده موجود فعلاً ؟ "Is't reall that I see" (*All's Well That Ends Well*، iii،V)؛ "ليس خياليا Imaginary وإنما حقيقيا Real" (هوبز، ليفيثيان). لكن فى نفس الوقت كان هناك معنى هام لـ real لم يكن فى تضاد مع imaginary و لكن مع apparent ظاهر، ليس فقط فى المناقشات الثيولوجية حول "الحضور الفعلى reall presence" للمسيح فى مكوّنات العشاء الرباني، ولكن أيضاً فى مناقشات أوسع حول الميزة الأصيلة أو الجوهرية لوضع أو شيء ما: the real

thing الشيء الحقيقي، the reality of something حقيقة شيء ما. لا يــزال هــذا الاستعمال شائعاً جداً، حتى لو لم تتم فى الغالب ملاحظة ذلك، فى عبــارات مثــل "رافضاً مواجهة the real facts الحقائق الفعلية لوضـــعه"، أو "رافضــاً مواجهــة reality الواقع". حيث أن الاستعمال الدال على شـــيء ملمــوس أو محســوس أو حقيقى استمر كذلك بشكل فعال، فإنه يمكن ملاحظة وجود قدر كبير من الجنـــاس للكلمة. فهم الواقعى Realist، حسب معنى الكلمة قبــل ق ١٨، "real" بــالمعنى العام لحقيقة أو ميزة أساسية؛ وفهمها الواقعي Realist، حسب معنى ما بعد أوائــل ق ١٩، بمعنى (غالباً معارضا لذلك) مادي/عينى concrete (التى تضـــادت مــن ق ١٤ مع abstract مجرد).

كانت realism واقعية كلمة جديدة فى ق ١٩. استعملت فى الفرنســية مــن ثلاثينيات ق ١٩ وفى الإنجليزية من خمسينيات ق ١٩. طورت أربعة معان يمكــن تمييزها: (١) كتعبير يصف تاريخياً مبــادئ Realists الــواقعيين مقابــل مبــادئ Nominalists الاسمانيين، (٢) كتعبير يصف مبادئ جديدة للعالم المادى على أنهــا مستقلة عن العقل أو الروح، وهى بهذا المعنى معادلة أحيانــاً لــــ NATURALISM طبيعية أو MATERIALISM ماديــة؛ (٣) كوصف لمواجهة الأشياء كما هــى علــى حقيقتها really وليس كما نتخيلها أو نتمناها: "لنحل الواقعية realism محل العاطفية ونتجاسر لاكتشاف تلك القوانين، البسيط منها أو المعقد، التي، سواء شــوهدت أم لم تشاهد، تعم وتسيطر (اميرسون، ١٨٦٠)؛ (٤) كتعبير لوصف منهج أو موقــف فى الفن والأدب – فى البداية دقـــة متناهية فى التمثيل، ولاحقــاً التــزام بوصــف الأحداث الحقيقية real وإبراز الأشياء كما توجد فعلاً.

ليس مدهشاً نشوء جدل شديد وغالباً مشوش، خاصة حول معنى (٤). يمكن لأن فى العادة إهمــال معنيــى (١) و (٢): الأول لأن دلالتــه تاريخيــة معينــة ومعزولة، والثانى لأن كل أغراضه الفعلية حملتها materialism ماديـــة. لا يــزال معنى (٣) مهماً جداً فى الاستعمال اليومي. فـــى مثـــال إميرســـون التلاعـــب (= الجناس) المألوف لـــ real واضح: القوانين يمكن أن تكون مرئية أو مخفية. لكــن

معنى "مواجهة الحقائق" استمر كما فى الصفة الجديدة الدالة، مـــن وســـط ق ١٩: realistic واقعي: "لم يستطع التصالح مع الحياة عـــن طريق نظرة صادقة للأشياء، عن طريق تقديرات realistic واقعية" (سيلي، ١٨٦٩). المهم هنا أنه حسب هـــذا المعنى معظم الناس يعتقد أن نظرتهم لأى موضوع "واقعية". لكن هنـــاك نطاقـــا واضحا للاستعمال: من المعنى القديم الدال على الاعتماد على فهم حقيقى لوضع ما إلى معنى شائع الآن فيه شيء من التبرم الضمنى الذى يحمله أحد معانى practical عملي. غالباً ما تعنى "لنكن واقعيين realistic" "لنقبل حدود هذا الوضـــع" (حـــدود limits بمعنى facts hard حقائق صارمة، غالبا تلك المرتبطة بالســـلطة أو المـــال حسب وضعهما القائم) أكثر مما تعنى "لنلقى نظرة على حقائق الوضع" (وهذا يأخذ بعين الاعتبار وجود reality واقع قابل للتغير أو أنه فعلاً متغير). هكذا بالرغم من أن واقعى realistic (قارن reasonable معقول/معتدل) كلمة لها شعبية واسعة عنـــد رجال الأعمال والسياسيين إلا أنها اكتسبت إيحاء لاحقـــا يـــدل علـــى "التقـــديرات المحدودة" ومن ثم تعارضت فى الغالب، من كل من وجهتى النظـــر هـــاتين، مـــع idealistic مثالي.

يظل معنى (٤) هو الأصعب. لا ينهى وإنما بالتأكيد يبدأ جدلا فـــى الفـــن و الأدب القول بأن الهدف هو "إبراز الأشياء كما هى really فعنياً عليه". هناك معنـــى متبق من مثالية idealism القديمة، كما فى أبيات شيلى عن الشاعر فى "بروميثيوس طليقا":

سيراقب من الفجر حتى الغسق

الشمس المشرقة منعكسة فى البحيرة

والنحل المصفر فى زهور اللبلاب

لكن لن يرى ولن يكترث لهذه الأشياء كما هي

بـــل منها يستطيع خلق أشكال Forms

أكثـــر real صدقا وواقعية من الإنسان الحي.

تلك هى غرسات الخلود.

هنـــا يجب أن يكون التأكيد ليس فقط على real ولكن أيضا علـــى أشـــكال forms: إبداع شعرى غير مبال، وبالتأكيد ليس مرتبطاً، بالمواضيع تحت المراقبة، لكنه يجعل حقيقة أو واقعاً realize كيانات أو ماهيات خالدة. (بدأ هذا الاســتعمال ليحقق realize فى ق١٧ وأصبح شائعاً من وسط ق ١٨: "صنعة الخيال، تلك التـــى realize تحقق الحدث مهما كان مختلقـــاً أو تقربـــه مهمـــا كـــان قاصـــياً (١٧٥٠ Johnson، *Rambler*). هذا التعبير محبذ فى النقد الحديث و يـــدل علـــى وســيلة means وأثر effect إعادة الحياة إلى شيء ما بطريقة واضحة.) لكـــن هـــذا هـــو بالضبط الاستعمال الذى تم تمييزه لاحقاً عن realism ، والذى أتاح فـــى الواقـــع تضاداً بين realism وكلمات أخرى من نفس الجذر، كما فى معارضة سوينبرن بين "prosaic realism واقعيـــة مبتذلـــة" و "poetic reality حقيقة شعريـــة" (١٨٨٠). مرة تلو مرة، من مواقع من هذا النوع، اتهمت realism بتجنبها "الحقيقى/الـــواقعى the real".

إن الصعوبة الأكثر تعقيداً هى كون الواقعية realism فـــى الفـــن والأدب منهجاً وموقفاً عاماً. كموقف تم تمييزهـــا عـــن ROMANTICISM الرومانســـية أو مواضيع imaginary خيالية أو MYTHICAL أسطورية: أشياء ليست جزءاً من العالم الحقيقى the real world. الاستعمال الذى يصف منهجاً فى الغالب هو تعبير إطراء: يصف الأشخاص والأشياء والأفعال والمواقف بطريقة واقعية realistically؛ أى أنها نابضة بالحياة فى الوصف أو المظهر؛ أى أنها تبرز realism الواقعية. كذلك فـــى الغالب الواقعية realism هى تعبير لوم وقيد حسب المعانى التاليـــة: (أ) مـــا يـــتم وصفه أو تمثيله يرى فقط بطريقة سطحية، تبعاً لمظهره الخارجى بدلاً من حقيقتـــه الداخلية؛ (ب) فى صيغة أحدث لنفس الاعتراض، هناك قوى حقيقية real reality – تشمل الشعور الباطنى و الحركات التاريخية والإجتماعية الأساسية – إما لا تكـــون متيسرة للملاحظة العادية أو أنها لا تمثّل البتة أو لا تمثّل بطريقة تامة فى الكيفيـــة التى تظهر عليها الأشياء، بحيث أن "واقعية السطح realism of the surface" قـــد

تغفل realities حقائق هامة تماماً؛ (جـ) فى اعتراض مختلف تماما، الوسيلة MEDIUM(ا م) التى يحدث فيها التمثيل REPRESENTATION (ا م)، سواء كانت لغة أو صخرة أو لوحة أو فيلماً، مختلفة جذرياً عن الأشياء الممثلة فيها بحيث أن أثر "تمثيل محاك للحياة" أو "إعادة إنتاج reality الواقع" هو فى أحسن الأوضاع تقليد فنى معين، وفى أسوأها تزييف يجعلنا نتقبل أنواع التمثيل على أنها real حقيقية.

قوبل اعتراض (أ) واعتراض (ب) بمعنى محدد لواقعية realism يستخدم الطبيعية NATURALISM (ا م) كصيغة يمكنها بطريقة مناسبة الرد على هذين الاعتراضين، ويحتفظ بكلمة realism – أحياناً فى صيغ أكثر تحديداً مثل psychological realism واقعية سيكولوجية أو social realism واقعية اجتماعية – لتشمل أو تركز على حركات أو قوى خفية أو أساسية لا يمكن للملاحظة الطبيعية naturalistic البسيطة أن تلتقطها، حيث أن هدف الواقعية realism الأساسى هو كشف هذه القوى والحركات والتعبير عنها. يعتمد هذا على الجناس القديم لـ real، لكن الكلمة أصبحت مهمة ليس بالمعنى المثالي، الذى يتجنب الآن فى العادة "واقعية" realism كتعبير، ولكن بدرجة أكبر بمعان مستمدة من سيكولوجيا ديناميكية أو من مادية دياليكتيكية DIALECTIC (ام) التى تتعارض مع MECHANICAL MATERIALISM مادية ميكانيكية (ام). يعتبر reality الواقع هنا ليس مظهراً appearance جامداً وإنما حركة قوى سيكولوجية أو اجتماعية أو فيزيائية؛ الواقعية إذاً التزام مقصود لفهم ووصف تلك القوى. عندئذ قد يشمل وقد لا يشمل هذا "الواقع reality" وصفاً realistic واقعياً أو تمثيلاً لمعالم معينة.

اعتراض (ج) موجه بشكل رئيسى لواقعى realistic بمعنى محاكى للحياة. يعتبر الفن أو الأدب الواقعى realist ببساطة تقليدا CONVENTION (ام) ضمن تقاليد أخرى، مجموعة تمثيلات REPRESENTATIONS رسمية فى وسيلة MEDIUM (ام) معينة وهو ما أصبحنا متعودين عليه. ليس الشيء فى الواقع really محاكيا للحياة، لكن بسبب التقليد والتكرار أصبح يظهر كذلك. يمكن اعتبار هذا غير ضار أو

فائق الضرر. اعتباره ضاراً يعتمد على إحساس (كما فى المادية الميكانيكية) بأن صيغة موضوعية زائفة للواقع (صيغة سيتم اكتشاف أنها تعتمد فى النهاية على مرحلة معينة من التاريخ أو على مجموعة علاقات معينة بين الناس أو بين الناس والأشياء) تم تمريرها على أنها واقع reality، رغم أنه فى هذا المثال على الأقل (وربما بشكل عام) الموجود هو ما تم صنعه عن طريق ممارسات الكتابة والرسم وصناعة الأفلام. اعتبارها واقعاً reality أو نسخة أمينة للواقع يعنى استثناء هذا العنصر الفعال وفى حالات متهورة يعنى تمرير الخيال FICTION (ام) أو التقليد CONVENTION (ام) على أنهما العالم الحقيقى the real world.

هذا رد قوى على كثير من مزاعم الواقعية realism كتمثيل دقيق، لكن من مصادفة الطريق التى سار عليها النقاش أنه يمكن فهم الواقعية ، حسب هذا المعنى، تبعاً لأى من الاتجاهين بالنسبة للواقعية كحركة كاملة. وبالتالى يمكن جعله منسجماً مع معنى realism الذى تم تمييزه عن naturalism طبيعية، لكن على الأخص مع معنى التزام مقصود لفهم ووصف القوى الحقيقية (التزام يشمل. فى أفضل درجاته، فهم عمليات الشعور والتأليف التى تدخل فى أية محاولة كهذه). مع ذلك كثيرا ما ارتبط النقاش، فى تشكيلات فكرية معينة، بالأساليب المثالية لكل من FORMALISM شكلانية و STRUCTURALISM بنيوية، حيث تتماشى العناية الفائقة بتفاصيل عملية التأليف، خاصة العناية بالأشكال forms والبنيات structures التى يتم داخلها التأليف، تتماشى مع - أو يمكن استخدامها لتبرير - تجاهل القوى (سوى الفعل الفكرى والفنى والأدبي) التى كان هدف الواقعية realism الأشمل (وإن كان ذلك بسذاجة أحياناً) أخذها فى الإعتبار بشكل جذري. كانت أهمية الواقعية Realism التاريخية أن تجعل reality الحقيقة الفيزيائية والاجتماعية (بمعنى مادى عموما) أساس الأدب والفن والفكر. يمكن توجيه انتقادات هامشية كثيرة ضد المناهج التى ارتبطت تاريخياً بهذا الغرض، ومن موقع مثالى صريح يمكن توجيه انتقادات جذرية ضد الغرض نفسه. لكن فى الغالب ما حدث مؤخرا هو أن الانتقادات الهامشية توسعت بشكل فضفاض كما لو كانت انتقادات جذرية،

أو أن تسديد الانتقادات الهامشية استحوذ على الانتباه لدرجة أن الانتقادات الجذرية موضع النقاش، من منطلق مادى أو مثالي، تم فعلياً إهمالها.

ربما لا يكون من المطلوب إضافة أن الاهتمام النقدى الذى هو ضرورى فى معظم حالات استعمال real و realistic و reality هو على الأقل ضرورى بنفس الدرجة فى حالة هذا التنوع الاستثنائى الراهن فى استعمالات واقعية realism.

انظر: CONVENTION تقليد، CREATIVE خلاق، FICTION خيال، MATERIALISM مادية، MYTH أسطورة، NATURALISM طبيعية، PRACTICAL عملى، RATIONAL عقلاني، SUBJECTIVE ذاتى

إصلاح/يصلح REFORM

دخلت كلمة reform الإنجليزية كفعل فى ق١٤ من (س م) reformer، فرنسية قديمة، reformare، لاتينية: يعيد تشكيل. في معظم استعمالاتها المبكرة من الصعب التمييز بين معنيين كامنين: (١) يرجع شيئاً إلى شكله الأصلي؛ (٢) يجعل منه شكلاً جديداً. هناك أمثلة مبكرة واضحة لكل من المعنيين، لكن فى معظم السياقات كانت فكرة تغيير شيء إلى الأفضل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا (قارن amend يصلح، من (س م) emendare، لاتينية: يخلص من الخطأ، التى كانت معادلة لـ reform لكنها حملت دلالة أخف أو أكثر تحديداً؛ قارن أيضاً reaction استجابة/ردة فعل). كان أول اسم مشتق من الفعل هو reformation، من ق١٥، التى تحمل نفس الالتباس. كان لإصلاح Reformation ق١٦ الدينى العظيم معنى صريحاً بالتطهير والاستعادة حتى عندما تطلب أشكالاً ومؤسسات جديدة لإنجاز ذلك. استمر الجناس فى reform واضحاً فى الحوار التالى فى مسرحية هاملت (فصل ٣، مشهد ٢):

آمل أن نكون قد أصلحنا/تخلصنا من ذلك reformed بكل نزاهة.

بل أعيدوا تشكيل reform ذلك كلية.

من أواخر ق١٧ جعلت تهجية بديلة re-form (كما في "Re-form and New-Mold"، ١٦٩٥) أحد المعنيين أكثر وضوحاً. لكن استمرت reform بمعناها الأعم تحمل إيحاءات إصلاح وضع الأمور الحالي في ضوء مبادئ معروفة أو قائمة، ويمكنْ أن يقترب هذا المعنى من restoration استعادة بقدر ما يمكن قربه من innovation تجديد/ابتكار. من منتصف ق ١٧ أصبحت reform الاسم المألوف لكنه كان لا يزال اسم عملية، مثل reformation، حتى أوائل ق ١٨. أوضح تعريف لبيلي من ق ١٨ أن "Reform هي إعادة تأسيس أو إحياء مبدأ سابق مهمل؛ كذلك هي تصحيح مساوئ سائدة". كاسم محدد لإجراء تدبير معين كانت reform شائعة من أواخر ق ١٨. في نفس الفترة تم تكبير الحرف الأول للكلمة وتجريدها لتدل على توجه سياسي، بشكل رئيسي فيما يتعلق بالبرلمان وحق الاقتراع حيث تم اقتراح أشكال forms جديدة لكن على وجه العموم كان المفهوم هو استعادة restoration الحرية.

في النزاع حول التمثيل في البرلمان أصبحت إصلاح Reform تعبيراً راديكالياً (قارن Radical Reform إصلاح جذري، من أواخر ق ١٨) وكان parliamentary reformists الإصلاحيون البرلمانيون الذين كانوا ماكرين subtle (هذه ليست كلمة لطيفة) في وقت مبكر - ١٦٤١ - في مراسلة مع اليعاقبة (وندهام، ١٧٩٢)، واعتبرتهم السيدة جرانفل في ١٨٣٠ اصلاحيين عنيفين violent reformists (بمعنى ardent متحمسين). التلاعب في الكلمة واضح. قارن بذلك الإقتباسين: "كان على هذه الإتحادات مناصرة قضية الإصلاح reform وحماية الحياة وصيانة الممتلكات ضد تعديات الغوغاء العديدة لكن غير المنتظمة". (صحيفة تايمز، ١٨٣٠)؛ "بدا له أن ذلك الإصلاح reform الذى تم بهذه الطريقة هو أفضل وسيلة لدعم الفساد و الطغيان". (رايدر، ليدز تايمز، ١٢أبريل ١٨٣٤؛ كلا

المثالين مقتبس من كتاب تومبسون E.P. Thompson : *The Making of the English Working Classes* 1963.

برز من هذا النوع من الجدال، مدعوماً بالتلاعب فى الكلمة، معنى خاص بالقرن العشرين لـ reformism و reformist. كانت reformism ("إصلاح/حركة إصلاحية") كلمة جديدة سكّت فى الجدل داخل الحركة الاشتراكية، خاصة بين ١٨٧٠ و ١٩١٠. كانت المسألة هى عما إذا كان بالإمكان تغيير المجتمع الرأسمالى أو كان مغيّراً ذاته بطرق متدرجة ومحددة و على نطاق محلى، أو عما إذا كانت هذه الإصلاحات reform تافهة أو خادعة، إما بحجبها الحاجة إلى استبدال الرأسمالية بالاشتراكية (قارن REVOLUTION ثورة) أو أن هذه الإصلاحات تستخدم بالفعل لتلافى هذا الاستبدال. حسب استعمال ق٢٠ تحمل اصلاح reformism هذين المعنيين الأخيرين، بينما انحصرت الآن reformist إصلاحى، التى كانت منذ ق ١٦ معادلة بشكل عام لـreformer مصلح (التى تزامنت معها)، فى معنى reformism تاركة reformer بالمعنى القديم العام.

انظر: FORM شكل، RADICAL راديكالي/جذري، REVOLUTION ثورة

إقليمى/جهوى/مناطقى/محلى REGIONAL

دخلت كلمة region الإنجليزية منذ أوائل ق ١٤، من (س م) regionem، لاتينية: إدارة/إشراف، تخم/حد، منطقة/مقاطعة، (س ب) regere، لاتينية: يدير، يحكم. أصبحت استعمالات region الأولى كـ "مملكة" أقل أهمية من المعنى الأشمل لبلد أو منطقة شاسعة، كما هو عند كاكستون: "وصل إلى regyon بلد فرنسا". هناك توتر واضح فى الكلمة نفسها بين معنيين: منطقة مميزة وجزء محدد. استمر كلاهما لكن المعنى الأخير هو الذى يزخر بتاريخ مهم. حسب هذا الأخير كل شيء يعتمد على تصنيف طبيعة العلاقة: جزء مماذا ؟ هناك استعمالات

عامة كثيرة مثل "مناطق regyon جهنمية" أو "مناطق سرمدية" (ملتـون، ١٦٦٧)؛ "منطقة regyon الهواء" (كاكستون، ١٤٧٧)؛ أو "كل حقل region من حقول العلـم" (جونسون ،١٧٥١) أو "مجـال region الميثولوجيـا" (جويـت ،١٨٧٥). لكـن الاستعمال الحاسم هو فى وصف أجزاء مختلفة من الأرض: "ليبيا منطقة region أو ساحل من بلد إفريقيا" (١٥٤٢). أتاح هذا التحديد الذى لا يزال بشكل رئيسى مادى المجال للاستعمال السياسى الذى أصبحت فيه region منطقة إدارية وبالتالى جـزءا من وحدة سياسية كبيرة كاملة: "أصدر ... الحاكم الرومانى تعليمـات بـأن تقسـم مقدونيا إلى أربعة regions أقاليم أو أبرشـيات" (هـوكر، ١٦٠٠). فـى الحكـم الإمبراطورى و السلطة الكنسية ولاحقاً فى نشوء الدول القومية المركزية لم تعـد region (قارن DIALECT) جزءاً فحسب وإنما جزءاً ثانوياً تابعاً لكيان سياسـى أكبر.

يمكن ملاحظة أثـر ذلك بوضوح تـام فـى regional التـى تطـورت كصفـة من وسط ق ١٧. تفترض معظم استعمالاتها الهيمنة و التبعيـة: "ألحقـت الكنيسة الإقليمية Regional-Church بكنيسة المدينة" (١٦٥٤). فى ق ١٩ ظهرت regionalism الإقليمية، فى البداية للدلالة بشكل رئيسى على مركزية غيـر تامـة: "تلك "الإقليمية" التعيسة فى إيطاليا" (صحيفة مانشستر جارديان، ١٨٨١). استمرت الدلالة السياسية الرئيسية لهذا المعنى رغم وجود حركة مناوئة حاولت جعل فضائل الأقاليم المميزة أساساً لأشكال جديدة من الهوية و حدود جديدة من "الحكم الـذاتي". لافت أن هذه الحركة المعارضة تقبلت هـذا التعبير regional الذى يـدل علـى الخضوع. قـارن استعمال devolution (من س ب devolvere، لاتينية: يتدحرج) التى تطورت من استعمالاتها الأولى التى دلت على التعاقب/التداول والإرث إلـى انتقال السلطة، كما هو واضح عند بلاكستون (١٧٦٥): "هذه الأيلولـة devolution للسلطة للشعب ككل تشمل تصفية شكل الحكم الذى أسسـه هـذا الشـعب". عنـد بلاكستون أو كما هو فى النقاش الحديث تعتبر هذه العملية بشـكل نمطـى انتقـالا للسلطة إلى ما هو أدنى: فعل ضمن علاقات الهيمنة والخضوع.

مع ذلك كتعبير ثقافى لإقليمى regional تاريخ أكثر تعقيداً. يمكن استخدامها مثل DIALECT للدلالة على صيغة "أدنى" أو "خاضعة" كما هو فى "تطبق إقليمى regional accent" التى توحى بأن هناك فى مكان ما (وليس فقط ضمن طبقة) "نطقاً قومياً national accent". لكن فى العبارة regional novel رواية إقليمية هناك اعتراف بمكان وطريقة حياة متميزين، رغم أن هذا على الأرجح حكم مقيد فى الغالب. من اللافت أن تسمّى فى الغالب رواية تجرى أحداثها فى منطقة البحيرات الإنجليزية أو فى كورنول Cornwall فى جنوب غرب بريطانيا إقليمية بينما لا تنطبق تلك التسمية على تلك التى تجرى أحداثها فى لندن أو نيويورك. يتوافق هذا مع التمييز الثقافى الهام: ميتروبولى - إقليمي. تطورت metropolitan من تمييز سياسى بسيط: metropolis (س م)، يونانية: المدينة الأم، وبالتالى المدينة الرئيسية؛ تطورت provincial إقليمى من province، (س م) province، فرنسية قديمة (س ب) provincia، لاتينية: مديرية أو جزء region من أرض (مفتوحة). فى منتصف ق ١٨ و لكن بشكل خاص فى ق ١٩ كانت متروبولى وإقليمى تستعملان بشكل مضطرد للدلالة على تضاد بين ذوق أو سلوك مهذب أو مصقول و بين أفكار ضيقة الأفق وسلوك فج. ظهرت provincialism إقليمية فى ق ١٨ وظهرت metropolitanism متروبولية فى وسط ق ١٩. هكذا provincial و regional هما تعبيران يدلان على منزلة وضيعة بالنسبة للمركز المفترض. حسب هذه الشروط يمكن للمرء أن يتساءل بتعجب عند أى نقطة خارج إطار الميتروبول يمكن الذهاب حتى تنطبق صفة اقليمى regional أو provincial. هناك شيء مثير للاستغراب بالنسبة للمقاطعات الداخلية فى إنجلترا Home Counties الأقرب إلى لندن (ميدلسكس، سري، كنت، اسكس؛ وأحيانا تضاف هيرتفوردشاير وسسكس). فى العادة لا تسمى رواية تقع أحداثها هناك بأنها جهوية regional. يوسع القانون والإدارة المركزية (على الأرجح اشتقت Home Counties من التعبير القانونى Home Circuit محكمة المناطق الداخلية الطوافة) نطاق مسؤولياتهما الميتروبولية عن طريق المجاورة، لكن يبقى نفس النوع من التمييز الثقافى فى كلمة suburban ضحوى (التى كانت بهذا المعنى من أواخر ق ١٩).

للكلمة regional، دون provincial و suburban، معنى إيجابي بديل، كما هو في الحركة المعارضة التي توضحها استعمالات حديثة لإقليمية regionalism. تحمل هذه معاني لطريقة حياة متميزة وقيمة خاصة فيما يتعلق بالمعمار والطهي. كذلك لها، مع local محلي، بعض هذه المعاني فيما يتصل بالإذاعة. مع ذلك لا يزال يتم بشكل رئيسي التعبير عن حركة معاصرة ملحوظة للأفكار ضد المركزية centralization أو حدة المركزية وضد الملامح المتروبولية التي وصفت بأنها megalopolitan (ليست المدينة الأم العظيمة، من megas، يونانية: عظيم ولكن من الصلة بـ megalomaniac أو مفهوم أشمل للتشويه عن طريق الحجم بالغ الضخامة) حسب مفهوم الخضوع السابق.

انظر: CITY مدينة، COUNTY مقاطعة، DIALECT لهجة، STANDARDS معايير

ممثل / نائب / نمطي / رمزي REPRESENTATIVE

مجموعة الكلمات التي تعتمد على represent يمثل معقدة جداً و كانت كذلك لفترة طويلة. ظهرت represent في الإنجليزية في ق١٤ في الوقت الذي كانت فيه present موجودة قبل ذلك كفعل يعني "جعل شيء حاضراً present" (معنى إهداء/تقديم شيء ما ظهر في ق١٤). بسرعة اكتسبت represent مجموعة من معاني "جعل شيء ما حاضراً": بالمفهوم المادي لتحضير الذات أو شخصاً آخر، في الغالب عند شخص في موقع مسؤولية؛ لكن كذلك بمعنى جعل شيء ما حاضراً في الذهن "Aulde storys that men redys,

Representis to thaim the dedys, Of stalwart folk"

القصص القديمة التي يقرؤها الرجال تقدم لهم مآثر الأبطال، باربور، ١٣٧٥)، وجعل شيئاً ما ماثلاً للعيان، في الرسم (صوّر ومثّل representid and "purtraid"، ١٤٠٠ تقريباً) أو في المسرحيات ("هذه المسرحية ... مثلت

representyd الآن أمام أنظاركم"، حوالى ١٤٦٠). لكن حدث كذلك توسع حاسم فى ق ١٤ عندما استعملت represent بمعنى "يرمز إلى" أو "يقوم مقام" ("صور تمثّل represent أبهة و روعة العالم"، وكلف، حوالى ١٣٨٠). واضح أنه كان هناك فى هذه المرحلة تداخل كبير بين معنى (١) جعل شيء ماثلا للذهن والحواس ومعنى (٢) "القيام مقام شيء ليس حاضراً". فى البداية لم يتم على الإطلاق ادراك ما نجم من تباعد بين هذين المعنيين فى بعض الاستعمالات. من الصعب جداً تتبع ظهور المعنى المستقل: "القيام مقام الآخرين". لكثير من الاستعمالات الأولى معنى "يرمز إلى" بدلاً من "يقوم مقام". عندما وصف شارلز الأول مجلسى البرلمان على أنهما "الهيئة الممثلة Representative Body للمملكة" (١٦٤٣) يبدو مؤكداً أن المعنى، خاصة عندما نتذكر موضوع الجدل فى ذلك الحين، كان لمملكة يتم جعلها ماثلة، يرمز إليها بدلاً من المعنى اللاحق لأعضاء برلمان يقومون مقام و يناصرون آراء من انتخبوهم. بكلمات أخرى، تم جعل وضع أو حالة مفترضة ماثلة أو مرموز إليها من قبل مؤسسة معينة؛ الطبيعة "التمثيلية representative" هذه نشأت من مظاهر الدولة الخارجية، بدلاً من آراء متنوعة و مشتتة تم جمعها، وبمعنى أكثر حداثة represented ممثلة. لا يزال هذا المعنى واضحاً فى عبارات مثل "تمثيل representing بلدك فى الخارج". الممثل represtative السياسى هو الصورة السياسية.

لكن بدأ فى الظهور، بشكل رئيسى فى ق ١٧ ، معنى النيابة عن آخرين بطرق أكثر تنوعاً. كان قد تطور فعلاً معنى represent للدلالة على النيابة عن شخص آخر محدداً ("أرسل قائدنا كابتن جوبسون representing ممثلا له و يتصرف بتفويض منه" ،١٥٩٥). بالطبع استمر هذا المعنى بشكل ملحوظ فى الأمور القانونية. يمكن ملاحظة المعنى السياسى المتطور من منتصف ق ١٧: فى "البرجيسات Burgesses (ممثلى representatives الشعب)" (١٦٥٨)، حيث لا يزال المعنى السابق حاضراً بشكل جزئي؛ و فى قول كرومول: "حريص على أمنكم و أمن من تمثلون" (١٦٥٥)؛ وفى قول كوك: "بالتالى سنستفسر ... إذا كان مجلس العموم، كما هو قائم الآن، فى مقدوره أن يكون ممثلهم Representative"

(١٦٠٠). لا يقدم أى من هذه الاستعمالات معادلا قاطعا للكلمة الحديثة represent، و فى بعض الحالات استمر الإبهام ضمن بنية التعبير نفسها. من ناحية نجد ستيل يقدم إضافة ضرورية محدّدة فى "أصبح المنتخبون ممثلين فعليين للمنتخبين" (١٧١٣) وجونيس يستخدم تمييزاً ضرورياً فى قوله "يعلن الشعب الإنجليزى أن ممثليه ظلموه ظلماً فادحاً" (١٧٦٩). لكن من الناحية الأخرى نجد بيرك يميّز تمييزا معروفا بين representative ممثل و delegate مندوب التى اعتمدت جزئياً على المعنى الرمزى لـ representative (ينوب عن آخرين، لكن حسب شروطه الخاصة) بدلا من المعنى السياسى (يجعل آراء من قاموا بالانتخاب ماثلة، تمثيل representing). لا يزال معظم السياسيين يرددون بشكل تقليدى هذا التمييز ولا تزال representative تحمل بوضوح هذا التعقيد والالتباس. يتضح هذا فى المناقشات الحالية عما إذا توجب أن يكون الممثلين representatives مفوضين mandated (أي، منحهم من انتخبوهم تعليمات و بالتالى هم يناصرون/يجعلون ماثلة represent آراءهم) أو معرضين للاستدعاء recall (أى من الممكن إعلان عدم تمثيلهم not representative لآراء المنتخبين). واضح من طبيعة المعارضة لأفكار التفويض والاستدعاء (التى يبدو أنها مجرد تفصيل لأحد معانى represent) أن معنى آخر لممثل representative كرامز أو تشكل عند يدل على آخرين ليسوا حاضرين هو الذى اعتمد عليه بشكل رئيسى. سيهل ذلك استعمال شائع لـ representative منذ منتصف ق ١٧ يدل على عينة أو نموذج نمطى typical.

تصبح هذه المسألة مهمة جدا فى المناقشات حول ديمقراطية تمثيلية representative Democracy" التى يمكن بوضوح أن تعنى (١) الانتخابات الدورية لأشخاص نمطيين typical، أو (٢) الانتخابات الدورية لأشخاص يحاجون لمصلحة أو باسم من انتخبهم، أو (٣) الانتخابات الدورية لأشخاص يجعلون ماثلا باستمرار وجهات نظر الذين انتخبوهم. لا يغير الانتخاب التنافسى لكل من هذه المهمات الثلاث، والذى عادة ما يتم التركيز عليه كجوهر الديمقراطية النيابية representative democracy، الحقيقة التى لا تقل أهمية بأن المهمات نفسها مختلفة

جذرياً. من ناحية عملية تستعمل المناقشات حول تفويض mandate واستدعاء recall معنى (٣) و تتم مناظرتها بمناقشات تعتمد على معنيى (١) و (٢). كانت المناقشات عنيفة لدرجة أنها ولدت التعبير البديل participatory democracy ديمقراطية مشاركة التي تستبعد، في تركيزها على حكم الشعب لنفسه بدلاً من أن يكون محكوماً من قبل "ممثلين representatives"، معنيى (١) و (٢) لكن غالبا لأسباب عملية تحتفظ بمعنى (٣).

في الوقت نفسه مرت represent بتطور على نفس الدرجة من التعقيد في الفن والأدب. كانت representation كما سبق تعنى رمزاً أو صورة، أو عملية "إحضار" للعين أو الذهن. من ق ١٨ بدأ معنى representative كنمطى typical يستعمل في وصف أشخاص أو مواقف. من وسط ق ١٩ صار هذا شائعاً وفي النهاية استعمل بشكل واسع كعنصر مميز للواقعية REALISM أو الطبيعية NATURALISM. لاحقاً أصبح معنى قديم لـ representation - تجسيد بصرى لشيء ما - محصورا على معنى "accurate reproduction إعادة إنتاج دقيقة" وأنتجت بهذا المعنى، على الأرجح ليس أبكر من ق ٢٠، التصنيف المميز representational art فن تصويري. مع ذلك ليس هناك في المعنى العام بيمثل represent أوتمثيل representation ما يجعل هذا الحصر محتوماً. في الواقع يتعارض التركيز على إعادة إنتاج reproduction دقيقة مع التطور الرئيسي للمعنى السياسي. لكن ذلك المعنى راسخ الآن، بل تتم معارضته (بطريقة فيها مفارقة حسب تاريخه) مع symbolic رمزى أو رامز symbolizing. (طورت symbol التباسا مشابها، من المعاني المبكرة لعلامة أو أمارة أو موجزا لحالة أو مبدأ أو وضع عام، عبر المعنى الوسيط لشيء represents يمثل شيئا آخر، إلى المعنى الحديث لشيء هام لكن مستقل - ليس تمثيلا و لكن صورة image، التى تدل إما على شيء لا يمكن بطريقة أخرى تعريفه و إما على شيء لا يعرّف عن قصد تبعا لشروطه. هناك بينة على تداخل بين المعاني المستقلة لـ representative و representational كتعبيرى فن و أدب. هذا معتاد في المناقشات حول الواقعية REALISM (ا م) لكن بوضوح ليس هناك بالضرورة تطابق بين معنى typical

نمطى ومعنى معاد إنتاجه reproduced بدقة؛ هذا، بــالأحرى، ارتبــاط تــاريخى ضيق.

من الصعب جداً تقــدير درجــة التــداخل المحتمــل بــين representative و representation في معانيهما السياسية والفنية. بمعنى نمطى typical، التى تقــوم عندئذ مقام ("يحل محل" أو "كأنه") آخرين أو أشياء أخرى، فى أى مـــن السياقين السياسى أو الفنى هناك على الأرجح مسلّمات ثقافية عميقــــة مشــتركة. فــى نفس الوقت، هناك تناقض، ضمن هذه المسلّمات، يبرز فــى المناقشــات حــــول ديمقراطية تمثيلية/نيابية representative democracy وفى المناقشات فى الفن حول العلاقة بين representational تصويرى و representative تمثيلى/نمطي.

انظـــــر: DEMOCRACY ديمقراطية، IMAGE صــورة، REALISM واقعية

ثـــــــورة REVOLUTION

لكلمة revolution الآن معنى سياسى سائد ومحدد، لكن التطور التــاريخى لهذا المعنى هام. دخلت الكلمة الإنجليزية من (س م) revolucion، فرنسية قديمـــة، revolutionem، لاتينية: من (س ب) revolvere، لاتينية: يدور. فى كل استعمالاتها المبكرة دلت على حركة دوران فى مكان/فضاء أو زمــان: "التــى تنتهــى فيهــا الكواكب الأخرى، بالإضافة إلى الشمس، دورانها revolving ومسارها وتتبع فــى ذلك زمنها الفعلي" (١٥٥٩)؛ "من اليوم المحدد بهذا التاريخ إلــى المــدة والــدورة revolution الكاملة لسبع سنوات تلى ذلك" (١٥٨٩)؛ "تتقلص مرة أخرى وتعود فى حركة دوامية وبالتالى يستمر دورانها revolution إلى الأبد" (١٦٦٤). يبقى هــذا المعنى الرئيسى لحركة فيزيائية متكررة بشكل رئيسى فى المعنى التقنى المــرتبط بالمكان: "دورات revolutions فى الدقيقــة"، وعادة ما تختصر إلى revs.

ظهور المعنى السياسى معقد جداً. من الضرورى إلقاء نظـرة أولاً علـى الكلمة السابقة التى وفت بمعنى هذا الفعل ضد نظام قائم. بالطبع كانت هناك خيانة treason (بمعناها الأساسي، خداع، غدر ضد سلطة شرعية) لكن الكلمـة الأكثـر شيوعاً هى rebellion تمرد. كانت هذه سائدة فى الإنجليزية من ق ١٤. تطور هذا المعنى فى اللاتينية من المفهوم الحرفى لتجدد الحرب إلى المعنى العام: معارضـة أو عصيان مسلح، ومن ثم إلى مقاومة معلنـة ضـد السـلطة. كانـت rebellion و rebel (كصفة و فعل واسم: تمردي، يتمرد و متمرد) الكلمتين المحـوريتين لمـا نسميه الآن فى العادة (لكن للأهمية ليس دوماً) revolution ثورة و revolutionary ثوري. من ق١٦ كان هناك أيضاً تطور هام لــ revolt مـن (س م) révolter، فرنسية، revolutare، لاتينية: يدور، يتقلب التى استعملت من البداية فى الإنجليزيـة بالمعنى السياسي. لا يمكن أن يكون مصـادفة تمامـا تطـور الكلمتـين revolter و revolution من معنى حركة دائرية إلى معنى نهوض أو عصيان سياسي.

تأثرت على الأرجح revolution فى تطورها السياسى بقربها مـن revolt، لكن فى الإنجليزية استمر معناها لحركة دائرة على الأقل قرنـاً أطـول. مـرجع وجود سببين وراء التحول (فى كل من revolt و revolution) من حركـة دائريـة إلى نهوض/عصيان. من ناحية كان هناك المعنى المادى البسيط للتوزيـع المعتـاد للسلطة كما هو الحال فى سلطة الأعلى high على الأدنى low. من وجهة نظر أى سلطة قائمة، revolt هى محاولة لقلب أو تحويل رأس على عقـب أو عكس نظـام سياسى مألوف: يضع الأدنى أنفسهم ضد - وحسب هذا المعنى فوق - مـن هـم أعلى. لا يزال هذا واضحاً عند هوبز فى ليفياثان: "هم أولئك الذين كـانوا حسـب وضعهم رعايا ينهضون عمـداً وينكرون السلطة الحاكمة" (١٦٥١). من ناحيـة أخرى، كانت هناك الصورة المهمة لعجلة الحظ التى تم من خلالها تفسير كثير من تقلبات الحياة خاصة تلك الأكثر ذيوعا، مع أن هذا قاد فى النهاية إلى نفس التعريف للكلمة. بالمعنى الأبسط دار الناس أو بتعبير أدق أديروا على عجلـة الحـظ التـى وضعتهم مرة فى القمة ومرة فى الحضيض. فى الواقع، فى معظـم الاسـتعمالات كان التركيز على الحركة الهابطة: سقوط. لكن على أية حال كان التقلب بين القمة

والحضيض هو الغرض الرئيسى لصورة العجلة: إلى حد كبير ليس حركة العجلة المستمرة والدائبة بقدر ما هو الفصل الواضح لنقطتين: قمة وحضيض اللتين، حسب طبيعة الأمور، لابد وأن تتبادلا المواقع. على الأقل تأثر بذلك جزئياً التغيير الحاسم فى revolution. فى وقت مبكر (١٤٠٠) كان هناك المعنى الذى أصبح فيما بعد مألوفاً:

إنه أنا الذى يسقط

عبر التغيير والتقلب revolucioun (Romance of the Rose، 4366)

واضح جداً معنى revolution كتبدل أو تغيير من ق ١٥: "of Elementys theRevoluciouns Chaung of tymes and Complexiouns" (c. 450،Lydgate).

كان الارتباط بالحظ واضحاً حتى وقت متأخر (وسط ق ١٧): "حيث يمكن ملاحظة المدى العظيم لتقلبات revolutions الزمن والحظ" (١٦٦٣).

بدأ المعنى السياسى الذى كان قد ترسخ فى revolt فى الظهور فى revolution من أوائل ق١٧، لكن هناك تشابكا كبيرا مع طرق ملاحظة التغيير السابقة لدرجة تجعل معظم الأمثلة المبكرة ملتبسة. قام كرومول بثورة لكن عندما قال إن revolution "God's تقلبات القدر" لا تعزى إلى مجرد ابتكار البشر (أبوت، كتابات وأقوال كرومول، جـ٣) فإنه كان لا يزال على الأرجح يستعمل الكلمة بمعناها السابق (كما هو فى Fortune حظ، لكن الكلمة المستعملة الآن هى Providence، عناية الإله) كمحركات خارجية ومحدّدة DETERMINING (ا م). فى الحقيقة، الجانب الأكثر إثارة للدهشة فى مجموعة الكلمات هذه فى ق١٧ هو أن الثورة سميت من قبل مناوئيها التمرد العظيم the Great Rebellion، بينما وصفت أحداث ١٦٨٨ الثانوية نسبياً من قبل مناصريها بأنها عظيمة وفى النهاية سميت the Glorious Revolution الثورة المجيدة. واضح من استعمالات عدة أن Revolution كانت تكتسب خلال ق١٧ معنى سياسياً لكن لا يزال هناك تشابك، كما

قد لوحظ، مع تحولات وتقلبات الحظ أو العناية الإلهية. لكنه من المهم جدا أنه فى أواخر ق ١٧ نال الحدث الصغير اسم Revolution ثورة بينما الحدث الأكبر لا يزال تمرداً Rebellion. أى أن Revolution كانت لا تزال بشكل عام الكلمة المستحسنة، ومن وقت متأخر (١٧٩٦) يمكن اكتشاف الفرق: "Rebellion التمرد هو تدمير subversion القوانين والثورة revolution هى تدمير الطغاة". (من الملاحظ أن subversion تعتمد على نفس الصورة المادية للانقلاب من أسفل؛ كذلك قارن overthrow يطرح/يطيح). إن السبب الرئيسى لتفضيل revolution على rebellion هو أن المعنى الدورى فى الأولى تضمن استعادة restoration أو تجديدا renovation لسلطة شرعية سابقة فى تمييز لها عن تحرك ضد السلطة دونما تبرير مشابه لذلك.

من أواخر ق ١٧ طغت على معنى ثورة revolution فى الإنجليزية الإشارة إلى أحداث ١٦٨٨. كانت الإشارة المألوفة (سنيل، ١٧١٠؛ بيرك، ١٧٩٠) إلى "the Revolution" الثورة معرفة، واستعملت revolutioner كأول اسم لمن قام بالثورة أو ناصرها خاصة فى سياق تلك الأحداث. مع ذلك بدأ يبزغ ببطء معنى عام جديد - وكان هناك سبب جديد للتمييز بين تمرد وثورة حسب وجهة النظر - فى نهوض و إعلان استقلال الولايات الأمريكية. فى تلك الحالة فازت revolution على المستويين المحلى والعام. فى جو جديد من التفكير السياسى، حيث كفاية النظام السياسى بدلا من الولاء لحاكم معين اعتبرت باضطراد المسألة الأساسية، أصبحت revolution مفضلة على rebellion من قبل كل من ساند التعبير المستقل independent. هناك أهمية متبقية من ذلك فى عصرنا الحالي. لا تزال rebellion تمرد تستعمل بشكل معتاد من قبل السلطة المهيمنة ورفقها حتى (أو حتى بعد) توجب اعترافها بأن ما وقع - بمبرراته وولاءاته المستقلة - هو ثورة revolution. لكن كان هناك مفهوم إضافى يتعلق بالحجم: "سيدى ... إنها ليست revolt انقلاب، إنها revolution" (كارلايل، الثورة الفرنسية، جـ٧، ١٨٣٧). (جدير بالملاحظة أن revolt و revolting اكتسبتا من وسط ق ١٨ معنى للشعور بالإضافة إلى الفعل: شعور بالاشمئزاز/الغثيان أو الصد: revulsion تغير قوى

مفاجئ في الشعور. لافت أن revulsion ترتبط في أصلها بـ revel يمرح بصخب التي ترجع بدورها إلى rebllare، لاتينية: يتمرد. انحصرت revel من خلال معنى المرح الصاخب في أي احتفال مفعم بالحيوية؛ بينما أخذت rebel مساراً منفصلاً غير مستحسن؛ واكتسبت revulsion من معنى الابتعاد الجسدي، من أوائل ق ١٩، معنى الصد في اشمئزاز).

كنتيجة لهذا الوضع من التفاعل بين الكلمات جعل التأثير المحدد للثورة الفرنسية French Revolution المعنى الحديث لـ revolution حاسماً. طغى معنى التجديد الضروري من قبل نظام جديد، مدعوماً بمعنى تقدم PROGRSS (ا م) المتزايد في إيجابيته، على المعنى القديم لاستعادة سلطة شرعية، مع أن هذا يستخدم من حين لآخر كمبرر. بالطبع كان وثيق الصلة بذلك أيضاً معنى إحراز حقوق الإنسان الأصلية/الأساسية ORIGINAL. كان مفهوم خلق نظام إنساني جديد هذا على نفس الدرجة من الأهمية مثل الإطاحة بالنظام القديم. في النهاية تحقق ذلك في التمييز الحاسم لثورة عن rebellion تمرد أو عن ما تم في آخر الأمر تصنيفه كثورة قصر palace revolution (تغيير القادة دونما تغيير في أشكال المجتمع). مع ذلك في الجدل السياسي الناجم من التاريخ الفعلي لحركات العصيان أو النزاعات المسلحة اكتسبت revolution معنى متخصصاً يدل على الانقلاب العنيف، و بحلول أواخر ق ١٩ قوبلت بـ EVOLUTION تطور/ترقي بمعناها كنظام اجتماعي جديد يتحقق بسبل سلمية ودستورية. تعزز بشكل كبير معنى revolution كمحققة لنظام اجتماعي جديد تماماً بالحركة الإشتراكية، وأدى هذا إلى بعض التعقيد في التمييز بين اشتراكية revolutionary ثورية واشتراكية تطورية evolutionary. من ناحية كان التمييز بين إطاحة عنيفة بالنظام القديم وبين التغيير السلمي والدستوري. من ناحية أخرى لا تقل أهمية كان التمييز بين العمل من أجل نظام اجتماعي جديد تماماً (الاشتراكية SOCIALISM مقابل الرأسمالية CAPITALISM) وتعديلات محدودة أو إصلاح REFORM نظام قائم ("السعي من أجل المساواة" ضمن "اقتصاد مختلط" أو "مجتمع ما بعد رأسمالي"). النقاش حول

السبل والذى استعمل غالباً لتحديد معنى revolution هو أيضاً فى العادة نقاش حول الأهداف.

كذلك بالطبع أصبحت تستعمل ثــورة revolution وثــورى revolutionary ويثور revolutionize خارج المجال السياسى للدلالة على تغييــرات جوهريــة أو تطورات جديدة جوهرياً فى نطاق شاسع من النشاطات. قد يبــدو غريبــاً قــراءة "ثورة فى عادات التسوق" أو "ثورة فى المواصلات"، وبالطبع هناك حالات تكــون فيها هذه مجرد لغة إعلان لوصف منتج جديد "ديناميكي". لكن على الأقل هذا ليس أكثر غرابة من ربط revolution بعنف VIOLENCE (ا م) حيث أن أحــد معــانى ثــورة الحاسمة، مبكراً ولاحقاً، استعادة أو تجديد، كان ببساطة التغييــر: التغييــر الهام و الجوهري. وقتما سمّى نظام المصانع والتكنولوجيا الجديدة فى أواخــر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ عــن طريــق القيــاس بــالثورة الفرنســية ثــورة صــناعية INDUSTRIAL REVOLUTION (ا م) فإنه قد تم وضع أســاس لوصــف مؤسســات جديدة و تكنولوجيا جديدة بأنها ثورية revolutionary. كان للتفاوتات فــى تفســير الثورة الصناعية - من نظام اجتماعى جديد إلى مجرد اختراعات جديدة - أثر فى هذا الاستعمال. قد تبدو عبارة "ثورة الترانزيستور" تافهة وفضفاضة لمن يعطى أهمية قصوى لمعنى social revolution ثــورة اجتماعيــة، وقــد تبــدو "ثــورة تكنولوجية" أو "ثورة صناعية ثانية" مجرد تعابير جدلية أو محيرة. لكن تــاريخ الكلمة يقدم الدعم لكل نوع من أنواع استعمالها. المهم فى قرن ثورات كبرى هــو التمييز الواضح فى الاستعمال والنبرة بحيث أن السحب المرعدة التى تحلقت حول المعنى السياسى تصبح رياحاً نقية و منعشة عندما تهب فى أى اتجاه آخر.

انظــــر: EVOLUTION تطــور/ارتقـــــاء، ORIGINAL أصلي، REFROM إصلاح، VIOLENCE عنف

رومانسى (الرومانسية) ROMANTIC

هذه الكلمة معقدة لأنها تستمد معانيها الحديثة من سياقين مختلفين: فحوى وطبيعة الحكايات الرومانسية romances وفحوى وطبيعة الحركة الرومانسية Romantic Movement. يؤرخ للأخيرة فى العادة على أنها حدثت في أواخر ق١٨ وأوائل ق١٩؛ فى حد ذاتها هذه الحركة معقدة و متشعبة بشكل استثنائي. لكن كانت romantic تستعمل فى الإنجليزية لمدة طويلة قبل كل ذلك وكانت لها معظم الإيحاءات التى لا تزال موجودة فى الكلمة الحديثة. تشكلت الصفة فى ق١٧ من romance كما كانت مفهومة عندئذ؛ سجلت الكلمة الإنجليزية romantic من ١٦٥٠؛ الفرنسية romanesque من ١٦٦١ و الألمانية romanisch من ١٦٦٣. (كانت الفرنسية romatique و الألمانية romantisch استعارة من الكلمة الإنجليزية). لكن romance رومانس نفسها كانت فى طور التغيير. برزت الكلمة فى صيغ متنوعة (romanz و romaunz و roman و romant الخ) عن طريق اللغة الفرنسية القديمة و البروفنسالية من romanice. لاتينية وسيطة: تعنى "باللغات الرومانية"؛ أى باللغات المحلية المستمدة من اللاتينية. كانت الرومانسيات romances بشكل عام، قصصا منظومة فيها مغامرة أو فروسية او حب، وحتى وقت متاخر لم يزل ملتون يستعمل في الفردوس المفقود Romance رومانس بهذا المعنى: ما يتردد فى خرافة (أخلاقية) Fable أو Romance عن Uther's son ابن أوثر. لكن التطور الفعلى الذى ادى إلى رومانسية romantic كان شعبية أنواع جديدة من قصص الرومانس النثرية المعتمدة بشكل رئيسى على نماذج أسبانية من ق ١٦. اعتبرت تلك بشكل عام عاطفية ومتبورة، لكنها كذلك تميزت بانطلاق التخيل. حملت الصفة الجديدة كلا المعنيين: الخطة الرومانسية romantic و الخيالية لبناء جسر على النهر عند بتنى" (١٦٧١)؛ "بناء على السند الوحيد للكومنولث الرومانسى romantick للسيد هارنجتون" (١٦٦٠)؛ "تلك الأشياء تكاد تكون رومانسية romatique لكنها حقيقية (بيبس، ١٦٦٧)؛ "ذلك الخيال الاكثر جموحا، مثل الذى نستعمله في "الابتكارات الرومانسية Romantick Inventions (١٦٥٩). استمرت مجموعة الاستعمالات هذه وأضيف

إليها استعمال شائع كوصف لأماكن معينة: "مكان رومانسى جداً" (إيفلين، يوميات، ١٦٥٤).

كانت Romantic الرومانسية كاسم جديد لحركة أدبية وفنية و فلسفية في الأساس تطوراً من أوائل ق ١٩، بشكل رئيسى فى ألمانيا و فرنسا (شليجل، Schlegel ودى ستيل de Staël). تأثر بشكل عميق استعمالها فى الإنجليزية بالفكر الألمانى (راجع لفجوى Lovejoy وأيخنر Eichner) حيث نشأ التمييز المحدد بين رومانسى Romantic وكلاسيكى Classical (التأثير الأكبر كان لشليجل من ١٧٩٨). مع ذلك لم تدخل Romantic كما تستعمل الآن فى عبارة the Romantic movement الحركة الرومانسية أو الشعراء الرومانسيين Romantic poets (التى ترجع إلى أواخر ق ١٨ وأوائل ق١٩) الاستعمال العام قبل ثمانينات ق ١٩. علاوة على ذلك، استمرت Romantic صعبة التمييز عن المعانى العامة السابقة، عدا سياقات معينة تدل فيها الكلمة على فترات أو أساليب معينة. بدون شك تعزز كثيرا المعنى القائم لخيال طليق وحر. تطور بوضوح أيضاً معنى أوسع للتحرر من القواعد والصيغ التقليدية، ليس فى الفن والأدب والموسيقى فحسب وإنما كذلك فى الشعور والسلوك BEHAVIOUR (ا م). كان مهما أيضاً معنى مقارب للشعور العارم، بالإضافة إلى شعور أصيل/حقيقى authentic ومتميز. تطورت عبارة romantic hero البطل الرومانسى من شخصية متهورة إلى شخصية مثالية. تطورت تقييمات جديدة للكلمات " لا عقلانى irrational ، "لا شعور unconscious و "خرافى legendary" أو أسطورى MYTHYCAL (ا م) وذلك بمحاذاة تقديرات جديدة لثقافات فورلكلورية folk-cultures يبدو ان بعض هذه المواضيع توجد ضمنها، وكذلك - بصورة مختلفة - بمحاذاة تقديرات جديدة للذاتية SUBJECTIVITY (ا م) ارتبطت بفكرة الخيال الحر وبالشعور الأصيل ORIGINAL (ا م) العارم. واضح مدى التداخل بين بعض هذه المعانى السابقة: أما ما هو جديد وبظل صعب التحديد فإنه الأساس الفلسفى العام لما اعتبر فيما سبق سمات منفصلة ومميزة.

فى ق ٢٠ استمرت رومانسية Romantic كوصف لحقبة تاريخية وكذلك ظلت الكلمة موضع نزاع كاسم عام وإن لا تزال ضرورية للحركة الفلسفية والأدبية من أواخر ق ١٨. مع ذلك لا تزال المعانى السابقة فعالة مما يسبب التباساً كبيراً. لا يزال "مكان رومانسي" مقبولاً؛ لكن لا تقبل "خطة رومانسية". الكلمات المشتقة فى ق ١٩ romanticism رومانسية ويجعل رومنسيا romanticize غير مؤاتية بشكل كبير خارج نطاق دلالات ثقافية محددة. فى نفس الوقت تم بشكل عام حصر romantic feeling شعور رومانسى وررومانس romance ذاتها (بدعم من مواضيع كثيرة من الرومانسيات والقصص الرومانسية romantic stories التى سميت الآن romantic fiction روايات رومانسية) على الحب بين الرجال والنساء. هناك تمييز متفرع من ذلك بين حب رومانسى romantic وحب جنسى sexual، لكن حسب المعنى الشائع لا تزال العلاقة الجنسية هى romance رومانس، وتأثرت بهذا إلى حد كبير "أماكن رومانسية" و"مواقف رومانسية". فى الغالب أثر هذا على فهم الرومانسيات Romances السابقة وعلى الأدب الرومانسى Romantic literature الذى يبقى فى الواقع مختلفاً تماماً.

انظر: CREATIVE خلاق، FICTION خيال/رواية، FOLK فولك/شعب، GENERATION جيل، MYTH أسطورة، NOVEL رواية، ORIGINAL أصلي، SEX جنس، SUBJECTIVE ذاتى

علم SCIENCE

قد تبدو science الآن كلمة بسيطة جداً، حتى وإن تذكرنا أنه كانت لها قبل ق ١٩ معان أخرى. مع ذلك، وبالذات فى استقلالها عن تلك المعانى الأخرى، فإن للكلمة تاريخا اجتماعيا هاما لا يزال فعالاً. دخلت science الإنجليزية فى ق ١٤، من (س م) science، فرنسية، scientia، لاتينية: معرفة knowledge. كانت معانيها الأولى عامة جداً. كانت تعبيرا يدل على المعرفة بشكل عام، كما فى "رب

المعرفة God of sciens هو الإله" (١٣٤٠)، وكان هذا المعنى لا يزال قائماً لـدى شكسبير:

ليس هناك فى خفايا الطبيعة معرفة science أكثر

مما أملك فى هذا الخاتم. (All's Well the Ends Well, V iii)

تم فى بعض الأحيان تمييز الكلمة عن conscience وذلك لتوضيح الفـرق بين معرفة شيء نظرياً (science) و معرفته عـن اقتنـاع والتـزام (conscience ضمير). لكن أصبحت science تستعمل بشكل واسع، غالبـاً كمعادلـة لفـن art، لوصف مجال معين من المعرفة أو المهـارة: "علـم science الـوزن والقافيـة والإيقاع" (جاور، ١٣٩٠)؛ "ثلاثة علـوم Sciences ... الإلهيات، الفيزيـاء و القانـون" (١٤١٢)؛ "علوم ليبراليـة liberal Sciences ... علـوم حـرة مثـل القواعد، الفن، الفيزياء والفلك وعلـوم أخرى" (١٤٢٢).

استمر المعنى العام للكلمة كمعرفة أو تعليم وكذلك المعنى المحدد لفروع أو مجالات من التعليم حتى أوائل ق ١٩. قارن بـين الاقتباسـين: "بـذور المعرفـة science - تلك التى تسمى أبجديته" (كوبر، ١٧٨١)؛ " لا علم science سـوى القراءة والكتابة والحساب" (١٧٩٤). من وسط ق١٧ بدأت تظهر تحولات معينة. بالتحديد كان هناك التمييز عن art: هذا لاصلة له البتة بـالتمييز الحـديث (انظـر ART) لكنه فى حد ذاته مهم. فى ١٦٧٨ وصف "صنع المـزوال" بأنـه "علـم science فى الأساس ... لكنه الآن ليس أكثر تعقيداً من ART فن"، مما يدل علـى تمييز بين مهارة تتطلب معرفة نظرية ومهارة لا تتطلب إلا ممارسة. من ١٧٢٥ نجد: "تستعمل كلمة science عادة لجملة الملاحظـات والفرضـيات المنهجيـة أو المنتظمة ... فيما يتعلق بأى موضوع للتفكير". يمكن بطريقة غير دقيقة فهم ذلـك كتعريف حديث لكنه يتعلق بفرضيات ، بالإضافة إلى ملاحظات ولا يـرتبط بـأى موضوع معين. هذا يتوافق مع معنى سابق لعلمى scientific (مـن أواخر ق ١٦، من (س م) scientificus، لاتينية) يدل فى أى طرح إما على برهان نظرى وإمـا، بشكل عام، على برهان بياني. (كذلك استعملت scientific فى السـابق كمعادلـة

لليبرالى LIBERAL (ا م) لتمييز الفنون المكتسبة بالتعليم عن الفنون الميكانيكية MECHANICAL (ا م).) كان للمعنى الذى نجم بهذه الطريقة عن جملة المعارف عناصر من المنهج والبرهان البياني؛ كان ذلك على مستوى نظري؛ العلم هو نوع من المعرفة أو الطرح بدلاً من موضوع معين. يظهر أن الأمر كان كذلك حتى فى المثال الذى يبدو للوهلة الأولى حديثا، من ١٧٩٦: فى المقولة "بأنه بالرغم من أن علم المعادن لم يكن فى الإمكان حتى وقت قريب فهمه من قبل الكثيرين كفن art فإنه قد يندر اعتباره علماً science"، يبدو التمييز على الأرجح بين معرفة نظرية وأخرى عملية. ضمنياً عنت نظرية theory بالضرورة برهاناً منهجياً وهو ما قد يحدث فى أى موضوع.

فى البداية لم يكن التمييز الرئيسى فى science ولكن فى التمييز الحاسم فى ق ١٨ بين experience خبرة و experiment تجربة (أنظر EMPIRICAL). دعم هذا تمييز بين معرفة عملية practical ومعرفة نظرية theoretical (أنظر THEORY) التي عبر عنها فيما بعد التمييز بين art فن وعلم science بمعانيهما العامة من ق١٧ و ق ١٨. كانت ممارسة ما قد نسميه اليوم علماً تجريبياً experimental science والذى فى الواقع يسمى الآن، بطريقة استيعادية، الثورة العلمية the scientific revolution فى طور النمو بطريقة ملحوظة منذ منتصف ق١٧. لكن لم تزل science فى أواخر ق ١٨ تعنى بشكل رئيسى البرهان المنهجي النظري. ولم يتم بطريقة حاسمة حصرها على مواضيع معينة. علاوة على ذلك، كان التمييز بين experience و experiment علامة على تغيير أكبر. يمكن حصر experience فى اتجاهين: نحو معرفة عصبية أي مألوفة ونحو معرفة بطنية (ذاتية SUBJECTIVE (ا م)) فى تمييز لها عن معرفة خارجية (موضوعية OBJECTIVE). حملت خبرة experience كلا المعنيين لكن أتاح تحديد تجربة experiment - ملاحظة منظمة لحدث - تركيزا معينا فى experience أيضا. ساعدت تغيرات فى الأفكار عن الطبيعة NATURE (ا م) فى حصر إضافى لأفكار المنهج والبرهان نحو "العالم الخارجي"، وبهذا استكملت شروط بروز science كدراسة نظرية ومنهجية للطبيعة. يمكن لـ نظرية

و"منهج" اللذين استعملا لأنواع أخرى من الخبرة experience (أحدهما كان ميتافيزيقيا ودينيا، وثانيهما كان اجتماعيا وسياسيا، وثالثهما كان feeling الشعور والحياة الداخلية inner life التى اكتسبت ارتباطا جديدا محددا بفن ART) أن يستبعدا الآن على اعتبار أنهما ليسا science علما وإنما شيء سواه.

ترسخ التمييز فى أوائل ق١٩ ووسطه . رغم استمرار وجود بقايا لمعانى سابقة فإنه بالإمكان بحلول ١٨٦٧ العثور على الجملة الواثقة لكن بنفس المقدار الواعية لجدة الاستعمال: "سنستعمل ... الكلمة "science" بالمعنى الذى منحه الإنجليز إياها بطريقة ذائعة دالة على علم مادى وتجريبى ومستبعدة الثيولوجيا والميتافيزيقيا". هذا الإقصاء كان ذروة النقاش الحاسم. لكن استثنى هذا التحديد. تحت هذا الغطاء، مجالات معرفة وتعليم أخرى كثيرة. أصبحت scientific علمى و scientific method منهج علمى و scientific truth حقيقة علمية، محصورة على الطرق الناجعة للعلوم الطبيعية، فى المقام الأول الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. قد تكون الدراسات الأخرى نظرية ومنهجية لكن هذه ليست هى نقطة الجدال الآن؛ النقطة الأساسية كانت أن الطبيعة الموضوعية objective تماما للمادة وكذلك للمنهج، اللذان تلازما فى هذه المجالات، هى التى اعتبرت محددة.

كتب هيول فى ١٨٤٠ : نحن فى أمس الحاجة إلى اسم يصف من يزاول العلم science بشكل عام. أميل إلى تسميته عالم scientist". هذه نقطة هامة لتصنيف العلم عن طريق حصر متخصص لمعانى الكلمة. لم يجد الناس عبر كلمة ملائمة فى اجتماعات الرابطة البريطانية فى أواخر ثلاثينات ق١٩ (فى الواقع استعملت أحيانا sciencer فى ق١٧ و scientist فى أواخر ق١٨ بمعانى science القديمة). يمكن ملاحظة نسبية التطور من ١٨٤٠ بوصفه، فى كتاب ليوناردو ذهنيا باحثا عن الحقيقة - عالم scientist؛ كان كوريجيو متفتحا عن الحقيقة - فنان artist". أصبحت تمييزات من هذا النوع نمطية، لكن حتى وقت متأخر (١٨٣٦) وبطريقة مقنعة كان كونستابل يقول: الرسم علم science ويجب ممارسته كبحث عن قوانين الطبيعة. لماذا ... لا يمكن اعتبار رسم منظر فرعا

من الفلسفة الطبيعية التى تكون الصور فيها مجرد تجارب؟" (المحاضرة الرابعة، المعهد الملكي). لكن كان التوجه السائد فى ناحية أخرى. انحصرت "Method منهج" على نوع واحد مثلما انحصرت خبرة experience، من نوع يمكن إثباته بيانياً، على نوع معين من التجربة experiment. كان لهذا لاحقاً عواقبه الداخلية، خاصة فى البيولوجيا، لكن أيضاً فى الفيزياء. كان لذلك أيضاً نتائج عميقة فى مجالات أخرى من المعرفة البشرية حيث أصبح نموذجا معينا وفائق النجاح (ملاحظ منهجى محايد وموضوع دراسة خارجي) معمماً ليس فقط كعلم science ولكن كحقيقة fact وصدق truth وصواب reason أو RATIONALITY عقلانية. زاد الوضع سوءاً النقد التقليدى لهذا النموذج حسب منهج أسبق هو الآن محصور ومتخصص: تمييز حقائق ووقائع ذاتية subjective و"مجالات" - دينية، فنية، سيكولوجية، أخلاقية (والكلمة المرتابة الملتبسة: اجتماعية social) - يكون فيها هذا المنهج السابق هو الأنسب بدلاً من المنهج العلمى scientific.

ربما يكون تحديد science علم أتم فى الإنجليزية عنه فى معظم اللغات المشابهة. يسبب هذا مشاكل كثيرة فى الترجمة المعاصرة، بشكل ملحوظ من الفرنسية. قارن التناوب بين علم science و studies دراسات فى العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، وقارن كذلك الإبهام الذى قد يلف scientific عندما تستعمل بالمعنى القديم كإثبات بياني فى طرح، أو بالمعنى المتطور الدال على "صرامة منهجية" - لكن السؤال عندئذ: أين التجارب experiments فى كل هذا، أوليست هذه مجرد خبرة experience (ذاتية subjective، أدبية literary، تأملية speculative)؟ فيما تصبح التقسيمات التقليدية المبسطة، خاصة بين science علم وفن art و objective موضوعى و subjective ذاتي، أكثر وضوحاً فإن التعبير الحاسم scientism علموية استعمل للدلالة على الطبيعة المحدودة لجانب من النقاش. من أواخر ق١٩، عنت scientism مواقف يتميز بها العلم science لكن فى استعمالها الحاسم تدل على التحول (غير الملائم) لمناهج البحث من العلوم "الفيزيائية" إلى العلوم "الإنسانية". ليس هذا التعبير شائعاً بعد (رغم أن تشكيله يمكن أن ينظر إليه فى إطار المراجعة الحالية لمفاهيم مثل "أدب literature"،

"aesthetic جمالي" و "subjective ذاتي") للدلالة على القصور الواضح فى الموقف "الآخر" الذى هو فى الواقع متمم.

انظر: ART فن، EMPIRICAL إمبيريقـــي، EXPERIENCE خبـــــرة، MATERIALISM ماديــــــة، POSITIVE وضـــــعي، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية

حساسية SENSIBILITY

كانت sensibility كلمة مهمة جداً بين منتصف ق١٨ ومنتصف ق٢٠، لكن في السنوات الأخيرة تقلصت هذه الأهمية بشكل حاد. هى كلمة صعبة جداً ســواء فى معانيها وفى صيغها ضمن هذه الفترة التاريخية وكـــذلك فـــى علاقاتهـــا مـــع مجموعة معقدة جداً من الكلمات تتحلــق حـــول sense. يجـــب فقـــط تـــذكر أن sensibility ليست اسماً علماً لحالة كون الشيء sensible (محسوس/معقول) لإدراك مدى صعوبة هذه المجموعة. قام بتحليل بعض العلاقـــات البينيـــة داخـــل هـــذه المجموعة وليام إمبسون فى كتابه "بنية الكلمات الصعبة"(٢٥٠-٣١٠)، فـــى عـــام ١٩١٥.

تبعت المعانى الأولى لـــ sensibility (س م) sensibilitas، لاتينية، المعـــاني الأبكر لـــ sensible (س م) sensible، فرنسية، sensibilis، لاتينية حديثة: محسوس أو مدرك عن طريق senses الحواس البدنية. كان استعمال sensible هـــذا، مـــن ق١٤، هو سند sensibility كشعور بدنى أو ادراك حسى من ق ١٥. لكنهـــا لـــم تستعمل كثيراً. كان التطور الهام فى sense هو تحورها عن طريق التوسع مـــن اسم لعملية process إلى نوع معين من المنتج: sense إحساس بمعنى وعى سليم أو حكم صائب الذى منه سيســتمد معنـــى sensible الحـــديث الســـائد. (تبعـــت common sense الحس المشترك/العام هذا المسار منتهية كتأكيد فـــائق لمـــا هـــو بديهى – ما يعرفه الكل أو يعرفه الجميع على أنه تحصيل حاصل – وذلـــك فـــى

أعقاب مرجعيتها السابقة والفعالة فى sense حس/حكم تتجزه عملية مشتركة بين مختلف الحواس البدنية؛ تنوع صيغ عام/مشترك COMMON (١م) حاسم فى هذا المجال.) لكن قبل أن تتحصر sensible فى هذا المعنى المحدود كانت قد تحركت مؤقتاً فى اتجاه آخر وذلك نحو شعور "رقيق" أو "لطيف" من ق ١٦. تبقى آثار بسيطة من هذا فى "sensible of شعور بـ" (قارن الاستعمال الخاص لـ touched تأثرت مشاعره)؛ أما "sense of إحساس بـ" فإن لها عملياً مدى أوسع يشمل الحيادية. من sensible بهذا المعنى المحدد تم اشتقاق sensibility الهام فى ق ١٨. كانت أكثر من sensitivity حساسية التى يمكن أن تصف حالة بدنية أو عاطفية. بشكل أساسى كانت تعميماً اجتماعياً لميزات شخصية معينة أو، بكلمات أخرى، هى استحواذ شخص لميزات اجتماعية معينة. بهذه الطريقة تنتمى الكلمة إلى تشكيل مهم يشمل TASTE (١م) و cultivation تهذيب و discrimination تمييز و، على مستوى مختلف، نقد CRITICISM (١م) و ثقافة CULTURE (١م) حسب أحد معانيها المشتقة من cultivated مهذب و cultivation. تصف كل هذه الكلمات عمليات إنسانية عامة جداً لكن بطريقة يتم فيها تخصيص وتحديد؛ يمكن التقاط الآثار السلبية للاستبعادات الفعلية التى كثيراً ما تكون متضمنة فى discrimination حصافة/تمييز التى بقيت كعملية للحكم الواعى أو الدقيق وأيضاً كعملية معاملة مجموعات معينة بطريقة مجحفة. ليس لـ TASTE و cultivation أى معنى معتبر إلا إذا عارضنا وجودهما بغيابهما بطرق تعتمد على التعميم وغالباً على الإجماع CONSENSUS (١م). فى معانيها من ق ١٨ شملت sensibility معنى شبيها بذلك الذى تحمله وعى awareness الحديثة (ليس فقط consciousness شعوراً ولكن أيضاً ضميراً conscience) وصيغة صريحة لما يبدو أن الكلمة تعنيه حرفيا، المقدرة على الشعور: "عزيزى الإحساس Sensibility! مصدر ... لا ينفد لكل ما هو عزيز فى أفراحنا أو مضن فى أحزاننا" (ستيرن، ١٧٦٨).

فى هذه المرحلة أصبحت علاقة الكلمة بـ sentimental "عاطفى مفرط" مهمة. كان لـ sentiment (من (س م) sentimentum، لاتينية وسطى،(س ب) sentire، لاتينية: يشعر) معانى تتفاوت من معنى ق١٤ للشعور البدنى و الشعور

الذاتى إلى معنى ق١٧ لكل من وجهة نظر وعاطفة. استعملت **sentimental** بشكل واسع فى منتصف ق ١٨: "**sentimental** رائجة إلى حد كبير فى المجتمع الراقى ... كل شئ مستحسن أو رشيق تحمله تلك الكلمة ... رجل وجدانى **sentimental**... حفلة رائعة **sentimental** ... مشية رقيقة **sentimental**" (ليدى برادشو، ١٧٤٩). كان الارتباط بـ **sensibility** عندئذ قريباً: تقبل واع للمشاعر، وكذلك استهلاك مقصود للمشاعر. عرّض هذا الاستعمال الأخير الكلمة **sentimental** للنقد ووصل هذا أقصاه بطريقة فجة غالباً فى ق١٩: "تلك الضبابية المتوردة للوجدانية **Sentimentalism** و الإحسان واحتفالات الفضيلة" (كارلايل، ١٨٣٧)؛ "راديكالية وجدانية **Sentimental Radicalism**" (بيجهوت عن ديكنز، ١٨٥٨). صبغ معظم ما كان أخلاقياً أو راديكاليا، سواء فى القصد أو الفعل، بنفس الفرشاة التى استعملت لرسم عروض وجدان **sentiment** الواعية لذاتها أو المنغمسة ذاتياً. فى مرحلته المحافظة جمع ساوثى الكلمتين: "الطبقات الوجدانية **sentimental**: أشخاص ذوو **sensibility** إحساس متقد أو مريض" (١٨٢٣). هذا التذمر موجه ضد الناس الذين يشعرون **feel** "إلى حد مفرط" كما هو موجه كذلك ضد من "يطلقون العنان لعواطفهم **emotions**". دمر هذا التشويش للأبد **sentimental** (رغم بقاء استعمالات إيجابية محدودة، بشكل واضح فى **sentimental value** قيمة وجدانية) وحدد بطريقة نهائية الكلمة **sentimentality** وجدانية.

تجنبت **sensibility** ذلك. احتفظت بمعانيها من ق١٨ وأصبحت مهمة فى مجال واحد خاص: الإحساس الجمالى **AESTHETIC** (ام). (بالطبع سبرت جين أوستن فى روايتها ***Sense and Sensibility*** المزايا المتفاوتة التى بدا أن التعبيران المتخصصان فى عنوان روايتها هذه حدداها. ربما تكون قد التقطت فى روايتها ***Emma*** اتجاهاً معيناً فى "حساسية أكثر حدة للأصوات الرقيقة منها لمشاعري" (١٨١٥). كتب رسكن عن "حساسية **sensibility** للون" (١٨٤٣). يبدو أن الكلمة استعملت باضطراد لتمييز مجال معين من الاهتمام والاستجابة قد يمكن تمييزه ليس فقط عن **RATIONALITY** عقلانية أو **intellectuality** فكر وإنما أيضاً عن

morality فضيلة، وذلك بالتعارض مع أحد معانى هذه الكلمة الأخيرة من ق١٨. بحلول أوائل ق ٢٠ كانت sensibility هى الكلمة الأساسية التى تصف الحيز الإنسانى الذى عمل فيه واحتكم إليه الفنانون. فى التطور اللاحق لنقد CRITICISM (ا م) المعتمد على تمييز بين reason عقل و emotion عاطفة كانت sensibility هى الكلمة العامة المفضلة للاستجابة والحكم التى لا يمكن اختزالها إلى emotional عاطفى أو emotive انفعالي. ما أسماه ت. إس. اليوت فى عشرينيات ق ٢٠ "dissociation of sensibility" انفصال الحساسية كان هو الفصل المفترض بين thought فكر و feeling شعور. يبدو أن sensibility أصبحت الكلمة الجامعة، وبشكل عام تحولت من أنواع من الاستجابة إلى معنى يدل على تكوين ذهن معين: نشاط كامل، طريقة مكتملة للإدراك والاستجابة، وبالتالى لا يمكن اختزاله إلى "فكر" أو "شعور". اكتسبت EXPERIENCE خبرة (ا م) بمعناها كشيء فعال وكشيء متكون نفس التعميم. لفترة مهمة كانت sensibility هى ما يصدر عنه الفن وهى كذلك ما يتم عبرها تلقيه. حسب المعنى الأخير، تم بشكل عام إحلال taste ذوق و cultivation تهذيب، اللتين كانتا قريبتين فى المعنى فى التشكيل الأصلى محل discrimination تمييز و criticism نقد. لكن مع كل اهتمام هذه المرحلة الذى ساد حتى ١٩٦٠ تقريبا لم تزل التعبيرات الرئيسية بشكل طاغ هى تعميمات اجتماعية لمزايا شخصية أو، كما أصبح واضحا باضطراد، استحواذ شخصى لمزايا اجتماعية. أثبتت sensibility كتعبير يبدو حيادياً فى النقاش حول مصادر الفن، دونما الظلال الكثيفة لذهن mind أو حصر المعنى فى كل من thought و feeling، أكثر صموداً منها كتعبير لمناشدة استجابة معينة أو إقرارها. لكن كما فى بروزها فى ق ١٨، اعتمد تجريد وتعميم ميزة شخصية فعالة، كما لو كانت عملية أو حقيقية اجتماعية واضحة، على إجماع لتقييمات معينة، وبتحطم هذه التقييمات أو رفضها بدت sensibility و كأنها تأثرت بها أبلغ التأثير مما جعلها متعذرة الاستعمال. توارت الكلمة من النقاش الفعال، لكن هام أنه فى نطاق معانيها الفعلى (وهذا هو لب الموضوع) لم يتم العثور على بديل مرض.

انظـــر: AESTHETIC جمالي، ART فن، CRITICISM نقـد، CULTURE ثقافـة، EXPERIENCE خبـرة، RATIONAL عقلانى، SUBJECTIVE ذاتى، TASTE ذوق

جنس SEX

لكلمة sex فى أحد معانيها المعاصرة السائدة - فى الواقع أحيانا المعنى المتداول يومياً - تاريخ مشوق لأنها هنا تدل بشكل رئيسى على "علاقات" جسدية بين الجنسين "the sexes"، بينما فى معانيها السابقة كانت تدل على الفصل بينهما. دخلت الإنجليزية من ق ١٤، (س م) secus و sexus، لاتينية: القسم المذكر أو المؤنث من البشر. هكذا نجد "الجنس المذكر maal section والمؤنث femaal" (١٣٨٢). لكن لم تكن مستعملة بشكل واسع قبل ق ١٦. بالطبع حسب هذا المعنى استعملت بانتظام منذ ذلك الحين.

كانت هناك فيما بعد مجموعة تطورات معقدة بخلاف هذا المعنى العام. هكذا نجد حصراً معيناً للكمة على النساء كما فى "الجنس اللطيف the gentle sex" و "الجنس الضعيف" و"الجنس الجميل" (وسط ق ١٧)؛ إضافة إلى ذلك من ق١٦ استعملت "the sex" بمفردها غالبا للدلالة على النساء. يمكن العثور على أمثلة من ذلك حتى ق١٩ وربما بعد ذلك. كان هناك أيضاً استعمال "الجنس الثاني" من أوائل ق١٩. سجلت sexual جنسى من وسط ق ١٧ بالمعنى الجسدى الوصفى وكذلك استعملت sexless بنفس الدلالة الوصفية من أواخر ق ١٧.

ليس من السهل تتبع التحولات اللاحقة فى مجال الحديث والكتابة الخاضع بشكل واضح للرقابة والرقابة الذاتية والحرج. هكذا يمكن قراءة قصيدة The Primrose للشاعر "دون" بمعنى يبدو معاصراً:

لو قدر لها أن تكون أكثر من امرأة، فإنها ستعلو

فوق كل فكر للجنس sexe، وستسعى لتحريك

قلبى لتأملها و ليس لهيامها.

لكن بناءً على معظم الأدلة فإن المعنى الحديث ليس هو المقصود هنا. بالطبع معنى الاختلاف ثم معنى الحصر واسع الانتشار فى أنواع كثيرة من الكتابة، لكن يبدو بعيد الاحتمال شيوع معنى sex كعلاقة أو نشاط جسدى قبل ق ١٩. فى الواقع هذه هى حالة كلمة (كما هو الوضع بالنسبة لكلمات مشابهة للوصف الجنسى الجسدي) علمية أو دراسية استعيرت وعممت فى فترة أصبح فيها أكثر تقبلاً الحديث أو الكتابة عن مواضيع كهذه بشكل مكشوف. سبقت ذلك مجموعة من الكلمات الرسمية نسبياً، مثل "carnal knowledge معرفة جسدية" و "copulation جماع"، ومجموعة أخرى ضخمة من العبارات العامية التى نادراً ما سمح بها فى الكتابة. (هناك مجموعة كبيرة لعبارات ذكورية، تتمحور فى المقام الأول حول معنى الملكية مجسدة فى "have" يملك/يحوز، وسجلت بوفرة من ق١٩ لكن فى حالات كثيرة يمكن إرجاعها إلى ق١٦). كانت sexual جنسى شائعة بمعناها الأكثر فعالية، ذلك المرتبط بالممارسات والعلاقات أكثر من مجرد خصال، فى الكتابات الطبية من أواخر ق ١٨: سجلت "sexual intercourse اتصال جنسي" من ١٧٩٩؛ "sexual passion هيام جنسي"، من ١٨٢١؛ "sexual purposes أغراض جنسية" من ١٨٢٦؛ "sexual instinct غريزة جنسية" من ١٨٦١؛ "sexual impulse نزوة جنسية" من ١٨٦٣. تبدو مألوفة جملة من المجلة الرياضية (١٨١٥): "نظراتها، انعطفاتها وكذلك طريقة حديثها كلها جنسية sexual". فى نفس الوقت لم يزل المعنى السابق الدال على الخصال شائعاً: كان فى مقدور بيتر Pater الكتابة عن sexlessness فقدان الرغبة الجنسية على أنه "نوع من العنة" (١٨٧٣)، لكن بوضوح ليس هذا ما قصدته اليزابيث بينل Pennell فى ١٨٩٣ فى "لا جنس sexlessness التحرير الجديد الزائف". فى ١٨٨٧ عنت sex-abolitionists مبطلى التفرقة الجنسية الذين يفضلون إزالة التمييزات الاجتماعية والقانونية ضد النساء (فى الوقت الذى كانت فيه الكلمة discrimination نفسها تتحول من ملاحظة الفوارق إلى معنى معاملة غير عادلة، تحيز أو تمييز "ضد"، التى سجلت من أواخر ق ١٩). سُجلت sex-privilege امتياز جنسى بهذا المعنى

اللافت من أواخر ق ١٩ لكن سبقتها استعمالات فيها مفارقة أو نسبياً فيها تفضل لامتياز privilege كشيء خاص بالجنس "the sex" بالمعنى القديم القاصر على النساء. تبين feminism نسوية (أحياناً تكتب femininism) "خصال النساء" خلال معظم ق ١٩، لكن هناك إشارة إلى مجموعة نسوية "Feminist" في باريس في عام ١٨٩٤ وإلى مبادئ النسوية "doctrines of Feminism" التي أصبحت حركة عامة في سنة ١٨٩٥.

عندما نصادف الآن عبارات مثل "جنس sex وعنف في التلفزيون" يبدو معظم تاريخ sex السابق غريباً. تستعمل الكلمة بثقة واضحة على أنها تعني النشاط الجسدي أو التظاهر به. يبدو أن sex بهذا المعنى كانت في الاستعمال العامي بحلول أوائل ق٢٠، غالباً عندئذ كبديل مهذب لعبارات عامية أخرى أقدم. هكذا نجد "gave him sex أعطته جنساً" و "having sex يمارس جنساً". يبدو أنها أصبحت شائعة بل حتى مبتذلة من عشرينيات ق٢٠ التي شهدت أيضا ظهور sexy جنسي/مثير للجنس في الصحافة البريطانية متبعة الصحافة الأمريكية، وبروز sex appeal جاذبية جنسية التي سجلت فيها مسابقة أمريكية من منتصف ق٢٠. من نفس هذه الفترة سجلت sex-life حياة جنسية و sex-repression كبت جنسي وكذلك متدني الرغبة الجنسية undersexed، رغم أن oversexed سجلت في زمن مبكر (١٩٠٨).

تبعت sexuality جنسانية/نشاط جنسي نفس المسار من التطور. علمياً الكلمة وصفية من أواخر ق ١٨، وحتى وقت متأخر (١٨٨٨) كان هناك هذا التمييز في دليل العلم الطبي: "للرجل جنس sex، للحيوانات المنوية الدقيقة جنسانية sexuality". مع ذلك بحلول ١٩٨٣ هناك اقتباس مألوف: ' chuckling sexualities نشاطات جنسية فيها ضحكات خافتة" "تحت تأثير الكحول غير المنتظم". ربما تكون الكلمة قد عادت منذ ذلك الحين إلى المعنى الأعم والمجرد (جنسانية) حيث أنه عند هذا المستوى هناك بدائل مهذبة كثيرة.

سجلت sexualogy كعلم للعلاقات الجنسية من ١٨٨٥ لكـن حلـت محلهـا الأمريكية sexology فى أوائل ق٢٠. دخلت sexism تمييز جنسي و sexist مميز جنسياً كوصفين نقديين للمواقف والممارسات الجنسـية المتحيـزة ضـد النسـاء الاستعمال العام من ستينيات ق٢٠، وكان ذلك أولاً فى أمريكا. تتبع هذه الصـيغة اللفظية racism عنصرية أكثر من اتباعها racialism (قارن RACIAL) الأسبق. تم لاحقاً توسيع التعبير فى بعض الاتجاهـات كنقـد لكـل أو معظـم الخصـائص (سيكولوجية وثقافية واجتماعية) التى تميز بين الجنسين the sexes. لهذا السـبب، ولكن على الأرجح بدرجة أكبر بسبب ظلال المعانى التـى تجمعـت حـول sex (قارن رفض وجهات نظر عن النساء أو تقديمهن كلعب جنس sex-objects)، بـدأ بعض الكتاب استعمال الكلمة البديلة gender. يرجع أصلها إلى generare، لاتينية: ينجب، لكن اكتسبت مع الكلمتين المقاربتين genre نوع و genus "جـنس" معنـى محدداً، وفى حالة gender يكاد يكون معناها محصوراً تماماً فـى النحـو. لكـن استعمل التعبير أحياناً من قبل خارج نطاق النحو كما فى قول جلادستون: "لم يكن عند أثينا شيء من الجنس sex إلا gender الجنوسة، لاشيء من المرأة إلا الشـكل" (١٨٧٨). هذا مثله مثل استعمالات أخرى كثيرة فى هذا المجـال مـن المفـردات مدعاة لنقاش مستمر وهام جـداً، ولهذا آثار فائقة على اللغة.

انظـــــر: FAMILY أسرة، INDIVIDUAL فرد، LIBERATION
تحرير، PRAIVATE خاص، SUBJECTIVE ذاتى

اشتراكى SOCIALIST

ظهرت socialist كوصف فلسفى فى أوائل ق ١٩. جـذرها اللغـوى هـو المعنى المتطور لـ social اجتماعي. لكن يمكن فهم ذلك بطريقتين مختلفتين، مما كان له تأثيـر عميق على استعمال التعبير من قبل اتجاهين مختلفـين جذريـاً. بمعنى (١) كانت social مجرد تعبير وصفى لمجتمع society بمعنى الكلمة السائد لنظام من الحياة المشتركة؛ ما يسعى إليه social reformer المصلح الإجتماعى هو

إصلاح هذا النظام. بمعنى (٢) كانت social تعبيراً مؤكداً ومميزاً يتعارض بوضوح مع نظريات للمجتمع تتعلق بالفردى individual، لكن كذلك بشكل خاص بصفة الفردانية individualist. بالطبع كان هناك كثير من التفاعل والتداخل بين هذين المعنيين لكن يمكن ملاحظة أثرهما المتفاوت من البداية فى تشكيل التعبير. كانت صيغة رائجة لمعنى (١) هى فعلياً استمرار لليبرالية LIBERALISM (ا م): إصلاح، بما فى ذلك إصلاح شامل للنظام الاجتماعى بغرض تطوير ونشر وتأكيد القيم الليبرالية liberal الرئيسية: حرية سياسية، إزالة الامتيازات والظلم الرسمي، عدالة اجتماعية (يتم تصورها كإنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة). تحركت صيغة رائجة لمعنى (٢) فى اتجاه مختلف تماماً: اعتبر شكل فردانى individualist وتنافسى من أشكال المجتمع - بالتحديد الرأسمالية الصناعية ونظام العمل المأجور - عدوا لأشكال المجتمع "الاجتماعية" حقا: أى تلك التى اعتمدت على تعاون وتبادل فعلى لا يمكن بدورهما إنجازه ما دامت هناك ملكية خاصة private (فردية individual) لوسائل الإنتاج. لا يمكن تحقيق حرية فعلية ولا يمكن إنهاء التفاوتات الأساسية ولا يمكن توطيد العدالة الاجتماعية (التى تم تصورها الآن كنظام اجتماعى عادل بدلاً من مجرد إنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة يقوم به النظام الاجتماعى القائم) إلا إذا تم استبدال مجتمع يعتمد على الملكية الخاصة PRIVATE (ا م) بآخر ينشأ على السيطرة والملكية الاجتماعيين.

كان الجدل الناجم بين مجموعات واتجاهات كثيرة كلها تسمى نفسها socialist اشتراكية طويلاً ومعقداً ومريراً. كل اتجاه رئيسى وجد تعابير بديلة للآخر وغالباً ما تكون هذه ازدرائية. لكن حتى عام ١٨٥٠ تقريباً كانت الكلمة من الجدة والعمومية بحيث تعذر استعمالها بشكل سائد. الاستعمال الأبكر الذى عثرت عليه فى الإنجليزية كان لدى هازليت فى كتابه "أشخاص تمنى المرء رؤيتهم" (١٨٢٦)، الذى أعيد طبعه فى Winterslow (١٨٥٠) حيث يكتب مستعيداً حديثاً من ١٨٠٩ تقريباً: "هؤلاء الاشتراكيون socialists المهيبون والدهاة توماس الأكوينى ودنز سكوتس". تلى ذلك استعمال معاصر فى المجلة الإنجليزية المرتبطة بالناشط روبرت أوين: المجلة التعاونية، عدد نوفمبر ١٨٢٧؛ أول

استعمال سياســـى فى الفرنسية كان فى ١٨٣٣، وفى الإنجليزية فى ١٨٣٧ (أوين، عالم أخلاقى جديد، جـــ٣). (يبدو أنه لا صلة لاستعمال socialismo فى الإيطالية فى ١٨٠٣ بالتطور اللاحق؛ كان معناها مختلفاً تماماً.) آخذين فى الاعتبار الجـــو السياسى الملبد فى فرنسا وفى إنجلترا فى عشرينيات وثلاثينيات ق١٩ فإن التواريخ الدقيقة أقل أهمية من الوعى بهذه الفترة كحقبة مميزة. علاوة على ذلك، لم يكـــن بالإمكان عندئذ معرفة أى كلمة ستصبح حاسمة. كانت هذه فترة تشـــكيل ونقـــاش سياسى محموم وحاد، وحتى فترة متأخرة من أربعينيات ق١٩ كانت تعابير أخرى تقف موقف الندية من socialist أو بالفعـــل كانـــت أكثـــر شـــيوعاً: co-operative تعـــاوني، mutualist تبـــادلي، associationist ترابطـــي، societarian جمـــاعي، phalansterian كتائبي، agrarianist مؤيد لتوزيـــع عـــادل للأراضـــى و radical راديكالي. حتى وقت متأخر (١٨٤٨) عرّف قاموس ويبستر الأمريكى socialism اشتراكية على أنها " تعبير جديد لـــ agrarianism دعم توزيع عـــادل للأراضـــى والممتلكات" رغم أن socialism و socialist كانا عندئذ تعبيرين شائعين فى فرنســـا وألمانيا وإلى حد أقل فى إنجلترا. كان الفعلان الناشطان socialize يـــدرج/يؤهـــل اجتماعياً و socialiser شائعين فى الإنجليزية والفرنسية من ١٨٣٠ تقريباً.

من ١٨٤٠ بدأ يستعمل تعبير بديل هـــو شـــيوعى COMMUNIST (ا م) فـــى فرنسا وبريطانيا. قد يتفاوت معنى هذه الكلمة حسب السياق القومى المستعملة فيه. كان لشيوعى communist فى إنجلترا فى أربعينيات ق ١٩ ارتباطات دينية قويـــة وكان هذا لافتاً حيث أن اشتراكى socialist كما استعملها روبرت أوين ارتبطـــت بمعارضة الدين ولهذا السبب تم تجنبها فى بعض الأحيان. كان تطور الكلمـــة فـــى فرنسا مختلفاً عنه فى بريطانيا لدرجة أن إنجلز فى مقدمتـــه *Preface* فـــى ١٨٨٨ لاحظ مستعيدا النظر فى مانيفيستو الشيوعية الذى كان قد ألفه هو ومـــاركس فـــى ١٨٤٨:

"لم يكن بإمكاننا تسميته مانيفيستو الاشتراكية Socialist. في ١٨٤٧ كانت الإشتراكية Socialism حركة طبقة وسطي. كانت الإشتراكية محط احترام، على الأقل في القارة الأوربية؛ بينما كانت Communism على العكس من ذلك تماماً".

كان لشيوعية communist في الفرنسية والألمانية معنى حركة نضالية في الوقت نفسه الذى كانت فيه محبذة في إنجلترا على اشتراكية socialist لارتباط الأخيرة بالإلحاد.

بدأ المعنى الحديث يستقر من ستينيات ق١٩، وبالرغم من التمييزات والتهجيات السابقة فإن socialist و socialism برزتا على أنهما السائدتين. ما برز كذلك في هذه الفترة هو معنى (٢) السائد الذى جعلته مألوفا مجموعة من الكلمات القريبة: تعاوني، تبادلي، ارتباطى والكلمة الجديدة (من خمسينيات ق ١٩) COLLECTIVIST تجمعي. بالرغم من أنه لم يزل هناك جدل داخلى كبير ومعقد أصبح socialist و socialism تعبيران عامان مقبولان منذ هذه الفترة. رغم التمييز الذى حصل للكلمة في أربعينيات ق ١٩ فإن communist استعملت استعمالا محدوداً، وتبنت الأحزاب في التراث الماركسى بعض الصيغ المختلفة لـ social و socialist في مسمياتها: عادة Social Democratic ديمقراطى اجتماعى التى عنت التزاماً بالاشتراكية socialism. حتى في الجدل الداخلى المرير والمتكرر في فترة ١٨٨٠-١٩١٤ تم التمسك بهذه الأسماء. في هذه الفترة، في الغالب استعملت COMMUNISM (ا م) إما كوصف لصيغة مبكرة للمجتمع – primitive communism شيوعية بدائية – وإما كوصف لشكل نهائى للمجتمع يمكن تحقيقه بعد المرور بمرحلة الإشتراكية. مع ذلك، في هذه الفترة أيضاً أحيت بقوة حركات تصف نفسها بأنها socialist اشتراكية مثل الفابيون الإنجليز English Fabians جانباً من معنى (١) حيث اعتبرت الاشتراكية socialism ضرورية لإتمام الليبرالية liberalism، بدلاً من كونها نظرية معارضة وبديلة للمجتمع. بالنسبة لبرنارد شو وآخرين كانت socialism الاشتراكية هي "الجانب الاقتصادى للنموذج الديمقراطي" (مقالات فابية، ٣٣)، وتحقيقها كان يتطلب إطالة محتومة للاتجاهات السابقة التى

مثلتها الليبرالية. من اللافت أنه فى معارضة وجهة النظر هذه وفى تأكيد مقاومة النظام الاقتصادى الرأسمالى لمثل هذا التطور "المحتوم"، استعمل وليام موريس الكلمة communism. تأثرت كذلك "النضالية" النسبية لشيوعى communist بمثال كميون باريس Paris Commune، لكن كان هناك نقاش هام عما إذا كان التعبير الصحيح المشتق هو شيوعى communist أو communard كميوني.

حدث التمييز الحاسم بين socialist اشتراكى و communist شيوعي، كما يستعمل هذان التعبيران عادة الآن، عند تغيير اسم حزب العمل الديمقراطى الاجتماعى Social-Democratic الروسى (بلاشفة) فى ١٩١٨ إلى حزب كل روسيا الشيوعى Communist (بلاشفة). منذ ذلك الحين أصبح شائعاً بشكل واسع التمييز بين اشتراكى socialist و شيوعى communist، غالباً بتفصيل مساند للكلمة الأولى، مثل ديمقراطى اجتماعى social democrat أو اشتراكى ديمقراطى democratic socialist رغم أنه مهم ملاحظة أن كل الأحزاب الشيوعية communist، تبعاً لاستعمال سابق، استمرت فى تسمية نفسها socialist اشتراكية وتكريس نفسها للإشتراكية socialism. يستمر كل اتجاه فى إنكار التسمية على معارضيه ومنافسيه، لكن ما حدث فعلاً هو إعادة بروز المعانى المختلفة فى الأصل للتعبير social ومن ثم socialist فى تعابير جديدة. من يعتمد معنى (٢) لـ social يكون على حق فى اعتبار أنواع أخرى من socialist اشتراكية مرحلة جديدة من liberalism الليبرالية (وبالتالى يسمونهم باحتقار فى الغالب ليبراليين liberals)، بينما من يعتمد معنى (١) ويلاحظ علاقة طبيعية بين قيم ليبرالية و socialism تكون لديهم دوافع لمعارضة socialists الاشتراكيين الذين هم فى رأيهم أعداء التراث الليبرالى (حيث تكمن الصعوبة دائماً فى التفسيريين البديلين لليبرالية: (أ) حرية سياسية مدركة على أنها حق فردى individual وتجد التعبير عنها اجتماعياً فى أحزاب سياسية متنافسة؛ (ب) فردانية individualism مدركة على أنها قيم وممارسات تنافسية وعدائية للرأسمالية تقوم الحقوق الفردية individual والمنافسة السياسية فقط بالتمهيد والتهيئة لها).

تقدم تعابير أخرى مقاربة تعقيدات إضافية. هناك التطور الهام فى وسط ق ١٨ لفوضى ANARCHY (ا م) ومشتقاتها. استعملت anarchy فتنة فى الإنجليزية من ق ١٦ بمعنى عريض: "هذه الحرية أو الرخصة غير الشرعية تسمى Anarchie" (١٥٣٩). لكن هذا المعنى السياسى المحدد الذى يفسر غالباً كمعارضة لحاكم فرد – " Anarchism أناركية ... كون الشعب دونما أمير أو حاكم" (١٦٥٦) (حيث المعنى قريب من معنى ديمقراطية democracy المبكر) – كان بوجه عام أقل ذيوعاً من المعنى العام: اضطراب وفوضى. مع ذلك عرّف بنثام فى ١٧٩١ الأناركى anarchist بأنه من "ينكر شرعية القانون... ويحرض كافة الناس على النهوض كفرد واحد، ويعارض تطبيقه"، وهذا هو أيضاً بمعنى مقارب للديمقراطية المبكرة. ما كان فعلاً جديداً من وسط ق ١٩ هو التبنى الإيجابى للمصطلح من قبل بعض المجموعات كتعبير عن موقفها السياسي؛ معظم التسميات الأولى كانت من معارضيها. بحلول أواخر ق١٩ مثلث anarchism و anarchist استمراراً محدداً لمعانى سابقة لكل من democracy ديمقراطية و democrat ديمقراطي، لكن فى نفس الوقت اكتسبت كل من ديمقراطية وبدرجة أقل socialism اشتراكية معانى إيجابية وعامة جديدة. عارض الأناركيون الاتجاهات الجامدة static لمعظم الحركة الاشتراكية، لكنهم أصروا على التبادلية mutuality والتعاون cooperation كمبدأين للتنظيم الذاتى للمجتمع. عارضت بعض المجموعات الفوضوية الحكم المستبد بوسائل قتالية militant وعنيفة VIOLENT (ا م)، لكن هذا لم يكن نتيجة ضرورية أو عامة للمبادئ الأناركية، وكان هناك على أية حال تشابك معقد بين مثل هذه السياسات وتعريفات اشتراكية لثورة REVOLUTION (ا م). لكن تم بيسر نسبى إلصاق معانى الفوضى والاضطراب المتبقية (كثيراً ما كان فى ذلك ظلم واضح) بالأناركيين: كانت معانى lawlessness المتنوعة – من عمل إجرامى مؤثر إلى معارضة قوانين وضعها آخرون – حاسمة فى هذا السياق. كانت militant قتالي/نضالى فى الوقت نفسه تمر بتطور مقارب: كانت معانيها المبكرة فى الإنجليزية أوضح ضمن مفهوم نشاط مكرس أكثر من معنى جذر الكلمة military عسكري، وكان استعمالها السائد حتى أواخر ق ١٩ فى الدين:

مناضــل كنسى church militant (من أواخر ق ١٥)؛ "مادمنا فى هذه الدنيا فــإن حالتنا نضالية militant" (ولكنز، دين طبيعي، ١٦٧٢)؛ "الكنيسة دائمــا نضــالية militant" (نيومان، ١٨٧٣). تم تحويل الكلمة بشكل فعال من نشاط دينــى إلــى اجتماعى خلال ق ١٩: "نضالى militant فى محاولة التفكيــر تفكيــرا صــائبا" (كوليردج، صديق، ١٨٠٩)؛ "حالة عادية مــن النضــال militancy ضــد الظلــم الاجتماعي" (فرود، ١٨٥٦). حدث التطور الإضافى من نضــال سياســى إلــى صناعي/عمالى فى ق٢٠ وتم نسيان معظم تاريخ الكلمة السابق سوى فى حــالات نادرة. كان هناك أيضاً ارتباط ملحوظ – كما هو الحال مع anarchism – بمعانى اضطراب وعنف. دخلت solidarity تضــامن، بمعناهــا كاتحــاد فــى النشــاط الصناعي/العمالى أو السياسي، الإنجليزية فى وسط ق ١٩، من (س م)solidarité، فرنسية، أواخر ق ١٨. ظهرت EXPLOITATION استثمار/استغلال فى الانجليزية فى وسط ق١٩، فى الأساس بمعنى عمل مربح لمساحة أرض أو لمادة، ومن وسط ق ١٩ بمعنى استخدام أشخاص آخرين لتحقيق ربــح (أناني)؛ اعتمدت فــى كــلا المعنيين على (س م) exploitation، فرنسية، أواخر ق ١٨.

صك تيرجنيف nihilist عدمى فى روايته "آباء وأبناء" (١٨٦٢). اختلاطها بأناركى anarchist واســع الانتشــار. بــدأت populist شــعبوى فــى أمريكــا منPeople's Party حزب الشعب فى أوائل تســعينات ق ١٩؛ انتشــرت بســرعة وتستعمل الأن فى الغالب – فى تمييز لها عن socialist – للدلالة على الاعتمــاد على عواطف ومصالح شعبية بــدلاً مــن حركــات ونظريــات معينــة (مبدئيــة principled). ظهرت syndicalist نقابى فى الفرنسية فى ١٩٠٤ وفى الإنجليزيــة فى ١٩٠٧؛ مرت عبر ائتلافات مع anarchism (فى تركيزها على التبادلية) ومع socialism.

عرف التعبير الأكثر شيوعا اليسار the Left من ق١٩ من مصادفة ترتيب الجلوس فى البرلمان، لكن لم تكن شائعة كوصف عام قبل ق٢٠ ولا يبدو أن leftist يسارى و leftism يسارية استعملتا فى الإنجليزية قبل عشــرينيات ق٢٠. تنتمــى

الصفة الازدرائية lefty "يسارى"، التى كان لها بعض الانتشار من ثلاثينيات ق٢٠، بشكل رئيسى إلى خمسينيات ق٢٠ وما بعد ذلك.

انظر: ANARCHISM فوضوية، CAPITALISM رأسمالية، COMMUNISM شيوعية، DEMOCRACY ديمقراطية، INDIVIDUAL فرد، LIBERAL ليبرالي، SOCIETY مجتمع

مجتمع SOCIETY

كلمة society الآن واضحة بمعنيين رئيسيين: التعبير الأعم لمجموعات المؤسسات والعلاقات التى يعيش ضمنها عدد كبير من الناس؛ والتعبير الأكثر تجريداً للحالة التى تتشكل فيها مثل هذه المؤسسات والعلاقات. يكمن الاهتمام بالكلمة جزئياً فى العلاقة الصعبة بين المعنيين السابقين: التعميم والتجريد. بشكل رئيسى يكمن الاهتمام فى التطور التاريخى الذى يتيح لنا قول "مؤسسات وعلاقات"، وأفضل وسيلة لإدراك ذلك هو عندما نتذكر أن معنى society الرئيسى كان عشرة أو رفقة.

دخلت society الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) socéité، فرنسية قديمة، societas، لاتينية، (س ب) socius، لاتينية: رفيق. شملت معانيها حتى وسط ق ١٦ "ترابط حقيقى بين الزملاء" كما فى ثورة الفلاحين فى عام ١٣٨١، ومعنى علاقة عامة - "يحتاج أحدهم إلى مساعدة الآخرين، ومن ثم تنشأ المحبة والألفة societie ... بين كل الناس" (١٥٨١) - ومعنى أبسط يدل على العشرة أو الصحبة: "صحبتك your society" (أواخر ق١٦). يبين مثال من ١٥٦٣ - "ألفة أو عشرة society بيننا وبين المسيح" - كيف أن هذه المعانى المتميزة يمكن ببساطة أن تتداخل فى الواقع. هكذا يبدو أن الاتجاه نحو المعنى العام أو المجرد كامن فى الكلمة، لكن حتى أواخر ق ١٨ كانت المعانى الأخرى المباشرة والفعلية هى الشائعة. يمكن ملاحظة تلك المعانى فى مثالين مقتبسين من شكسبير. فى

"عربدتى السابقة، فى علاقاتى societies الطائشة" (زوجات ونـــدزور المرحـــات، فصل ٣، مشهد ٤) كانت society معادلة تقريبا لعلاقـــة أو لأحـــد معـــانى كلمـــة associations روابط، بينما فى "سيندمج شخصنا فى Society المجتمع " (ماكبيـــث، فصل ٣، مشهد ٤) المعنى ببساطة هو مجموعة من الضـــيوف مجتمعـــة. يمكـــن إيضاح معنى الارتباط المقصود لغرض معين (هنا لتمييز اجتماعي) بمثال " مجتمع القديس جورج" (أخوية الرباط، ق ١٥) وعلى نطاق واسع جداً اســـتمر اســـتعمال الكلمة بهذا المعنى.

يمكن ملاحظة تعزيز المعنى العام من وســـط ق١٦. كـــان ذلـــك متوســـط الوضوح فى "الأرض غير محروثة، المجتمـــع societie مهمـــل" (١٥٣٣) لكنـــه واضح رغم أنه ليس مستقلا فى "يســـمى الكومنولـــث common wealth مجتمعـــاً society أو جهدا مشتركا لحشد من الرجال الأحـــرار" (١٥٧٧). كـــان واضـــحاً ومستقلا فى "المجتمع هو تضافر وتوافق كثيرين لخلق وحـــدة" (١٥٩٩)، وفـــى ق ١٧ بدأت استعمالات الكلمة بهذا المعنى تتكاثر وبدلالة أرسخ: "تبجيل واجـــب ... نحو المجتمع Society الذى نعيش فيه" (١٦٥٠). لكـــن مازالـــت آثـــار المعـــانى المبكرة واضحة فى " قوانين المجتمع والسلوك Çonversation المهذب" (تشـــارلز الأول، ١٦٤٢؛ هنا تحمل conversation معناها الأسبق كأسلوب معيشة قبل إضافة معنى "حديث" المألوف (من ق ١٦)؛ كان التطور يجرى بالنسبة لهذه الكلمة كمـــا فعل بالنسبة لـــ society لكن هنا جرى تخصيص الكلمة فى النهاية فـــى الاتجـــاه المعاكس). كذلك تعزز المعنى المجرد: "صالح المجتمع البشرى Human Society" (كدورث، ١٦٧٨؛ أنظر HUMAN) و " لمصـــلحة المجتمـــع society" (١٧٤٩). من ناحية أصبح التجريد أكثر اكتمالاً بتطور مفهوم "مجتمـــع a ociety" بـــالمعنى العريض. اعتمد هذا على معنى جديـــد لـــ "نسبية relativism " (قارن CULTURE) لكن فى تحول "a society " من مفهوم قـــوانين عامـــة للارتبـــاط association أو للزمالة fellowship إلى مفهوم قوانين محددة تشكل مجتمعاً محدداً تمهيد للمفهـــوم الحديث الذى لا تكون فيه قوانين المجتمع لغرض الانسجام مع آخرين بقـــدر مـــا تكون قوانيناً أكثر تجريداً ولا شخصية وتقوم بتحديد المؤسسات الاجتماعية.

كان التحول معقداً جداً، لكن الطريقة المثلى الآن لملاحظة ذلك هو دراسة society بالمقارنة مع state دولة. طورت state، من معناها الأعم والمستمر لحالة (state of nature حالة الطبيعة، state of siege حالة حصار، من ق١٣) معنى متخصصاً كان معادلا تقريبا لـ estate طبقة/منزلة (كل من state و estate من س م estat ، فرنسية قديمة، status ،لاتينية: حالة) وفعليا معادلا لـ rank مرتبة: " مرتبة نبيلة noble stat" (١٢٩٠). ارتبطت الكلمة ارتباطا وثيقا بالملكية والنبالة، أى بتنظيم تراتبى للمجتمع: قارن "مرتبة state الكهنة ومرتبة الفرسان والثالثة طبقة staat العامة" (١٣٠٠). كانت States أو Estates طبقات تعريفا مؤسساتيا للسلطة من ق١٤ بينما كانت state كـ "منزلة" الملك عامة فى ق١٦ وأوائل ق١٧: "and honour state منزلة وشرف" (١٥٤٤)؛ "يتناسب مع منزلة state رفيعة" (١٦١٦)؛ "للملك ... ثروتك ومنزلتك State العظمى" (بيكون، ١٦٠٥). من هذه المعانى مجتمعة طورت state معنى سياسياً مقصوداً: "حاكم الدولة state" (١٥٣٨)؛ "دولة State البندقية" (١٦٨٠). لكن لم تزل state فى الغالب تستعمل على أنها الربط بين سلطة عليا ونوع معين من الرتبة. كانت statist اسماً شائعاً للسياسى فى ق١٧، لكن عبر الصراعات السياسية فى ذلك القرن تبلور الصراع الجوهرى فى النهاية بطريقة يميزها التعبيران society و state: الأولى، اتحاد لأفراد أحرار مستندة على معان فعالة سابقة؛ الأخيرة، تنظيم للسلطة يعتمد على معانى الهرمية والسلطان. كان مفهوم المجتمع المدنى civil society (انظر CIVILIZATION) فكرة بديلة للترتيب الاجتماعى social order، ومن خلال التفكير فى المسائل العامة لهذا الترتيب الجديد ترسخت society بمعانيها الأعم وفى النهاية بمعانيها المجردة. عبر تغيرات سياسية كثيرة لاحقة استمر بوضوح هذا النوع من التمييز: المجتمع هو ما ننتمى إليه جميعنا، حتى لو كان الانتماء عاماً ولا شخصياً؛ الدولة state هى جهاز السلطة.

كان التحول الحاسم لـ society نحو معناها الأعم والأكثر تجريداً (مازال حسب التعريف مختلفاً عن state) هو تطور من ق ١٨. "فحصت بعناية مؤلف هيوم " بحث فى مبادئ الأخلاق" (١٧٥١) للعثور على استعمالات للكلمة معتبرا

"صحبة رفاقه" على أنها معنى (١) و"نظام حياة مشتركة" كمعنى (٢) فوجدت أن هناك ٢٥ استعمالاً حسب المعنى الأول و١١٠ استعمالاً حسب معنى (٢)؛ لكني وجدت أيضاً في بعض النقاط الهامة من النقاش، حيث يمكن أن يكون معنى society حاسماً، ستة عشر استعمالاً للكلمة بمعنى في جوهره متوسط. يوضح هيوم، بالمصادفة، التمييز الضروري لـ society في وقت بدأت تفقد فيه معناها الأكثر فعالية والمباشر؛ استعمل، كما نفعل، الكلمة البديلة company:

"كما أن الصدمات المتبادلة في المجتمع society وتعارض المصالح والإيثار أجبرت البشر على وضع قوانين للعدالة ... بنفس الطريقة التناقضات الأبدية، في العشرة company، في كبرياء الناس وغرورهم وضعت قواعد السلوك أو الأدب ..." (بحث، جـ٨)، في الوقت نفسه استعمل في نفس الكتاب society بدلا من company بهذا المعنى المباشر بينما نحن نتحدث الآن، عندما نود لسبب من الأسباب إحياء المعنى القديم، عن علاقات face-to-face "وجها لوجه"؛ وفي العادة نضيف: ضمن جماعة COMMUNITY (ا م).

بحلول أواخر ق ١٨ كانت society كنظام للحياة المشتركة سائدة: "كل مجتمع society يستفيد من أعضائه المعوزين أكثر مما يستفيد من أثريائه"(١٧٧٠)؛ "نظامان أو برنامجان مختلفان للأخلاق" يسودان في الوقت نفسه في "كل مجتمع كان فيه في وقت سابق تمييز حسب المرتبة rank" (آدم سميث، ثروة الأمم، جـ ٢، ١٧٧٦). كان التطور اللاحق للمعنيين العام والمجرد مباشراً.

يمكن ملاحظة تطور مقارب في social التي كانت تعني في ق ١٧ إما associated معاشر وإما sociable اجتماعي النزعة، رغم أنها استعملت كذلك كمرادف لـ "civil" مدني/أهلي، كما في "social war" حرب اجتماعية (أي أهلية). بحلول أواخر ق ١٨ كان المعنى بشكل رئيسي عاماً ومجرداً: "الإنسان مخلوق اجتماعي social ؛ أي لا يستطيع إنسان مفرد أو أسرة البقاء أو البقاء بشكل حسن بعيداً عن المجتمع Society ككل". (مع ذلك يجب ملاحظة أن Society هنا، كما تبينه إضافة "كل" لا تزال مباشرة بدلاً من مجردة.) بحلول ق١٩ يمكن

اعتبار society بوضوح كاف موضوعاً يسمح بتشكيل صيغ مثل " social reformer مصلح اجتماعي" (رغم أن social استعملت أيضاً ولا تزال لوصف الصحبة الشخصية؛ قارن social life حياة اجتماعية و social evening سهرة اجتماعية). فى الوقت نفسه، باعتبار المجتمع كموضوع أو كشيء (المجموع الموضوعى لعلاقاتنا) فإنه كان ممكناً تحديد العلاقة بين "الإنسان والمجتمع society" أو "الفرد والمجتمع" كإشكالية. تدل هذه الصيغ على البعد عن المعنى السابق كزمالة فعلية. كانت المشاكل التى تبرزها هذه الصيغ، فى التطور الفعلى للمجتمع، واضحة بشكل ملحوظ فى استعمال الكلمة social فى أوائل ق١٩ لمعارضة فكرة society مجتمع كتعاون متبادل مع تجربة مجتمع (النظام الاجتماعى the social system) كتنافس فردي. لم يكن بالإمكان وجود هذين التعريفين البديلين لمجتمع لو لم يكن المعنى الأعم والمجرد قد رسخ بحلول هذه الفترة. من توكيد social اجتماعى هذا بالمعنى الإيجابى بدلاً من الحيادي، وفى تمييز لها عن فردى INDIVIDUAL (ا م)، تطور التعبير انسياسى اشتراكى SOCIALIST (ا م). استعملت صفة بديلة societal مجتمعى فى الإثنولوجيا من أوائل ق٢٠ ولها الآن دلالة أوسع وأكثر حيادية للتشكيلات والمؤسسات الاجتماعية.

يتطلب استعمال محدود متخصص لـ society ملاحظة إن لم يكن تعليقاً. انحصر معنى سابق لـ good society دل على صحبة جيدة حسب عرف تلك الصحبة على Society مجتمع بصفته الجزء الأكثر تميزاً وأناقة من society بقية المجتمع: الطبقة العليا upper CLASS (ا م). يقدم بايرون (فى دون جوان، جـ ١٣) مثالا جيدا لهذا المعنى المتبقى والذى يرتبط بشكل رئيسى بالقرن١٩:

المجتمع الآن حشد مصقول

مكون من قبيلتين عظيمتين: المضجرين والضجرين Bores and Boring

من المفارقة أن هذا التعبير الخاص هو المعنى الأخير الواضح لـ society كصحبة فعلية لزملاء من نفس الطبقة. فى مجالات أخرى، تحركت مشاعر من هذا

القبيل، لأسباب تاريخية واضحة، إلى جماعة COMMUNITY (ا م) وإلـــى المعـــانى التى لا تزال مباشرة لـــ social.

انظر: CLASS طبقة، COMMUNITY مجتمع، INDIVIDUAL فرد، SOCIALIST اشتراكى، SOCIOLOGY علم اجتماع

علم اجتماع/سوسيولوجيا SOCIOLOGY

كان أول من استعمل sociology هو "Comte كونـــت" فـــى عـــام ١٨٣٠ وظهرت فى الإنجليزية أول مرة فى ١٨٤٣: مِل فى كتابه "المنطق"، جـــ ٦ ومجلة بلاكوود (فى مقال عن كونت). كتب سبنسر مبادئ السوسيولوجيا فى ثلاثة أجزاء بين ١٨٧٦ و ١٨٩٦. من أعمال دوركهايم بالفرنسية وفيبر بالألمانية عند منقلـــب القرن توسع الموضوع بشكل ملحوظ. استند التعبير على معانى متطورة لمجتمـــع SOCIETY (ام) و social اجتماعي. عرّف التعبير ضمن عدة نظـــم معرفـــة كعلـــم SCIENCE (ا م) المجتمع. تحمل sociological معنيين: إشارة إلى أشكال هذا العلم وإشارة أعم (تحل فيها غالباً محل social) إلى اتجاه أو حقيقـــة اجتماعيـــة (قـــارن sociological factors عوامل سسيولوجية؛ قارن أيضاً تكنولـــوجى technological حيث وقع تحول مشابه من الصيغة المجردة). اكتسبت sociologist، التى استعملت فى البداية بشكل عام لدارس المجتمـــع، معنـــى مهنيـــاً محـــدداً حـــين أصـــبحت سوسيولوجيا مقرراً فى الدراسة الجامعية؛ لا تزال تستعمل مع ذلك بطريقة عامـــة فى نفس مجال الاستعمال العام لسوسيولوجى sociological. نتيجـــة لافتـــة لهـــذا التداخل للدلالات المهنية والعامة هى أن sociology نفسها تســـتعمل فـــى الغالـــب للإشارة إلى أى اهتمام عام فى الممارسات الاجتماعية وذلك فى تعارض غالبا مع أنواع أخرى من الاهتمام تزعم أن فى وسعها عزل أو استبعاد the social الجانب الاجتماعي. فى الوقت نفسه غالباً ما تصـــر السوســـيولوجيا sociology المهنيـــة، خاصة فى الدول التى تكون فيها ضعيفة، على ابتعادها عن النظريـــة الاجتماعيـــة social theory أو النقد الاجتماعى social criticism وتعيد تســـمية نفســـها علـــم

المجتمع science of society حسب المعانى المحددة والخاصة للاستقصاء والقياس الكمـــى الإمبيريقي. ضمن تراث أعم فى السوسيولوجيا sociology لا يزال هناك تركيز على أساليب أخرى من الاستقصاء.

انظـــــر: ANTHROPOLOGY أنثروبولوجيـــــا، SCIENCE علـــم، SOCIETY مجتمـــــع

معاييـــــر STANDARDS

فى المفرد standard كلمة معقدة لكنها ليست بالغة الصعوبة. ينطلق هــذا القول أيضاً على جمعها العادى. لكن standards حالة من نـــوع اســـتثنائى مـــن الجمع - ما يمكن تسميته مفرد جمع - حيث تحمل صيغة الجمع دلالة مفــردة؛ مثالان آخران مشابهان هما: morals أخلاق و values قيم.

إيتمولوجيا الكلمة standard معقد. تطورها الرئيسى تمثل فى إسقاط حـــرف العلة الأول من الكلمة (س م) estaundart، نورمندية-إنجليزية، estendart، فرنسية قديمة، من (س ب) extendere، لاتينية: يمد، يبسط التى أدت بطريقة أكثر مباشرة إلى extend يمد و extension توسيع. حملت صيغتاها الانتقاليتان - standardum و standardus - هذا المعنى لأصل الكلمة فى اسم العلم الإنجليزى (كما لا يزال فى Royal Standard الراية الملكية) الممتد من سارية (من ق ١٢). لكن اكتســـبت من ق١٣ معنى مختلفاً لشيء مستقيم أو منتصب، وربما كان ذلك مـــن الارتبـــاط بعرض الأعلام لكن الأرجح هو تشويش الكلمة بالاسم من الفعـــل stand يقـــف: stander التى تؤسس لعدة استعمالات حديثة بمعنى مـــادى مختلـــف: standard lamp مصباح على حامل و standard rose وردة قائمة دونمـــا ســـند. تطـــور المعنى الحديث الأكثر مدعاة للاهتمام فى مجال يشمل "مصدر سلطة" و"مســـتوى الإنجاز" فى ق١٥ وكان ذلك على الأرجح من ارتباط بالراية الملكيـــة كعلامـــة على مركز السلطة. اســـتعملت standard بشـــكل واســـع فـــى مجـــال الأوزان

والمقاييس: the standard foot القدم المعياري. لكن كذلك توسعت لتشمل مواضيع أخرى بالمعنى العام لنموذج موثوق للدقة والصواب. هكذا فى ق ١٥ كانت هناك إشارة إلى standard book كتاب معتمد فى الخيمياء. فى أوائل ق ١٨ كتب شافتسبرى بطريقة مؤثرة عن الحاجة إلى standard معيار للذوق TASTE (ا م) مجادلاً بأن "هناك فعلا معيار قائم ... فى العادات والسلوك الخارجي" (تأملات متنوعة، جـ ٣).

استمرت كل هذه المعانى لكن فى ق ١٩ حصلت بعض التطورات الهامة. فى وسط ق ١٩ كانت هناك حالة لافتة: Standard English الإنجليزية الفصحى: اعتمد استعمال (أساسه طبقى) مختار للغة على أنه النموذج الموثوق للدقة والصواب و استخدم ، مدعوما بشكل كبير من قبل المؤسسات التعليمية، لإدانة معظم الناطقين الأصليين للإنجليزية بأنهم يتحدثون لغتهم "بطريقة خاطئة". كان هناك فرض، فى التعليم أيضاً، لمستويات معينة من الجدارة - standards معايير - فى القراءة و الكتابة والحساب؛ فى إحدى الفترات كانت هذه عوامل فى تقدير رواتب المدرسين. سميت الفصول الدراسية التى تهدف إلى الوصول إلى هذه المستويات من الكفاءة فى التعليم الابتدائى Standards (فصل ٢ إلى ٦). تم الإصرار على الكلمة كتعبير للتقويم والتصنيف وارتبطت بشكل عام بمفهوم التقدم المتدرج ضمن تراتب هرمى (قارن العبارة المعاصرة the educational ladder السلم التعليمي، التى وضعها على الأرجح ت. هكسلى واستخدمت فى مدارس الهيئة التى تشرف عليها Educational Board الهيئة التعليمية).

من هذه الفترة شاعت standards سواء كجمع عادى أو جمع مفرد. فى مجالات كثيرة يمكن بدقة صياغة المعايير standards التى جمعت بهذه الطرق كما هو الحال فى British Standards Institution معهد المعايير والمقاسات البريطانية. كذلك كان من الطبيعى أن يمتد هذا الاستعمال إلى أمور كانت دقة القياس فيها أقل لكن يمكن فيها حسب الطلب وضع نماذج ومواصفات لمستويات محددة من التحصيل أو الكفاءة. هذا هو الجمع العادي. أما الجمع المفرد فإنه

مختلف تماما حيث الإشارة فى الأساس إجماعية توافقية CONSENSUAL (ا م) ("كلنا نعرف المعايير standards الفعلية") أو، بإبهام مقصود، إقناعية ("كل من يهتم بالمعايير standards سيوافق"). فى الغالب من المستحيل فى هذه الاستعمالات معارضة بعض افتراضات standards معايير دون الظهور بمظهر المعارض لفكرة "النوعية" ذاتها؛ إن أعظم تأثير للجمع المفرد يقع فى هذا المجال. يمكن لبعض الحالات المقارنة أن تسهم فى فهم ذلك. يمكن أن تعنى شخصا دون "أخلاق morals" أو شخصا دونما حس أخلاقى أو شخصاً تتعارض أفكاره وأفعاله مع الأعراف المحلية السائدة. يمكن أن تعنى " اهتماما بالقيم values" أو اهتماماً بتمييز القيم النسبية أو دعماً لتقديرات (إجماعية) معينة. لو نظرنا فى عبارات شائعة مثل Western values قيم غربية أو University Standards معايير جامعية فإنه يمكننا ملاحظة التفاوت بوضوح. يمكن تحديد كل عبارة تحديداً إضافياً فى بعض الاستعمالات. لكن حيث أن Western civilization حضارة غربية ليست مجرد تراث TRADITION (ام) وإنما هى عملية اجتماعية معقدة ومتنوعة تاريخيا، تشمل اختلافات ونزاعات جذرية بالإضافة إلى اتفاقات فكرية وعملية، وحيث أن الجامعات، التى لها فى كل وقت معايير دقيقة معينة، تغير أيضاً هذه المعايير وتختلف حولها مع الأخذ فى الاعتبار تفاوتها بين مجتمعات وفترات مختلفة، فإنه حالما يظهر، عن طريق طبيعة أى تحديد إضافى أو عن طريق نوع الاستجابة إلى طلب بخصوص هذا التحديد، عما إذا كانت values القيم و standards المعايير هى صيغ جمع حقيقية عادية تجمّع عدداً من المواقف والأحكام المحددة أو صيغ مفرد جمع يتم فيها تصوير جوهر الحضارة أو الجامعة على أنه تجميع معين لتقديرات valuations ومعايرات standardization محددة. من الهام جداً أن معنى standards معايير الشائع (إطرائي) يتعارض مع معنى standardization معايرة الشائع (إزدرائي). دخلت standardization الاستعمال فى أواخر ق ١٩ من العلوم science (قياس أو معايرة شروط التجربة) ومن ثم الصناعة (معايرة القطع parts). لم تكن الكلمة مثار جدل فى هذه الاستعمالات لكنها عورضت بشدة فى تطبيقها على أمور تخص العقل والخبرة – "لا يمكن معايرة standardize الناس"،

"يجب ألا يعاير التدريس" - من قبل عدد من الناس من ضمنهم أولئك الذين يصرون على "المحافظة على standards المعايير". على الأرجح يعتمد هذا الاستعمال الغريب على استغلال مجموعة المعانى من Royal Standard راية ملكية (محترمة) إلى standard foot قدم معيارى (مقبولة فى موضعها لكن هنا غير ملائمة). تستند قوة المفرد الجمع دائماً عنى كون الكلمة لا تكتشف كمفرد. إذا لم تكتشف فإنه يمكن استعمالها لتجاهل نقاش ضرورى أو لاستحواذ عملية التقدير والتحديد ذاتها لأهداف معينة.

تتوجب ملاحظة إضافية عن العبارة standard of living مستوى المعيشة. هى الآن شائعة إلا أنها صعبة أحياناً. كانت صيغتها الأولى، من وسط ق١٩، standard of life مستوى الحياة وما زالت هذه غالباً ما تستعمل كبديل. مع ذلك، كما ندرك عندما نفكر بخصوص standard، يبدو أن التعبير يعنى ضمنياً مستوى محدداً أو مستوى ضرورياً بدلاً من، كما هو الحال الآن فى الاستعمال الشائع، وضع اجتماعى عام أو متوسط وضع اجتماعي. استعملت أولاً بالمعنى الصارم لمعيار: عنت standard of life المستوى الضرورى من الدخل والأوضاع للبقاء على الحياة بطريقة مرضية. (بالطبع نشأ جدل حول ذلك، ويمكن أن يتفاوت هذا المستوى فى مجموعات وأوقات وأماكن مختلفة، لكن كان للتعبير معنى دقيق عندما استعمل للمرة الأولى فى حملة من أجل وضع حد أدنى للأجور: سيوضع standard معيار ويمكن الحكم على الأجر بالرجوع إليه). كان هذا مستوى الحياة standard of life بمعنى محدد واستيعادى (مرجعي). لكن العبارة تطورت (بعد تعريفها، مثلاً، فى قاموس أكسفورد) نحو معناها الشائع الآن: الدخل الفعلى و الأوضاع الفعلية التى نعيشها الآن. فى الوقت الذى فقدت فيه العبارة المرجعية القياسية لمعيار standard احتفظت بالرغم من ذلك بمفهوم القياس. كان هناك جدال عما إذا كان بالإمكان فعلاً قياس مستوى المعيشة أو الحياة بينما فى نفس الوقت استعملت إحصاءات الدخل و الإستهلاك وسواها لتحديد ذلك. يمكن القول أن "معيار ماض Standard Past" حل محله "معيار حاضر Standard Present". لكن هناك أيضاً استعمال يستند إلى معنى آخر لمعيار standard: ليس

القياس المتفق عليه لكن، بطريقة مجازية، العلم (الراية): المعيار standard الذى نضعه لأنفسنا؛ معايير standards ملائمة للعناية بالصحة؛ مستوى standard ملائم للمعيشة. هذا معيار مستقبل Standard Future: المقاييس القديمة أو التصنيفات القائمة ليست كافية وسنهدف إلى شئ أفضل. إنه استعمال مثير للإهتمام إلى حد كبير. بدلاً من الرجوع إلى مصدر للسلطة أو تبنى وضع حالى قابل للقياس، يتم تصور و وضع معيار standard من أفكار حول أوضاع لم نحققها بعد لكن نعتقد أنه يتوجب تحقيقها. هناك تاريخ اجتماعي فعال فى هذا التطور للعبارة.

انظر: DIALECTIC ديالكتيكى/جدلى، TASTE ذوق، WESTERN غربى

منزلة STATUS

أصبحت status كلمة هامة فى ق ٢٠. استعارتها الإنجليزية مباشرة من status، لاتينية: حالة/وضع التى أدت مبكراً إلى state حالة/دولة و estate حالة/منزلة. لا تزال تستعمل فى الغالب فى صيغ لاتينية مثل "status quo" الوضع الراهن. كانت للكلمة استعمالات قانونية من ق ١٨ لتحديد "حقوق، واجبات، قدرات أو عدم كفاءة" (١٨٣٢) واستمرت بهذا المعنى (قارن marital status حالة زوجية). نشأ توسعها إلى معنى اجتماعى أعم من هذا النوع من الاستعمال: "الوضع (القانوني) status كشخص حر أو مستعبد" (١٨٦٥)؛ "وضع status الزنوج القانوني" (١٨٨٨)؛ "الوضع المدنى civil status للممثلين" (١٩٠٤). كان هناك بوضوح توسع فى قول مِثل: "وضع status العامل اليومي" (١٨٤٨)، وربما كذلك فى "وضع status مهني" (١٨٨٣) حيث الإشارة الضمنية إلى وضع عام بدلاً من وضع قانوني.

أصبحت الكلمة صعبة بسبب استعمالها بمعنى عام جديد فى قسم من السوسيولوجيا الحديثة حيث تقدم دائما كتعبير أدق وقابل للقياس وذلك تفضيلاً لها

على CLASS طبقة. من المستحيل توضيح ذلك دونمــا الإشــارة إلــى المعــانى الاجتماعية الرئيســية الــثلاث لطبقــة class: group مجموعــة، rank مرتبــة و formation تشكيل. بوضوح ليس لــ status استعمال واضح بمعنى مجموعــة أو تشكيل، وأهمية الكلمة الفعلية كونها تعبير جديد ومجدّد لــ "مرتبة rank" (متجاوزة ارتباطات ذلك التعبير الموروثة و الرسمية). بالتالى يمكن أن تحــل status محــل class فقط بهذا المعنى من معانيها. فى معظم الأحيان يعزى هذا الاستعمال إلــى ماكس فيبر وبالذات إلى نقده لمفهوم ماركس لطبقة class. لكن فــى هــذا خلطــا. كانت كلمة فيبر stand التى كثيرا ما تترجم الآن كوضــع status، لكــن يمكــن ترجمتها بطريقة أدق كمنزلة Estate و Order ترتيب، مع إشارة إلى - وتأثــــر بــ - التعريفات القانونيــة لــ rank. يمكــن توســيع هــذا المعنــى ليشــمل مجموعــة اجتماعية لهــا دوافع سوى العوامل الاقتصادية البحتة لطبقــة حســب مفهــوم ماركس الرئيسي: دوافــع مثل المثل والمعتقــدات الاجتماعيــة الملائمــة للمجموعــة أو لحالة اجتماعية واضحة المعالــم. فى سوسيولوجيا أحدث حمل هذه الملاحظة الاجتماعية المهمة المعنى المجرد لتنظيم متسلســل عــــام: "وضــع اجتماعى social status ... الموقع الذى يحتله شخص أو أسرة أو مجموعة قرابية داخل نظام اجتماعى وذلك بالنسبة إلى آخرين ... للوضع الاجتماعى social status تصنيف هرمى يحتل فيه قلة المواقع العليا ..." (قاموس السوســيولوجيا؛ ميتشــل، ١٩٦٨). أضيف تطوير تقنى استثنائى إلى التصور المفصل لهذا النموذج التنافسى والهرمى للمجتمع. الوضع status "دائم التغيــر" لكــن لــه "تجمعــات" قابلــة للملاحظة؛ هذه هى ميزات الكلمة كتعبير للقياس مقارنة بــ class أو rank وهــى تحتفظ كذلك بمعناها الإضافى كمجموعة group أو تشكيل formation محدد. هذه هى أيضا عيوبها حيث أن التعبير يرث (من ارتباطاته التقليديــة) عناصــر مــن الاحترام واحترام الذات التى لابد وأن تشوش العملية الموضوعية ظاهريًا لتحديــد الوضع status-determination. فى الوقت الذى يكون لمرتبة rank ألقاب وأوشحة فإن لوضع status رموزًا symbols. لكن المهم فى دلالته هو أن هذه الرمــوز لا تعرض فحسب ولكنها تكتسب: عندئذ تخــتلط العلامــات الموضــوعية أو شــبه

الموضوعية مع الأمارات الذاتية أو تلك التى هى مجرد مظهرية. بشكل خاص، من الأهمية بمكان أن كلمة status تقترب بهذا المعنى المحدد ولكن الشائع الآن من class وإن بمعنى مختزل بطريقة متعمدة (rank مرتبة). لهذا ميزة مزدوجة فى الظهور بإلغاء class بمعنى تشكيل أو حتى مجموعة عريضة وفى إعطاء نموذج للمجتمع ليس فقط هرمياً وفردى التنافس ولكن محددا جوهرياً بناءً على الاستهلاك وعلى عرض أو إظهار display (أنظر CONSUMER). هكذا اعتمد "ميزان مستمر continuous scale للوضع الاجتماعي" على "أسلوب الحياة كما يتمثل فى غرفة المعيشة الرئيسية للمنزل". هذا بالتأكيد موضع اهتمام لكنه اختزل society مجتمع إلى هذه السلسلة من الوحدات موضحة حسب الممتلكات الخاصة. بينما تصنف الوحدات إلى مجموعات حسب الوضع status-group أو حتى -status system نظام وضع، فإن أسلوب "الحياة" الذى يجرى قياسه هو الحياة كما عرفها "استطلاع السوق" سواء كسلع و خدمات أو كـ "رأى عام". ما كان فى الماضى تعبيراً للوضع القانونى أو الوضع العام (والذى كان فى صيغته الأسبق فى estate منزلة يدل على تشكيلات اجتماعية فعالة) هو إذا فى استعماله الحديث المألوف تعبير إجرائى لاختزال كل المسائل الاجتماعية إلى مصطلحات مجتمع استهلاكى متغير.

انظر : CLASS طبقة، CONSUMER مستهلك، SOCIETY مجتمع

بنائى STRUCTURAL

كلمة structure هى (مع الكلمات المرتبطة بها) كلمة أساسية فى الفكر الحديث وهى معقدة بشكل خاص فى كثير من تطوراتها الحديثة. ترجع إلى (س م) structure، فرنسية، structura، لاتينية، (س ب)، struere، لاتينية: يبني، يشيد. فى استعمالاتها الأولى، من ق ١٥، كانت structure بشكل رئيسى اسم عملية: فعل البناء. فى معناها تطورت الكلمة، بشكل ملحوظ فى ق ١٧، فى اتجاهين

رئيسيين: (١) نحو الناتج الكامل للتشييد، كما لا يزال في "a wooden structure بناء خشبي"؛ (٢) ونحو طريقة البناء، ليس فقط في المباني ولكن كذلك في استعمالات أوسع ومجازية. ترجع معظم التطورات الحديثة إلى (٢)، لكن لا يزال يوجد التباس في العلاقة بين هذه التطورات وما هي في الواقع معاني مجازية متطورة لمعنى (١).

إن المعنى الذي أصبح مهما كجزء من (٢) هو كون "العلاقة المتبادلة للعناصر أو الأجزاء المكونة لـ "الوحدة الكاملة whole" تحدد طبيعتها". بوضوح هذا توسع لمعنى طريقة بناء، لكن من المميز أن الكلمة تحمل معنى واضحاً لبنية داخلية internal structure حتى في الوقت الذي لا تزال فيه structure مهمة لوصف البناء ككل. كانت استعمالات الكلمة الأولى المتخصصة في التشريح - "structure بنية اليد" (أوائل ق١٧) وظلت مهمة في التطور العام للبيولوجيا، غالباً في تمييز لها عن وظيفة function (من س م functionem، لاتينية، س ب fungi: يؤدي) حيث يمكن تفريق ملاحظة الأداء functioning (الصحيح) لعضو عن ملاحظة بنية structure الكائن الحي. مع ذلك لم يزل هناك في تطورات ق ١٨ نطاق معاني مفهوم يمتد من البناء الكامل إلى التكوين الداخلي. لم يقتصر استعمال structure على الأجساد بل شمل التماثيل. كذلك استعملت لوصف المعالم الرئيسية لمنطقة. في الاستعمالات البيولوجية عادة ما يكون معنى (٢) واضحا: "بنية وتكوين داخلي" (١٧٧٤). لكن عندما نصادف مثلاً، من ١٧٥٧، "البنية structure الخاصة للعقل والإحساس عند كل شخص"، فإنه ليس واضحاً أبداً إذا ما كان هذا يدل بشكل رئيسي على علاقات داخلية أو النتيجة الكاملة لعملية (البناء) والتطوير. كان هناك التباس مشابه في استعمالاتها في الكتابة: "بنية structure بيت الشعر عنده" (١٧٤٦) و "بنية ... الجمل" (١٧٤٩): كلاهما يحمل معنى عملية البناء لكن العبارة الأولى تشير على الأرجح بشكل رئيسي إلى النتيجة الكاملة بينما تشير الأخرى بشكل رئيسي إلى علاقات داخلية. في الجيولوجيا هناك، من ١٨١٣، مثال لا لبس فيه بمعنى تحليلي هو في طور التعزيز: "بنية structure الأجزاء الداخلية".

ظهرت structural بنائى فى وسط ق ١٩. فى استعمالاتها الأولى كـررت نطاق معانى structure لكن كان هناك تأكيد متزايد على البناء الداخلى كمكـوّن. استعملت بطريقة عامة جداً لأمور البناء والهندسة (قارن تعريفاً جديـداً للهندسـة على أنها "تصمم وتطور بنيات structures، مكائن، أجهزة أو عمليات تصنيع...") حيث تعرَّف مبادئ البناء بأنها structural بنائية، وتـدل structure هنـا كـأمر طبيعى على كل من طريقة و عملية البناء وكذلك على العمل المكتمل. مـع ذلـك اعتمد على معنى structure كمكوّن للدلالة ليس فقط علـى بنـاء construction أساسى ولكن، بالتأكيد، على بناء داخلي: فـى الجيولوجيـا مـثلاً نجـد: "بنـائى structural حيث يؤثر فى الطبيعة الجوهرية للكتلة وليس مجرد شكلها الخارجي". تكرر هذا فى "اختلافات بنائيـة structural تفـرق بـين الإنسـان والغـوريلا" (١٨٦٣). هذا إتمام للمعنى السابق "علاقات متبادلـة للأجـزاء المكونـة للوحـدة الكاملة" مع تركيـز خاص على تحديد تنظيم العناصر وعلاقتها التبادليـة داخـل وحدة معقدة. عبرت عن هذا المعنى كل منstructural evidences علامات بنائية و structural relations علاقات بنائية من سبعينيات ق ١٩. فى مجال التشـييد كـان هناك بحلول أواخر ق ١٩ تمييز تقليدى بين structural وزخرفى decorative مما عزز معنى الهيكل الداخلى أو العملية. سميت العلوم التى تستعمل هـذا التأكيـد أو التركيز بنائية structural: structural botany علـم نبـات بنـائـــى (١٨٣٥)؛ جيولوجيا بنائيـــة (١٨٨٢)؛ كيميـاء بنائيـة (١٩٠٧)؛ structural engineering هندسة بنائية (١٩٠٨).

تتوجب علينا معرفة هذا التاريخ إذا أردنا إدراك التطور الهـام والصـعب لبنائية structural و structuralist بنيوية كمصـطلحين حاسـمين فـى العلـوم الإنسانية وبشكل ملحوظ فى اللغويات والأنثروبولوجيا. يمثل التأكيد أو التركيز فى اللغويات linguistics، التى لم تعط هذا المسمى فى البداية، تحولاً مـن الدراسـات المقارنة والتاريخية إلى الدراسات التحليلية، وأصبح هذا ضرورياً بسبب صـعوبة فهم لغات كانت خارج نطاق المجموعات التقليدية التى تطـورت فيهـا المنـاهج السابقة. كان من الضروري، خاصة بالنسبة لحالة لغات الهنـود الأمـريكيين، أن

تطرح جانباً الإفتراضات السابقة والتماثلات المستمدة من دراسات مقارنة وتاريخية للغات الهندوأوربية ، وبدلا عن ذلك تدرس كل لغة "من الداخل" أو، كما صيغت لاحقاً، بنائياً **structurally**. فى نفس الوقت استعملت مناهج أكثر دقة وموضوعية لدراسة اللغة ككل و بدأت إجراءات هذه الدراسة الأساسية تسمى بالكلمة التى كانت متوفرة فعلاً، من العلوم الفيزيائية، لهذا التأكيد أو التركيز: **structures**. إلى هذا الحد لم تكن هناك أية صعوبة محددة لكن صعوبة التسمية أصبحت حاسمة وأدت إلى مشاكل واضحة. فضلت **structure** على **process** عملية لأنها ركزت على نظام علاقات معقدة ومحددة والذى غالباً ما يكون على مستويات عميقة جداً. لكن بالرغم من ذلك كان موضوع الدراسة عمليات حية بينما عبرت **structure** بطريقة دالة، بناء على استعمالاتها فى البناء والهندسة وفى علم التشريح والفسيولوجيا وعلم النبات، عن شيء ثابت ودائم نسبياً، بل صلب. عزز التطور الكبير لمفاهيم **structure** فى الفيزياء، رغم أنها (المفاهيم) ذاتها توضح الفرق بين بنيات **structures** ثابتة **static** وأخرى متحركة أو ديناميكية، عزز معنى علاقات داخلية عميقة لا يتم اكتشافها إلا بأساليب معينة من الملاحظة والتحليل. لم تؤد بالضرورة الخطوة الأولى، التى سعت لنبذ بعض أساليب الدراسة التقليدية لأنها شملت إفتراضات مسبقة مستمدة من مواد مختلفة تماما، إلى كل المعانى اللاحقة لبنائية **structural** أو، كما تسمى الآن، **structuralist** بنيوية. كانت اللغويات البنائية **structural** أسلوب تحليل للظاهرة العامة للغة بناء على النظام الجوهرى لإجراءاتها الأساسية. من المفارقة أن تتم الآن فى الغالب معارضة المدرستين الوظيفية **functionalist** بالبنيوية **structuralist** فى الأنثروبولوجيا، ويلقى ذلك دعما من التمييز التقليدى فى البيولوجيا بين وظيفة (أداء) وبنية (نظام) الذى يجد بدوره تأييدا فى السوسيولوجيا حسب سبنسر، لكن اللغويات البنيوية و الأنثروبولوجيا الوظيفية المبكرتين اشتركتا فى التركيز على دراسة نظام معين، لغة أو ثقافة، حسب شروط كل منهما، طارحين جانباً أية إفتراضات مسبقة عامة أو تقليدية مستمدة من لغات وثقافات أخرى أو من تعميمات عن اللغات والثقافات بصفتها كيانات متكاملة. انتهى الآن هذا التداخل لكنه يذكر بتعقيد التمييز. يمكن

مقارنة تعقيدات form شــــكل و FORMALISM (ا م) المشابهة، حيــث يمكــن أن تعنى formal إما مظهرا (غالباً سطحياً) وإما ميزات وتفاصيل formation تشـــكيل التى توضح هيئة معينة. كذلك مشابهة صعوبات الكلمة systematic. ترجع system إلى (س م) systema، يونانية: وحدة كاملة منظمة، واستعملت من ق ١٧ لتســمية نظامين معينين: إما مجموعة set أو نظم مثل النظـــام الشمســـى solar system أو النظام العصبى nervous system. يعزى سبب هذه التسمية إلـــى اكتشـــاف تنظـيم وعلاقات متبادلة لوحدة كاملة معقدة: وهذا معنى يتداخل مع أحد معانى structural ولا يزال قريباً منه حتى فى الاهتمام بالتفاصيل الإجرائية فى أمور مثل systems analysis تحليل نظم. لكن استمرت system أيضاً بمعناها كنظام كامل؛ مجموعة مبادئ؛ بحث منظم؛ نظرية THEORY (ا م) (كان هناك تمييز من وسط ق ١٨ بين system نظام و ممارسة practice)؛ ونظام اجتماعى كامل ("النظام الاجتمـــاعي"، "النظام"). يمكن إذاً أن تعنى systematic إما بحثاً أو عرضاً كاملاً ومرتباً أو تلـــك الميزة البنائية structural التى تخص الطبيعة الجوهرية "المكونة" لتنظيم. بوضوح ظلال المعانى صعبة التمييز. ليس بالسهولة، كما قد يبدو غالباً، تمييز نـــوع مـــن الإجراءات أو نوع من التعريف عن آخر عن طريق استعمال مصطلحات على هذه الدرجة من التعقيد و التقلب.

هذه هى الحالة بشكل خاص فى نشر البنيويـــة structuralism. فـــى أمريكـــا ولأسباب تاريخية كان اللغويون دائما وثيقى الصلة بالأنثروبولوجيا. ولا يمكن فهم انتشار البنيوية المؤثر إلا عندما يؤخذ ذلك فى الحسبان. هنـــاك تنويعـــات كثيـــرة ومساحات التباس كبيرة، لكن التوكيد الرئيسى يقع على بنيات دائمة عميقة تكـــون فيها التنوعات الملحوظة فى اللغات والثقافات أشكال forms. كـــان هنـــاك رفـــض جذرى للفرضيات "التاريخية" (historicism تاريخانية) والنشوئية EVOLUTIONARY (ا م)، وتستعمل الطرق المقارنة بشكل حصرى على structures البنيات التى فقدت تماما (بل رفضت) فى هذا الاستعمال المعنى البديل لإنشاءات ناجزة، ولا تدل إلا على علاقات داخلية "شكلانية formal". فى ما يمكن تسميته بأرثوذوكســـية بنيويـــة اعتبرت هذه البنيات، التى تشمل نطاقاً من المعانى يمتد من القرابة إلى الأســـطورة

والنحو، تشكيلات formations بشرية مكونة دائمــة: المعــالم المحــددة للشــعور البشرى وربما للمخ البشرى الفعلي. حسب هذه البنيات تفسر التنوعات الملحوظــة أو القابلة للملاحظة. فى هذا ارتباط واضح بتعميمات التحليل النفسى عن الطبيعــة البشرية وبتعميمات عقلانية سابقة عن خصائص العقل، ولا داعى للإشارة هنا إلى التداخل الفعلى فى بعض الحالات مع صيغ للمثالية IDEALISM (ا م). هناك اتجــاه بديل، يسمى بنيوية تكوينية GENETIC structuralism (ا م)، يؤكــد أيضــاً علــى التشكيلات المكونة العميقة، من نوع بنائى structural، لكنه يرى أن هذه التشكيلات تتعرض للبناء وللتحطم فى مراحل مختلفة فى التاريخ، وذلك فى معارضة كونهــا دائمة ومكوِّنة بشرياً. (يستحق الزعم بأن هيجل وماركس كانا بنيويين تكوينيين، فى هذه الحالة، بعض التحرى.) النزاع بين هذين الاتجاهين مهم، لكن من الضرورى تحليل معانى structure إذا كان لأى نقاش كامل أن يتطور. غالبا ما يشترك كــل من البنيويين التقليديين (الأرثودوكسيين) والتكوينيين فى القناعة بأن البنيات تحــدد DETERMINE (ا م) الحياة البشرية سواء بطريقة مطلقة أو تاريخيــا. يــرى اتجــاه فكرى مؤثر أن البشر لا يعيشون فى البنيــات structures أو بواســطتها و لكــن البنيات توجد فى البشر أو بواسطتهم. (هذا هو أساس المعنى الإزدرائى الحــديث لإنسوية humanism: اختزال الأمور البنائية إلى نزعات أو دوافع بشرية - فرديــة أو أخلاقية.) واضح أنه فى حالات كثيرة كانت فرضــية وجــود بنيــة structure متبوعة بتحليلها المفصل مثمرة جدا فى الإستقصاء حيث يمكن أن يحث ذلك علــى توضيح علاقات جوهرية كثيراً ما تكون من نوع تحجبــه إفتراضــات مســبقة أو ضغوط العادة. أعطى هذا تعزيزاً كبيراً لبنيوية structuralism كتأكيد، لكن التحول المتمثل فى جانب من الانتقال من structural بنائى إلى structuralism بنيويــة - ليس مفهوم إجراء أو مجموعة إجراءات لكن مفهوم نظام system شارح - كان له آثار مختلفة تماماً. كان هناك بوضوح اتجاه لاعتبار تصانيف الفكر والتحليل كمــا لو كانت مكونات أساسية. هنا على وجه الخصوص ارتبطت structuralism بنيوية باتجاهات معينة فى السيكولوجيا (حيث تكون Id هــذا و Ego أنــا والأنــا العليــا Superego وليبيدو Libido ورغبة الموت Death-Wish أدوار رئيسية يؤديها بشر

حقيقيون بطرق مبنية structured فعلا)، وفى الماركسية (حيث طبقات CLASSES (ا م) أو وسائل الإنتاج هى الأساس ويتمثل البشر فى حياتهم خصائصها المتأصلة). إنها مسألة حاسمة فى وصف أى نظام system أو بنية structure عما إذا كان التأكيد أو التركيز يقع على العلاقات relations بين الناس و بين الناس والأشياء أو يقع على الصلات relationships التى تشمل العلاقات relations والناس والأشياء التى تربطها تلك العلاقات. واضح من تاريخ structure بنية و structural بنائى أنه يمكن استعمال الكلمتين بأى من التأكيدين: ليشمل التشييد الفعلى مع إشارة خاصة إلى أسلوب البناء أو ليعزل أسلوب البناء بطريقة تستبعد طرفى العملية - المنتجين (الذين لهم مقاصد مرتبطة بالأسلوب المختار بالإضافة إلى خبرة مستمدة من المادة المراد إنتاجها) والمنتج، بمعناه الجوهري، الذى هو أكبر من مجموع علاقاته المكونة الشكلانية، وبوضوح أكبر من تجريد لها. فى البنيوية التقليدية كان الفرز الفعلى لكل من المنتجين والمنتجات الجوهرية - اختزالها بالتحليل إلى علاقات عمومية محددة - مقبولاً بشكل خاص عند من هم متعودون على إجراءات مشابهة فى التكنولوجيا الصناعية وفى صيغ إدارية MANAGERIAL (ا م) للمجتمع. يُخضع الناس الفعليون والمنتجات الفعلية نظريا للعلاقات المجردة الحاسمة. إن البنيوية التكوينية، بتأكيدها على بناء (structuration تشييد) وتفكيك البنيات مهيأة أكثر لتشمل المنتجين والمنتجات (التى تحوى فى هذا التأكيد أكثر من مجرد بنيات دائمة) لكنها ليست بالفعل قادرة على ضمهم و ضمها بطرق جوهرية، بينما التأكيد البنائى structural لا يزال يركز على علاقات داخلية عميقة بدلا من ما يمكن وصفه بطريقة نابذة "محتوى content". فى هذا الصدد مشاكل الشكلانية formalism والمضامين المعقدة لكل من form شكل و formation تشكيل متشابهة جداً. معظم التحليل البنيوى شكلانى formalist بمعنى أنه يفرز الشكل form والمحتوى content ويعطى الأولوية للشكل، بالإضافة إلى كون التحليل البنيوى شكلانى formalist بالمعنى الأوسع والأكثر قبولاً الذى يدل على تحليل مفصل لتشكيل معين. لا يتطلب هذا فرز المحتوى لكن يمكن أن يهتم بالتحديد بأشكال المحتوى forms of content ومحتوى

الأشكال content of forms كعمليات تكاملية. كذلك يمكن أن يكون هـذا اهتمـام بالبنيات structures بالمعنى الواسع الذى يشمل عملية البنـاء والشـيء المبنـى بالإضافة إلى أساليب البناء. لكن هذا مختلف جداً عن الاهتمام ببنيـات structures بمعنى علاقات داخلية مكونة ومجردة.

القضايا التى تتضمنها هذه المجموعة الصعبة من الكلمات مهمة جـداً. فـى الواقع ضرورى بشكل خاص اجراء تحليل بنائى لهذه المجموعة نفسـها حيـث أن أحد نتائج التأكيد المجرد لبنية structure هو افتـراض أن البنيـوى structuralist مراقب "موضوعى objective" مستقل، متحرر من كل مـن العـادات والمفـاهيم المرتبطة بأنواع من الملاحظة أكثر سطحية أو إمبيريقيـة EMPIRICAL (ا م). قـد تساعد فى التوضيح بعض الكلمات القريبة. كان هناك استعمال لافت لشفرة code لوصف نظم إشارة sign-systems فى اللغة ومجالات أخرى للسلوك BEHAVIOUR (ا م). كانت code (س م) codex، لاتينية، لها إشارة مادية رئيسية إلى كتلة خشبية يمكن فلقها إلى مصاريع وألواح؛ قارن الكلمة المفتاح القريبـة: text نـص، س م textus، لاتينية من س ب texere: ينسـج) مجموعـة منظومـة مـن القـوانين والتشريعات (من ق ١٤) ولاحقاً، بعد توسعها إلى أية مجموعـة منظومـة مـن القوانين بمعنى أقـل رسمية، نظام إشارات حسب الاستعمال العسكرى (أوائـل ق ١٩) والتلغرافى (وسط ق ١٩)؛ و من ثم المعنى السائد الآن: نظـام كامـد يـتم توصيل المعانى عن طريقه و لكن ليس به. من الهام جـداً، كنـوع مـن الـدعم المجازى لافتراض علاقات داخلية خفية من صنف حاسم، أن code الآن تسـتعمل كما لو أنها معادلة لأى نظام إشارات، وهذا بالتالى جعل كل عنصر من عناصـر الاتصال جوهريا مجردا، خاصة القائمين بالاتصال. قد تحتفظ code بمعنى نظام قوانين مؤسسة، لكن عنصر الاعتباط الذى يوضحه تطورها الحديث تكـرر فـى استعمالات هامة لكلمات مثل model نموذج و paradigm نموذج/مثـال. كانـت model (من ق ١٦) تمثيلاً لمنشأة مقترح بناؤها. ومن ثم توسـعت واسـتعملت مجازياً للتعبير عن نمط أو طراز. مازالت تستعمل كذلك، لكن بشكل لافت تستعمل فى الغالب للتعبير ليس فقط عن هيئة مجردة لعملية وإنما تعبر كذلك عن المفهـوم

بأن الهيئة المجردة المختارة حاسمة وفي نفس الوقت وبمعنى أساسي إعتباطية: كان في الإمكان اختيار نموذج model آخر معطيا بشكل جوهري نتائج مختلفة. بالمثل استعملت paradigm، نمط أو مثال، عموماً من ق ١٥ وفي النحو من أواخر ق ١٦ وأصبحت مؤخراً في متناول الجمهور بمعنى فرضية ذهنية دالة (غالباً اعتباطية). بوضوح كل هذه الكلمات، مثلها مثل structure بنية في تطورها الحاسم، هي طرق مهمة للتفكير بعيداً عن العادة والافتراض المسبق. اعترافها بصيغ متفاوتة هام جداً. لكن يمكن، كما هو الحال بالنسبة لبنية structure، أن يتحول صنف ضروري من الفرضية أو التحليل، أحياناً بشكل لاشعوري، إلى تحديد لجوهر. في إحدى صيغ الفكر المعاصر هناك فقط structures بنيات، شفرات codes، نماذج models وأمثلة paradigms: علاقات relations بدلاً من صلات relationships. إن الأهمية التحليلية للتصنيفات يحدده اختزال ضمني أو علني لكل العمليات إلى علاقات بين الأصناف. يمكن (كما في نظرية اللعب game theory) أن يختزل هذا، في بعض الأحيان ضد ما يقصده المستعملون، علاقات جوهرية إلى علاقات مجردة وشكلانية (علاقات بنائية structural بالمعنى الضيق)، ليس فقط في التحليل وإنما أيضاً في الممارسة الفعلية. إذا كان للتحليل أن ينجز فإنه يتوجب علينا أن نكون على وعي بهذه الصفة البنائية للتعابير وأن نقدر كل نتائجها داخل التحليل وخارجه.

انظر: FORMALIST شكلاني، THEORY نظرية

ذاتي SUBJECTIVE

هذه كلمة على درجة عالية جداً من الصعوبة خاصة في تضادها التقليدي مع objective موضوعي. هذا التضاد صعب تاريخيا بشكل خاص حيث أنه وجد في الفكر القروسطي وإن بطريقة مختلفة جداً بل تكاد تكون مناقضة. استمر ذلك حتى ق ١٧ عندما بدأ كل من التعبيرين يستعمل بطرق جديدة. رغم أن التضاد الحديث له سوابق في ق١٧ و ق ١٨ فإنه لم يتطور بشكل تام في الإنجليزية إلا في أوائل

ق١٩ ولا يزال عند التحرى متقلباً بشكل كبير. الافتراضات الفلسفية التـــى يبـــديها استعمال الكلمة المقصود أو تلك التى يخفيها استعمالها التقليدى جوهرية فـــى كـــلا المرحلتين. علاوة على ذلك، حتى لو قررنـــــا إهمـــال التضاد السابق والمختلف جداً على اعتبار أنه الآن مهـــم تاريخياً فقط، فإنه لا تزال تتبقى لدينا معانى لـــ subject، مستمدة من تلك الفترة السابقة، تجعل العلاقة بين subject و subjective صعبة بشكل خاص.

ترجـــع subject – فى الإنجليزية الوسطى soget، suget أو sugiet – إلى (س م) subjet، soget، subjet، فرنسية قديمة، subjectus و subjectum، لاتينية، من (س ب) sub تحت، jacere: يقذف/يلقي. كان معنى الجذر اللاتينى واضحاً فى المعانى الإنجليزية المبكرة: (١) شخص تحت سلطة مولى أو سيد؛ (٢) مـــادة (٣) مجال بحث وصياغة. لا يزال معنيا (١) و (٣) سائدين فى الإنجليزية: (١) متبقيا، فى نوع من أنواع التفكير السياسي، فى عبارات مثل British subject أحد الرعايا البريطانيين و liberties of the subject حريات الرعية حيث قد تمنح معانى لاحقة لـــ subject مسحة إيجابية لكن حيث المعنى يظل لشخص تحت سيطرة أو سلطة، وحيث حريات LIBERTIES (ا م) ليست بالمعنى الحديث الإيجابى وإنمـــا بـــالمعنى الأسبق لحقوق معينة متاحة ضمن سلطة مطلقة؛ (٣) بشكل شائع، بمعنى مجال أو موضوع أو ثيمة للدراسة أو الكتابة أو الحديث أو لغرض الصياغة أو الرسم: أمر subject يجرى بشأنه بحـــــث أو صياغة. معنى (١) مستمر من ق ١٤ ولا يزال شائعاً بشكل خاص فى subjection إخضاع. معنى (٣) شائع من أوائل ق ١٦.

ترجع object إلى (س م) objectum، لاتينية من (س ب) ob نحو، ضـــد، فى سبيل، jacere: يقذف/يلقي. كان معناها المبكر فى الإنجليزية: "موقف معارض فى النقاش" – كما لا يزال فى الفعل object يعترض وفـــى objection اعتـــراض و obstacle عقبة. تم تبنى معنى حاسما ومنفصلا من objectum، لاتينية وسيطة: شيء "مطروح أمام" الذهن، ومن ثم شيء مرئى أو ملحـــوظ وبالتـــالي، بمعنـــى أعـــــم نشأ فى ق ١٦، "شـــيء". من معنى "مطروح أمام" الـــذهن تطـــــور

معنى إضافى : غرض، كما هو موجود فى the object of this operation غرض هذه العملية، وفى الاسم objective هدف.

واضحة الآن تعقيدات وصعوبات هذه المعانى المتطورة. يمكن تخيل جملة كابوسية: " the object of this subject is to subject certain objects to particula study" غرض هذا الموضوع هو إخضاع أشياء معينة لدراسة محددة. لو أضفنا إحدى الكلمتين حسب معانيهما الحديثة: objective أو subjective لوصف هذا النوع من الدراسة فقد نشعر أننا لن نفيق أبداً.

مع ذلك كل تطور يمكن تفهمه. كان التمييز السكولائى المعتاد بين subjective و objective: الأولى عنت الأشياء كما هى عليه فى ذاتها (معتمدة على معنى subject كمادة؛ الثانية عنت الأشياء كما تقدم للشعور ("مطروحة أمام" الذهن). مع ذلك كانت هذه الاستعمالات المعقولة تماما جزءاً من نظرة للعالم مختلفة جذرياً عن تلك التى تفترض، متطورة من أواخر ق ١٧ وخاصة عند ديكارت، الذات المفكرة كمجال المعرفة الجوهرى - the subject الشخص - الذى يتوجب استنتاج الوجود المستقل من عملياته لكل الأشياء الأخرى: الأشياء objects مطروحة أمام هذا الشعور. لم يتم أبداً توضيح المصطلحات بسرعة وبهذه الطريقة؛ كل تمييز مثل هذا حدث فى وقت متأخر جداً. هناك تعقيدات وسيطة كثيرة كما فى التعبير subject-matter موضوع بحث. لكن ساعد اتجاهان للمعنى فى هذا التحول: بوضوح تام فى object، خاصة مع وجود المعنى المتطور: شيء؛ بطريقة أقل وضوحا فى subject وعلى الأرجح ليس بشكل رئيسى عبر معنى مادة ولكن من معنى subject فاعل المتطور فى النحو من ق ١٧. تأخر استعمال object مفعول به فى النحو حتى ق ١٨.

فى قرنى التحول الأساسى كانت هناك تداخلات وتنافرات. فى النسخة المعتمدة للإنجيل استعملت subject دائماً بمعنى سيطرة؛ الاستعمال الوحيد لـ object كان فى صيغة الفعل: يعارض. يمكن العثور على شكل معين للتمييز القروسطى عند جيرمى تيلور (١٦٤٧) حيث اعتبرت "شهادة بطرس" كـ "أساس

موضوعى objective للإيمان، والمسيح وحوارييه الأساس الذاتى subjective، المسيح بشكل رئيسى والقديس بطرس بشكل مساعد". مثال آخر، "نور داخلهم ونور خارجهم، نور ذاتى subjective ونور موضوعى objective"، يمكن قراءته بأى من الطريقتين: بالمعنى الحديث الذى يصادف أنه ملائم هنا أو بالمعنى القديم حيث التمييز، كما هو عند تيلور، بين جوهرى وأساسى من ناحية ومساعد وإجرائى من الناحية الأخرى. صعب جداً الآن إدراك التحولات العميقة التى تجرى لهذه المعاني. فى ١٧٢٥ كان هناك استعمال انتقالى لافت عندما تم تمييز "objective certainty يقين موضوعى ... حيث القول دون أدنى شك صحيح فى حد ذاته" عن "subjective certainty يقين ذاتى عندما نكون واثقين من صحة القول".

كان التطور التالى الحاسم للتعبيرين فى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية التى نشأت فيها، بالرغم من صعوبات كثيرة، معظم استعمالات التمييز الحديث. حدث التمييز بين subject و object والمحاولات الكثيرة لإثبات اتحادهما النهائى أو تماثلهما ضمن المعانى الرئيسية: subject: العقل النشط أو الفاعل المفكر (فى تضاد فيه مفارقة مع الرعية المذعنة للسيطرة السياسية)؛ object: ذلك الذى هو غير العقل النشط أو الفاعل المفكر (فى تطوير النقاش صنّف هذا إلى أصناف عدة). لا تزال هذه التطورات المحددة، مع تعقيداتها الاستثنائية، مؤثرة جداً، وفى ترجمات واستعارات كثيرة، خاصة من الألمانية و الفرنسية، لا يمكن فهم subject و object و subjective و objective إلا بالرجوع بدقة إلى مصطلحات تلك التطورات. كنتيجة محددة للصيغة الحديثة الطاغية للفكر المثالى وكنتيجة لصيغة مؤثرة من نقد موقفها من وجهة نظر بديلة لكنها تستعمل غالباً نفس المصطلحات، تنتمى المعانى والتمييزات- مثل التضاد بين IDEALISM مثالية وMATERIALISM مادية الذى يرتبطان به فى صيغته الشائعة ارتباطاً وثيقاً - إلى تراث محدد جداً ومغلق على ذاته. من المهم إدراك ذلك حتى لو كنا مقدرين جداً لهذا التراث حيث أن تطور المعانى فى الإنجليزية له كذلك بعد آخر، رغم تأثره بالطبع بهذا التراث بل فى بعض السياقات يتحدد حسبه.

هذا مهم بشكل حاسم بالنسبة لمعظم معانى subjective و objective الإنجليزية الحديثة الأكثر شيوعا. كتب كوليردج فى ١٨١٧: "الكلمتان objective وsubjective اللتان تتكرران باستمرار فى مدارس الزمن الماضى - تجرأت على إعادة إدراجهما". كانت إشارته سكولاتية لكن استعماله مستمد من الفكر المثالى الألماني. لاحظ دى كوينسى لاحقاً عن objective أن "هذه الكلمة ... التى يصعب الاستغناء عنها للتفكير الدقيق وللفكر العام أصبحت منذ ١٨٢١ شائعة جداً لدرجة أن استعمالها لا يتطلب تبريراً". علينا تصديق قوله وقول كوليردج؛ على الأرجح الأمثلة من ق ١٧ و ق ١٨ نادرة. لكن كان هناك استعمال هام جداً فى ١٨٠١: "objective أى مستمدة من object شيء خارجي ... أو subjective، أى توجد فقط فى عقل من يصدر حكماً". هناك نبرة فى هذا التعريف لـ subjective تلقى بظلالها على المستقبل. فى الاستعمالات الفلسفية تم بشكل رئيسى اتباع التمييز الألماني: "subjective ذاتي ... الذات المفكرة thinking subject ... objective ما يتعلق بموضوع object الفكر" (هاملتون، ١٨٥٣). لكن فى وسط ق ١٩ وفى صلة بالتحولات التى يمكن ملاحظتها فى فن ART (ا م) و artistic فنى كان هناك حديث عن subjective style أسلوب ذاتي فى الرسم و الأدب ويمكن هنا ملاحظة شكل لثنائية واضحة بدأ يتكون. يقع بالتأكيد ضمن روح الفلسفة المثالية الألمانية وتوابعها الهامة الحديث عن الطبيعة الذاتية subjective - أى انمشكلة بطريقة فعالة - للفن. لكن التمييز بين أنواع subjective ذاتية وموضوعية objective من الفن أو أنواع مماثلة من الفكر هو فى النهاية أمر مختلف جداً، إن لم يكن إلا لأنه يفترض إمكانية وجود نوع من الفن أو الفكر لا توجد فيه الذات الفعالة. لكن هذا هو الاستعمال الذى وجد طريقه إلى الانتشار الواسع. من الصعب تحديد تاريخ لذلك بدقة. بوضوح لم يكن هذا التمييز راسخاً بالنسبة لبرايس عندما كتب فى ١٨٨٨: " إتمام مسح لوضع السياسة الحزبية بطريقة إيجابية positive تماما، أو كما يقول الألمان بطريقة "objective" موضوعية، لما يفكر فيه الأمريكيون بالنسبة ... لنظامهم"، حيث قد تستعمل الآن بنفس السهولة subjective "ذاتية". محير كذلك وجود POSITIVE (ا م). ما توجب البحث عنه فى الواقع هو

تعزيز معنى objective كحقيقي و منصف (حيادي) ومن ثم موثوق، في تمييز لها عن معنى subjective المعتمد على انطباعات بدلاً من حقائق ومن ثم متأثر بميول شخصية ونسبياً غير موثوق. لا ريب في مصدر هذه المعاني. إنها من إجراءات POSITIVIST SCIENCE (ا م) العلم الوضعي ومن المعاني الإدارية والسياسية والاجتماعية المرتبطة بذلك لحكم "نزيه" و"حيادي". هكذا تضرب جذور الكلمتين في العمق، لكن ربما كان فقط من أواخر ق ١٩ وبثقة متزايدة في ق ٢٠ أن استقر التضاد التقليدي. تعايش هذه المصطلحات الوضعية positivitist مع مصطلحات التراث المثالي ونقده مدعاة إذا للتشويش بشكل إستثنائي. في قضايا وتقارير يتطلب منا بشكل صريح positively أن نكون objective موضوعيين: النظر فقط إلى الحقائق متجردين من اهتمامنا وخيارنا الشخصي. في هذا السياق يرتبط إحساس بشيء مخز أوعلى الأقل سخيف بذاتي subjective، رغم أن الكل يعترف بوجود عوامل ذاتية subjective factors يتوجب في العادة منحها أهمية ملائمة. في الوقت نفسه الإطار الفلسفي الضروري لتقويم هذا النوع من التعريف موجود فعلا في المعاني البديلة لكل من subject و object التي تم تحديدها، و من ثم موجود في علم معرفة (ابستمولوجيا) متقدم. لكن على المستوى العادي الشائع يتوجب إعادة إدراج subjective والكلمتين المستقلتين حديثا subjectivism ذاتية وخاصة subjectivity في نقد مختلف لـ objectivism موضوعية على اعتبار أنها منهج خاطئ للاهتمام بالعالم الخارجي external مهملا العالم الداخلي inner أو الشخصي personal.

هذه هي المعاني التي لدينا الآن. من السهل القول أن هذا subject (مجال أو object (موضوع) الاهتمام، لكن المشكلة الفعلية تكمن في الثنايا التاريخية ضمن كل كلمة وفي الأهمية الفائقة للآثار المتبقية والمختلفة جداً من تطورات عدة والتي تشكل المعاني البديلة. تقدم عادة معاني مثيرة جدا ولكنها ضرورية للكلمات، خاصة subject و object، بيقين وأحيانا بعفوية وسطحية لا تتسبب الا في نشر التشويش. يمكن القول أنه يتوجب التفكير في ذاتي subjective وموضوعي

objective ملياً – فى اللغة وليس ضمن أية مدرسة معينة – كل مرة نرغب فــى استعمالهما بطريقة جادة.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثاليــة، INDIVIDUAL فــرد، MATERIALISM ماديــة، POSITIVISM وضعية، SCIENCE علـــم

ذوق TASTE

كانت كلمة taste بالمعنى الحسى موجودة فى الإنجليزية منذ ق ١٣ رغـم أن معناها الأسبق كان أشمل من التذوق tasting بــالفم وأقــرب إلــى الكلمتــين الحديثتين feel يحس و touch يمس. ترجع إلى (س م) taster، فرنســية قديمــة، tastare، إيطالية: يحس، يجس ويلمس. كان الارتباط السائد بالفــم واضحا مــن ق ١٤، لكن تبقى المعنى الأعــم كما هو لمــدة إلا أن الغالــب كــان توسـعه المجازي. سجلت "Good taast" بمعنى فهم جيــد من ١٤٢٥ و "no spiritual tast" "لا إدراك روحي" من ١٥٠٢. هناك استعمال للكلمة فيه توسع أكبــر فــى قــول ملتون "أناشيد ســايون، لكــل الأذواق tasts السليمة المتفوقة (الفردوس المستعاد، جـ٤)". أصبحت الكلمة هامة وصعبة من أواخر ق ١٧ وبشكل خاص فى ق ١٨ عندمــا كتبت بحرف استهلالى كبيــر كخصلة عامة: "تصحيح ذوقهــم Taste، للاستمتاع بأمور الحياة" (شافستبري، تأملات متنوعة، جـ ٣، ١٧١٤)؛ "القواعد ... كيفية إمكاننا اكتساب ذائقة Taste الكتابة الراقية التى يكثر الحديث عنها فــى المجتمــع المتحضــر" (أديســون، ١٧١٢). أصــبحت taste معادلــة لتمييــز discrimination: "تعنى كلمة Taste ... تلك الملكة أو المقدرة سريعة الفطنة للذهن التى عن طريقها نميــز بدقة الطيب والخبيث والوسط" (باري، ١٧٨٤). تطورت tasteful حسن الذوق وعديمه tasteless بنفس المرجعية فى نفس الفترة.

من المهم إلقاء نظرة على دلالات مهاجمة وردزورث لـ taste (فى مقدمة قصائد غنائية ،١٨٠٠). كان ضد الذين "يتحدثون إلينا برزانة عن ذائقة taste للشعر، حسب تسميتهم، كما لو كانت شيئا يتسم باللامبالاة مثل الولع taste برقصة الحبل أو التلذذ بفرونتنرياك أو شيرى (نوعان من المشروب)". كانت taste: "استعارة مستمدة من معنى منفعل passive للجسد البشرى وتحولت إلى أشياء فى جوهرها ليست منفعلة - إلى أفعال acts وإجراءات فكرية operations. ليس عمق الشعور ولا روعته ولا سمو الفكر والخيال وشمولهما، ليس أى منها عندما نتحدث بدقة مواضيع لملكة يمكن، دونما الغوص فى روح الأمم، تسميتها بالاستعارة Taste ... لا يمكن دون إعمال قوة الذهن المتعاونة عند القارئ أن يكون هناك تعاطف ملائم مع أى من هذين الانفعالين emotions: بلا هذا الحافز المساند لا يمكن أن يوجد شعور عميق أو سام". يمكن أن نطرح جانبا مسألة عما إذا كان التذوق الحسى فعلاً إحساس "منفعل". ما قام به وردزورث هو إحياء taste كاستعارة بهدف نبذها (بالمصادفة أمثلته لا تقتصر على النبيذ بل تشمل رقص الحبل الذى كانت الإستعارة له فعلاً تقليدية). يبدو أنه لم يكن على علم بالمدة الطويلة للتحول المجازى - أربعة قرون تقريباً قبل كتابته - وإلا كانت الإشارة إلى "الغوص فى روح الأمم" عديمة المعنى. مع ذلك لايزال ما ذكره مهماً بدرجة قصوى لأنه لم يكن يهاجم taste بقدر ما كان يهاجم Taste. ما حدده بدقة هو تجريد ملكة بشرية إلى خصلة مهذبة عامة، مؤكدة بالحرف الاستهلالى الكبير ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً، كما فى مثال أديسون، بفكرة القواعد Rules وعند سواه بسلوك Manners (التى هى نفسها تقليص من وصف عام للتصرفات إلى ارتباط أضيق بالإتيكيت etiquette). حل محل المعنى المباشر و الصريح لـ taste المعنى الضعيف تحت تأثير صفات Taste المعتادة. علينا فقط أن نفكر فى كلمات الحس المقاربة، مثل touch يمس أو feel يحس، بمعانيها المجازية والموسعة التى لم تجرد وكذلك لم تستهل بحرف كبير أوتضبط بطرق مشابهة، لندرك الفرق الجوهري. انعزلت Taste ذوق و Good Taste ذوق سليم عن الحواس البشرية المباشرة وأصبحت عملية اكتساب قواعد وعادات معينة لدرجة أن هجوم

وردزورث لايزال ملائما، رغم تضمن هذا الهجوم مفارقة مع تاريخ الكلمة الفعلي. من اللافت أن tasteful عدلت بطريقة مقاربة وأصبح لها فقط معنى امتثال (غالباً مبتذل أو معتاد) لعادة خارجية، لكن على العموم انفصلت tasteless عن Taste وتحمل ولو بطريقة ضعيفة نسبيا المعنى الأقدم والأشمل لـ feel وtouch وإدراك، غالباً فى سياق أخلاقى بدلاً من جمالي.

جدير بالملاحظة، أخيراً، أنه لايمكن عزل فكرة taste عن فكرة CONSUMER (ا م) مستهلك. فى صيغتيهما الحديثتين، تطورت الفكرتان معاً، وتأثرت بشكل عميق الاستجابات لفن ART وأدب LITERATURE (حتى على مستوى التنظير العالى التطور، قارن CRITICISM) بافتراض أن المشاهد أو المتفرج أو القارئ هو مستهلك consumer يمارس وفيما بعد يبدى تذوقه taste. (باستمرار تسند هذا الافتراض مفردات "انتقاد"، شعبية ومرتبطة ارتباطاً مباشراً بالطعام - feast وليمة، on the menu على القائمة، goodies طيبات، الخ).

انظر: AESTHETIC جمالى، CONSUMER مستهلك، CRITICISM نقد، SENSIBILITY حساسية

تكنولوجيا TECHNOLOGY

استعملت تكنولوجيا technology من ق ١٧ لوصف دراسة الفنون (قارن ART) المنهجية أو مصطلحات فن معين. ترجع إلى (س م) tekhnologia، يونانية و technologia، لاتينية حديثة: معالجة منهجية. الجذر هو tekhne، يونانية: فن أو حرفة. فى أوائل ق ١٨ كان تعريف تكنولوجيا المألوف هو: "وصف للفنون، خاصة الميكانيكية" (١٧٠٦ ؛ قارن MECHANICAL). بشكل رئيسى فى وسط ق ١٩ صارت تكنولوجيا محصورة تماماً فى الفنون العملية "practical arts"؛ هذه هى أيضاً نفس الفترة التى ظهرت فيها technologist تكنولوجي. مهد المعنى المحدد حديثاً لـ SCIENCE علم وscientist عالم الطريق إلى التمييز الحديث

المألوف بين معرفة (science علم) وتطبيقها العملى (technology تكنولوجيا) ضمن أى مجال. يؤدى هذا إلى بعض الارتباك كما هو الحال بين technical تقنى - أمور لها صبغة عملية - وtechnological تكنولوجى التى غالبا ما تستعمل بنفس المعنى لكن يضاف إليه معنى متبق (فى logy علم) لمعالجة منهجية. فى الواقع لا يزال هناك حيز للتمييز بين الكلمتين تكون فيه technique تقنية تركيب أو طريقة معينة وتكنولوجيا نظام لمثل هذه الوسائل والطرق؛ عندئذ تدل technology على النظم systems الهامة فى كل إنتاج وذلك فى تمييز لها عن "التطبيقات" المحددة.

إن technocrat تكنوقراطى شائعة الآن رغم أن technocracy تكنوقراطيا كانت، من ١٩٢٠ تقريباً، مبدأ للحكم government من قبل أشخاص متمكنين تقنياً؛ كان هذا غالباً ضد الرأسمالية فى أمريكا فى عشرينيات وثلاثينيات ق٢٠. أما الآن فتكنوقراطى محصورة فى الإدارة الصناعية والاقتصادية وقد تداخلت مع جزء من معنى بيروقراطى bureaucrat (قارن BUREAUCRACY).

أنظر: ART فن، MECHANICAL ميكانيكي، SCIENCE علم

نظرية/تنظير THEORY

لكلمة theory نظرية تطور ونطاق من المعانى لافت وتمييز هام عن (لاحقاً تعارض مع) practice ممارسة. كانت الصيغة الإنجليزية الأبكر هى theorique (ق١٤)، تبعتها theory (ق١٦)، من (س م) theoria لاتينية متأخرة، theoria، يونانية: تأمل، مشهد، تصور ذهنى (من theoros، يونانية: مشاهد، س ب thea، يونانية: نظر؛ قارن theatre مسرح/مشهد). فى ق١٧ كان للكلمة نطاق واسع: (١) مشهد: "theory or sight نظرية أو نظر" (١٦٠٥)؛ (٢) نظرة فيها تأمل: "نظرية الموت الحقيقية هى عندما أتأمل جمجمة" (براون، ١٦٤٣) ؛ "لا تمثل كل نظرياتهم theory وتأملاتهم (التى يعدوها علماً) إلا أحلام يقظة وأوهام

مرض" (هارفي، ١٦٥٣)؛ (٣) مخطط (أفكار): "ينفـذ مخططهـم Therole فـي الكنيسـة" (هوكر، ١٥٩٧)؛ (٤) خطة تفسيرية: "أترك مثل هذه الخطـط theories للذين يدرسون الشهب" (١٦٣٨). بشكل واسع نشأ تمييز بـين theory و practice ممارسة في ق١٧، كما هو عند بيكون (١٦٢٦)؛ "الفلسفة ... تنقسم إلى جـزأين: تأملي speculative وعملي practical" (١٦٥٧)؛ "مرضٍ فقـط علـى المسـتوى النظرى Theory ولكن ليس فى الممارسة Practice" (١٦٦٤)؛ "النظريـة Theorie دون ممارسة Practice لا تكفي" (١٦٩٢). استعملت theoretical نظـرى مـن وسط ق ١٧ للدلالة على اهتمام بـ theory حسب هذه المعانى رغم أن استعمالها المستقر بمعنى "hypothetical فرضي/افتراضي"، الذى عادة ما كان له معنى نابذ أو عازل، لا يبدو أنه وجد قبل أوائل ق ١٩.

من اللافت أن theory نظرية و speculation تأمـل، theoretical نظـرى و speculative تأملي، كانت بدائل متوفرة لها معان جذرية واحـدة. فـى وقتنـا الحاضر يتميز تمييزاً قاطعاً أحد معانى theory عن speculation، وحتـى بشـكل أوضح معنى لنظرى theoretical عن المعنى المقارب لتأملى speculative (يرجع المعنى التجـارى لـ speculative تضاربى إلـى ق ١٨). يعتمد هذا على تطـور مهـم لمعنى theory، بشكل أساسـى مـن معنى (٤) الذى هو فعلياً "خطة أفكـار تشرح الممارسة". لا يزال هناك تحفظ على "scheme خطة"؛ قارن "لو لم تكن أيـة نظرية theory عرضة للاعتراض عليها فإنها تكف عن كونهـا نظريـة وتصـبح قانوناً" (١٨٥٠). لكن theory بهذا المعنى الهام هى دائماً فى علاقـة فعالـة مـع practice ممارسة: "تفاعل بين أشياء منجزة وأشياء مشاهدة والشـرح (المنهجـى systematic) لذلك. يتيح هذا تمييزاً ضرورياً بين نظرية وممارسة، لكن لا يتطلـب تعارضهما. فى نفس الوقت يتضح أن بعضاً من معنيى (٢) و(٣) تبقى بشكل فعال وتتأثر به بطريقة جذرية علاقة practice/theory نظرية/ممارسة التى هـى إمـا حيادية أو إيجابية حسـب معنى (٤)، و يكون هذا التأثير أحياناً مشوشـاً. بمعنـى (٢) الكلمة الأوضح الآن هى speculation تأمل: فكرة متصورة دونما إشارة إلـى practice ممارسة. بمعنى (٣) الكلمة الملائمة هى doctrine مبـدأ أو إيـديولوجيا

IDEOLOGY (ا م)، بشكل رئيسى فكرة مبرمجة للكيفية التى يجب أن تكون عليها الأمور. بالطبع تتداخل هذه المعاني: قد يقود معنى (٢) إلى (٣) وخصوصاً إلى (٤)؛ فى مجالات معينة من العلوم الإنسانية، فى تمييز لها عن العلوم الطبيعية، لا يمكن فى الغالب فصل معنى (٣) عن معنى (٤) لأن practice ممارسة نفسها معقدة. هناك practice بمعنى شيء معين منجز (ومشاهد) الذى يمكن إلحاقه مباشرة بمعنى نظرية (٤). هناك أيضا practice بمعنى فعل معتاد أو متكرر (قارن practice يزاول كفعل) التى تكون فيها علاقة theory/practice فى الغالب تضاد بين طريقة لعمل شيء وطريقة أخرى، كون الطريقة النظرية theoretical هى المقترحة والطريقة العملية practical هى تلك التى تزاول الآن فى العادة. بشكل خاص مهم تمييز هذه العلاقة ليس فقط عن العلاقة بمعنى (٤)، التى غالبا ما تشوشها، وإنما أيضاً عن المعانى الضعيفة للعلاقة فى معنى (٢)، حيث يمكن تضاد "أحلام اليقظة وأوهام المرض" مع practice بمعنى فعل أى شيء (رغم أن اهمال الدلالات الأوضح لمعنى (٢) المتداخلة مع معنى (٣) سيكون مضراً؛ (قارن IDEALISM مثالية). كذلك يجب ملاحظة أن صراحة معنى theory (٤)، التفسير (المنهجي) للممارسة practice التى هى معها فى علاقة فعالة ومنتظمة، يمكن جعله مجحفاً. يمكن تتبع practice مزاولة التى أصبحت تقليدية CONVENTIONAL (ا م) أو معتادة إلى (أو يمكن جعلها واعية بـ) أساسها فى theory نظرية (معنى (٣) أو (٤) وتستعمل theory نظرية عندئذ بطريقة إزدرائية لمجرد أنها تفسر و تعارض (بشكل علنى أو خفي) نشاطاً مألوفاً.

تستعمل الآن بشكل متزايد الكلمة praxis، فى سياقات متخصصة، للدلالة على معنى له صلة بنظرية theory حسب معنى (٤) لكن فى علاقة جديدة مع practice ممارسة. بالنسبة للعلوم الطبيعية معنى (٤) لنظرية بسيط: علاقة تبادلية فعالة بين الشرح والأشياء التى تجرى أو يعمل على حدوثها فى ظروف مضبوطة controlled conditions. استعملت praxis يونانية: ممارسة، نشاط، فى الإنجليزية منذ أواخر ق ١٦ للدلالة على ممارسة فن أو تطبيق فكرة، أو مجموعة أمثلة للإتباع فى الممارسة، أو ممارسة مقبولة. لا تختلف فى أى من هذه المعانى

عن practice ممارسة رغم أن فكـرة "خطـة للممارسـة scheme for practice" يميزها بوضوح عن تضادات praxis :theory/practice براكسس هو أداء منهجـي في مهارة معروفة ومنظمة. لكن هذا لم يكن المعنى السائد فى تطور الكلمـة فـى الإنجليزية. حتى وقت متأخر (١٨٠٠) استعمل كوليردج المعنى الأشمل: "زائـف فى النظرية theory وضار فى الممارسة praxis". ينشأ المعنى الحديث المتخصص من تطور فى الألمانية، ١٨٤٠ تقريبا، فى الأصـل هيجلـى متـأخر لكنـه الآن ماركسى بشكل خاص، حيث براكسس praxis هى ممارسة practice مبنية علـى معرفة تزودها theory نظرية، وكذلك، رغم أن هذا يحصل علـى تأكيـد أقـل، theory نظرية مبنية على ممارسة فى تمييز عن كل من ممارسة غير مبنية علـى نظرية أو غير مهتمة بها، و عن نظرية تبقى نظرية ولا توضـع تحـت تجربـة الممارسة. فى الواقع هى كلمة قصد بها توحيد معنيـى نظريـة (٣) و (٤) مـع المعنى الأوضح لنشاط practical عملى (لكن ليس تقليدياً أو معتاداً): الممارسـة practice كنشاط action. عندئذ تستعمل براكسس كذلك، بطريقة ثانوية، لوصـف صيغة كاملة من النشاط يمكن فيه، عن طريق التحليل وليس سوى التحليل، تمييـز عناصر نظرية theoretical وعملية practical، لكنه يبقى دائماً نشاط تام وعلى هذا الأساس يجب الحكم عليه. يمكن عندئذ تجاوز التمييز أو التعـارض بـين theory نظرية و practice ممارسة. لهذه النظرة صيغ صريحة و أخرى واهنة فى نطاق يمتد من ممارسة مبنية على معرفة وواعيه إلـى ممارسـة نظريـة theoretical practice الحديثة التى هى فى معظم أمثلتها نظرية theoretical بشكل فائق أو كما يسميها نقادها الآن theoreticist نظروية.

انظر: DOCTRINAIRE لا عملي، EMPIRICAL إمبيريقـي، IDEOLOGY إيـديولوجيا، RATIONAL عقلانـي، STRUCTURAL بنائى

تراث/تقليد TRADITION

حسب معناها العام الحديث tradition كلمة صعبة بشكل واضح. دخلت الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) tradicion، فرنسية قديمة، traditionem، لاتينية، من (س ب) tradere، لاتينية: يناول أو يسلم. كان للاسم اللاتينى معانى (١) تسليم، (٢) نقل معرفة، (٣) نقل مبدأ، (٤) استسلام أو خيانة. كان معنى (١) العام فى الإنجليزية فى وسط ق ١٦ ومعنى (٤)، خصوصاً كخيانة، من أواخر ق ١٥ إلى وسط ق ١٧. لكن التطور الرئيسى كان فى معنى (٢) و معنى (٣). كتب ويكلف فى عام ١٣٨٠ تقريباً: "قانون وضعى أو tradycion تراث قاموا هم أنفسهم بوضعه". هنا للكلمة معنى فعال، بينما هناك معنى أقل فعالية كما فى العبارة الدالة من ق ١٥: "the trewe tredicion التقاليد الصحيحة". هذه هى مجموعة المعانى التى تظل مهمة. من ناحية يمكن القول "تسلموا أغانى قديمة عن طريق التراث/التقليد tradition من آبائهم" (١٥٩١): أى انتقال مباشر وشفوي؛ أو مرة أخرى "تقديم أو نقل معرفتنا إلى آخرين ... ساعطى ذلك التسمية العامة تراث أو تسليم Tradition or Deliverie" (بيكون، ١٦٠٥). لكن من ناحية أخرى، برز معنى آخر أكثر صراحة: "هل ستهزأ من تراث Tradition عريق نشأ على احترام و تقدير" (شكسبير، هنرى الخامس، فصل٥، مشهد١)؛ أو:

انبذ بعيداً الاحترام و التقاليد Tradition والرسميات

والواجبات الاحتفالية ... (ريتشارد الثاني، فصل٣، مشهد٢)

من السهل ملاحظة كيف أن كلمة عامة لأمور تنتقل من أب إلى ابن يمكن أن تصبح محصورة، ضمن نوع من التفكير، على فكرة الواجب والاحترام الضروريين. تبقى tradition فى الإنجليزية كوصف لعملية النقل العامة، لكن هناك معنى صريح وفى الغالب سائد لهذا الواجب والاحترام الملازمين. عندما نلقى نظرة على العمليات المفصلة لأى من هذه التقاليد "traditions"، فى الواقع عندما ندرك أن هناك تقاليدا traditions (جمع صحيح فى تمييز له عن المفرد الجمع الموجود كذلك فى values قيم و standards معايير) وأن بعضها أو أجزاء

منها فقط اختيرت لتكون موضع احترامنا وتبجيلنا فإنه يمكننا فى الواقع تقدير مدى صعوبة Tradition تقاليد بمعناها المجرد أو المناصر، أو، كما هو الأمر فى الغالب، الملزم.

فى بعض الأحيان لاحظ دارسو traditions تقاليد معينة أنه يتطلب فقط جيلين لجعل أى شيء traditional تراثيا: هذا متوقع حيث أن هذا هو معنى tradition كعملية فعالة. لكن الكلمة تنحى إلى التحرك فى اتجاه "age-old عتيق/معمر" وفى اتجاه الاحترام والتبجيل والتمسك بالشكليات. آخذين فى الاعتبار فقط مقدار ما نقل إلينا ومدى تنوعه فى الواقع، فإن هذا يعتبر فى حد ذاته خيانة واستسلامًا.

من ناحية أخرى، خاصة ضمن صيغ من "نظرية التحديث" (أنظر MODERN) فى الغالب تستعمل الآن tradition تقليد و traditional تقليدى بطريقة نابذة ودونما تحديد. فى الواقع يبدو أن traditionalism تقليدية/تراثوية فى طورها أن تصبح محصورة على وصف العادات والمعتقدات غير الملائمة تقريباً لأى تجديد؛ و تكاد تكون traditionalist تراثوى دائما كلمة نابذة.

انظر: LITERATURE أدب، MODERN حديث، STANDARDS معايير

لاوعى UNCONSCIOUS

دخلت conscious وعى الإنجليزية فى أوائل ق١٧، من (س م) conscius، لاتينية، (س ب) con، لاتينية: معاً، scire، لاتينية: يعرف. معنياها المبكران ليسا مألوفين الآن: (١) معنى صعب التحديد يرتبط بنوع من "الأرواحية" توصف فيه الأشياء الجامدة بأنها واعية بالنشاط البشري: "من ثم إلى الأجمات وإلى الغياض الواعية conscious groves" (دنهام، ١٦٤٣)؛ "بالنسبة لهذه الصخور الواعية conscious stones كنا نحن الحاجّين فى نطاق معرفتها وعلى قرب منها"

(اميرسون عن ستون هنج،١٨٥٦)؛ (٢) معنى مماثل لمعنى كلمــات الجــذر، أى معرفة شيء بالمشاركة مع آخر أو آخرين (قارن conscience ضمير، رغــم أن هذه تحركت بقوة نحــو PRIVATE خاص (ا م): "عندما يكون رجلان أو أكثر على علم بنفس الحقيقة فإنهم يعتبرون واعين Conscious بها وعيا مشــتركا" (هــوبز، ١٦٥١). لكن الكلمة اكتسبت معنى عاماً لشعور awareness بــأربع تحديــدات شائعة: (٣) واع بذاته: "كونى مدرك conscious فى ذاتى بضعفى العظيم" (أشر، ١٦٢٠)؛ (٤) متأمل وواع بطريقة فاعلة : "أن تكون ســعيداً أو بائســـاً دون أن تكون واعياً conscious بذلك يبدو لى مستحيلاً ومتناقضاً تماماً" (لــوك، ١٦٩٠)؛ (٥) ذاتــــى الوعى self-conscious المتضمنة معنى الزهو والتكلــف: "واعــين لدرجة قصوى too conscious بملامحهم" (بوب، ١٧١٤)؛ "الابتســامة المتكلفــة conscious" (بوب، ١٧٢٨)؛ (٦) نشط ويقظ: "عندما كــان فــى النهايــة واعيــاً conscious" (ليتون، ١٨٤١). ميز معنى عام إضافى (٧) طبقة مــن الناس كمــا فى مفكرين أو عقلانيين: "أناس مفكرين أو واعين thinking or conscious" (واتس ،١٧٢٥). استعملت conscious شعور/وعى من وسط ق ١٧ حسب معانى (٢) و (٣) و (٤) ومن وسط ق ١٩ حسب (٦). تطور كذلك معنى جديد له صلة غيــر مباشرة بمعنى (٢) من وسط ق ١٩: consciousness تعبير يدل علــى الشــعور الذاتى المتبادل لمجموعــة: 'national consciousness وعــى قــومي"، " class consciousness وعى طبقي".

من الضرورى فهم مجموعة معانى conscious وعى قبل تمكننا من فهــم unconscious لاوعى الشائعة الآن. سجلت الكلمة من أوائل ق ١٨. فــى قــول بلاكمور: "unconscious لا واعين، لم نسمع تلك الحركات" كان المعنى بوضــوح هو نقيض معنى (٤) وعلى الأرجح هذا ينطبق كذلك مع بعض التوسع فى المعنى على قول جونسون: "ربما قدم نوع من الإحترام بلاوعى unconscious" (١٧٧٩). بيتا الشعر من تأليف بلاكمور (١٧١٢) أكثر صعوبة كثيراً:

الدوافع اللاواعية unconscious تمنح بهدوء

يبدو أن المعنى المضمر هو "not known غير معلوم"، تقريباً بالمعنى اللاحق "not knowable غير قابل للمعرفة" بدلا من مجرد "ليس واعيا not aware". تبين استعمالات عند كوليردج بعض الصعوبة. مفترض أن يكون لـ " With forced unconscious sympathy مع تعاطف لا واع قسري"(كريستابل) المعنى العام لـ "unaware غير دار"، نقيض معنى (٤)، لكن يبدو أن إلحاق "قسري" يضيف، عن طريق إدراج لاشعور إكراهي، بعدا فيه عناصر من معنى لاحق. عندئذ يبدو أن عبارة "الوعي conscious مطبوع في اللاوعي the unconscious لدرجة أنه يتضح فيه" (١٨١٧) – على الأرجح هذا هو أول استعمال لعبارة اللاوعي the unconscious – تفيد وجود صنفين معتادين، وعي conscious ولا وعي unconscious، لكن مع أسبقية مهمة للأولى التي هي المصدر في هذا المثال. كانت المعاني الجسدية لكل من conscious و unconscious تطورات من ق ١٩. في استعمالات محدودة - "سقط مغشيا عليه unconscious" - المعنى ليس صعباً، بينما كان في تطور السيكولوجيا في ق ١٩ اهتمام متزايد بحالات عديدة غامضة حيث يصعب وضع حد فاصل بين حالات جسدية و أخرى سيكولوجية. قارن "نوم، إغماء، غيبوبة، صرع وحالات أخرى لاواعية unconscious" (وليام جيمز، ١٨٩٠). وضع آخر حاسم كان الحالة تحت التنويم المغناطيسي. استخلصت تفسيرات مختلفة جداً وخلافية لهذه الحالة وأصبحت conscious و unconscious كلمتين أساسيتين متقلبتين. علاوة على ذلك عرفت أنشطة جسدية كثيرة، ضمن الوعي consciousness المعتاد، على أنها لاواعية unconscious بمعنى جديد - كونها لا تتطلب مبادرة أو تحكماً واعياً أو على أنه ليس في مقدورها فعليا القيام سواء بالمبادرة أو التحكم، كما في عمليات جسدية أساسية معينة. لم يكن من العسير إلحاق هذا المعنى المحدد بمعنى (٤) ونقيضه.

ظهر المعنى الأصعب والمتطور عندئذ فى مؤلفات فرويد. هنـا للاوعـى unconscious ثلاثة عناصر: بالنسبة للعمليات (أ) مكبوتة repressed ديناميكيا من قبل الإدراك (الواعى conscious)؛ (ب) إمكانية جعلها واعية conscious (تقديمها للشعور والتأمل) فقط عن طريق تقنيات خاصة: تنويم مغناطيسى وتحليل نفسـي؛ (ج) عدم خضوعها للتحكم الإرادى، كما فى المعنى الجسدى الجديد السابق ذكـره، لكن دون القصور على الدوافع الجسدية. الجدل الذى يلى هذه التعريفـات واسـع وصعب جداً، لكن بالنسبة لتأثيره فى الكلمتين يمكن ملاحظة أن التعريفات الأصلية توحي بأن ما أصبح unconscious لا واعياً كان فـى وقـت سـابق conscious واعياً (لكن بطريقة مؤلمة جداً) وتدل على أن معنى unconscious كـ "غير قابل للمعرفة" يقتصر على الفرد المقصود؛ يمكن جعل لاوعـى unconscious وعيـاً conscious باستعمال مهارات معينة. بوضوح تصبح هذه المعانى الدقيقـة نسـبياً صعبة عندما تنتقل من تعميماتها كعمليات إلى حـالات عامـة: the unconscious اللاوعى وخصوصا العقل اللاواعى the unconscious mind. فـى الغالـب يـتم استبدال المعنى الديناميكى لشيء يُجعل لا واعيـاً، فى هـذه التعبيـرات العامـة، بافتراض وجود كائن أو عقـــل لا واعـى unconscious رئيسـى ومسـتقل. ينطبق هـذا بشكل خاص على فرضية ينـج للاوعـى الجمعـى the collective unconscious التى بصفتها خصلة بشرية عامة تسبق (فـى الوقـت و الأهميـة) تطور consciousness وعى المعتاد. لكنه ينطبق أيضا على استعمالات أعم يعتبر فيها the unconscious اللاوعى (ليس بالمعنى الجسدى لعمليات بدنيـة أساسـية و"قسرية" ولكن بمعنى توليد أفكار وأحاسيس أساسية) ليس أقـوى مـن النشـاط العاطفى والعقلى الواعى conscious فحسب وإنما بصفته مصدرها الحقيقـى (وإن كان ذلك فى العادة خفـيا). هذه كانت صيغة مؤثرة من صيغ المثاليـة IDEALISM (ا م).

الآن التداخل والتشويش بين المعانى المختلفة المتـأثرة بنظريـات مختلفـة عظيم. يدعم المعنى الأعم دعماً قويـاً شـعور (وعـى consciousness) متزايـد بالدوافع والاختيارات التى لم يكن المـرء مسـبقا واعيـا (conscious معنـى٤)

بهـــا أو أنـــه لايزال لا واعياً (unconscious نقيض بسيط لمعنـــى ٤) بهـــا. ليس واضحاً إن أشار هذا إلى فرضـــية اللاوعـــى the unconscious أو العقـــل اللاواعى the unconscious mind، لكن فى الواقع يصعب جداً، ضـــمن التشـــكيل اللغوي، التمييز بين: (١) تعميم مثل هذه الخبرات التى هى فى العادة مرحلة انتقال من unconscious لاوعى إلى وعـــــى conscious، لكن فى هذا إشارة إلى بعض الفشل فى الانتقـــال؛ (٢) تجريد مثل هذه التحولات بحيث يمكن تصنيف حالتين: وعى ولاوعي؛ (٣) تشييء مثـــــل هذه التصنيفات بحيث يعتبر (العقل) الـــواعى the conscious و(العقل اللاواعي) the unconscious موجـــودان فـــى كيانـــات جسدية أو كأشكال متميزة فى بنية عصبية أو حتى فى نظـــام اجتماعي. فى بعض الأحيان تصبح الخطوتان (١) و (٢) سلماً متحركاً يهبط إلى (٣)، لكن مع ذلك هما بوضوح مستقلتان. كان هناك أيضا لبس فى العلاقة بـــين unconscious لاوعـــى ودون الوعى subconscious التى دخلت الإنجليزية (على الأرجح أولا عنـــد دى كوينسي) فى وسط ق١٩. تشمل sub كبادئة معنيى تحـــت under وأســـفل below مما يجعل الكلمة تتوافق مع كثير من معانى unconscious لاواعى اللاحقة. لكن لها أيضا معنى "بطريقة ناقصة" أو "بطريقة ليست تامة" مما يجعلها تتوافـــق مـــع معانى كثيرة للاوعى unconscious تســـمح بانتقـــال معتـــاد بيـــــن لاشـــعور unawareness وشعور awareness. فى نشر فرويـــد لهـــذه التعابير فـــى ق ٢٠ وبالتالى فى الاستعمال الشـــائع كانـــت unconscious لاوعـــــى ودون الـــوعى subconscious مترادفتين. لكن قاومت ذلك مدرسة اعتمدت معنى "بطريقة ناقصة" أو "بطريقة غير تامة" إذ اعترضت على مفهوم الانتقال "المعتاد" وأصرت علـــى حيز لاوعى مكتمل يكون الانتقال منه مستحيلاً إلا بطرق خاصة؛ عندها عوملـــت دون الوعى subconscious على أنها سوء فهم شائع. مع ذلك تبقى الكلمـــة فـــى الاستعمال العام بناء على المعنى الآخر، ما هو 'أسفل" الوعي، وكذلك لأن الكثيـــر ممن يقبلون، بناء على خبرة، معنى (١) للاوعى unconscious يجـــدون أن دون الوعى subconscious (حتى أو خصوصا لتضمنها على تحولات "معتادة" قليلـــة كانت أو كثيرة) تعبر عن هذا بطريقة وافية. (لم أكن على علـــم (معنـــى وعـــى

conscious ٤) بدافعى لفعل ذلك، لكن منذ ذلك الحين أصبحت واعيا (معنى ٤ conscious) لدافعى الحقيقي".) لكن ليس واضحا عندئذ إذا ما كانت إضافة "على الأرجح كان ذلك دون الوعى subconscious" تعنى فقط كما هو بداهة "لم أكن عندئذ على علم به"؛ أو إذا ما كانت تشير إلى حيز لم يكن ممكنا معرفته (وهذا ما قد يتطلب فى نظريات كثيرة الكلمة الأوضح unconscious لا وعي) فى تمييز لها عن غير معروف أو مدرك عندئذ لسبب قابل للاكتشاف (فى تعارض مع فرضية اللاوعى the unconscious حيث تكمن طبيعيا مثل هذه الأسباب) .) يبدو أن اللبس بين unconscious لاوعى ودون الوعى يكرر إلى حد كبير الجدل حول unconscious لاوعى ذاته.

أدت المعانى المتخصصة فى ق ٢٠ للاوعى unconscious إلى تفضيل النفى البديل not conscious ليس واعياً للمعانى المتبقية: معنى (٣) حسب الاستعمال العام ومعنى (٧) و، فى بعض المجالات، معنى (٦).

انظر: PSYCHOLOGICAL سيكولوجى

غير ميسور/مضطهد UNDERPRIVILEGED

يبدو أن underprivileged كلمة حديثة جداً، لكنها شائعة فى الكتابات السياسية والاجتماعية. هى لافتة بشكل خاص بسبب المعنى الحديث الذى تطور فى كلمة privilege (قارن PRIVATE خاص) كميزة أو حق خاص. صحيح أن المعنى المبكر كان لشرط قانونى يخص الفرد ومن ثم لحق معنى معين أو خاص private. يمكن عندئذ القول إن شخصاً ما غير ميسور underprivileged لحرمانه من مثل هذا الحق أو مثل تلك الحقوق. لكن كان معنى privileged (ذو إمتياز) السياسى والاجتماعى الحديث صريحاً بحيث أنه من المؤكد أن هذه ليست الطريقة التى تطورت فعلا بها underprivileged فاقد الإمتياز. يمكن إعتبارها، كما تستعمل أحيانا، كلمة مهذبة لفقير poor أو مضطهد oppressed. لكن ربما يكون قد حدث

شيء أكثر تعقيداً ضمـــن معنى مشوش - أحيانا متساهل وأحيانا أخرى مضـــلل - لامتياز privilege كحالة معتادة. قارن الغرابة اللفظية فى الزعم بأننـــا "كلنـــا (أو كلنا تقريباً) من الطبقة الوسطى middle الآن". إذاً underprivileged هـــى حالـــة خاصة تدل على الذين يقعون تحت مستوى معتاد مفترض للحياة الاجتماعية. عندئذ تبرز المشكلة فى فرضية ما هو المعتاد، آخذين فـــى الاعتـــبـــار الاســـتمرار اللفـــظى لـــ privilege التى يمـــكن أن يكـــون لـــ underprivileged أثر فـــى إبهام أو إلغاء معناها المحدد والتام الدال على ميزات اجتماعية.

كذلك قد يكون لاستمرار صيغ under "دون" أثر كبير فـــى ذلـــك. قـــارن underdevelopment "تحت النمو/نامية" حيث الافتـــراض بنمـــو DEVELOPMENT معتاد دليل على اعتقاد إيديولوجى مشابه. هناك أيضا ضـــحية ظلـــم أو إضـــطهاد underdog، فى العبارة اللافتة "تعاطف مع المضطهد underdog" كدلالـــة علـــى العواطف الإنسانية بل حتى الإشتراكية، وهى صيغة مشابهة رغـــم تميزهـــا فـــى استعمالها الشائع منذ أواخر ق١٩. تكاد تمسك تماما بالجمع بـــين العطـــف علـــى ضحايا نظام اجتماعى و الإيمان أو الإفتراض غير المعلن بأن مثل هـــذا النظـــام سيستمر أو يجب أن يستمر فى البقاء.

انظـــــر: CLASS طبقـــة، DEVELOPMENT تطـــور، PRAIVATE خاص

بطالة UNEMPLOYMENT

كان هناك جدل حول تاريخ كلمـــــة unemployment منـــذ قـــال يـــنج إن "unemployment كانت أبعد من مجال أى تفكير يخطر علـــى بـــال المصـــلحين الفكتوريين الأوائل و ذلك يرجع إلى حد كبير لعدم وجود كلمة لها ... لم ألحظهـــا قبل الستينيات" (إنجلترا الفكتورية، ١٩٦٣). اعترض إي. ب. تومبســـون علـــى ذلـــك: "unemployed عاطـــل، the unemployed العـــاطلين و(إلـــى حـــد أقـــل)

unemployment كلها وجدت فى كتابات نقابات العمال والراديكاليين أو إتباع أوين فى عشرينيات وثلاثينيات ق ١٩ : يجب تفسير كبت و تحفظ "المصلحين الفكتوريين الأوائل" بطريقة أخرى (تكوين الطبقة العاملة الإنجليزية، هامش ص ٧٧٦، ١٩٦٣).

بالتأكيد تومبسون على صواب لكن التاريخ معقد. عاطل unemployed أكثر قدماً. استخدمت أولاً، من ق ١٦، لشيء لا يوضع موضع الاستعمال، لكن استخدمت للناس من ق ١٧ كما فى عبارة ملتون "rove idle unimploid عاطلون كسالى متسكعون" (١٦٦٧)، حيث المعنى هو عدم القيام بعمل شيء بدلاً من كون الشخص دون عمل، وهى واضحة بمعنى حديث فى مثال من ١٦٧٧: " فى إنجلترا ويلز مائة ألف فقير عاطل unemployed". المعنى المتطور مهم لأنه يمثل حصر الجهد الإنتاجى على العمل المأجور فى كلمة أخرى (قارن WORK عمل، job مهمة، LABOUR شغل) وهذا كان جزءاً مهما من تاريخ الإنتاج الرأسمالى والعمل المأجور. يمكن تتبع هذا التطور فى كلمات عدة قريبة. من ناحية تطورت INDUSTRY (ا م) من معنى خصلة عامة للجهد البشرى الكاد إلى معناها الحديث لمؤسسة إنتاجية. من ناحية أخرى فى ذلك الوقت طورت unemployed و idle، اللتان كانتا تعبيرين عامين لعدم الانشغال بأى شيء (رغم أن idle كان لها معنى أصلياً أشمل، من الإنجليزية القديمة، لتافه وعديم الجدوى)، معانيهما الحديثة: "دون عمل مأجور" أو "فى وظيفة ولكن لا يعمل". تطورت employ نفسها من معنى عام - "employed in affaires ينهمك فى أمور" (١٥٨٤) إلى معنى عمل مأجور منتظم: "public employ وظيفة عامة" (١٧٠٩)؛ "in their employ فى خدمتهم" (١٨٣٢). كانت هناك عبارة "سكرتارية و رجال موظفون Employed Men" عند بيكون (١٦٢٥)، ومن ق ١٨ كان لـ employer صاحب عمل/موظف (فى الأصل عادة تكتب implyer) معناها الحديث؛ تبعت فى ق ١٩ employé موظف والأمريكية employee موظف. سجلت employ خدمة كاسم حالة من ق ١٧ ويمكن العثور على employ كتعبير اجتماعى مجرد من ق ١٨. يمكن العثور على كل من employ و unemploy كاسمى حالة مكتسبين معنى اجتماعياً عاماً ومجردا

من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩؛ التعبيران سبقا معادليهما الحديثين: employment توظيف/عمل و unemployment بطالة. هكذا كانت كل الكلمات الضرورية متوفرة بحلول أواخر ق ١٨ على الأقل وأصبحت شائعة من أوائل ق ١٩ فى دراسة حجم المشكلة الجديد و كذلك فى الطريقة التى اعتبرت فيها المشكلة حالة اجتماعية.

ترجع employ إلى (س م) employer، فرنسية، من الصيغة المنفعلة implicari، لاتينية: "منهمك في" أو "مرتبط بـ"، (س ب) implicare، لاتينية: يلف/ينطوى على ويتضمن (التى أعطتنا أيضاً كلمة imply يلمّح). كان معناها المبكر استعمال شيء (ق ١٥) أو استخدام شخص (ق ١٦) لغرض ما؛ كلا المعنيين لا يزال فعالا. كما لاحظنا، فى تاريخ العمل المأجور wage-labour تحول هذا إلى العمل بمقابل paid work. التفاعل مع idle لافت بشكل خاص. يمكن إيضاح المعنى العام فى استعماله بالنسبة للناس من عام ١٤٥٠ تقريباً:

دوماً للعبادة والتأمل

كان توجهها، ولم تكن أبدا ydel عاطلة (مهملة، متوانية).

لكن فى قرار ١٥٣٠-١٥٣١ نجد العبارة الدالة: "للقبض على المتسكعين والأشخاص العاطلين ydell المذكورين". استمر هذا الاستعمال لفترة، لكن لاحظ بيرن فى ١٧٦٤: "هم عاطلون idle بسبب عدم توفر عمل يستطيعون القيام به" – أى مفهوم unemployment بطالة بالمعنى الحديث. بوضوح يعتمد معنى unemployment الحديث (من أواخر ق ١٨) على فصله عن بعض معانى idle؛ تصف وضعا اجتماعيا بدلا من حالة شخصية (idleness عطل). كانت هناك مقاومة إيديولوجية قوية لهذا التمييز الضروري؛ هذا هو مغزى نقد تومبسون ليس فقط لتاريخ ينج ولكن لينج نفسه. لا تزال المقاومة نشطة، وبالنسبة للكلمات تتضح بشكل خاص فى استعمال idle فى تقارير الأخبار لوصف عمال فصلوا أو أغلقت أبواب عملهم أمامهم أو هم فى اضراب. بتضميناتها الأخلاقية الصريحة لابد وأن يكون لعاطل idle فى هذا السياق مقاصد ونتائج أيديونوجية. ترسخ فى العقل عبارة "ألوف العاطلين idle".

يرجع تاريخ التعبير المهم unemployable غير قابـل للتوظيـف - لـيس ملائما للعمل employment بالمعنى الحديث- إلى أواخر ق ١٩.

يمكن إضافة ملاحظة عن dole "عون" الاسـم الشـائع لإعانـة البطالـة unemployment benefit أو تعويض عنها. كانـت dole مـن ق ١٠ نصـيباً أو جزءاً (من dal، إنجليزية قديمة) ومن ق ١٤ عطية طعام أو مال كصدقة. ليسـت هذه هى الطريقة التى قصد بها إعانة العاطلين لكن يبدو أنها فهمت بهذا الشكل.

انظـر: CAPITALISM رأسمالية، LABOUR عمل، WORK عمل

منفعي/نفعى UTILITARIAN

للكلمة utilitarian تعقيد واحد: كونها وصف لنظام فلسفى معين تم تبنيه فى الواقع بشكل واسع وإن دون الإشارة عادة إلى المسمى الرسمي. كذلك هى وصف لمجموعة محدودة من الميزات أو المصالح، عملية كانت أم مادية. قد يقول كثيرون إن لهذا المعنى المزدوج جذر واحد؛ وإن هذه نتيجة محتومة لنوع معين من الفلسفة المادية MATERIALIST (ا م). لكن utilitarian تشبه إلـى حـد كبيـر materialist كونها محملة بالتشهير من قبل مناوئيها بـنفس مقـدار كونهـا محملـة بتبعـات الافتراضات التى طرحتها. استعيرت الكلمة مـن utility منفعة/نفع/فائدة (مـن س م utilitas، لاتينية، س ب uti، لاتينية: استعمال) التى كانت فى الإنجليزيـة منـذ ق١٤ بالمعنى العام لنفعية usefulness. بشكل رئيسى ينتمى فـرز Utility منفعـة كمقياس أساسى لقيمة كل شيء إلى الفكر الإنجليزى والفرنسى من ق ١٨. كانـت أداة حادة تستخدم ضد تعريفات لغاية المجتمع تستثنى مصالح معظـم النـاس، أو حسب أحد المعانى كل الناس، مثل تعريفات للقيمة بناء على نظام اجتماعى قائم أو حسب آلهة. كان مقياس القيمة هو عما إذا كان شيء ما مفيدا للناس، وكما تطورت الفكرة بشكل خاص عما إذا كان مفيداً للغالبيـة، "العـدد الأعظـم the greatest

number". استعملت utilitarian كوصف مقصود للمرة الأولى من قبل جيرمي بينثام: للتعبير عن اهتمام خاص في ١٧٨١ ولتسمية، بالحرف الاستهلالي الكبير، "أساتذة (مبشرو) دين جديد" (١٨٠٢). كان الفعل "متوائماً مع مبدأ المنفعة utility ... عندما يكون الاتجاه فيه لزيادة سعادة الجماعة أعظم من أي اتجاه لتقليصها". في الواقع كانت السعادة هي كلمة المفتاح في هذا التنظيم، كما هي كذلك عند جون ستيورات مل (النفعية، ١٨٦١): "السعادة ... هي الشيء الوحيد الذي يمكن إعلانه غاية". لكنها في الغالب تناوبت مع pleasure بهجة/متعة مما جلب الاعتراضات المألوفة ضد "المتعة"، خاصة متعة الآخرين، ونظرا لذلك ولتقلبها اعتبرها الجادون تافهة مما جعلها كلمة صعبة في النقاشات المعقدة حول القيمة. علاوة على ذلك، ضمن التنظيم المنفعي utilitarian، أصبحت تطغى تعريفات محدودة بشكل دال للمنفعة usefulness – سواءً في حصرها على الفرد أو على الطريقة العملية النشطة لكن المحدودة التي اعتبرها مل كافية فقط "لتنظيم مجرد جزء العمل business في الترتيب الاجتماعي" – وتقلص من مفهومي كل من pleasure متعة وسعادة happiness. من المفارقة، أصبحت هذه هي الفلسفة المساندة للمجتمع الصناعي الرأسمالي INDUSTRIAL CAPITALIST SOCIETY والبيروقراطي.

لا صلة مباشرة للمعنى الآخر بذلك رغم أنه في النهاية تأثر بالتطور الفلسفي. كتبت كولمان في ١٨٥٩: "تحول من النظرة الرومانسية والرائعة إلى النظرة المنفعية utilitarian لهذه الشجرة"، والكلمات المستعملة في كل من جانبي التمييز هامة على حد سواء. كان يكتب بطريقة معقولة جداً عن استعمالات uses شجرة معينة، لكن بحلول هذه الفترة كانت use فائدة/استعمال قد انحصرت بشكل كبير على إنتاج أشياء وسلع بحيث أن استعمالات أخرى للشجرة تطلبت الكلمتين المتخصصتين romantic رومانسي ورائع picturesque (كلاهما للأهمية مصطلح فني). يمكن القول إن الناس يستعملون use الأشجار للظل أو الوقاية أو للمشاهدة، بالإضافة إلى استعمالها use كأخشاب، لكن use، بمعناها الموجود المتعزز: يستهلك – ليست سهلة في هذه المجموعة. ما تؤكده utilitarian منفعية بهذا المعنى الموضح هو انفصال بعض أنواع من النشاط عن أنواع أخرى.

انحصرت ART فن، تلك الكلمة العملية بشكل بارز، كجزء من نفس الحركة على نوع مختلف من النشاط ونوع آخر من السعادة أو المتعة: تأملية أو جمالية AESTHETIC (ا م). لذا الممارسة الطويلة لاستعمال using أشياء من أجل صنع/خلق أشياء أخرى حددها الغرض فى النوعين: أحدهما فن art والآخر نفع utility.

هذا هو التقسيم الذى يقوم عليه الإنتاج الرأسمالى حيث تتحول الأشياء إلى سلع. إنه التحول الذى حدث، مثلاً، فى "عصر جامعى الأموال النفعى utilitarian هذا" (١٨٣٩)، وحسب أحد المعانى هو تحول حقيقي. لكن كما هو الوضع بالنسبة لمادى materialist تجمعت واختلطت أنواع مختلفة من الاعتراض. استعمل كثير من معارضى utilitariamism النفعية و materialism المادية صعوبات هاتين الطريقتين فى النظرة إلى العالم، اللتين وجدتا فى الواقع قبولاً كبيراً، لمناصرة قيم متبقية لهما لها، حسب الترتيب الاجتماعى التقليدى أو اتباعاً لآلهة، أفضلية على "السعادة العظمى لأكبر عدد". وساندهم فى ذلك بطريقة مدهشة حصر utility النظرى والعملى على مجال الإنتاج الرأسمالى وعلى وجه الخصوص ساعدهم تحويل "السعادة العظمى لأكبر عدد" إلى مجال السوق market (بمعنى الكلمة "المتزايد التجريد" فى ق ١٩) المنظم الذى اعتبر مطية لتحقيق هذا الغرض النهائي. فى هذا السياق أصبحت utility، التى كانت فى الماضى مفهوما هاما، كلمة فيها توافق كما هى كلمة "تحط من القدر"، وكان لابد من العثور على مصطلحات أخرى تدعم مبدأ سعادة معظم الناس.

انظر: CONSUMER مستهلك، WELFARE رفاهية

عنف VIOLENCE

تعتبر violence الآن كلمة صعبة لأن معناها الأساسي: اعتداء جسدى كما فى "سرقة بعنف violence"، لكنها تستعمل بشكل أعم بمعان ليس من السهل

تحديدها. لو اعتبرنا "اعتداء جسدي" على أنه معنى (١) فإنه بإمكاننا اعتبار معنى (٢) العام الصريح على أنه استعمال القوة المادية بما فى ذلك الاستخدام عن بعد للأسلحة و القنابل، لكن يجب عندئذ إضافة أن "العنف" محصور هنا على الأعمال "غير المخولة": عنف violence "الإرهابي" لكن ليس عنف الجيش (إلا من قبل المعارضين) حيث يفضل استعمال "قوة force" وحيث توصف معظم العمليات الحربية و الاستعداد لها بأنها "دفاع defence"؛ أو المعانى المشابهة المحازبة التى تشمل "وضع تحت القيد" أو "استعادة النظام" و"عنف violence البوليس". كذلك يمكن ملاحظة معنى بسيط نسبياً (٣) لا يمكن دائماً فرزه بدقة عن معنيى (١) و (٢) كما فى "العنف فى التلفزيون" التى يمكن أن تشمل تقارير أخبار أحداث العنف الجسدى بينما تدل العبارة بشكل رئيسى على العروض الدرامية لمثل هذه الأحداث. تظهر الصعوبة عندما نحاول تمييز معنى (٤) عنف violence كتهديد ومعنى (٥) عنف violence كسلوك طائش. معنى (٤) واضح عندما يكون التهديد بعنف جسدي، لكن تستعمل الكلمة فى الغالب عندما يكون التهديد الفعلى أو الممارسة الفعلية مجرد سلوك طائش. شملت الظاهرة المعروفة بعنف طلابى student violence حالات من معنيى (١) و (٢)، لكن بوضوح شملت كذلك حالات من معنيى (٤) و (٥). عندئذ يمكن للسلطة العاطفية للكلمة أن تكون مشوشة جداً.

هذا تعقيد مزمن. ترجع violence إلى (س م) violence، فرنسية قديمة، violentia، لاتينية: شدة/هيجان/، تهور/طيش، وترجع فى النهاية إلى (س ب) vis لاتينية: قوة. كان لـ violence معنى قوة جسدية فى الإنجليزية من أواخر ق ١٣ واستعملت فى الحديث عن ضرب قسيس فى ١٣٠٣. من نفس الفترة نسمع، فيما يبدو نبرة مألوفة، أن العالم فى حالة :

من الدنس و الفساد

من العنف violence والاضطهاد.

لكن هذا الاستعمال مثير للاهتمام لأنه يذكر بأن العنف يمكن ممارسته من جانبين، كما ألح ملتون فى حديثه عن تشارلز الأول: "حرب مضجرة على رعيته

حيث تفوق إلى الآن على عنفه violence وقت السلم" (١٦٤٩). كان هناك تداخل واضح بين violence عنف و violation انتهاك لبعض الأعـراف أو تعـد علـى منزلة عالية. هذا طرف من التعقيد. كذلك استعملت violence فى الإنجليزية، كما فى اللاتينية، للشدة والهيجان: "صف لى بـأى حـدة violence أحبـت أول مـرة المغربي" (عطيل، فصل٢، مشهد١)؛ "شدة violence حيوية الحزب" (كـوليردج، ١٨١٨). كانت هناك ملحوظة لافتة فـى ١٦٩٦: "عنـف violence ... تسـتعمل مجازيا بالنسبة للأهواء والأغراض عندما تكون جامحة ولا يمكن التحكم فيها". إن تداخل هذا المعنى مع معنى القوة المادية هو الذى يسـبب الصـعوبات الحقيقيـة لمعنيى (٤) و (٥)؛ لم يسأ أبداً فى الواقع فهم هذا المعنى، كما يتضح فى "وقع فى الحب violently باندفاع". لكن لو قيل إن الدولة تستعمل القوة ليس فقـط بمعنيـى (١) و (٢) ولكن بشكل حاسم بمعنى (٤) - التهديد المضمر كنتيجـة لأى انتهـاك للقانون و النظام law and order كما يعرفان فى أى وقت معين أو فى أى مكـان معين - فإنه يمكن الاعتراض بناء على أن violence عنف هى الكلمة الخطأ ليس فقـط لأنها "مخولة" وإنما أيضا لأنها ليست "جامحة". فى نفس الوقـت يمكـن تهميش أسئلة عما ذا يكون "جامحا و طائشا" أو "لا يمكن التحكم فيه". إنه ضـمن مفهوم "جامح" وليس، رغم التحول فى الكلمة، مفهوم القوة المادية أن النقد اللفظى المسرف و الشديد (أو حتى المتطرف والملح) يسمى بشكل عام عنيفـاً violence، والخطوتان التاليتان - تهديد تنظيم قائم وتهديد بقوة فعلية - تصبحان أحياناً سـلماً متحركاً نحو معنيى violence عنف الصريحين (١) و (٢).

إنها إذن بوضوح كلمة تتطلب تعريفاً محدداً من البداية إذا كان لها أن تتفادى (كما فى معنى إضافى لها (٧): التعدى على do violence to) انتزاعها من معناها أو دلالتها (من أواخر ١٦).

غنى/ثروة/وفرة WEALTH

ربما صيغت كلمة wealth قياساً على health صحة، وترجع إلى الكلمتين القريبتين: well ظرف من (س م) wel أو well، إنجليزية قديمة و weal خير/رخاء، اسم من (س م) wela، إنجليزية قديمة. دلت على السعادة والرخاء لكن عند طلب الدقة يمكن أن تنحصر على إحداهما. المعنى الحديث واضح بقدر كاف:

تتوفر هنا ثروة welth كافية للكسب

لجعلنا أغنياء للأبد. (١٣٥٢)

لكن المعنى الأشمل واضح من الحاجة إلى تحديد معنى "ثروة welthe دنيوية" (١٣٤٠)، فقد ترجمت "ليس هناك امرؤ أسعد more happy" في ١٣٩٨ بعبارة "ليس هناك شخص أغنى more welth". في ١٤٥٠ تقريباً كانت هناك عبارة "بدونك لا أجد بهجة joy ولا سعادة welthe"، وعند وايات (١٥٤٤) كان معنى السعادة واضحاً: "حيث أن كل wo إنسان عنده شيء من السعادة". ترجع commonwealth إلى common weal و commonweal و common wealth وكان لها معنى خير أو رفاهية well-being الجماعة قبل أن تتطور إلى معنى خاص لكن قريب يدل على نوع من الترتيب الاجتماعي. ومع ذلك كان لا يزال ممكناً قول "من أجل إسعاد welth روحي" (١٤٦٣).

استعملت wealthy ثرى بالمعنى العام (من ق ١٤) حتى وسط ق ١٥ ويبدو أن حصرها على ثراء البلد سبق حصرها على غنى الفرد. من أواخر ق ١٦ استعملت wealth بمعنى سابق للدلالة على الوفرة: "وفرة wealth من سمك السلمون"؛ وفرة wealth من الأسئلة. اكتسبت الكلمة في ق ١٧ و ق ١٨ ليس فقط ارتباطاً أكثر وثوقا بالمال والممتلكات ولكن أيضاً معنى ثانوياً صريحاً بالانتقاص. سعى الاقتصاديون السياسيون بدءا بآدم سميث (الذى استعمل كعنوان لأشهر مؤلفاته العبارة المعروفة جيداً في ق ١٧: ثروة wealth الأمم) للتمييز بين ثروة الفرد و ثروة المجتمع. للأولى ارتباط واضح وكثيراً ما يكون ازدرائياً

بالممتلكات مما يتطلب تمييز الأخيرة كإنتاج: قارن "رجل ثـــرى wealth عبـــارة توحى بكمية ... مصدر ثروة wealth لا تشير إلى كمية لكن إلـــى ... منتجـــات products" (١٨٢١). لكن بشكل عام برزت wealth و wealthy بمعانى فردانيـــة individualist و تملكية possessive مـــع إشارة طاغية إلـــى المـــال. اســتعملت كلمات أخرى مثل resources موارد للمعنى الاقتصادى الآخر. تم فقدان أو نسيان معنى ســعادة و خيـــر بحيث أن رسكن (*Unto this Last*، جـ٤) أجبر على ســك كلمة للتعبيرعن التعاسة والإهدار الذى نجم عن بعض أنواع من الإنتاج. أدى ذلــك الإنتاج إلى معنى wealth المحدد بينما كانت هناك حاجة إلى تعبيـــر مقابـــل: illth فقر وتعاسة. يستعيد هذا إلى الأذهان الصيغة الأصلية مهمـــا تبـــدو غريبـــة الآن، وكانت هناك سابقة فى illfare ضراء (انظر WELFARE) التى اســتعملت من حين لآخر بين ق١٤ و ق١٧ و أحيـــيت لفـــترة قصيرة فى ق١٩ و ق٢٠.

انظـــــر: COMMON عام/مشترك، WELFARE رفاهية

رخاء/رفاهية WELFARE

كانت welfare فى الأصل عبارة wel fare، إنجليزيـــة قديمـــة، مـــن well بمعناها الذى لا يزال مألوفاً و fare بشكل رئيسى رحلة أو وصول لكن لاحقاً زاد ومؤونة طعام. استعملت welfare بشكل عام من ق١٤ للدلالـــة علـــى ســـعادة أو رخاء (قارن WEALTH ثروة): "ســـعادة أو رخـــاء welfare جيرانـــك" (١٣٠٣)؛ "سعادة أو بؤس welfare or ilfare المملكة ككل" (١٩٥٥). كـــان هنـــاك معنـــى ثانوي، فى العادة ازدرائى فى الأمثلة المسجلة، للهو الصاخب: "كثير من الشـــغب واللهو welfare والطيش" (١٤٧٠)؛ "خمر و لهو كثيـــر" (١٥٧٧). بـــرز معنـــى welfare الموسع كهدف للرعاية و التدبير المنظم فى أوائل ق٢٠؛ اكتسبت معظـــم الكلمـــات الأقدم التى لها هذا المعنـــى (أنظـــر علـــى الخصـــوص CHARITY إحســـان) ارتباطات غير مقبولة. هكـــذا تظهـــر عبـــارات: welfare-manager (١٩٠٤) مديـــر نظـــام الرفاهيـــة؛ welfare policy (١٩٠٥) سياســـة رفاهيـــة؛

welfare work (١٩١٦) عمل رفاهي؛ welfare centres (١٩١٧) مراكز رفاهيـــة. سميت دولة الرفاهية Welfare State أول مرة فى ١٩٣٩ فى تمييز لها عـــن دولـــة الحرب Warefare State.

انظـــــــــر: CHARITY إحســـان، UTILITARIAN منفعـــي، WEALTH ثـــروة

غربى WESTERN

هناك الآن معان لافتة لغربى Western والغرب the West فى التوصـــيف السياسى الدولي. فى بعض الحالات فقد التعبير معناه الجغرافى لدرجة أنـــه يتـــيح وصف اليابان مثلا كمجتمع غربى أو غربى النمط. علاوة على ذلك، يتعرض the West الغرب (الذى يجب الدفاع عنه) إلى دلالات اجتماعية وجغرافية متقلبة. فـــى نفس الوقت، لاحظت إشارة إلى ماركسى ألمانى على أن لـــه إيـــديولوجيا شـــرقية Eastern.

التضاد West-East شرق-غرب، من الجغرافى إلى الاجتماعي، قديم جداً. ترجع صيغته الأوربية الأولى إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية من وسط ق٣ إلى West-East شرق وغرب. هناك تضاد ثقافى واضح جداً متبق من تقسيم الكنيســـة المسيحية فى ق١١ إلى Western غربية و Eastern شرقية. نبع هذه التقســـيمات الداخلية التى جرت ضمن عالم معروف ومحدود نســـبياً تعريـــف للغـــرب West كمسيحى أو يوناني-رومانى (ليس الاثنان دائماً متطابقين) فـــى تضـــاد مـــع East شرق معرف على أنه الإسلام أو بطريقة أشمل الأراضـــى الممتـــدة مـــن البحـــر المتوسط إلى الهند والصين. هكذا تم من ق ١٦ و ق ١٧ تحديد عـــالمين غربـــى Western وشرقى Eastern (أو Oriental مشرقي). بعد ذلك حدد تطور الجغرافيا المنهجية فى أوروبا شرقاً أدنى Near East (من البحر المتوسط إلى بلاد الرافـــدين) ومتوسطا Middle (فارس إلى سيلان) وأقصى (الهند إلى الصين)، وذلك بوضـــوح

طبقاً لوجهة نظر أوربية. أبطل تحديد عسكرى بريطانى قبـل الحـرب العالميـة الثانية ذلك وجعل الشرق الأدنى متوسـطاً Middle East كما هو شائع الآن. فى نفس الوقت كانت هناك فى أوروبا محاولات تقسيمها إلى شرق وغرب تكون فيهـا الشعوب السلافية شرقية Eastern. كان هناك استعمال مختلف، لكن له بعض الصلة بالمعنى، فى الحرب العالمية الأولى عندما كانت بريطانيا وفرنسا القوتين الغربيتين Western ضد ألمانيا وكانت روسيا على الجبهة الشرقية Eastern. فـى الحـرب العالمية الثانية كان الحلفاء الغربيون Western، بما فيهم الولايات المتحدة هذه المـرة، مرتبطين بحليفهم الشرقى Eastern: الاتحاد السوفيتي. فى الواقع لم تكتسب شـرق East وغرب West الوضع السياسى المعاصر حتى تقسيم أوربـا بعـد الحـرب والحرب الباردة التى تلت ذلك بين هؤلاء الحلفاء السابقين، معتمداً بـالطبع علـى بعض العوامل الجغرافية الواضحة و على بعض التصنيفات الثقافية السابقة (لكـن المختلفة). ثم أتاحت طبيعة هذا التحديد توسـع غرب West والغـــرب West the لتشمل مجتمعات نظام اقتصادى حر أو رأسمالية وبشكل خاص التوسع إلـى تحالفات هذه المجتمعات السياسية والعسكرية (التـى عقـدت أحيانـاً الجغرافيـا)، وأتاحت أيضاً توسع Eastern شرقي، وإن كان هذا إلى درجة أقل، إلى مجتمعات اشتراكية socialist أو شيوعية communist. (من ثم الوصف الغريب للماركسـية، التى نشأت فى ماهى حسب أى تعريف أوروبا الغربية Western، بأنها إيديولوجيـة شرقية Eastern) يتم أحياناً الإقرار بالصعوبات الجغرافية الواضحة التى تنجم عن هذه التعريفات السياسية بشكل متزايد بعبارات مثل Western-style غربية الأسلوب أو غربية النمط Western-type.

بعد هذا التاريخ المعقد فإن مشكلة تعريف Western Civilization الحضـارة الغربية، التى هى مفهوم رئيسى من ق ١٨ وبشكل خاص من ق ١٩، أصعب فـى الغالب بكثير مما هى عليه فى الظاهر. من اللافت أن تحويل اسـتعمالها الثقـافى (روماني- يونانى أو مسيحي) إلى استعمال سياسى معاصر (the West الغـرب) عقده إحلال North-South شمال-جنوب (مجتمعات واقتصادات غنيـة - فقيرة، صناعية - غير صناعية، متقدمة - نامية) محـل West-East شـرق-غـرب،

وهذا حسب بعض الآراء تقسيم أهم للعالم. لكن بالطبع لشمال-جنوب North-South، التي تطورت من صيغة اقتصادية وسياسية للتضاد West-East شرق-غرب تعقيداتها الجغرافية.

انظر: CIVILIZATION حضارة، DEVELOPMENT نمو

عمل/شغل WORK

كلمة work هي الصيغة الإنجليزية الحديثة للاسم weorc، إنجليزية قديمة والفعل wyrcán، إنجليزية قديمة. بصفتها الكلمة الأعم للدلالة على فعل شيء ولشيء أنجز عمله، فإن نطاق استعمالها بالطبع عظيم. ما هو لافت للغاية الآن هو حصرها السائد على شغل مأجور. هذا ليس حصراً تاماً فنحن ما زلنا نتحدث بشكل عادي عن working العمل في الحديقة المنزلية. لكن لنأخذ مثالاً هاماً: امرأة نشطة تدبر منزلاً وتربي أطفالاً يتم تمييزها عن امرأة works تعمل - أي لديها وظيفة مأجورة. مثال آخر: "بالمعنى الدقيق لم يعمل work أبداً الإنسان الأول ... ظهر العمل work الفعلي، العمل المنتظم، الشغل من أجل كسب المعيشة عندما اخترعت الزراعة" (١٩٦٢). بهذه الطريقة تم تعديل المعنى الأساسي للكلمة الذي دل على نشاط أو مجهود أو إنجاز (رغم أن هذا التعديل اتسم بالتفاوت وعدم الاكتمال) بتحديد شروط العمل المفروضة مثل "الانتظام" وزمن العمل أو العمل مقابل أجر أو راتب: باختصار: مستخدم/أجير أو موظف.

هناك علاقة لافتة بين عمل work وشغل LABOUR (ا م). لشغل labour معنى قروسطيا صريحاً يدل على الألم و الكدح. اشتقت toil كدح من (س ب) لاتينية تدل على التعكير/التحريك و السحق/التحطيم وبرزت أولا كمرادفة لبلاء trouble وشغب turmoil قبل أن تكتسب معناها كشغل شاق في ق ١٤. لا تزال labour و toil كلمتان أصعب من work، لكن تم اطلاق التسمية العامة labourers "شغيلة" من ق١٣ على العمال اليدويين، و labour شغل على مثل هذا العمل من

ق ١٧. كانت work لاتزال تستعمل لمعنى النشاط الأعم: "تباً لهذه الحياة الرتيبة، أحتاج worke عملاً" (هنرى الرابع، جـ ١، فصل ٢، مشهد ٤). لكن الشغيل labourer كان من ق١٤ أيضاً worker عاملاً. برزت workman عامل من الإنجليزية القديمة ولحقت بها من ق ١٧ workingman رجل عمل. كان هناك حديث عن طبقة فعلية من قوم عامل workfolk من ق ١٥ على الأقل وعن طبقة من شعب عامل workpeople من ق١٨: غالباً، حسب السجلات التي تحت أيدينا، بنبرة مألوفة: "لا يمكنك تصور كم هم من عصابة وحوش محتالين هؤلاء الناس العاملون work people هنا" (١٧٠٨). اعتمد حصر أحد معانى working على working class طبقة عاملة من أوائل ق١٩ (انظر CLASS) على تعريفات "طبقة" الفعالة السابقة هذه.

إن حصر work على الخدمة employment المأجورة (انظر UNEMPLOYMENT بطالة) هو نتيجة لتطور علاقات الإنتاج الرأسمالية. أن تكون فى عمل in work أو دون عمل out of work عنى أن تكون فى علاقة محددة مع طرف آخر له سيطرة على وسائل الجهد الإنتاجي. عندئذ تحول جزئياً عمل work من الجهد الإنتاجى ذاته إلى العلاقة الاجتماعية الطاغية. فقط بهذا المعنى يمكن القول بأن المرأة التى تدبر منزلاً وتربى أطفالاً لا تعمل not working. فى نفس الوقت يمكن القول، لأنه مازالت هناك ضرورة لمعنى الكلمة العام، بأن شخصاً يقوم بعمله work الفعلى منفرداً وأحياناً بمعزل تماماً عن وظيفته job (مهمة). الوقت الذى تقضيه خارج وظيفتك المأجورة يسمى بطريقة دالة: 'your own time وقتك الخاص" و"وقت حر free" و"holiday إجازة" (الكلمة القديمة ليوم احتفال ديني) و"وقت فراغ leisure". (ترجع leisure إلى الكلمة اللاتينية ليسمح licere وعنت من ق١٤ فرصة أو وقتا حرا؛ من اللافت بالنسبة لحصر work أن لدينا الآن عبارة "نشاطات وقت الفراغ" التى غالبا ما تتطلب مجهوداً كبيراً لكنها لاتسمى work عملا لأن هذا الأخير مرتبط بوقتنا المأجور paid time).

ربما يكون تطور job (مهمة) أكثر أهمية. أصولها غامضة؛ كانت دائماً كلمة عامية بشكل طاغ. هناك معان مثل "كتلة lump" أو "piece قطعة" من ق١٤ و"cartload حمل كارة" من ق ١٦. لدينا من سنة ١٥٥٧ عبارة " certen Jobbes of woorke أجزاء معينة من العمل". برز معنى جزء محدود من العمل بوضوح فى ق١٧، وأصبحت jobbing سمسرة/شغل أعمال متقطعة وjobber سمسار/شغال بالقطعة بمعانى لا تزال فى اللغة تعنى القيام من حين لآخر "بقطع عمل jobs of work صغيرة". نطاق استعمال الكلمة لاحقاً لافت جداً. سجلت فى لهجة اللصوص من أواخر ق ١٨ ولا تزال فعالة بهذا المعنى. سجلت من وسط ق ١٧ فى سياق المعاملة التفضيلية التى تنزع إلى الفساد والاحتيال؛ أما الآن فهذا المعنى قاصر على الكلمة jobbery. تمت سمسرة jobbed الأسهم من ق١٧ من قبل وسطاء وتجار لا يملكونها لكنهم كونوا ثروتهم منها. بالرغم من كل هذه المعانى برزت الآن job أيضاً كتعبير رئيسى وشبه شامل للوظيفة المعتادة. بحلول وسط ق٢٠ تمت فعلياً عملية الإحلال محل تعبيرات أقدم ليس فى العمل اليدوى أو فى تعامل الأسهم فحسب وإنما أيضاً فى عمل سمى سابقاً situation موقع، position مكان، post منصب، appointment وظيفة ... الخ. لا يزال بالإمكان استعمال هذه الكلمات رسمياً لكن فى الواقع يكاد كل فرد تسميتها jobs (من job وظيفة فى الحكومة أو وزارة الخارجية – حيث يكون للناس careers مهن – إلى job شغل فى حافلات أو فى جامعة أو فى موقع مبنى). ما حدث إذا هو أن كلمة اقتصر معناها على العمل المحدود والعرضى (كما هى متبقية بهذا المعنى فى the price of the job ثمن المهمة؛ فى ضوء تاريخ الكلمة قد يكون لافتا تسمية المقاولة من الباطن the lump الكتلة/القطعة) أصبحت الكلمة الشائعة للوظيفة المنتظمة والمعتادة. بالتأكيد نقول regular job عملا منتظما، لكن نميز أيضا a proper job عمل تقليدى ملائم عن jobbing: التنقل للقيام بأعمال متناثرة. مشكلة الأعمال jobs problem هى مشكلة وظيفة مأجورة منتظمة.

هناك صعوبة كبيرة فى تعقب هذا التاريخ. هناك دليل على أن job طورت أولاً هذا المعنى الحديث فى الولايات المتحدة. لكن الكلمة كانت دائماً وصفاً لقدر

معين من العمل من وجهة نظر الشخص الذى يقوم بـــه. حتـــى معـــانى الإجـــرام والفساد تحتوى على هذا العنصـــر الأساســـى قبـــل أن يلـــتقط آخـــرون الكلمـــة ويستعملوها، غالباً بطريقة أزدرائية. لا تزال work مهمة بطريقة أساسية وتعنـــى فى معظم الاستعمال اليومى إما labour شغل أو job مهمة. لكن ممارســـة كـــل أنواع العمل حددت بعض معانيها الإيجابية. لا تزال works أعمال فـــى الجمـــع حيادية، لكن "a work" نسبياً محترمة. أصبحت labour، التى كان معناهـــا العـــام عمل شاق أو صعب أو مؤلم، تعبيراً لسلعة وطبقة. بصفتها طبقة تم تبينها كتعبيـــر مقصود لحركة سياسية أكدت، ضمن أشياء أخرى، على dignity of labour شرف العمل. تفاعلت كل هذه التطورات وكثير منها لا يزال مهماً. لكن تظل تمضى فـــى أساس هذه التفاعلات هذه الكلمة الشعبية والعامية القصيرة: job بما لها من نطاق معانى عملى هام: قطعة عمل، نشاط مأجور، شيء يجب تصيده أو تعهيده أو القيام به بالإضافة إلى ممارسة العمل المعتادة.

المراجع
وببليوجرافيا مختارة

A New English Dictionary on Historical Principles. Ed. J. A. H. Murray, H. Bradley, W. A. Craige, C. T. Onions. Oxford 1884-1928. Corrected re-issue, with Introduction, Supplement and Bibliography, 13 volumes. Oxford, 1933.

The Oxford Dictionary of English Etymology. Ed. C. T. Onions, with G. W. S. Friedrichsen and R. W. Burchfield. Oxford, 1966.

A Dictionary of the English Language. By Samuel Johnson. 2 volumes. London, 1755.

Webster's Dictionary. Ed. W. A. Neilson. Springfield, 1934.

A Dictionary of Modern English Usage. By H. W. Fowler. Oxford, 1937.

The Cambridge Bibliography of English Literature. Ed. F. W. Bateson. "Language": Vol. I, 24-48. *Supplement*, ed. G. Watson, 8-36. Cambridge, 1940; 1957.

A Dictionary of American English. Ed. Craigie and Hulbert. 4 volumes. Chicago, 1938.

Dictionnaire de la Langue Francaise. Ed. E. Littre. 7 volumes. Paris, 1956.

A Dictionary of New English. Ed. C. L. Barnhart, S. Steinmetz, R. K. Barnhart. London, 1971.

Harper Dictionary of Contempoary Usage. Ed. Morris. New York, 1975.

Dictionary of the History of Ideas. Ed. P. P. Wiener. 4 volumes. New York, 1968-73.

Barfield, O. ***History in English Words.*** 2nd edition. London, 1954.

Breal, M. Semantics: *Studies in the Science of Meaning*. London, 1900.

Empson, W. *The Structure of Complex Words*, London, 1951.

Ohman, S. "Theories of the Linguistic Field" in ***Words***, IX (123-34), 1953.

Spitzer, L. ***Essays in Historical Semantics***. New York, 1948.

Stern, G. ***Meaning and Change of Meaning with Special Reference to the English Language***. Goteberg, 1931.

Trier,J. ***Der Deutsche Wortschatz in Sinnbezirk des Verstandes***. Heidelberg, 1931.

Ulman, S. ***Principle of Semantics***. Glasgaw, 1957.

Volosinov, V. N. ***Marxism and the Philosophy of Language***. New York, 1973.

Anderson, P. "The Antinomies of Antonio Gramsci" in ***New Left Review***, 100, 1976-7.

Bell, D. "Sociodicy" in ***American Scholar*, XXXV, 4**, 1966.

Bestor, A. E. "The Evolution of the Socialist Vocabulary" in ***Journal of the History of Ideas***, Vol.IX, 3 (259-302), 1948.

Bezanson, A. "Early Use of the Term Industrial Revolution" in Quarterly Journal of Economics, Vol. XXXVI (343-9), 1922.

Briggs, A. "The Language of 'Class' in Early Ninteenth-Century England" in ***Essays in Labour History***, ed, Briggs. A. and Saville, J. London, 1960.

Briggs, A. "The Language of 'Mass' and 'Masses' in Nineteenth-Century England" in ***Idealogy and the Labour Movement***, ed. Martin and Rubinstein. London, 1979.

Bury, J. B. ***The Idea of Progress***. London, 1920.

Clark, G. N. ***The Idea of the Industrial Revolution***. Glasgaw, 1953.

Collingwood, R. G. ***The Idea of Nature***. Oxford, 1945.

Danby, J. F. ***Shakespeare's Doctrine of Nature***. London, 1949.

Debray, R. ***Le Pouvoir Intellectuel en France***. Paris, 1979.

Eichner, H. *"Romantic" and its Cognates: the European History of a Word.* Toronto, 1972.

Erametsa, E. A *Study of the Word "Sentimental" and of Other Linguistic Characteristics of the Eighteenth-century Sentimentalism in England.* Helsinki, 1951.

Febvre, L. "Capitalism et Capitaliste" in *Annales d'Histoire Sociale.* Paris, 1939.

Ferrara, F. The *Origin of the Decline of the Concept of "Literature". Annali,* Istituto Universitario Orientale. Napoli, 1973.

Frankfurt Institute for Social Research. *Aspects of Sociology.* London, 1973.

Goldmann, L. *Towards a Sociology of the Novel.* London, 1975.

Hill, C. *Change and Continuity in Seventeenth-Century England.* London, 1974.

Kroeber, A. L. and Kluckhohn, *Culture: a Critical Review of Concepts and Definitions.* Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, vol. 47. Harvard, 1952.

Lovejoy, A. O. *Essays in the History of Ideas.* Baltimore, 1948.

Lukes, S. *Individualism.* Oxford, 1973.

Meckeon, M. Review of *Keywords* in *Studies in Romanticism,* Vol. XVI, 1977.

Naess, A., with Christophersen, J. and Kvalo, K. *Democracy, Idealogy and Objectivity.* Oslo, 1956.

Nelson, B. "Sciences and Civilizations, 'East' and 'West'" in Boston *Studies in the Philosophy of Science,* XI, 1974.

Panofsky, E. "Artist, Scientist, Genius" in *The Renaissance: Six Essays.* New York, 1962.

Panofsky, E. "The History of Art as a Humanistic Discipline" in *The Meaning of the Humanities.* Princeton, 1938.

Popper, K. R. *The Povert of Historicism.* London, 1957.

Schacht, R. *Alienation.* London, 1971.

Seeman, M. "On the Meaning of Alienation" in ***American Sociological Review***, Vol. XXIV (6), 1959.

Skinner, Q. "Language and Social Change" in ***The State of the Language***, ed. Michaels and Ricks. Berkeley-Los Angeles, 1980.

Suvin, D. "'Utopiaan' and 'Scientific'" in ***Minnesota Review***, NS6, 1976.

Wellek, R. ***The Rise of English Literary History***. Chapel Hill, 1941.

Wellek. R. ***Concepts of Criticism***. New Haven, 1963.

Willey, B. ***The Eighteenth Century Background***. London, 1940.

Williams, R. "Keywords" in ***Politics and Letters***. London, 1979.